الجمهورية العراقية
وزارة الإعلام

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف

عماد الدين الأصبهاني الكاتب

الجزء الثالث

المجلد الأول

*

حققه وشرحه

محمد بهجة الأثري



منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهوريـة العراقية
١٩٧٦ ـــــــــــــــــــــ سلسلة كتب التراث
(٤٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتمدت ، في تحقيق هذا الجزء بِقسميْه ، على نسختين : مصوَّرة نسخة « طِهران » ، ومصوَّرة نسخة « باريس » . وهما نسختان ، لم يتوفَّر فيهما التَّشابه التّامّ ، ولا الصّحّة السّابغة والكمال .

فأمّا المصوَّرة الطّهْرانيّة ، فإنّها موصولة بالتّراجم السابقة ، وخطوطها متباينة ، يكثر فيها التّصحيف ، ولا تسلم في بعض المواضع من سقط يسير ، ومن اختلال في الترتيب . وهي من أول هذا الجزء الى ما بعد وسطه أتمّ من المصوَّرة الباريسيّة .

وأمّا المصوَّرة الباريسيّة ، فانّها موصولة — كذلك — بالتراجم السّابقة ، وخطوطها متباينة أيضاً ، ويكثر فيها التصحيف كما يكثر في النسخة الطّهرانيّة ، والتّراجم في أوائلها مختصرة شديدة الاختصار ، ثم يتغيّر خَطّها فتَسْرُد فيها التّراجم كوامل ، فتتوافق مع المصوّرة الطّهرانيّة إلى أوّل ترجمة « أبي عبدالله بن أبي بكر الشاشي » ، — التّي ترد في القسم الثاني — حيث تنقطع ، فتتمّمها المصوَّرة الباريسية ، ثمّ تمدّنا بعدها بثلاث وعشرين ترجمة ، وتقف عند آخر ترجمة « شبل الدولة » من الأمراء الشعراء .

وقد أسلفت فيما سبق نشره من أجزاء الكتاب أمثلة مصوَّرة من خطوط هاتين النّسختين .

ومن هاتين النّسختين ، ألّفت هذا الجزء بقسميه ، ثم رفدت مواضع النّقص في بعض التّراجم بما وفّره لي البحث المتعمّق في المصادر القديمة التّي نقلت نصوصاً كاملة من هذا الكتاب ، كما يرى ذلك في مواضعه .. فاستقام بذلك عموده على نحوٍ إخاله غير بعيد عن نصّ المؤلّف .

وقد اتّخذت المصوّرة الطّهرانيّة من أوّل الجزء إلى ما بعد وسطه أصلاً ، والمصوَّرةَ الباريسيّة فرعاً مرموزاً إليه بالحرف (ب) ، وذلك لاكتمال تراجمها . ثم انعكست الآية من بعدُ ، فكانت الباريسيّة الأصل الوحيد لبقية الجزء . على أنّها

حين ساعفتنا بموادّ قيمة ، عجزت في بعض المواضع عن إمـــدادنا بما يكمّل نقص المصوّرة الطّهرانيّة ، ولم يزد ذلك ، من حسن التوفيق ، على ثلاثة مواضع نبّهت عليها في (ص ٢٧٦ و ٢٣٣ــ٢٢٥ و ٢٨٧) • وفيما عدا هــذا ، لم أُحْرَم حظّ الملاءمة التّامّة بين النسختين ، ولا حظّ ســدّ النّقص في المواضع الّتي عجــزتا عن ســدّه •

ولقد كنت حريصاً على أن أعزّز هاتين المصوّرتين بنسخة ثالثة من هذا الجزء أوفر حظاً من التّمام ومن الصّحّة ، قبل أن أقدم على تحقيقه ، لأوفّر له الكمال •• فتلبّثتُ به طويلاً ، قبل تحقيقي الجزء الرابع وبعده ، وأكثرتُ التّسآل والبحث عن النسخة الّتي أطمع في الظّفَر بها ، فلم أَنْتَهِ إلى نتيجة ، وخاب الأمل ، فما كان لي إلّا أن أقنع بالأمر الواقع ، فأمضيَ في التحقيق •• لِأُتِمَّ ما بدأت إخراجه من الكتاب ، ولِأخرج من الظلمة إلى النّور عدداً دَثْراً من شــعراء هذا الوطن الحبيب ، عاشوا في حقبة من أحقابه ، وتسلسل في بيانهم العَذْب مجدُ العربيّة ، فكان حقّاً علينا أن نذيع أخبارهم وأشعارهم ، وبينهم نفر بلغوا الذّروة فيما قرضوه من الشّعر العربيّ الأصيل في مبانيه وفي معانيه •

وبهذا تسنّى لي أن أخرج هذا القسم العراقيّ من « خريدة القصــر » ، مع شروحه ، في ستّة أجزاء كبار •• وكانت بعض البواعث دعت الى اعتداد بعض أجزائه مقسوماً مجلّدين ، ومن حق كلّ منها أن يكون ، بحسب تجزئتي له ، جزءاً مستقلّاً برقمه ، وهذا ما أرجو أن يكون عند إعادة طبع الكتاب إن شاء الله •

أمّا منهجي في التّحقيق والنّقد والشّرح ، فسبيلي فيه في هذا الجزء بقسميه، هي ســبيلي في الأجزاء السابقة واللاحقــة على ما وضّحت في مقدّماتها • وإنّي لَأَطْمع أن أظفر من العلماء الأماثل بتقويم ما لم أوفّق لتقويمــه ، وتصحيح ما أخطأت فيه ، إخلاصاً للعلم ، وخروجاً من العهدة ، وفوق كل ذي علم عليم •

والفضلُ ، بعدُ ، في إخراج الكتاب الى النّور ، مَرَدّه إلى وزارة الإعــلام التي تضطلع بإعلاء شــــأن الثقافة العربيّة ، وشدّ أزر العلماء والأدباء بنشـــر ما ينتجون ••

فإليها أزجي شكر العربيّة والأدب العربيّ •

محمد بهجــة الأثري

الشيخ ابو محمد بن الخشّاب النحويّ [1]

عبدالله ، بن أحمدَ ، بن أحمدَ ، بن أحمدَ [2] الخَشّاب ، بن عبدالله [3] .

من أهل « بَغْدادَ » .

شيخُنا في علم الأدب ، أعلمُ النّاس بكلام العرب ، وأعرفُهم بعلومٍ شَتّى :

من النَّحْو ، واللغة ، والتّفسير ، والحديث ، والنَّسَب [4] .

---

(١) ترجمته في : وفيات الأعيان ٢٦٧/١ ، ومعجم الأدباء ٤٧/١٢ ، والمنتظم ٢٣٨/١٠ ، ومرآة الزمان ٢٨٨/٨ ، وتاريخ ابن الأثير ١١٤/٩ وتاريخ الاسلام للذهبي « وفيات ٥٦٧ هـ » ، والبداية والنهاية ٢٦٩/١٢ ، والنجوم الزاهرة ٦٥/٦ ، وتاريخ أبي الفداء ٥٢/٣ ، وتاريخ اليافعي ٣٨١/٣ ، وشذرات الذهب ٢٥٠/٤ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ١٧/٢ ، والعبر للذهبي ١٩٦/٤ ، والمختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ١٢٧/٢ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (لأحمد بن ايبك المعروف بابن الدمياطي ـ دار الكتب المصرية ـ مصورة في المجمع العلمي العراقي ـ الورقة ٤٠) ، ومسالك الأبصار ج٤/٢/٣١١ ، ومرآة الجنان لليافعي ٣٨١/٣ ، والمنهج الأحمد ـ خ ، والذيل على طبقات الحنابلة « ط ـ الفقي » ٣١٦/١ ، والمقصد الأرشد ـ خ ، والاعلام بتاريخ الاسلام ـ خ ، وتلخيص ابن مكتوم ٨٨ ، وكشف الظنون ١٠٨ ، ٦٠٢ ، ١٥٦٣ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٥ ، واشارة التعيين ـ خ « الورقة ٢٣ » وانباه الرواة ٩٩/٢ ، والفلاكة والمفلوكون ٧٨ ، وبغية الوعاة ٢٧٦ ، والأعلام ١٩١/٤ ـ ط ٢ ، وتاريخ الأدب لكارل بروكلمان S. 1 : 493 ، والتاج المكلل ١٣٢ .

(٢) في وَفَيات الأعيان : « ... أحمد المعروف بابن الخشاب » . وكذا في إنباه الرواة : « احمد بن الخشاب » .

(٣) بعده في معجم الأدباء : « ابن نصر » .

(٤) وزاد مترجموه : « الشعر والفرائض ، وحفظ كتاب الله العزيز بالقراءات الكثيرة ، والمنطق ، والفلسفة ، والحساب ، والهندسة » ، وقالوا : « وما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يد حسنة » . وقد « قرأ الأدب على أبي منصور موهوب الجواليقي ، وغيره ، والحسابَ والهندسة على أبي بكر بن عبدالباقي الانصاري ، والفرائض على أبي بكر المرزوقي ، وسمع الحديث من أبي الغنائم النَّرْسيّ وأبي القاسم بن الحصين وأبي العزّ بن كادِش وجماعة » .

الطَّوْدُ السّامي ، والبحرُ الطّامِي •

وكان فضله على أفاضل الزّمان ، كفضل الشّمس على النّجوم ، والبحرِ على الغُدران •

وله المؤلَّفاتُ العزيزة ، والمصنَّفات الحريزة[5] ، والغُرَر المفيدة ، والفِكَرُ المَجِيدة •

وإذا كتب كتاباً بخطّه يُشتَرى بالمِئِين ، وتتنافس عليه بواعث المستفيدين•

ومُعْظَمُ قراءتي عليه ، في « بَغْدادَ » ، في كتب الأدب والشّعر •

وبَعَثَ[6] تحسينه وتنقيحه وتصحيحه لكلماتي ، على تَجْوِيد[ي][7] النَّظمَ والنَّثْر •

وهو[8] أليَنُ سجيّةً من الماء العَذْب ، وأخشنُ حَمِيَّةً من غِرار العَضْب[9] •

وما أظُنُّ أنّ الوجودَ يسمَحُ[10] بمثله ، وأنّ الدّهرَ العقيمَ يُنتج أحداً في فضله •

---

(٥) الحريزة : ما لا تباع لنفاستها . ومن مؤلفاته : (١) نقد مقامات الحريري ، وقد رد عليه ابن برّي ، وكلاهما طبع في استنبول بتحقيق شيخنا العلامة علي علاءالدين الألوسيّ رحمه الله ، ثم في مصر ملحقين بمقامات الحريري . (٢) شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو ، يقال إنه أربع مجلدات ، وإنالوزير وصله عليه بألف دينار . (٣) شرح اللمع لابن جنّي – لم يتم . (٤) الرّدّ على ابن بابَشاذَ في شرح الجمل . (٥) الردّ على الخطيب التبريزي في تهذيب اصلاح المنطق . (٦) شرح الجمل ، وقد اختلفوا في نسبة الاصل المشروح ، فنسبه بعضهم الى عبدالقاهر الجرجاني ، ونسبه آخرون الى عبدالرحمن الزجاجي ، وللأول « الجمل » شرح كتابه « العوامل » ، وهو مختصر ، وللثاني « الجمل الكبرى » ، وقالوا : إنه ما صنف تصنيفا فكمله ، وعللوا ذلك بضيق عَطَنه وضجره ، ومن ذلك انه في شرحه « كتاب الجمل » ترك أبواباً من وسط الكتاب ، ما تكلم عليها ، وقرىء عليه المصنَّف ، وكتب بخطه عليه ، وهو بهذه الصورة ، غير معتذر من ذلك بعذر . كذلك قطع شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة قبيل الإتمام ، ووصل منها الى باب النونين : الثقيلة والخفيفة . وعمل في شرح اللمع مثل ذلك . وقد وقف رحمه الله كتبه على أهل العلم قبيل وفاته .

(٦) الأصل « وبحث » ولا يستقيم به المعنى .

(٧) زيادة منّي يطلبها السياق .

(٨) الاصل : « وهي » .

(٩) الغِرار : حدّ السيف . العضب : السيف القاطع .

(١٠) الأصل : « يمسح » ، وهو تحريف .

كان كثيرَ الافادة ، غزير الاجادة ، غيرَ أنّه ينبو[١١] عن جواب سؤالِ المتحنين ، نِبْوَةَ المستحق المُهين[١٢] ، ويَعِزّ على المتكبِّر ، ويَذِلّ للمتكرّم .

متواضعٌ عندَ العامّة ، مترفّعٌ على الملوك والخاصّة[١٣] .

تُوُفّيَ بـ « بَغْدادَ » سنةَ ثمان[١٤] وستّين وخمس مِئَةٍ ، وأنا بـ « الشّام » ، فرأيتُه ليلةً في المنام كأنّي أقول له : ما فعل الله بك ؟ فقال : خيراً ، فقلتُ : [وهل][١٥] يرحم الله الأدباءَ ؟ قال : نعم ، قلتُ : وإن كانوا مقصّرين ؟ قال : يجري عتاب كثير ، ثمّ يكون النّعيم[١٦] !

***

وكان قليلَ الشّعر .

وممّا أنشدَناه من شعره ، من قصيدةٍ ، قولُه :

إن غار خِلُّك في الهوى ، أو أنْجَدا

فلَرُبَّما ردّ المُغِيرةَ مُنْجِدا[١٧]

---

(١١) ينبو عن الجواب : يجافي السائل ولا يردّ عليه كأنه يحقره .

(١٢) العبارة في الأصل : « .. ينبو عن سؤال المتحن ، نبوة المحتقر بالمتهن » ، وهي مضطربة ، وتصحيحها من « إنباه الرواة » . ونبوة، بكسر النون ،للهيأة، ولا يصحّ هنا فتحها ــ كما ضبطت في « إنباه الرواة » ، لأن الوحدة ها هنا لا يستقيم معها المعنى .

(١٣) في « إنباه الرواة » ــ ونصّه منقول من « الخريدة » ــ : « مرتفع عند الملوك والخاصّة » ، ومدلولا العبارتين مختلفان .

(١٤) ذكر مؤرخوه الآخرون ــ ومنهم ابن النجار وياقوت وابن خلكان ــ وفاته في عشية الجمعة ثالث شهر رمضان سنة سبع وستين وخمس مئة ، بـ « باب الأزَج » ،ومنها محلة « باب الشيخ » اليوم ، بدار أبي القاسم الفرّاء ، وصلّي عليه بجامع السلطان يوم السبت ، وتقدم في الصلاة عليه أبو النجم بن القابلة، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، بـ « باب حَرْب » لأنه كان حنبلياً . ومولده سنة ٤٩٢ هـ على ما نقله ابن خلكان عن بعض التعليقات ،وله فيه تحقيق ينظر في كتابه وفيات الأعيان ٢٦٧/١ .

(١٥) زيادة من « إنباه الرواة » .

(١٦) صورة هذا الخبر في « معجم الأدباء» ٥٢/١٢ : أنه « رُئِيَ ــ بعد موته بمدّة ــ في النوم ، على هيأة حسنة ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قيل : ودخلت الجنة ؟ قال : نعم ، إلا أنّ الله أعرض عني . قيل : أعرض عنك ؟ قال : نعم ، وعن كثير من العلماء ممن لا يعمل بعلمه » .

(١٧) غار ، وأغار ، وغوّر : أخذ نحوَ الغور ، وهو المطمئن من الأرض ، وكل ما ←

أو صـــاده الرَّشَــأُ الغَـرِيرُ ، فطالمـــا
غشَّى بصارمــه الهِزَبْرَ الأَيِّــدا(١٨)

***

وقوله في الشَّمعة(١٩) :

صفراءُ من غيرِ سَــقا م بهـا كيفَ ؟ وكانت أمّهـا الشّافيَهْ(٢٠)
عاريـــةٌ ، باطنُهـــا مكتسٍ ، أعْجِبْ بهـــا كاسيةً عاريَهْ !(٢١)

***

وله في الدَّفْتَر(٢٢) مُلغِزاً :

وذي أوجُـــهٍ ، لكنّه غيرُ بـائحٍ بسِرٍّ، وذوالوجهين للسِّرِّ مُظْهِرُ(٢٣)

انحدر سيله ، مثل غور « تهامة » . الخِل : الخليل ، كالحِبّ والحبيب . أو : الأصل « و » . أنجد : اتى نجداً ، وهو ما ارتفع من الأرض . والمُنجد : المعين والناصر .

(١٨) الرشأ : ولد الظبية إذا قوي وتحرك ومشى مع امه . الغرير : الحسن الجميل ، يقال : وجه غَرير . الهزبر : الأسد . الأيّد : القويّ .

(١٩) البيتان ، في وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، وإنباه الرواة ، وغيرها .

(٢٠) وكانت : من (ب) ، الاصل : « فكانت » . والبيت في معجم الأدباء ، وإنبـاه الرواة :

صفراء ، لا من سَــقَم مَسَّها كيف ، وكانت أمها الشافِيَهْ ؟

والمراد بـ « أمها » النَّحلة التي تخرج العسل والشمع .

(٢١) عارية : في معجم الأدباء ، وإنباه الرواة : « عريانة باطنُها .. » .

(٢٢) في وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء وإنباه الرواة : «الكتاب» ، وهي الصحيحة. واللغز : ما يُعَمّى من الكلام ، يقال : الغز كلامَهُ ، والْغَز فيه ، ولَغَز فيه ، إذا عمّى مراده واضمره على خلاف ما اظهره ، والغز في يمينه : دَلَّسَ فيها على المحلوف له .

(٢٣) وذي : الأصل « وذو » ، وهو في المصادر كما أثبتُّه ، لأن الواو ها هنـا واو « رُبَّ » الخافضة لما بعدها . وقوله : « وذو الوجهين للســر مظهر » هو في « إنباه الرواة » : « وذو الوجهين للمرء يظهر » ، والأصل مطابق لمـا في وفيات الأعيان ومعجم الأدباء .

تنـاجيك بالأسرار أسرارُ وجههِ[٢٤] فتسمَعُها بالعين ما دُمْتَ تنظُرُ[٢٥]

**

وله يمدح الإمام (المستضيء بأمر الله)[٢٦]، ويهنئه بفتح « مِصر »[٢٧] :

يقولون : « مصـــر » قـــد أنابت وأقلعت
وقد سَعِدت من بَعدِ شِقوتها « مصرُ »[٢٨]

وآلَتْ الى آلِ « النَّبِيّ » ، وآنســـت
طُمَأْنِينـــةً منهم ، وكان بها ذُعرُ[٢٩]

وهل « مصـرُ » إلا آبِق" .. غاب بُرهـــةً ،
وعـــاد الى مولىً لــــه ، أمرُهُ الأمرُ[٣٠]

فأوســـعه صفحـاً ، وأولاه رحمـــــةً ،
وكان له منــــه التَّغَمُّـــدُ والغَفْرُ

وما ذاك إلا أنّــه لم يــكن لـــــه
لَدَيْهِ ، اِن استخفى ولا اِنْ أتى ، قَدْرُ

---

(٢٤) ب : « يناجيك بالأسرار سراً وجهرة » ، والأصل مطـــابق للمصادر المذكورة . وأسرار الوجه : خطوطه ، وهي جمع السرّ ، وليست واحدة كما وهم واضعو « المعجم الوسيط » ، أراد بها سطور الكتاب .

(٢٥) في « إنباه الرواة » : « فتفهمها ما دمت بالعين تنظر » ،ومثله في « معجم الأدباء». ورواية ابن خلكان له تطابق الأصل .

(٢٦) ترجمته في ٩/١ من هذا الكتاب .

(٢٧) عنى بفتح « مصر » إزالة السلطان الناصر صلاح‌الدين الأيوبي رحمــه الله دولة « بني عبيد » الزاعمين انتسابهم الى سيّدتنا فاطمة رضوان الله عليها ، وإقامته الدولة العباسية بها ، وذلك في المحرم سنة ٥٦٧هـ . وكانت مدة ولاية بني عبيد على مصر مئتي سنة وثماني سنين ، وقد ملك منهم أربعة عشر . وكان لفتح مصر واليمن وضمهما الى ملك العباسيين أثر بعيد في تعاظم قوة الدولة وتمكن السلطان الناصر من قهر الصليبيين الغزاة . انظر ١٠/١ ، ١٣ ، ١٤ من هذا الكتاب .

(٢٨) أنابت : رجعت .

(٢٩) آلت : رجعت . آل النبي : عنى بهم العباسيين ، أبناء العباس بن عبدالمطلب عم النبي ، عليه الصلاة والسلام . وفي حقيقة المراد بـ (آل النبيّ) تفصيل ليس هذا موضعه ، ومن أفضل التحقيق فيه ما كتبه الإمام شمس‌الدين أبو بكر محمد ابن قيم الجوزية في كتابه « بدائع الفوائد » .

(٣٠) الآبق : الهارب .

وقـد كان (فِرعونُ) يَدِلُّ بملـــــكها
ويعروه كِبـــرٌ أنْ جرى تحتَهُ نهرُ[٣١]

وهل هو إلا « النّيلُ » إنْ مَدَّ أخصَبَتْ
على قَـدَرٍ منه ، ويُمْحِلُها الجَزْرُ[٣٢]

فأوبقـــــه طغيانُـــــه وعُتُوُّهُ ،
وأرداه في اليَمّ التَّجَبُّـــر والكفـرُ[٣٣]

وقالوا لِـ (موسى) ، إذْ أتـــاه بآيـــةٍ
هي الآيةُ الكبرى : ألا إنّ ذا سِـــحرُ !

وكانت على عهـــد (ابن هنـــد) مدينةٌ
بها (القِبطُ) ترضَىحينَ وليَّها (عَمْرُو)[٣٤]

---

(٣١) يَدِلّ : (الأصل « يذل » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف) : ينبسط ويجترىء، وفي دواوين اللغة : فلان يُدل عليك بصحبته إدلالاً ودلالاً ودالّـــةً ، أي : يجترىء عليك ، كما تُدِلّ الشابّة على الشيخ الكبير بجمالها ونضرتها . فرعون: هذا من الأسرة التاسعة عشرة ، أنظر عنه : كتاب « فرعون موسى » لأحمـــد يوسف أحمد ، و « قصص الأنبياء » لعبدالوهاب النّجّار ، ط ــ الثانية ، ص ٢٣٩ . وخبر غرقه وجنوده في البحر ، ورد في القرآن الكريم ، في مواضع ، على سبيل العظة والاعتبار بمصاير الطغاة .

(٣٢) مَدّ : الأصل « مَرّ » . يمحلها : يصيبها بالمَحْل ، وهو الجدب والقحط .

(٣٣) أوبقه : أهلكه . العُتُوّ : الاستكبار ومجاوزة الحدّ .

(٣٤) ابن هند : هو معاوية بن أبي سفيان أحد كتاب الوحي لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، ومؤسس الدولة الأموية في الشام . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف : صحابية، قرشية. أسلمت بعد فتح مكة ، فرحَب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت وقعة اليرموك ، وحرضت على قتـــال الروم ، توفيت سنة ١٤هـ ، وأخبارها كثيرة ، وشهرتها عالية في التاريخ . وعمرو : هو أبو عبدالله عمرو بن العاص السهمي القرشيّ ، صحابي ، من عظماء الفاتحين العرب ودهاتهم وأُولي الرأي والحزم فيهم . أسلم في هـــــدنة « الحُدَيْبية » ، وولاه النبي ــ صلى الله عليه وسلّم ــ جيش « ذات السلاسل»، وأمدّه بأبي بكر وعمر . وافتتح « قِنّسْـــرين » في زمن عمر . وولاه عمر « فلسطين » ثم « مصر » ففتحها . وعزله عثمان . ثم ولاه معاوية ، في خلافته، على « مصر » سنة ٣٨ هـ . وتوفي في « مصر » سنة ٤٣هـ (٦٦٤م) . ولحسن ابراهيم « تاريخ عمرو بن العاص » .

ولانَ من التَّقْوى ، وعَـــزٌ من الحِجـــا

كما خشُنَت في لِينهـا البِيضُ والسُّمْرُ[٣٥]

مقالتُـــهُ والطّعنُ ، فصلٌ وفيصـلٌ ،

فمقطوعُـه حِبرٌ ، ومطعونُهُ ذِمْـرُ[٣٦]

إذا هَطَلَت نُعمـــاه ، غيث وديمـــة ،

وإنْ وضَحَت فَتواه فالحَبْرُ والبحرُ[٣٧]

بكلِّ إمـــامٍ عادلٍ فخـرُ عصـــرِهِ ،

وبـ (المستضيء) البَرِّ يفتخر الدّهرُ[٣٨]

فتى الخيل تعـدو بالكُمـــاة ، كأنّهـا

سَراحِينُ قَفْرٍ ، مَدَّ أنفاسها القَفْرُ[٣٩]

تَجـــانَفُ عن رَعْيِ الجَميمِ ، وتختلي

خَمائلَ هامٍ .. نَبْتُ غُدْوَتِها الشَّعْرُ[٤٠]

وتَضْوَى نِهاءُ القاع ، وَهْيَ ظميئـــةٌ

الى مَوْرِدٍ .. يَنْبُوعُهُ الطَّرْفُ والنَّحْرُ[٤١]

---

(٣٥) الحِجا : العقل والفطنة ، الأصل : الحمى . البِيض : السيوف . السُّمْر : الرماح .

(٣٦) فيصل : ماضٍ قاطع ، يفصل بين الحق والباطل . ذِمر : شجاع .

(٣٧) الدِّيمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، جمعها : دِيَمٌ . الحبر:العالم .

(٣٨) البَرّ ، بفتح الباء : البارُّ ، الكثير الإحسان والخير .

(٣٩) الكماة : جمع الكَمِيّ ، وهو لابس السلاح ، و ـ الشجاع المقدام الجريء كان عليه سلاح أو لم يكن . السراحين : الذئاب ، واحدها سِرْحان ـ بكسر السين. قفر : في الاصل « فقر » .

(٤٠) تجانَفُ : تتجانف ، حذف منه تاء المضارع تخفيفاً ، أي تُجانب . الجميم : النبت الكثير ، أو الناهض المنتشر الذي غطى الأرض . تختلي: تقطع وتنزع . الهام : الرؤوس ، واحدها هامة . الغدوة : البكرة ، وهي ضعيفة ها هنـا ، والسياق يطلب « عِدْوَتها » بالعين المهملة ، وهي المكان المرتفع .

(٤١) تضوى : أراد « تجِفّ » ، واصل معناه الضعف والهزال . نِهاء:جمع نِهْي ، بكسر فسكون ، وهو الغَدِير . القاع : أرض مستوية مطمئنة ، تنصبّ إليها مياه الأمطار فتمسكها ثم تنبت العشب . ظميئة : عطشى . الطرف : العين . النحر : أعلى الصدر .

هنـــالك تَلْقَى (المستضيءَ) ، كأنّـــه
غَضنفرُ خِيسٍ •• نالَ أشبالَهُ ضُرُّ[٤٢]

فيُوســـع ضــرباً والوَغى مُستحِرَّةٌ ،
ويعفو عن الأسرى إذا سَرَحَ النَّصْرُ[٤٣]

كعــادته في الصَّفــح عن كلّ مجـرم ،
إذا ما الحِجا طاشـت وضـاق بها القفرُ[٤٤]

نوى الخيرَ مـــن قبل الخِلافة قلبُـــهُ
فصدّقه الاحسانُ والنّـائلُ الغَمْرُ[٤٥]

وجـــاز ، مع الامكان ، عن أخـذ نَزْرِهِ
فبـات يظُنُّ النَّزْرَ ما قَدْرُهُ دَثْرُ[٤٦]

إمـامٌ نَمَتْـــهُ الصِّيدُ من (آل هاشـم)
هُمُ أُمَنـاءُ الله والحُجَجُ العشـرُ[٤٧]

بـــه تفخَرُ الأمـلاك في أُفْق العـلى
ويَزْهَى به (العبّاسُ)والحُجَّةُ الحَبْرُ[٤٨]

---

(٤٢) الخيس : الأَجَمة ، والشجر الكثير الملتف . و ـ موضع الأسد . جمعه أخياس .
(٤٣) الوغى : الحرب . مستحرّة : حارّة ، أو شديدة . سَرَحَ النصر : جرى سهلاً .
(٤٤) الحِجا : العقل ، والفطنة ، جمعه : أحجاء . وهو مذكر ، وقد رجع اليه الضمير في « طاشت » مؤنثاً ، وهو خطأ . وطاش : خفّ وتشتت فجهل أو اخطأ .
(٤٥) النائل الغَمْر : العطاء الكثير الغامر .
(٤٦) النزر : القليل . الدثر : الكثير من كل شيء .
(٤٧) نمته : رفعته وأعلت شأنه . الصّيد : جمع أصيد ، وهو كل ذي حَوْل وطَوْل من ذوي السلطان . آل هاشم : أراد بهم العباسيين أولاد العباس بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف،واسم هاشم « عمرو » ، وغلب عليه لقب «هاشم» لأنه اول من هشم الثريد لقومه في احدى المجاعات . ساد صغيراً وانتهت اليه سيادة قريش،وسن الرحلتين لقريش،للتجارة:رحلةالشتاء الى اليمن والحبشة،ورحلة الصيف الى بلاد الشام، وربما بلغ انقرة . وتوفي في «غزّة» بفلسطين، وبه يقال لها « غزة هاشم » ، وذلك في نحو سنة ١٠٢ قبل الهجرة .
(٤٨) الحبر : العالم . والعباس : هو ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، جدّ الخلفاء العباسيين وأبو حبر الأمة . كانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

عليـــه من اللاهوت نورٌ وهيبـــةٌ
لها يُذعِن العـــاصي ، ويستعبد الحُرُّ(٤٩)

إذا شـــاءَ أمراً ، فالقضـــاءُ مؤيِّـــدٌ
لِمـا شـاءَ ، والاقبـالُ يتبَعُه النَّصـرُ

لـه فِـكَرٌ لَمّاحـةٌ كـــلّ غـــاية ،
إذا دَجَتِ الأفكار ، وانعقم السِّـــرُّ(٥٠)

تبسَمتِ الدُّنيـــا بذكـرِ خليفـــةٍ
تَهَنّا بـــه الأيّامُ والخَلْقُ والعصـــرُ(٥١)

هو الظِّلُّ ظِـلُّ الله في الأرض كلِّهـــا ،
هو القائمُ المَهْـدِيُّ ، لا ماروى الغَمْـرُ(٥٢)

**

يُخَيَّلُ لي أَنّي بمدحـك صـــــاعدٌ
الى الأُفُـق الأَعلى ، فيُكتَبُ لي أجـــرُ

« وهي أن لا يدع احداً يسبّ احدا في المسجد ، ولا يقول فيه هجراً » . أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه واقام بمكة يكتب الى رسول الله ، صلى الله عليـــه وسلم ، أخبار المشركين . ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد وقعة « حُنَيْن » فكان ممن ثبت حين انهزم الناس . وشهد فتح مكة . وعمي في آخر عمره . وكان اذا مرّ بعمر بن الخطاب في أيام خلافته ترجل عمر إجلالاً له ، وكـذلك عثمان . واحصى ولده في سنة ٢٠٠ هـ ، فبلغوا ٣٣٫٠٠٠ . وكانت وفاته في المدينة عن عشرة اولاد ذكور سوى الإناث . وله في الصحيحين خمسة وثلاثون حديثـاً . ترجمته في أسد الغابة ، والإصابة ، والاستيعاب ، وصفوة الصفوة ، وطبقات ابن سعد . وذيل المذيل ، وتاريخ ابن عساكر ، والمحبر ، ونكت‌الهميان ،وتاريخ الخميس ، والجمع بين رجال الصحيحين ، والأعلام ، وغيرها كثير ، ولصابر عبده إبراهيم كتاب : « العباس بن عبدالمطلب ـــ ط » . وأما الحجة الحبر فهو ابنه عبدالله بن عباس ، وترجمته في المصادر المذكورة .

(٤٩) اللاهوت : تكلمت به العرب قديمـــاً ، والعبرانيون ، والآراميون يقولون لله : « لاهوت » ، وللإنسان « ناسوت » . وزعم بعضهم أنه من مولدات الصوفية ، اخذوه من الكتب الإسرائيلية ، وردّه الزَّبيديّ .

(٥٠) دجت : اظلمت . (٥١) تهنا : تَهَنَّأ ، حذف همزته لضرورة الشعر .

(٥٢) الغمر : من لم يجرّب الأمور ، أراد : الجاهل .

ومَنْ كانت «الشِّعْرَى» دُوَيْنَ مَحِلِّهِ ،
فيا ليت شِعري .. كيفَ يُدرِكه الشِّعرُ ؟[٥٣]

وانّ حيــاةَ النّــاسِ والملكِ والهدى ،
إمامَ الورى ، في أن [يــدومَ] لك العمرُ .[٥٤]

***

وقال يمدحه :

قُــلْ للامــام المُستضاء بنــوره
و (المستضيءِ) بأمــرِ ربِّ العــالَمِ :

يا خيرَ مَنْ نفحت يــداه لســائل
بمواهبٍ فاضت كفيضِ غَمــائمِ[٥٥]

وَرَدَ الورى سَلْسالَ وِرْدِكَ فارتَوَوْا ،
ووقَفتُ دونَ الوِرد وِقفــةَ حائمِ[٥٦]

ظمــآنَ أرقبُ خَفَّــةً من زحمــة ،
والــوِردُ لا يــزداد غــيرَ تَــزاحُمِ

هــدم الخزائنَ جودُ كفِّــك ، وابتنى
مجــداً ، فيــا عَجَبــاً لِبــانٍ هــادمِ !

فَرَّغْتَهــا من عَسْجَد ، ومــلأتَهــا
بمَحــامدٍ مأثورةٍ ومكــارمِ[٥٧]

---

(٥٣) الشِعرى : كوكب نيّر ، يقال له « المرزم » ، يطلع في شدة الحر . وهمــا « الشِعْرَيان » : « الشِعرى العَبُور » التي في « الجوزاء » و «الشِعرى الغُمَيْصاء» التي في « الذراع». وقد عبد «الشعرى العبور» طائفة من العَرب في الجاهلية ، فرد عليهم القرآن وقال : (وأنّه هورَبُّ الشِعرى) . يدركه : الأصل « يدرك » .

(٥٤) يدوم : زيادة لازمة .

(٥٥) لسائلٍ : الأصل « لباسل » ، وليست بشيء .

(٥٦) الشطر الأول في الأصل : « ورد الورى السلسال وردك وارثوا » . الحــائم : العطشان . والسلسال : الماء العذب السهل المرور في الحلق لعذوبته وصفائه .

(٥٧) العسجد : الذهب .

أنســـى عطاؤكَ كـــلَّ مُعطٍ قبلَـــــهُ
جَزْلاً ، وألهى (طَيِّئاً) عن (حاتِمِ)[٥٨]

وأعــدتَ فينـــا سِيرَةً(عُمَرِيَّةً)
كفّت عن المظلوم كفَّ الظّــــالمِ[٥٩]

أصبحتَ كـ (المَهْـدِيّ) بعـدَ خِلافةِ الـ
(منصور) منتصبــاً لردِّ مَظـالمِ[٦٠]

فرَدَدْتَهـــا موفورةً ، وفَضَضْتَهـــا
في أهلهــا عن غــيرِ فَضِّ خواتمِ

فَرَّقْتَ ما جَمَعَ الأُلى ، فجَمَعتَ مــا
لم يجمَعُوا من حسـنِ ذكــرٍ دائمِ

---

(٥٨) طيء : قبيلة مشهورة من كهلان ، من القحطانية ، وهم : بنو طيّء بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عُريب بن زيد بن كهلان ، والنسبة اليهم « طائيّ » ، وكانت منازلهم باليمن ، فخرجوا منه على إثر « الأَزْد » الى « الحجاز » ، وجاوروا « بني أسد » في « فيـد » و « سميراء » ، ثم غلبوهم على جبلي « أجـــأ » و « سلمى » اللذين عرفا من بعـــد بجبلي طيء ، فاستمروا ، وافترقوا في اول الإسلام في الفتوح ، وشأنهم في تاريخ الإسلام عظيم . حاتم : هو أبو عـدي ، حاتم بن عبدالله بن سعد ، فارس ، شاعر ، جواد ، جاهلي . ضُرِب المثل بجوده ، له ديوان صغير ــ مطبوع . وأخباره مستفيضة في كتب الأدب والتــاريخ ، كالأغاني ، والعقد الفريد ، وخزانة البغدادي ، والشعر والشعراء ، وتاريخ ابن عساكر ، وبلوغ الأرب في أحوال العرب ، وغيرها كثير .

(٥٩) سيرة عمرية : هي سيرة عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثاني المضروب به المثل في العدل .

(٦٠) المهدي : هو أبو عبدالله ، المهديّ بالله ثالث خلفاء بني العباس ، واسمه ، محمد ابن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن العباس . ولد سنة ١٢٧ ، وولي بعـد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ١٥٨ هـ ، وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً ، ومات في « ماسبذان » صريعاً عن دابته في الصيد ، وقيل : مسموما . كان محمودالعهد والسيرة ، حسن الخَلْق والخُلُق، جواداً ، محبَّباً الى الرعية . وكان يجلس للمظالم ، ويقول : «أدخلوا عليَّ القضاة، فلو لم يكن ردّي للمظالم إلا حياءً منهم لكفى » ، وإلى هذا الإشارة في البيت . والمنصور : هو والد المهدي ، واســمه عبدالله بن محمد .. ولد في « الحميمة » قرب «مَعّان » وولي الخلافة بعــد أخيه السَّفّاح سنة ١٣٦هـ ، وهو باني مدينة « بغداد » وجاعلها دار الملك بدلاً من « الهاشمية » التي بناها السفاح ، وفي أيامه شـــرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس ، وعمل أول أسطرلاب في الإسلام . وكان أفحل بني العباس شجاعة وعزما . توفي ببئر ميمون من أرض مكة محرما بالحج سنة ١٥٨ هـ ، وأخباره كثيرة ، ولعمر بن شبة النميري كتاب « أخبار المنصور » .

إن كانتِ الخلفاء عِقْدَ لآلىءٍ ،
فَـلأَنْتَ واسطةٌ لعِقد النّاظمِ

أو مَثّلوا لفظاً بليغاً ، كنتَ مَعْـ
ـناهُ ، وما الألفاظُ غيرَ تَراجمِ

فتَمَلْ دولتَكَ الشّريفةَ ، ما شَدَتْ
وتجاوبت في الأَيْكِ وُرْقُ حَمائمِ[61]

اللهُ ألطفُ بالرَّعيّةِ أنْ تُرَى
مرعيّةً بسِوى وَهُوبٍ راحمِ

زهتِ الخِلافةُ حينَ قامَ بحقّها
لمّا أُضيعَ ، وكان أشرفَ قائمِ

مولىً .. يرى الآمالَ خَلَّةَ عاجزٍ ،
والبذلَ والاعطاءَ خَلَّةَ حازمٍ[62]

زانت سِواهُ ، وزانَها .. فتهلّلَتْ ،
بعدَ القُطوب ، بثَغْرِ سعدٍ باسمِ

عادت كجنّاتِ النّعيم ، وطالما
ألفيتُها كسعيرِ نارٍ جاحمِ[63]

حَنِقٌ على بِدَرِ النّضار ، كأنّما
عادت عُلاه ، أو أتت بجرائمِ[64]

عَذَلوه في الجَدْوَى ، فكان جوابُهُ :
البُخْلُ لِلخلفاء غيرُ ملائمِ ![65]

---

(٦١) تملَّ : دعاء له بالامهال وطول المدة ، يقال : تملّى العيش ، إذا أُمْهِل له فيه وطُوِّل . شدت : سجعت وغردت . الأيك : الشجر الكثير الملتف ، واحدته ايكة . الورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة الرمادية اللون بين السواد والغُبرة.

(٦٢) الآمال : في الأصل « الامثال » ، ولا وجه لها في السياق . الخَلّة ، بفتح الخاء : الخصلة .

(٦٣) سعير جاحم : موقد متأجج .

(٦٤) حنِق : شديد الغيظ ، الأصل : « عنق » . النضار : الذهب ، والبدر : جمع بَدْرة « بفتح فسكون » ، وهي كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم في العطايا ، ويختلف باختلاف العهود . عادت : خاصمت .

(٦٥) عذلوه : لاموه ، الأصل « عدلوه » . الجدوى : العطية .

الشَّيخ ابو محمَّد بن الدَّهان النَّحويُّ البغداديُّ [1]

سعيد ، بن المبارَك ، بن عليّ ، بن الدَّهّان .

بحر لا يُغَضْغَض [2] ، وحَبْر لا يَغْمُض [3] .

(سِيبويهِ [4]) عصره ، ووحيدُ دهره .

لقِيتُه في « بغداذَ [5] » ، في وقت انتقالنا اليها . وكانت داره [بالمُقْتَدِيَة [6]] في جِوارنا .

---

(١) ترجمته في : معجم الأدباء ٢١٩/١١ ، ونزهة الالباء ٢٦٣ ، ووفيات الأعيان ٢٠٩/١ ، وإنباه الرواة ٤٧/٢ ، وبغية الوعاة ٢٥٦ ، ونكت الهميان ١٥٨ ، وشذرات الذهب ٢٣٣/٤ ، ومرآة الجنان ٣٩٠/٣ ، وروضات الجنات ٣١٤ ، والنجوم الزاهرة ٧٢/٦ ، وطبقات المفسرين للداوودي ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٣٥٢/١ ، وتاريخ الإسلام للذهبي « وفيات ٥٦٩ هـ » وتلخيص ابن مكتوم ٧٧ ، والفلاكة والمفلوكون ١٢٦ ، وكشف الظنون ٧٢ ، ١١٦ ، ٢١٢ ، ٤٣٨ ، ٧٥٢ ، ٨٧٢ ، ٩٦٠ ، ١١٥٦ ، ١٢١٢ ، ١٢٦٥ ، ١٤٣٨ ، ١٥٦٣ ، ١٦٣٠ ، ١٩٧٧ ، وخريدة القصر « تعليقاتي » ج٢/٣١٤ ، وج٤/م/١ـ ص٣٦٥ ، ومختصر تاريخ ابن الدبيثي ٢٨٥/٢ ، والاعلام ١٤٤/٣ ، ١٥٣ .

(٢) بحر لا يُغَضْغَض ، ولا يُغَضْغِض « بفتح الغين الثانية وكسرها » : لا يُنْزَح ماؤه ، لكثرته .

(٣) لا يغمض : لا يخفى ، أي مشهور . وقد فسره محمد أبو الفضل إبراهيم في تعليقاته على « إنباه الرواة » ٤٧/٢ بأنه « لا يفتر » .

(٤) سيبويه : لقب ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، إمام النحاة بعد أستاذه العظيم الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٤٨ ـ ١٨٠ هـ) . صنف كتابه المسمى « كتاب سيبويه » في النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله . ترجمته في وفيات الأعيان ٣٨٥/١ ، وتاريخ بغداد ١٩٥/١٢ ، وإنباه الرواة ٣٤٦/٢ ، وكتب اخرى كثيرة ذكرت في حاشية هذا الكتاب . ولأحمد أحمد بدوي : « سيبويه : حياته وكتابه » ، ولعلي النجدي ناصف : « سيبويه إمام النحاة » وكلاهما مطبوع .

(٥) في إنباه الرواة ـ ونصه منقول من الخريدة : « ببغداذ » ، وهي لغة مهجورة .

(٦) الزيادة من « إنباه الرواة » . والمقتدية : من المحال الشرقية ببغداد ، أحدثها المقتدي بين سنة ٤٦٧ هـ وسنة ٤٨٧ هـ فيما أحدث من المحال حول قصور الخلفاء العباسيين في شرقي بغداد إلى الجنوب بعيدة عن دجلة .

وكان يقال حينئذٍ : « النَّحويون أربعة بـ «بغدادَ» : (ابنُ الجَوالِيقيّ)[7]، و (ابنُ الشَّجَرِيّ[8]) ، و (ابنُ الخَشّاب[9]) ، و(ابنُ الدَّهّان[10])».

وكان جماعته[11] يتعصَّبون له، ويفضّلونه على غيره، ويَقْصِدون نَحْوَهَ لِنَحْوِهِ[12] .

---

(٧) الجواليقي : هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن الخضر ، شيخ صالح سديد، من أهل بغداد ، وابنه : هو أبو منصور موهوب اللغوي الأديب البغدادي المشهور (٤٦٦هـ ــ ٥٣٩ هـ أو ٥٤٠ هـ) كان يصلي إماماً بالمقتفي العباسي ، وقرأ عليه المقتفي بعض الكتب . وهو من مفاخر بغداد . وله من المؤلفات : « المعرّب ــ ط » ، و « شرح أدب الكاتب ــ ط » لابن قتيبة ، و « التكملة فيما يلحن فيه العامة ــ ط » أكمل به « درة الغواص » للحريري ، و « كتاب العروض » صنّفه للمقتفي ، و « غلط الضعفاء من الفقهاء » ، و « خيل العرب وفرسانها » . ترجمته ، ومصادرها ــ في مقدمة كتابه «المعرب» بقلم محققه الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله .

(٨) ستأتي ترجمته في هذا الجزء (ص ٥٠ ــ ٥٢) .

(٩) أنظر الترجمة السابقة .

(١٠) قال ابن خلكان : « وكان الناس يرجحون أبا محمد [بن الدهان] على الجماعة المذكورين ، مع أن كل واحد منهم إمام » .

(١١) جماعتُه : من « إنباه الرواة » ، الاصل « جماعةٌ » .

(١٢) نحوه « الثانية » علم النحو . ولم يكن ابن الدهان نحوياً كبيراً حَسْبُ ، ولكنه كان أيضاً مفسراً ، وعروضياً ، ولغوياً ، وأديباً ، وناقداً ، وشاعرا ، ومترسلاً ــ كما تشهد له كتبه، ومنها (في النحو) : شرح « الإيضاح » لأبي علي الفارسي ــ ثلاثة وأربعون مجلداً ، وقيل : أربعون ، و « شرح اللمع » لابن جني ــ ثلاثة مجلدات ، و « الدروس » ــ مجلد ، و « الفصول » ــ مجلد ، و « الرياضة في النكت النحوية » . و (في التفسير) : « تفسير القرآن » ، و « تفسير سورة الفاتحة » ، و « تفسير سورة الإخلاص » . و (في العروض) : « الدروس في العروض » ، و « المختصر في القوافي » . و (في اللغة) : « الأضداد » ، و « العقود في المقصور والممدود » ، و « كتاب الضاد والظاء » و « ازالة المعرى في الغين والرا » ، و (في الأدب والنقد) : « النكت والاشارات على السنة الحيوانات » ، و « الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية » يشتمل على «سرقات المتنبي » ، و « شرح بيت من شعر الملك الصالح طلائع بن رزّيك » عشرون كراسا . و (في الشعر والنثر) : « ديوان » ، و « رسائل »، وكتاب «تذكرته » وقد سماه « زهر الرياض » سبعة مجلدات . قال ابن خلكان : « رأيت الخلق يشتغلون في تصانيفه بالموصل وتلك الديار اشتغالاً كبيراً . وانتفع عليه خلق كثير » . وقد اتهمه ياقوت بسقم الخط وكثرة الغلط ، مع اعترافه بسعة علمه،

ثمّ قصد « المَوْصِلَ[١٣] » في سنة أربع وأربعين وخمس مئة ، في زمان (جمال الدّين الجواد[١٤]) ، وسكن في ظلّه الوارف ، وحظِيَ[١٥] من فضله الوافر . وأقام بعده الى أن تُوُفِّيَ في سنة تسع وستّين وخمس مئة[١٦] ، وقد أضرَّ بصره[١٧] ، واختلّ نظره ، [رحمه الله][١٨] .

⁂

وقال : « وهذا عجيب منه » . والواصل إلينا من خطه يبطل هذه الدعوى ، وقد صوّر الاستاذ الزركلي في الاعلام ٣/١١٤ مثالاً منه عن كتابه « الفصول » في العربية في مكتبة شهيد علي بالاستانة « رقم ٢٥٠٣ » وفي معهد المخطوطات بالقاهرة « ف ١٢٢ النحو » ، وهو خط جميل وواضح ومشكول .

(١٣) الموصل : في ١/٣٠٢ر٤ .

(١٤) ذكرته في ١/٣٠١ ر ١ .

(١٥) حظي الرجل يَحْظَى حُظْوَةً وحِظوةً (فعل لازم) : نال مكانة ومنزلة من ذي سلطان ونحوه ، وقد حظي عند الأمير ، واحتظى به ــ بمعنى . وحَظِيت المرأة عند زوجها ، وحظي هو عندها . هذا هو استعمال هذا الفعل في كلام العرب ، ومنه يعلم خطأ عامة الكاتبين في زماننا في استعمالهم له متعدياً بالباء بمعنى ظفر .

(١٦) قال ياقوت : « ولد [ابن الدهان] سنة أربع وتسعين وأربع مئة ، ب « نهر طابق » . وتوفي ب « الموصل » ليلة عيد الفطر سنة تسع وستين وخمس مئة » . وقال ابن خلكان : « مولده عشية الخميس سادس عشري رجب سنة أربع وتسعين واربع مئة ببغداد ، بنهر طابق ، وهي محلّة بها ، وقيل : يوم الجمعة . ووفاته يوم الأحد من شوال سنة تسع وستين وخمس مئة » ، ونقل عن ابن المستوفي انه قال : « وفاته سنة ست وستين ، بالموصل ، ودفن بمقبرة المعافى ابن عمران بباب الميدان » ، ولم يعقب عليه ، والصحيح أن وفاة ابن الدهان كانت في سنة ٥٦٩هـ ، مع أنه ذكر ابنه (يحيى) ، وقال : « مولده في أوائل سنة تسع وستين وخمس مئة تقديراً ، وتوفي سنة ست عشرة وست مئة بالموصل ، ودفن على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران الموصلي » . وكان يحيى أديباً شاعراً .

(١٧) سبب ذلك أنه لما انتقل الى « الموصل » قاصداً الوزير جمال الدين الجواد الأصبهاني ، خلف كتبه ببغداد ولم يحملها معه ، فداهم الغرق تلك السنة بغداد ، فسير من يحضرها إليه إن كانت سالمة ، فوجدها قد غرقت . وكان خلف داره مدبغة فغرقت أيضاً ، وفاض الماء منها الى داره ، فتلفت الكتب بهذا السبب ، زيادة على اتلاف الغرق . وكان قد أفنى في تحصيلها عمره . فلما حُملت اليه على تلك الصورة ، أشاروا عليه أن يطيبها بالبخور ، ويصلح منها ما يمكن ، فبخّرها باللاذن ، ولازم ذلك الى أن بخرها بأكثر من ثلاثين رطلاً لاذنا ، فطلع ذلك الى رأسه وعينيه ، فأحدث له العمى .

(١٨) الزيادة من « إنباه الرواة » .

وممّا أنشدت له ، قوله :

أهوَى الخمولَ ، لِكي أظَلّ مُرَفَّهـاً
مِمّـا يُعانِيـه بنو التّيجـانِ [19]

إنّ الرّياحَ اذا توالى عصفُهـا
تُولي الأذيّـةَ عاليَ الأغصـانِ [20]

***

وقولُه :

لا تحسَـبَنْ أنَّ بالـكُتْـبِ مثلَنـا سَـتصيرُ [21]
فللدَّجاجـةِ ريـشٌ لكنّهـا لا تطـيرُ [22]

***

وقولُه :

بادِرْ الى العيش ، والأيّـامُ راقـدةٌ
ولا تـكن لصُـروف الدّهر تنتظرُ [23]

فالعمرُ كالكـأس : يبـدو في أوائلـه
صفوٌ ، وآخرُهُ في قعـره الـكَدَرُ [24]

***

---

(١٩) مرفهاً : من (ب) ، و « إنباه الرواة » ، الأصل « مرهفاً ». بنو التيجان : في الإنباه : « بنو الأزمان » .

(٢٠) البيت في إنباه الرواة :

إن الريـاح إذا عصفن رأيتهـا ... تولي الأذيـة شـامخ الأغصان

(٢١) بالكتب : في وفيات الأعيان : « بالشعر » .

(٢٢) سمعت شيخنا السيد الشريف علامة العراق محمود شكري الألوسي رحمه الله ينشد هذين البيتين ، وقد وافته رقعة من متعاطٍ للبحث في مفردات اللغة ، كان يمتلك من الكتب ما لم يمتلك الألوسي عشر معشارها ، ولكنه لا يحسن الانتفاع بها ، لقصوره وعجزه ، فيوجه رقاعه إلى الألوسي محشوّةً بتوافه الاسئلة ، مثل قوله : « قرأت في القرآن : « فاذا هي ثعبان مبين »، فعجبت لماذا لم يقل مبينة » ! ولله في خلقه شؤون !

(٢٣) صروف الدهر : احداثه ، واحدها صَرْف ، بفتح أوله وسكون ثانيه .

(٢٤) الكدر : في « إنباه الرواة » : كدر .

وقولُه :

قالوا : تَعَزّ ، فقلتُ : دهري خـــازقٌ ،
سَفَهٌ حِذاري سَهْمَهُ وعنـــاءُ[25]

قـد كان يُصمِي ، والشّبيبةُ ظُلمـــةٌ ،
أفلا يُصِيب ، وذا المشيبُ ضيـــاءُ[26] ؟

***

وقولُه :

أرى الفضلَ مَنّــاحَ التّــأخُّرِ أهلَهُ ،
وجهــل الفتى يسعى له في التّقدُّمِ[27]

كذاكَ أرى الخُفّــاشَ يُنْجِيــه قُبحُــه
ويَحتبس القُمْرِيَّ حُسنُ التَّرَنُّمِ[28]

***

وقولُه :

لا تجعَلِ الهَزْلَ دَأْباً ، فهو مَنْقَصَـــةٌ
والجِدُّ تعلو به ، بينَ الورى ، القِيَمُ[29]

ولا يَغُرَّنْــكَ مــن مَلْــكٍ تبسُّمُه ،
ما تَصْخَبُ السُّحْبُ إلا حــينَ تبتسمُ[30]

***

---

(٢٥) خازق : اسم فاعل ، من خزق فلاناً بالنبل ، أصابه به . الأصل : حـــادق .
وحذارى : في الأصل : حدارى .

(٢٦) يُصْمِي : يصيب مقتلاً .

(٢٧) منّاحَ : كثير المَنْح ، وهو العطاء . الفتى : في إنباه الرواة : « الغنى » ، وهو تصحيف .

(٢٨) ب : « وتحتبس القمري لطيب الترنّم » ،ورواية الأصل أعرب بياناً .

(٢٩) الداب : العادة والشأن . تغلو : في وفيات الأعيان : « يعلو » .

(٣٠) تصخب : تعلو أصواتها . ب : « تصحب » ، وهو تصحيف .

ولأبي محمّد بن الدّهّان النّحويّ أيضاً :

قلنـا : قطَعتَ حِبـال الوصـل معتديـاً ،
فقـال : قـد كنتُ قبلَ اليوم مِطواعـا

شَبَّهتُموني برِئمٍ ، والظِّبـاءُ غـدت
لهـا الحبـائلُ آلامـاً وأوجاعا ،[31]

فصِرتُ أستشـعر البلوى ، فهـا أنـاذا
إنْ غَلَّ حبـلٌ ، أكُنْ للحبل قَطّاعا[32]

***

ولـه :

لا غَـرْوَ أنْ أخشى فِـرا قَكُمُ ، وتخشـاني اللّيوثُ !
أوَ مـا ترى الثّـوبَ الجـديـدَ من التّفرُّق يسـتغيثُ ،[33]

---

(31) الرئم ، والرِّيم : الظبي الخالص البياض . الحبائل : المصايد ، الواحـدة حبالة بكسر أولها .
(31) غَلَّ : قَيَّد وربط . الأصل : « علّ » وهو تصحيف .
(32) لا غَرْوَ : لا عَجَبَ ، يقال : غرا الرجل يغرو غَرْواً ، إذا عجب .
(33) التفرّق : في وفيات الأعيان : « التمزّق » .

الشيخ أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ الحنبلي[1]

ابن بنت (أبي منصور الخيّاط[2]) ، إمام مسجد (ابن جَرْدَةَ [3]) .

كان علامة العصر ، والعالم ، المتفرّد[4] بعلم القرآن وإقرائه دون العالَم[5] .

---

(١) شهرته (سِبْط الخيّاط) ، أي : ابن بنته . وترجمته في : غاية النهاية ٤٣٤/١ ، وإنباه الرواة ١٢٢/٢ ، ونزهة الالباء ٢٩٨ ، وشذرات الذهب ١٢٨/٤ ، والبداية والنهاية ٢٢٢/١٢ ، والمنتظم ١٢٢/١٠ ، وتلخيص ابن مكتوم ٩٤ ، ومرآة الجنان ٢٧٥/٤ ، وكشف الظنون ٢٠٦ ، ٣٣٨ ، ١٣٤٤ ، ١٤٩٩ ، ١٥٨٢ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٤٢/٢ ، والعبر للذهبي ١١٣/٤ ، والأنساب ٢١٤ ب ، و Rrock, S. 1 : 728 ، والأعلام ٤٤١/٤ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي ، الشيرازي الأصل ، البغدادي ، الصفّار ، المقريء ، الزاهد ، المعروف بأبي منصور الخيّاط . ولد سنة إحدى وأربع مئة ، انقطع لإقراء القرآن طول حياته ، وروى الحديث الكثير ، وصنف كتاب « المهذب » في القراءات . وتوفي سنة ٤٩٩ هـ . ترجمته في البداية والنهاية ١٦٦/١٢ ، وغاية النهاية ٧٤/٢ ، وشذرات الذهب ٤٠٦/٣ ، والعبر للذهبي ٣٥٣/٣ ، وكتاب الذيل على طبقات الحنابلة ١١٨–١٢٢ .

(٣) مسجد ابن جردة : ببغداد بحريم دار الخلافة العباسية . وقد اعتكف فيه أبو منصور مدة طويلة يعلم العميان القرآن ، لوجه الله تعالى ، ويسأل لهم ، وينفق عليهم ، فختم عليه القرآن خلق كثير ، اختلفوا في عددهم على ما ذكر في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي . أما ابن جردة فهو محمد بن أحمد بن الحسن بن جردة ، أبو عبدالله ، البيّع « بتشديد الياء وكسرها » (٣٩٥ ــ ٤٧٦هـ) . كان من متموّلي بغداد . أصله من (عُكْبَرى) . سكن باب المراتب ببغداد ، وصاهر الشيخ الأجل أبا منصور عبدالملك بن يوسف من وجهاء الحنابلة التجار وذوي اليسار والآثار الجميلة . وكانت داره من أفخم دور باب المراتب ، وإليها التجأ التجار أيّام احتلّ البساسيريّ بغداد ، باسم المستنصر بالله العبيدي المدعي الفاطمية بمصر ، فبذل ابن جردة للأمير قريش ابن بدران العقيلي عشرة آلاف دينار من أجل أن يحفظ داره واللاجئين اليها . وتنسب الى ابن جردة محلة بشرقي بغداد عرفت ب « خرابة ابن جردة »

تردّدت إليه في حال التّفقّه والصِّبا ، وسمِعت عليه الحديث ، وفُزت بإجازتي جميع مسموعاته ومصنّفاته .

وتُوُفّيَ ، وأنا بـ (بغدادَ) ، يومَ الاثنين الثّامن والعشرين من [شهر] ربيع الآخِر سنةَ إحدى وأربعين وخمس مئة[6] .

***

ومن شعره :

ومَنْ لم تؤدّبْهُ الليالي وصَرْفُها	فما ذاكَ إلا غائبُ العقلِ والحِسِّ[7]
يظُنُّ بأنّ الأمرَ جارٍ بحكمه ،	وليس له علمٌ : أَيُصبح أم يُمسِي ؟!

احترقت في سنة ٥٠٢ هـ ، وكانت مجاورة لمقبرة « باب أبرز » . وقد أثّل ابن جردة ببغداد آثاراً حسنة ، وبنى مساجد ، ووقف عليها وقوفاً جيدة ، وكان خيّرا ذا برّ وصدقة ، وكان يوزع في الفقراء في شهر رمضان الدراهم والقمصان . وقد دفن في « الحربية » بتربة كان قد اتخذها لنفسه ، وكان الّذي صلى عليه بجامع المنصور ابنه أبو نصر – رحمه الله . واخباره في كامل التواريخ ، والمنتظم ، وتاريخ ابن الدبيثي ، وغيرها .

(٤) الأصل : « والعالم والمتفرد » .

(٥) قال أبو البركات بن الأنباري ، وهو من تلاميذ أبي محمد المقريء : « تخرج عليه خلق كثير ، وكان يقول : لو قلت : إنه ليس مقرىء بالعِراق ، إلا وقد قرأ عليّ ، أو على جدّي ، أو قرأ على من قرأ علينا ، لكنت أظنني صادقا » . وقال : «وكان شيخنا متودّداً ، متواضعاً ، حسن التلاوة والقراءة في المحراب، خصوصاً في ليالي شهر رمضان . وكان الناس يجتمعون إليه ، لاستماع قراءته ، في كل ليلة من ليالي الشهر ، لحسنها » .

وصنف أبو محمد تصانيف كثيرة في علوم القراءات ، ذكرها ابن الجزريّ في كتابه « غاية النهاية » ، وقال الوزير جمال الدين القفطي في « إنباه الرواة »: « اغرب فيها ، فشنّع عليه بها ، وخولف فيها ، فرجع عنها » .

وكان أبو محمد صاحب معرفة وافرة بعلم العربية . روى « كتاب سيبويه» عن أبي الكرم المبارك بن الفاخر ، وسمع أبو البركات بن الأنباري عليه « كتاب سيبويه » وشرحه لأبي سعيد السيرافي .

(٦) قال تلميذه ابن الأنباري : « وكان مولده ليلة الثلاثاء لثلاث بقين من شعبان [وقال غيره : ليلة الثلاثاء : التاسع والعشرين من شعبان] سنة ٤٦٤ هـ ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ وذلك في خلافة المقتفي لأمر الله ، ودفن من الغد بـ « باب حرب » عند جدّه ، على دكة الامام أحمد بن [محمد] بن حنبل رضي الله عنه » . واضاف غيره أن عدد المشيعين لجنازته والمصلين عليه كان كثيراً جدّاً يفوت الإحصاء ، وأغلق أكثر بغداد في ذلك اليوم .

(٧) الصَّرْف : حدثان الزمان .

***

وقولُه في الخِضاب :

تقـول (أُمَيْمَـــةُ) لمّـــا رأت
بياضــاً أُبَهْرِجُـهُ بالخِضـــابِ ،[8]
وقــد صــار شــــيبيَ بعــدَ البيا
ضِ مُحْلَوْلِكَ اللونِ مثـلَ الغُرابِ[9]
فَهَبْكَ رَدَدْتَ ســـوادَ العِذارِ
فكيف تَــرُدُّ زمـــانَ الشَّبابِ[10] ؟

***

وقوله في الكتب :

نَشِحُّ على الـــكُتْبِ من لَمْسَةٍ بِمَسٍّ ، ومـن نظـرة تنظُرُ ،[11]
وتُبْصَرُ مجهولـةً بَعـــدَنا بأيـدي الجهـــول ومن يخبُــرُ
كذا سِيرَةُ الكُتْبِ ، يا ذا الّذي لها من جميـع الوَرى يَـــذْخَرُ

***

وقوله :

أرى ظـــاهرَ الوُدّ الّذي كـان بينَنـا
تَقضَّى ، وقد كانت به النَّفسُ تَخْدَعُ
وغَرَّ ، كما غَرَّ السَّرابُ لذي الظَّمـــا ،
فلمّـــا أتـاه ، خانَهُ وَهْوَ يطمـــعُ ،[12]

***

(8) ابهرجه : أزيّفه . الخِضاب : ما يلوّن به من حناء ونحوها .
(9) محلولك : مشتدّ السواد كالمحترق .
(10) هَبْ : كلمة للأمر فقط ، ولا يستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في معناه،تقول: هبني فعلت كذا ، أي : أحسبني واعدُدْني.العِذار ، من الغلام:جانب لحيته.
(11) نشحّ : نبخل .
(12) السَّراب : ما يرى في نصف النهار من اشتداد الحر كالماء في الصحارى ، يلصق بالأرض ، وفي القرآن الكريم : « كسَرابٍ بقِيعة يحسَبُهُ الظَمآنُ ماءً ، حتى إذا جاءه لم يَجدْه شيئاً » .

وقوله :

أأنصَحُكم عــلى أَوْفَى يقيني ، وســـوءُ الظّنَ منكم يعتريني ؟
إذا ما جئتكم لأَداءِ نصـــحٍ ، أتــاني الغِشُّ منكم في الكَمينِ [13]
ســأصبرُ ، ما حَيِيتُ ، على أذاكم وأحفَظُ عهــدكم في كلّ حــينِ .

***

وقوله :

يا مَنْ تمسَّكَ بالدُّنيـا ولذَّتِهـا وجَدّ في جمعهـا بالكدّ والتَّعَبِ
فعـن قليل تراها ، وَهْيَ داثــرةٌ وقد تمزَّقما جمَّعتَ من نَشَبِ [14]
هَلا عَمَرْتَ لدارٍ سوفَ تسكُنُها: دارِ القَرار ، وفيها مَعْدِنُ الطَّلَبِ؟

---

(١٣) الكمين : اللبْس ، أو الغموض في الأمر لا يفطن لموضعه ، ويقال هذا أمر فيـه كمين : دَغَل" لا يُفطَن له .

(١٤) النَّشَب : المال ، و ــ العقار .

الشَّيخ أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله الحنبلي[1]

من أهل « بغداد » .

شيخ (الحنابلة[2]) في وقته ، وعلامة الفضل في عصره .

صحيح الاعتقاد ، مليح الانتقاد .

علّقت من مناظراته التي جرت بينه وبين (إلكيا) الامام (الهرّاسي[3]) فوائدَ كثيرةً ، ونكتاً غريبة . ووجدتُ كلاماً جَزْلاً سهلاً ، وأُسلوباً بديعاً رائقاً ، ومِنهاجاً قويماً واضحاً .

---

(١) أبو الوفاء : في النسختين « أبو الوغا » والصحيح ما أثبتّه . وهو أحد عظماء الملّة وأذكياء البشر . استولى على عقول الفحول ، وأطابوا الثناء عليه ، قال أبو إسحاق الشيرازي : هو « إمام الدنيا ، وزاهدها ، وفارس المناظرة » ، وقال الحافظ السِّلَفِي : « ما رأيت مثله ، وما كان أحد يقدر أن يتكلم معه ، لغزارة علمه ، وبلاغة كلامه ، وقوة حجته » ، وقال الحافظ الذهبي : « كان إماماً مبرّزاً ، كثير العلوم ، خارق الذكاء ، مكبّاً على الاشتغال والتصنيف ، عديم النظير » .

ترجمته في : غاية النهاية ١/٥٥٦ ، والمنتظم ٩/٢١٢ ، وطبقات الحنابلة لأبي الحسن بن الفراء ٢/٢٥٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١/١٧١ ـ ١٩٦ ، وشذرات الذهب ٤/٣٥ ، والبداية والنهاية ١٢/١٨٤ ، وتاريخ ابن الأثير ١٠/٣٣٧ ، والعبر للذهبي ٤/٢٩ ، ومختصر تاريخ ابن الدبيثي ٢/١٢٠ ، ومناقب الإمام أحمد ٥٢٦ ، ومرآة الزمان ٨/٨٣ـ٨٩ ، ولسان الميزان ٤/٢٤٣ ، والنجوم الزاهرة ٥/٢١٩ ، والمقصد الأرشد ـ خ ، وهو فيه : « علي بن محمد ابن عقيل » ، وليس بصحيح ، والتاج المكلل ١٢٤ ، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين ٩٩ ، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ـ خ ، في مكتبة باريس ٢٠٨٤ ـ الورقة ١٣٩ ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمن Karl-Brock ١/٣٩٨ ، وذيله ١/٦٨٧ ، والأعلام ٥/١٢٩ .

(٢) الحنابلة : أتباع الإمام المحدث الفقيه العظيم أحمد بن محمد بن حنبل ، صاحب المذهب الفقهي المشهور (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) ، وقد كانوا ظاهرين ببغداد ظهوراً عظيماً في عصر أبي الوفاء بن عقيل ، وكان لهم في توجيه العقيدة والفكر سلطان كبير .

(٣) إلكيا الهرّاسي : من أئمة الشافعية ، ترجمتهُ في ١/٤٠ ، وكان ابن عقيل كثير المناظرة له ، وكان الكيا ينشده في المناظرة :

إرفق بعبدك .. إن فيه فهاهةً
جبلية ، ولك (العِراق) وماؤها !

سمِعت الثَّناء عليه كثيراً من شيخنا وأستاذنا (يُوسُفَ الدِّمَشْقِيِّ)[٤]، ومن شيخنا (أحمدَ الحريريِّ)[٥] ، ومن شيخنا (أبي منصور بن الرَّزَّاز)[٦] ، والكلّ[٧] يبجّله[٨] بفضله ، ويعترف بنُبْله .

وهو معروف بحسن المحاورة ، مأمون الصُّحبة والمُجاوَرة ، ريّانُ من كلِّ فَنٍّ .

قد صنَّف[٩] (كتاب الفُنون) ، وهو أكثر من أربعين مُجَلَّدة ، وجمع فيه كُلَّ ما كان يجري من مناظَراته ، وواقعاته ، وكلِّ طريفة[١٠] .

***

---

(٤) يوسف الدمشقي : ترجمته في ١٤٥/١ ، وفي المقدمة ٢٧ ، وفي ج٤/١٢/ص ٣٥٨ .

(٥) أحمد الحريريّ : هو احمد بن عمر الحريري ، يعرف بابن طبر ، من رواة الحديث . وهو والد هبةالله المحدث المشهور .

(٦) ابو منصور بن الرزّاز : هو سعيد بن محمد ، من كبار ائمة الشافعية ، تفقه على الغزالي وغيره ، ترجمته في المقدمة ٢٣ – ٢٤ .

(٧) الكل : في جواز إدخال « ال » على « كل » ومنعه ، خلاف يطول بسطه .

(٨) اي يعظّمه ويوقره بسبب فضله ، الأصل : « يسجل » ، ولعل ما اثبتّه هو الصحيح .

(٩) صنف أبو الوفاء مصنفات كثيرة جليلة ، في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والخلاف ، وتهذيب النفس ، والفِرَق ، وغير ذلك . واكبر هذه المصنفات : « كتاب الفنون » ، قال ابن رجب الحنبليّ : « وهو كتاب كبير جداً فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ ، والتفسير ، والفقه ، والأصلين ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والتاريخ ، والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطره ، ونتائج فكره ، قيّدها فيه » . وقد اختلف الباحثون في عدة اجزائه ، فقال ابن الجوزي : إنه « مئتا مجلد ، وقع لي منه نحو من مئة وخمسين مجلدة » ، وقال عبدالرزاق الرسعني في تفسيره : « قال لي أبو البقاء اللغوي : سمعت الشيخ ابا حكيم النهرواني يقول : « وقفت على السِفر الرابع بعد الثلاث مئة من كتاب الفنون » . وقال الحافظ الذهبي في العبر : « يزيد على أربع مئة مجلد » ، وقال في تاريخه : « لم يصنف في الدنيا اكبر من هذا الكتاب . حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مئة » ، واخبر أبو حفص عمر بن علي القزويني ببغداد ، قال : سمعت بعض مشايخنا يقول : هو ثمان مئة مجلدة» . وقال مؤلف « معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» (مخطوط بمكتبة باريس) : « بلغ أربع مئة وسبعين مجلداً » . وقال حاجي خليفة في « كشف الظنون » ١٤٤٧ – ونصه مبتور : إنه جمع فيه أزيد من أربع مئة (فن) ، ولم يقل : (جزء) أو (مجلدة) . وقال إسماعيل البابانى في«هدية العارفين » ٦٩٥ : « كتاب الفنون في سبعين مجلداً » . ومن المحزن أن تذهب ←

وأنشد (شمس الدّين أبو الفتح النَّطَنْزِيّ)[11] ، قال : أنشدني (ابن عَقِيل) لنفسه ، وأنا أظنُّهما لغيره ، أو البيتُ الأخير مُضَمَّن به :

لا تشكُوَنّ لعاذل أو عاذر حالَيْكَ في السَّرّاء والضَّرّاءِ[12]
فلِرحمةِ المتوجّعين مرارةٌ في القلب مثلُ شَماتة الأعداء



هذه الثروة العلمية والعقلية العظيمة بدداً بين سمع الأمة وبصرها . ولا يعرف منها اليوم غير مجلد في مكتبة احمد تيمور باشا الملحقة بدار الكتب المصريّة ، ومجلد آخر في دار الكتب الوطنية بباريس ذكر من اخبر عنه انه مغيّر الاسم . وقد ذكر البابانى لأبي الوفاء « كتاب الروايتين والوجهين » وقال : « يقال : إنه في سبعين وأربع مئة جزء » . ولم يذكر البابانى مصدره ، وذكر ابن رجب مختصره ، وأسمه الإشارة ، ووصفه بأنه مجلد لطيف . ومن كتب أبي الوفاء الكبار : « كتاب الفصول » في الفقه ، ويسمى « كفاية المفتي » عشر مجلدات . وله كتاب الفرق ، وكتاب التذكرة ، وكتاب المنثور ، والانتصار لأهل الحديث ، وكتاب تهذيب النفس ، والواضح في الأصول ثلاث مجلدات ، وكتاب المجالس النظريات ، وكتاب المفردات ، وكتاب شمائل الزهاد ، ومسائل مشكلة في آيات من القرآن ، وغيرها . ومصدر هذا الفيض حرصه على الانتفاع بالوقت والمثابرة على البحث وإعمال الفكر والقلم . قال ابن الجوزي : « رأيت بخطّه : إني لا يحلّ لي أن اضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطّل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي ، وأنا مستطرح ، فلا انهض إلا وقد خطر لي ما أسطّره . وإني لأجد من حرصي على العلم ، وأنا في عشر الثمانين ، اشدّ مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة » رحمه الله .

(١٠) الأصل « طريقة » بالقاف ، وهي تصحيف .

(١١) النَّطَنْزِيّ : الأصل «البطزي» . نسبة الى «نطنز» أو «نطنزة» . وقد ضبطها الزبيدي « نطنز » بوزن جعفر ، وعليه اعتمدت في ضبطي لها في « المقدمة » (ص٣٠) ، وفي الجزء الثاني (ص٧٢) حيث ترجمت (شمس الدين أبا الفتح النطنزي) هذا . وضبطها ابن الأثير في « لباب الأنْساب » وياقوت في « معجم البلدان » بفتح النون والطاء وسكون النون وزاي وهاء ، وهي بليدة بين قم وأصبهان ، على ستين ميلاً من اصبهان .

(١٢) لا تشكون : من ب ، الأصل « لا تسئلون » .

ولم يكن له شعر كثير[١٣] ، وإنّما كان يُلِمُّ به .

⁂

وتُوُفِّيَ سنةَ ثلاثَ عشر [ةَ] وخمس مئة[١٤] .

---

(١٣) ومن نظمه القليل، ما رواه الحافظ محب الدين بن النجار البغدادي ـ نقله عنه ابن رجب في « الذيل على طبقات الحنابلة » ـ قال : قرأت في كتاب أبي نصر المعمر ابن محمد بن الحسن البيّع بخطّه ، وانبأنا عنه أبوالقاسم الأَزَجِيّ ، قال : أنشدنا أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل لنفسه :

يقولون لي : ما بالُ جسمِك ناحلاً … ودمعُك من آماق عينيك هاطلُ ؟

وما بالُ لونِ الجسم بُدِّلَ صفرةً … وقد كان مُحمرّاً ، فلونُك حائلُ ؟

فقلت : سقامٌ حلّ في باطن الحشا … ولوعـةُ قلب بلبلته البلابلُ

وأَنّى لمثلي أن يَبِينَ لناظر ؟ … ولكنّني للعالَمين أجاملُ

فلا تغترِرْ يوماً ببِشري وظاهري … فلي باطنٌ قد قطّعته النوازلُ

وما أنا إلا كالزناد ، تضمّنت … لهيبا ، ولكنَّ اللهيبَ مُداخِلُ

إذا حُمِّل المرءُ الّذي فوقَ طَوْرِه … يرى عن قريب مَنْ تجلّدَ عاطلُ(*)

لعمري إذا كان التجمّلُ كلفة … يكون كذا بين الأنام مجاملُ(**)

فأما الّذي أثنى له الدّهرُ عِطْفَهُ … ولان له وعرُ الأمور مواصلُ

بالطاف قربٍ يسهُلُ الصَّعبُ عندَها … وينعَمُ فيها بالّذي كان يأملُ

تراه رخيّ البال من كل علقة … وقدْ صُمِّيَتْ منه الكُلَى والمفاصلُ

(١٤) ولد أبو الوفاء ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٤٣١هـ ، وتفقّه في سنة ٤٤٧هـ ، وحفظ القرآن ، وقرأه بالروايات . وكان أهل بيته كلهم أرباب أقلام ، وكتابة ، وشعر ، وآداب .. وتوفي بكرة الجمعة ، ثاني عشر جمادى الأولى سنة ٥١٣هـ ، وصلّي عليه في جامعي القصر والمنصور ، وكان الإمام عليه في جامع القصر (ابن شافع) ، وكان الجمع يفوت الإحصاء. قال الحافظ محمد بن ناصر السَّلامي : « حزرتهم بثلاث مئة ألف . ودفن في دكة قبر الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ، وقبره ظاهر ـ رضي الله عنه ، فما كان في مذهبنا أحد مثله » .

(*) كذا .

(**) كذا .

القاضي السَّديد يحيى بن سعيد بن المَرَخِّم البغداديّ (١)

كان من أهل الفضل والحكمة ، كبير الهِمّة .

قد خدم عمّي (العزيزَ)(٢) في رَيْعان عمره(٣) ، ونَوَّه بذِكره(٤) ، ثمّ قدّمه الإمام (المقتفي لأمر الله)(٥) وحكّمه(٦) ، وجعله « أقضى القُضاة »(٧) .

---

(١) اسقطت (ب) هذه الترجمة . وكنية المترجم « ابو الوفاء » ، ولقبه « ابن المُرَخِّم » ، وقد صحف « المرخم » بالجيم في (ب) عند ذكره استطراداً في ترجمة (ابي المعالي سعد بن علي الورّاق الكتبي الحَظِيرِيّ)الآتية فيج٤/م/١ ص ٥٧ . والمرخم : اسم فاعل من « رَخَّمَ » ، اي بنى بالرّخام ، وهو اشتقاق مُوَلّد . وترجمة (القاضي السديد) في زبدة النصرة ٢٩٢ ، ووفيات الأعيان ١/١٧٤ استطراداً في ترجمة (الحكيم المغربي) ، وإخبار العلماء ٢٤٦ استطراداً في ترجمة (الحكيم المغربي) أيضاً ، ومعجم الأدباء ٢/٢٣١ في ترجمة (أحمد بن بختيار الماندائيّ « = المندائيّ ») استطراداً ايضاً ، وفي حوادث سنة ٥٦٦هـ من تاريخ ابن النجّار ، والمنتظم ، ومرآة الزمان ، وكامل التواريخ ، والعبر للذهبي في ترجمة قاضي العراق الزينبي المتوفّى سنة ٥٤٣هـ ، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ٢٣١ .

(٢) العزيز : هو عزيزالدين ، ابو نصر ، احمد ، بن حامد الأصبهاني . انظر عنه ١/٧ ح١١ . وقد ذكره المؤلف كثيراً في هذا الكتاب .

(٣) ريعان العمر : أوّله وافضله .

(٤) نوّه بذِكره : رفع ذكره وعظمه ، وضعاف الكتاب في زماننا يستعملونه بمعنى اشار اليه .

(٥) المقتفي لأمر الله : ١/٣٤ .

(٦) وحكّمه : الأصل « وحكه » .

(٧) ولاه القضاءَ في سنة ٥٤١ هـ ، وخلع عليه ، مع وجود قاضي القضاة ، او قاضي العراق ، ابي الحسن الزينبي علي بن الحسين بن محمد بن علي العباسيّ الحنفي ، ولم يبق لهذا الا الاسم ، ثم ولاه قضاء القضاة ، وقبل شهادة ابنه أبي حفص عمر بن يحيى ، وجعله من شهود مدينة السلام .

وكان مرهوبَ الشَّباة[٨]،شديدَ البطشة،مُثير الوحشة،مُسخِطاً للرَّعيَّة في رِضا السُّلطان ، ولم يبالِ بأحد كائناً من كان ، حتّى لم يُحابِ (المستنجد)[٩]، وهو حينئذٍ « وليُّ العهد » ، وألقى في أرض سطوته بذرَ الحِقد[١٠] .

فلمّا مضى (المقتَفى) لسبيله ، وأفضتِ الخِلافة الى سليله[١١] ، في سنة خمس وخمسين [وخمس مئة] ــ أخذ (السَّديدَ) أخذاً شديداً ، وأثقله حدّاً[١٢] وحديداً ، واعتقله مَديداً ، حتّى فاضت نفسه في حبسه ، وانتقل الى رَمْسِه[١٣]، وانتصف يومه من أمسه ، واشتمل برِداء الرَّدَى ، وشمِتَ به العِدا .

على أنَّه فُقِد فقيدَ النَّظير ، فانّه لم يزل سديد التّدبير ، غيرَ أنّ سطوته ساق إليه مَطايا الإحَن[١٤] ، بوُفود المِحَن ، ووسَّعَ مَجالَ العَطَب عليه ضيقُ العَطَن[١٥] ، واشتفى به من أشفى من إشفاقه[١٦] ، ولمّا استعمل العُنفَ بُلِي بتجرُّعِ مُرِّ مذاقِه[١٧] .

وللشّعراء فيه أهاجٍ ومدائحُ ، ولم تزل الأشراف تُهْجَى وتُمْدَح .

⁂

وكانت له يد بيضاءُ في التّطبُّب ، والتَّنَجُّم ، وأنواعِ الحِكَم .

⁂

(٨) الشباة : حدّ السيف .

(٩) المستنجد : ترجمته في ١٨/١ .

(١٠) بذر : في الأصل « بدر » بالدال المهملة .

(١١) سليله : ابنه ، وهو المستنجد بالله .

(١٢) حداً : في الأصل « جدّاً » .

(١٣) الرَّمْس : القبر ، وما يحثى على الميت من التراب ، وأصله الدَّفْن .

(١٤) الإحَن : الأحقاد ، تقول : إن الإحَنَ تجرّ المِحَنَ .

(١٥) العطب : الهلاك . العَطَن : أصله المُناخ حول الورد ، والمراح ، والمأوى . ويستعار لضيق الذراع أو رحبه .

(١٦) اشتفى : برىء من علّته ، و ــ بلغ من عدوّه ما يذهب غيظه منه . اشفى : اقترب من الهلاك . من إشفاقه : من خوفه وحذره .

(١٧) الأصل : « مريد مذاقه » .

أنشدني (الأمير جمال الدين[١٨]) ، قال : [١٩] أنشدني (شهاب الدّين أبو الفوارس بن الصَّيْفِي[٢٠]) ، قال : كتب إليّ (السَّديد بن المُرَخِّم) حين قدّمه الخليفة ، هذه الأبيات ، وذكر في الرّقعة : « تحتمل[٢١] هذا النّقص منّي ، فقد سافرت بالتّمر الى « هَجَر[٢٢] » :

إنّ (الأميرَ شهابَ الدّين) غُرّتُهُ
تَهْدِي الهُداةَ ، ونجمُ الليل مستترُ

من معشر .. إن رَضُوا ، فالنّاسُ قاطبةً
ترضَى ، وإن صَخِبُوا فالحبلُ منتشرُ[٢٣]

قد كان يجمَعُنا ما كنت أعهَدُهُ
من حُسن عهدٍ ، به الأيّامُ تفتخرُ

وما عرَفتُ لقطع البِرّ سابقةً
فهل يَصِحُّ لنا ذنبٌ ، فيُغْتَفَرُ ؟

فإن تكن مُحكَمَاتُ الوُدّ باقيةً ،
فصاحبُ السِّرِّ فيما بيننَا (عُمَرُ)[٢٤]

***

(١٨) ذكرته في ١/٣٠١ ح١ .

(١٩) الأصل : « أنشدني الأمير جمال الدين وشهابه أبو الفوارس » . والأبيات في ديوان شهاب الدين حيص بيص ٣/٦٠ .

(٢٠) ترجمته في ١/٢٠٢ — ٣٦٦ .

(٢١) تحتمل : لعل « تَحَمَّلْ » أولى بالسياق .

(٢٢) هَجَر : قاعدة « البحرين » قديماً ، وقال قوم : هجر بلاد ، قصبتها « الصفا » بينها وبين « اليمامة » عشرة أيّام ، وبينها وبين « البصرة » خمسة عشر يوماً على الإبل . اشتهرت بكثرة النخيل والتمر الجيد .

(٢٣) صخِب : صاح واجلب . وفي ديوان حيص بيص : سخطوا ، وهي في مقابل « رضوا » — أليق . وانتشار الحبل : تبدّد القوى والجموع .

(٢٤) عمر : هو أبو حفص عمر بن القاضي السديد صاحب الترجمة ، وقد ذكرته في الفقرة السابعة .

فأجبته[*] :

أهلاً بغُرٍّ قَوافيكم . لقد طَلَعت
شُمُّ الهَوادِي ، لها في شدّها أشَرُ[٢٥]

نَشَطْنَ من مربطٍ ، أخفى صَواهِلَهُ
خَزْمٌ ، وأظهرها وُدٌّ له خَطَرُ[٢٦]

أهلاً بها ، فلقد طابت ، وقد أرِجَتْ
لها النُّهَى ، حيث لا مِسكٌ ولا قُطُرُ[٢٧]

كتمتم الشِّعرَ دهراً ، ثمّ أنطقكم
به هوايَ ، وذاتُ الطَّوْق ، والسَّحَرُ[٢٨]

فلا تظنُّوا به نقصاً ، فقد نُثِرت
عليَّ منه بأيدي مجدكم دُرَرُ

وما حَمَلْتُم به تمراً إلى « هَجَر »
إذْ كلُّ زاويةٍ من أرضكم « هَجَرُ »[٢٩]

وأين مثلي إذا ما راح يمدَحُني
أقضى القُضاة ، وسارت لي به السِّيَرُ ؟

(*) ديوان حيص بيص ٣/٦٠ .

(٢٥) شُمُّ الهوادي : مرتفعات الاعناق ، شدها : قوتها ومتانتها ، أو عَدْوُها . أشر : مرح ونشاط .

(٢٦) الصواهل : الأفراس الجياد ، والكلام على وجه الاستعارة . والخزم : مصدر خزمه ، إذا جعل في جانب منخره خِزامة ، وهي ما يشدّ بها الزِّمام . وفي ديوان حيص بيص : حزم ، بالحاء المهملة . الخَطَر : الشرف والرفعة .

(٢٧) أرِجت : فاح طِيبُها . القُطُر : عود يتبخّر به .

(٢٨) الأصل : « ... أنطقتم .. فدات الطوق .. » . وذات الطوق : الحمامة المطوّقة . السَّحَر : آخر الليل قبيل الفجر .

(٢٩) هجر : (ح٢٢) .

صَوْبُ الغَمَــام ، ومختــار الامــام ، إذا
عزّت سَــراة الحِجـا ، أو أخلف المطرُ[٣٠]

الصّادقُ القولِ والسّــرُّ النّقيُّ معــاً
قبلَ القضــاء ، فلا مَيْنٌ ، ولا صَوَرُ[٣١]

والمُرْهَفُ البــأسِ في حـلم يوقّره
إذا يُهــاج ، فلا طيشٌ ، ولا خَوَرُ[٣٢]

والسّالمُ الوُدِّ من غِشّ « العِراق » إذا
فاض النّفاقُ ، ومانَتْ أنفسٌ غُدُرُ[٣٣]

لمّــا أتى (عُمَرُ) الخيرات معتــذراً ،
ناديتُ : تبقى ويبقَى زائري (عُمَــرُ)[٣٤]

---

(٣٠) صوب الغمام : نزول مائه وانصبابه . عزّت : الأصل « عرت » ، ولا وجه لها في السياق . السَّراة ، بفتح السين : الأشراف ، واحدها سَرِيٌّ. الحجا : العقل.

(٣١) المَيْن : الكذب . الصَّوَر : الميل والاعوجاج .

(٣٢) الطيش : النَّزَق والزلل . الخَوَر : الضعف والانكسار .

(٣٣) مانت : كذبت .

(٣٤) زائري : الأصل « رايري » . عمر : هو ابن القاضي السديد الذي تقدم ذِكره في الفقرة السابعة .

الشيخ أبو الخطاب الكلوذي [1]

محفوظ ، بن أحمد ، بن الحسن ، بن أحمد .

من أهل « باب الأزج »[2] .

(1) الكلواذي : في الأصل بالدال المهملة ، نسبة الى « كَلْواذَى » بفتح الكاف وسكون اللام وفتح الذال المعجمة وألف مقصورة ، هذا هو المشهور ، وقال الحاتمي في ردّه على المتنبي مواجَهةً : هي « كِلْواذ » بكسر الكاف وإسقاط الالف المقصورة . ومعناه تابوت توراة موسى ، سُمّي به هذا الموضع . وهو قرية في جنوب بغداد ، على الجانب الشرقي لنهر دجلة ، تبعد عنها فرسخاً واحداً (٣ أميال) للمنحدر في قول ياقوت ، وقال أبو الفداء : فرسخين ، وقال ابن رستة : ثلاثة فراسخ . وهي قديمة ، لهج كثيراً بذكرها الخلعاء ، ومن أوائل الشعراء الذين ذكروها أبو نُواس الحسن بن هانيء الحكمي . وقد وصفها ابن رستة في المئة الرابعة الهجرية بأنها مدينة بها مسجد جامع، ومنبر ، وأسواق ، وأدركها الخراب في أواخر العصر العباسي ، وذكر ياقوت أنها كانت لعهده في الثلث الأول من المئة السابعة خراباً أثرها باق . ولا تعرف لعهدنا ، ويقدر بعض الباحثين أن موضعها حيث منطقة « گرارَة » ــ بكاف فارسية مفتوحة وراء مخففة . وقد خرج من كلواذى جماعة من العلماء ، وينسب اليها « كلواذي » و « كلوذاني » و « كلواذاني » . وترجمة الشيخ أبي الخطاب في : المنتظم ٩/١٩٠ ، وفيه له قصيدة دالية طويلة في السُّنّة ، ومرآة الزمان ٦٦/٨ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١/١٤٣ ــ ١٥٤ ، والمنهج الأحمد ــ خ ، والإعلام لابن قاضي شهبة ــ خ ، والعبر للذهبي ، واسمه فيه « محمود » وهو من سبق قلم الناسخ بلا ريب ، والمقصد الأرشد ــ خ ، وتاريخ ابن الأثير ١٩٧/١٠ ، والبداية والنهاية ١٢/١٨٠ ، والنجوم الزاهرة ٢١٢/٥ ، وشذرات الذهب ٢٧/٤ ، وعقد الجمان للعيني ج١٥ الورقة ٧٠٥ ، والأنساب (الكلواذاني) ، اللباب (الكلواذاني) ، معجم البلدان (كلواذى) ، الاعلام ١٧٨/٦ .
وكان له ابن اسمه محمد أبو جعفر ، تفقه عليه وبرع ، وصنف كتاباً سماه « الفريد » توفي في سنة ٥٣٣ ، وهو مترجم في الذيل على طبقات الحنابلة ٢٣٠ وشذرات الذهب ١٠٣/٤ .

(2) الأزَج ، بفتح أوله وثانيه وجيم مخففة : قال ياقوت « باب الأزج : محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقيّ بغداد ، فيها عدة محال ، كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة » . وقال السمعانيّ : « قيل : كان بها أربعة آلاف طاحونة ، وكان فيها جماعة كبيرة من العلماء والزهاد ، وكلهم ــ إلا ما شاء الله ــ على مذهب الإمام أحمد [بن محمد] بن حنبل ، وكتبت عن جماعة كثيرة منهم » .

سمعت غيرَ واحد : أنّه كان أحد أئمّة (الحنابلة)[٣] .

وكان صحيح الاعتقاد ، مفتياً ، فاضلاً ، عالماً ، عاملاً ، كثيرَ المحفوظ ، غزيرَ الفضل ، حَسَنَ المُحاوَرة ، محبوبَ المُجالَسة ، مأمونَ الصُّحبة ، ميمونَ النَّقيبة[٤] في المحبّة ، كَرْخيّ اللطافة[٥] ، من أهل الأدب والظّرافة .

☙

قرأت بخطّ (السَّمْعاني)[٦] في تاريخه :

---

(٣) الحنابلة : (ص ٢٧/ح٢) . قال العلامة زين الدين بن رجب الحنبلي : « هو أحد أئمة المذهب وأعيانه [٤٣٢ ـ ٥١٠ هـ] .. إمام وقته، وفريد عصره في الفقه . درس ، وأفتى ، وقصده الطلبة .. فقيه عظيم ، كثير التحقيق .. وله مسائل ينفرد بها عن الأصحاب . كتب بخطه كثيراً من مسموعاته . وصنّف كتباً حساناً في المذهب ، والأصول ، والخلاف . وانتُفِعَ بها بحسن قصده .. وكانت له يد حسنة في الأدب ، ويقول الشعر اللطيف . وكان حسن الأخلاق ، ظريفاً ، مليح النادرة ، سريع الجواب ، حادّ الخاطر . وكان مع ذلك كامل الدين ، غزير العقل ، جميل السيرة ، مرضي الفعال ، محمود الطريقة .. حدث بالكثير من مسموعاته ، على صدق واستقامة » . وذكر جماعة من أئمة الحنابلة قرؤوا عليه الفقه ، منهم الشيخ عبدالقادر الجيلي المشهور . ومن كتبه : « الهداية » في الفقه الحنبلي ، منه نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، كتبها محمد بن عمر الحرانيّ في سنة ٧١٧ هـ ، مجلد ٢٥٥ ورقة . ولصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق القطيعي البغدادي : « إدراك الغاية في اختصار الهداية » ، و « التمهيد ـ خ » ، و « الانتصار في المسائل الكبار ـ خ » ، و « رؤوس المسائل ـ خ » ، و « التهذيب » في الفرائض ، و « عقيدة أهل الأثر ـ ط » منظومة صغيرة .

(٤) مبارك السجية والطبيعة . والنقيبة : في الأصل « النقيمبة » !

(٥) المراد « كرخ بغداد » ، وكانت في وسط بغداد ، والمحال حولها ، وصارت في المئة السابعة الهجرية محلة وحدها ، مفردة في وسط الخراب ، غير مختلطة بالمحالّ التي حولها ، وأطلق « الكرخ » في الأزمنة الأخيرة على جانب بغداد الغربي كله ، وهو اليوم من أعمر المواضع ، يحفل بالقصور والميادين والملاعب والمعاهد والمساجد والجمعيات والأندية ، ويمتد الى أميال عدة طولاً وعرضاً ، وفي وسطه المطار المدني القديم ، وفي أقصاه من جهة الغرب المطار الدولي الحديث « مطار المثنى » . أما اللطافة التي أضافها العلماء إلى « الكرخ » فهي الصفة التي تميّز بها أهل بغداد جميعاً قديماً وحديثاً .

(٦) السمعاني : أوجزت في ٢٣/١ ترجمته ، وأضيف هنا الى مراجع ترجمته : تذكرة الحفاظ ١٠٧/٤ ، واللباب « في المقدمة » ، والعبر للذهبي ١٧٨/٤ ، وشذرات الذهب ٢٠٥/٤ .

« سمعت (أبا الخير البغداديّ)[٧] يقول : كتب إلى (أبي الخطّاب) في فتيا :

قل للإمام (أبي الخطّاب) : مسألة
جاءت إليك ، وما ـ إلا سواكَ ـ لها :
ماذا على رجلٍ ، رامَ الصلاةَ ، وإذْ
لاحت لناظره ذاتُ الجمالِ ، لَها[٨] ؟

فأجاب ، وكتب في الحال :

قل للأديب الّذي وافَى بمسألة
سَرَّت فؤاديَ لمّا أنْ أصَخْتُ لها :
إنّ الّتي فتنته عن عبادته
خَرِيدة" ذاتُ حُسن ، فانثنى ولَها[٩]
إنْ تاب ثمّ قضى عنه عبادتَهُ ،
فرحمةُ الله تَغشَى من عصى ولَها »[١٠]

***

---

(٧) هو الفسال ، أبو الخير ، المبارك ، بن الحسين ، البغدادي ، المقريء ، الشافعي ، الأديب ، شيخ الإقراء ببغداد ، محدث ، توفي في جمادى الأولى سنة ٥١٠هـ عن بضع وثمانين سنة . ترجمته في العبر ٤/٢١ ، والمنتظم ٩/١٩٠ ، وغاية النهاية ٢/٤٠ ، ومعرفة القراء الكبار ، الورقة ١٣٧ ، في المكتبة الوطنية بباريس ٢٠٨٤ ، وشذرات الذهب ٤/٢١ .

(٨) لها عن الشيء : سلا عنه وترك ذكره . أراد أنه كان متوجهاً الى الصلاة ، فلما رآها انصرف عن الصلاة .

(٩) الخريدة : المرأة الحييّة ، و ـ : البكر لم تمس . الوله : ذهاب العقل والتحيّر من شدّة الوجد .

(١٠) لها عن الشيء : سلا عنه وترك ذكره .

قال : وأنشَدنا (أبو المعمر [المبارك] بن أحمد بن عبدالعزيز الأَزَجيّ)[11] ، قال : أنشدنا (أبو الخَطّاب الكَلْوَاذيّ) لنفسه :

إنْ كنتَ ، يا صاحِ ، بوَجْدِي عالما
فلا تكن لي في هواهم لائما[12]

فإن جَهِلتَ ما أُلاقي بِهِمُ ،
فانظُرْ تَرَ دُموعيَ السَّواجِما[13]

هم قتلوني بالصُّدود والجَفا
وما رعوا في قتليَ المَحارِما[14]

يا مَنْ يخافُ الإثمَ في وَصْلٍ : أما
تخاف في سفكِ دمي المآثِما ؟

هَبْنِي رَضِيتُ أن تكونَ قاتلي ،
فهل رَضِيتَ أنْ تكونَ ظالما ؟[15]

سَلُوا النُّجومَ بعدَكم عن مضجَعي :
هل قَرَّ جنبي ، أو رأتني نائما ؟

(11) المبارك : زيادة مني . وهو محدث حافظ ، انصاري ، من أهل بغداد ، من باب الأزَج . له « معجم » في مجلد . كان سريع القراءة ، معنيّاً بالرواية . توفّي سنة ٥٤٩ هـ . ترجمته في المنتظم ١٠/١٦٠ ، والعبر ٤/١٣٨ . وكانت له بنت صوفية صالحة واعظة هي الشيخة خاصَّة ، كان لها رباط بباب الأزَج ، تعظ فيه الصوفيات ، توفيت في شوال سنة ٥٨٥ هـ ودفنت بمقبرة الشونيزي .

(12) صاحِ : ترخيم صاحبي . الوجد : الحزن ، و ـ : الحب .

(13) السواجم : السواكب . ترَ : الأصل « ترى » ، وهي على الصحة في الذيل على طبقات الحنابلة ١٤٧ .

(14) الجفا : الجفاء ، قصر لضرورة الوزن . وهي في الذيل على طبقات الحنابلة : « القلى » ، وهو أشدّ البغض .

(15) هبنِي : احسبني واعددني ، وهي كلمة للأمر فقط ، ولا يستعمل منه ماض ولا مستقبل في هذا المعنى .

واســـــتقبِلوا الشَّمال كيمــا تنظرُوا
مــن حَــرِّ أنفاســي بهــا ســـمائما[16]

وهــذه الأيــكُ .. سَلُوا الأَيْكَ : ألــم
أُعَلِّمِ النَّوْحَ بهـــا الحمـــائما ؟[17]

لقـــد أقمتُ بعــدَ أن فارقتــــكم
على فؤادي بينَهُنَّ ماتَمـــــا »[18]

☘

قال : « وأنشَدَنا (أبو المُعَمَّر)[19] ، [قال] : أنشدنا (أبو الخَطّاب) لنفسه :

لو أنَّ مَنْ أحببتَه ، بك عـــانِ ... مــا راح منطلقــاً ، وقلبُكَ عــانِ[20]

ولَرَقَّ للكبِـــد ، الّذي دأبت بــه ... كَمَدَاً ، وللجسد النَّحِيل الفــاني

لكنَّ مَنْ أشـــجى فؤادَكَ حُبُّهُ ... خــالٍ من البُرَحــاء والأشجانِ[21]

أفــدي الّذي أدنو ويبعُدُ في الهوى ... وأُطِيعُهُ ويَلَجُّ في عِصيانِ[ي][22]

وإذا شـــكوتُ إليه ما ألقى بــــه ، ... وَلَّى،وقال : دواكَفي هِجرانِ[ي][23]

ومن العجــائب أنَّني أبغي الهــوى ... من غـــادر ، والأمنَ من خَوّانِ !

وأَرُوم من هـــذا الزَّمان رعايــةً ، ... وبــه اســـتفدتُ تغيُّرَ الإخوانِ

---

(١٦) السمائم : الرياح الحارّة ، والحرّ الشديد النافذ في المسامّ،واحدها سَمُوم، بفتح السين .

(١٧) لأيك : الشجر الكثير الملتفّ ، واحدته أيكة .

(١٨) الماتم : المأتم ، خفف الهمزة ليجانس الف التأسيس قبل الرويّ في الأبيات . والرواية في الذيل على طبقات الحنابلة : « على فؤادي بينها مآتما » ، وهي أعرب وأقوم .

(١٩) انظر (ح١١) .

(٢٠) عان « الأولى » اسم فاعل ، من العناية . والثانية : الأسير .

(٢١) أشجى : أحزن . البرحاء : الشدة . الأشجان : جمع الشجن ، وهو الهم والحزن و ــ الحاجة الشاغلة .

(٢٢) زيادة الياء يطلبها السياق .

(٢٣) دواك : دواؤك ، قصره للضرورة . وزيادة الياء في « هجراني » لازمة يقتضيهــا السياق .

وَيْلي على متلوِّنٍ ! إنْ لُمْتُهُ اسْ … تَشْرَى،وإنْ أمسكتُ عنه جفاني[٢٤]

وإذا عَذِلتُ عليـــه ، زاد تلهُّفي … وكأنّ عــذلَ عواذِلي أغراني[٢٥]

وإذا هَمَمْتُ بهَجْره ، فشفيعُــــه … قلبي وكلُّ جَوارِح الجُثمانِ[٢٦]

وإذا عزَمْتُ الصَّبرَ عنه ، أطاف بي … جيشُ الهموم وموكبُ الأحـــزانِ

لهفي على زمــــن تقضَّى مُؤْلِمٍ … لو عــاد لم أفزَعْ بصَرْف زمانِ[٢٧]

إذْ لا أبـــالي بالـرَّقيب ، وأنتُمُ … طَوْعِي ، وما لي عاذلٌ ينهـــاني »

⁂

قال : « وأنشدني (أبو المُعَمَّر)[٢٨] ، [قال] : أنشدني (أبو الخَطَّاب) لنفسه :

وقَـــرَّبْتَني حتَّى تملَّـــكتَ مُهجتي
وصِـــرتَ حِجاباً بين قلبيَ والعَذْلِ[٢٩]

وأضـــرمتَ نيرانَ الهوى في جَوانِحي ،
وأجريت دمعي بينَ سَكْبٍ ومُنْهَلِ[٣٠]

تجـــافيتَ ، إمّـــا قاتلي أو معذِّبي ،
فهـــل لك نفـعٌ في عـــذابيَ أو قتلي ؟

خَفِ اللهَ في سَـــــفْك الدِّماء ، فرُبَّما
ندِمتَ على التَّفريط في موقف العـــدْلِ

---

(٢٤) ويلي : الأصل « ولّى » ، ولا معنى لهـــا في سياق البيت . استشرى : عظم وتفاقم .
(٢٥) أغراني : حرَّضني .
(٢٦) الجوارح : جمع الجارحة،وهي العضو العامل من اعضاء الجسد،كاليد والرجل.
(٢٧) الصَرْف ، بفتح فسكون : حدثان الزمان .
(٢٨) أبو المعمر (ح١١) .
(٢٩) المهجة : دم القلب ، و ـ : الروح .
(٣٠) الجوانح : جمع الجانحة ، وهي الضلع القصيرة مما يلي الصدر .

وقـــالوا : ألا ينهـــــاك عقلُك عنهُمُ ؟
فقلت : وهل أحببتُهُمْ ومعي عقـــــلي ؟

لقـد بِعتُهم حِلمي بحُلْوِ وِصـــالهم ،
فخـانوا ، فلا بالحِلم فُزتُ ولا الوصلِ ».

***

وقال : « أنشدَنا (أبو المُعَمَّر)[٣١] ، [قال] : أنشدَنا (الكَلْواذِيُّ) لنفسه :

لَئِنْ جـــار الزَّمـــانُ عليَّ حتّى ... رمـاني منـه من ضَنْك وضيقِ ،
فانّي قــــد حَمِدتُ له صُــــروفاً ... عَرَفتُ بها عدوّي من صديقي »[٣٢]

***

وقال : « أنشدَنا (أبو المُعَمَّر)[٣٣] ، [قال] : أنشدَنا (الكَلْواذِيُّ) لنفسه :

يقول ليَ الأحبّةُ : لا تَزُرْنــــا ... على حــــال ، ونحن فـلا نزورُ
فقلتُ : متى أَطَقتُ فِعالَ هـــذا ، ... وقلت : أُحبّكم ، فالقولُ زُورُ »[٣٤]

***

إلى ها هُنا [ما] أورده (السَّمْعانيّ)[٣٥] .

وأنا أقول : أنشدنا (أبو الكرم المبارك بن مسعود بن عبـدالملك بن خميس

---

(٣١) ابو المعمر (ح ١١) .

(٣٢) الصروف : جمع الصَّرْف ، بفتح فسكون ، وهو حدثان الزمان .

(٣٣) أبو المعمر (ح١١) .

(٣٤) فعال : في الذيل المذكور « فقال » ، وهو تصحيف .

(٣٥) السمعاني (ص٣٧/ح٦) .

البغداديّ)[٣٦] ، في طريق الحجّ ، عند عودتي ، في مُحَرَّمِ سنة تسع[٣٧] وأربعين [وخمس مئة] ، للشيخ الامام (أبي الخَطّاب الكَلْوَاذيّ) ـ فإنّه كان وقتَ التفقّه يلازم « جامع المنصور »[٣٨] ، وكانت بومة تأوي الى « القُبّة الخضراء »[٣٩] ، فأنِس بها ، وقال[٤٠] :

يا بومـةَ « القُبّـةِ الخضراء » ، قد أنِست
روحي بروحِـك ، إذْ يُستَبشَعُ البومُ
ويا مُثـيرةَ أشواقي برَنّتِهـا
حاشـاك ، ما بـكِ تشويهٌ ولا شُومُ
زهِدتِ في زُخرُف الدُّنيا ، فأسكنكِ الـ
زُّهْدُ الخرابَ . فمَنْ يَذْمُمْكِ مذمومُ
وقـد هَوِيتُك من بين الطُّيُورِ . فمَنْ
يلومُني بعدَ هـذا ، لَوْمُهُ لُومُ[٤١] ★

---

(٣٦) من علماء الحديث ، يلقب « الغَسّال » . ذكره الزبيـدي في « تاج العروس » باسقاط « عبدالملك » من نسبه .

(٣٧) اهمل نقطه في الأصل ، وهو يحتمل قراءتين : « سبع » أو « تسع » ، والصحيح « تسع » بآية ما ذكره المؤلف نفسه في ترجمـة ابن الخياط الدمشقي ، في (ص٢١٧) من « بداية قسم شعراء الشام » .

(٣٨) جامع المنصور : هو جامع « مدينة المنصور » ، التي بناهـا الخليفة ابو جعفر المنصور العباسي عام ١٤٥ هـ (٧٦٢م) . بناه باللبن والطين ، في الرحبة وسط المدينة ، ملاصقاً قصره المعروف بـ « قصر الذهب » ، ومساحته مئتـا ذراع في مئتين . وكان سقفه يقوم على أساطين من الخشب ، ولكل اسطوانة تاج مدوّر مصنوع من قطعة خشب واحدة ، موضوعة فوق أعلى الأسطوانة . ولم يزل على حاله حتى زمن هارون الرشيد فأمر بنقضه واعادة بنائه بالآجر والجص ، وكتب عليه اسم « الرشيد » ، وأسماء البنائين والمعمارين وتاريخ البناء . والكتابة ظاهرة خارج الجامع باتجاه « باب خراسان » . وقد شاهدها الخطيب البغدادي الذي دوّن كتابه « تاريخ بغداد » في سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) . وصار يعرف هـذا الجامع بـ « الصحن العتيق » ، ثم زيدت فيه دار القطان ، وكانت قديماً ديواناً للمنصور ، فجعلت مصلى ، وذلك في سنة ٢٦٠ أو ٢٦١ هـ . ثم اخبر المعتضد بالله أن الجامع يضيق عن الناس ، فزاد فيه في سنة ٢٨٠ هـ قسماً من قصـر المنصور ، ووصله به ، وزاد فيه « بدر » مولاه من القصر المسقطات المعروفـة

ب « البدرية » . وظل الجامع تقام فيه صلاة الجمعة طوال المئين الخمس من الحكم العباسي ببغداد ، وأقيمت أيضاً في غيره من الجوامع . وقال ابن الجوزي في « مناقب بغداد » : « وكان الناس يمتدّون فيه الى دجلة » . و « كان القاضي أبو تمام الزينبي [في المئة الخامسة] يصلي في أيام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان ، والصفوف مادّة من المسجد الى ذلك المكان ، والصلاة قائمة بمكبّرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود ، وعلى أبواب المقصورة بوابون بثياب سود ، يمنعون من دخول أحد إليها الا من كان من الخواص المتميزين بالأقبية السود. وكان ذلك رسماً في سائر مقاصير الجوامع ، وقد بطل حتى صار لا يلبسه الا الخطيب والمؤذنون » . وروى السمعاني في « الأنساب » : أن المشايخ كانوا يقولون : زينة الإسلام ثلاثة : التراويح بمكة ، ويوم الجمعة بجامع المنصور ، ويوم عيد الفطر بطرسوس » . وغرق الجامع في سنة ٦٥٣ هـ ، وكان لا يزال قائماً حين زار الرحالة ابن بطوطة الطنجي المغربيّ « بغداد » في سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧م) . غير أن معالمه اختفت بعد ذلك في المئة الثامنة المذكورة ، ومن آثاره الباقية ــ على ما يرى المستشرقون ــ محرابه ، وهو من أبدع آثار الفنّ ، من قطعة واحدة من الرخام متقنة النقش . وقد جرت في سنة ١٩٢٥ م محاولة لنقله الى بعض البلاد الأوربية ، فرفعت صوتي في استنكار ذلك في مقالة نشرتها في « جريدة المفيد » في ١٣٤٣/١١/٢ هـ ١٩٢٥/٥/٢٦م ، فبلغتُ المراد ، وحبطت محاولة السارق ، والمحراب محفوظ اليوم في المتحف العراقي ببغداد ، وقد نشرتُ صورته في مجلة الزهراء بالقاهرة م/٣ ص ١٩٦ . وتفصيل « ماجريات المحاولة بسطتُهُ في « مهذب تاريخ مساجد بغداد وآثارها »(ص٣٨) أيضاً .

(٣٩) القبة الخضراء : قبة عظيمة خضراء اللون ، كانت فوق مجلس في « قصر الذهب» قصر أبي جعفر المنصور في مدينة السلام . قال الخطيب البغدادي : « كان في صدر قصر المنصور إيوان ، طوله ثلاثون ذراعاً ، وعرضه عشرون ذراعاً ، وفي صدر الإيوان مجلس عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وسمكه عشرون ذراعاً ، وسقفه قبة ، وعليه مجلس مثله فوقه « القبة الخضراء » ، وسمكه الى أول حدّ عقد القبة عشرون ذراعاً ، فصار من الأرض الى رأس « القبة الخضراء » ثمانين ذراعاً ، وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس . وكانت ترى من أطراف بغداد .. وقد سقط رأسها يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاث مئة ، وكان ليلتئذ مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد » ، « وكانت هذه القبة تاج بغداد ، وعلَمَ البلد ، ومأثرة من مآثر بني العباس عظيمة » . والظاهر من أبيات أبي الخطّاب أن خراب جدران هذه القبة قد حدث بعد بنائها ، بنحو ثلاث مئة سنة ، لأنه قال هذه الأبيات أيام كان يتفقه في جامع المنصور المجاور لقصر الذهب ، وذلك حوالي سنة ٤٥٠ هـ إذا قدرنا عمرَه يومئذ بنحو عشرين سنة ، لأنه ولد سنة ٤٣٢ ، وبناء قصر الذهب كان في سنة ١٤٦ هـ .

(٤٠) ذكر صاحب الحوادث الجامعة (ص ٣٠٣) البيت الأول والثالث على أنهما لفقير من الفقراء كان قد جاور في « جامع المنصور » لما رأى ما آلت حالة القبة إليه ، وذكر الأبيات الأربعة أبو المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ٦٧/٨ قائلا إنها مما تعزى إليه .

(٤١) لوم : لؤم ، خفف همزته ليجانس حرف التأسيس ، وهو الواو ، ما قبله.

(★) ومن شعر أبي الخطاب الكلوذي ، هذه المقطوعات الثلاث ، وقد رواها العلامة زين الدين بن رجب الحنبلي ، في ترجمته في « كتاب الذيل على طبقات الحنابلة » :

(١)

بأبي مَن إذا شكوتُ له حُبَّهُ ، قال : ذا مُحالٌ ولَهْوُ
وإذا ما حلفت بالله إنّي صادقٌ ، قال لي : يمينك لَغْوُ
لا ، ومَن خَصَّهُ بحُسنٍ بديعٍ وجمالٍ .. جسمي به اليومَ نِضْوُ
لا تبَدَّلتُ في هواه ، ولا خُنْتُ ، ولا حَلَّ لي عليه السُّلُوُّ

(٢)

كيف أُخفي هواكُمُ ، وعليه شاهدُ الحزنِ والنُّحولِ يَنِمُّ ؟
وإذا اللائمون لاموا ، فطَرْفي في هواكم أعمى ، وسمعي أصَمُّ
أنتمُ للفؤاد هَمٌّ ، وللعين سُهادٌ ، وللجوانح سُقْمُ
كلَّ يومٍ تجدّدون على قلبي عذاباً ، وليس للقلب جُرْمُ
ولئِنْ دامَ ذا ــ ولا دامَ ــ منكم تَلِفَتْ مُهْجَتي ، وفي ذاك إثمُ

(٣)

علامَ أُجازَى بالوصال قطيعةً ، وبالحبّ بُغضاً ؟ إنَّ ذا لَعَجِيبُ !
وكم ذا التَّجَنّي منك في كلّ ساعةٍ ؟ أما لفؤادي من رضاك نصيب ؟
لئِن لانَ جنبي عندكم ، فهو والهوى منيعٌ ، ولكنَّ الحبيبَ حبيبُ
وإن كان ذنبي عندكم كَلَفي بكم ، فما أنا منه ، ما حَيِيتُ ، أتوبُ
غرامي بكم حتّى المماتِ مضاعفٌ ، وقلبي لكم عندي عليَّ رقيبُ

أبو عبد الله النقّاش [1]

عيسى بن هبة الله [2] البزاز [3]

من أهل « بغداد » .

والد [4] (المهذّب بن النقّاش) [5] .

---

(١) له ترجمة في المنتظم ١٤٠/١٠ ، والبداية والنهاية ٢٧٧/١٢ ، وعيون الأنباء في ترجمة ابنه مهذب الدين علي ٦٣٥ مستفادة من « خريدة القصر » ، وفوات الوفيات ٢٣٦/٢ .

(٢) زاد الكتبي في فوات الوفيات : « ابن عيسى » . والبزاز في (ب) : « البزار » ، وهو تصحيف .

(٣) قال الكتبي : « كان نقاشاً للحلي ، ثم صار بزازاً » ، و « كان ظريفاً صاحب نوادر ، خفيف الروح . له شعر . روى عنه التاج الكندي [ستأتي ترجمته في هذا الجزء] كتاب الكامل للمبرد » ، « وكان يمتنع من الرواية [الظاهر رواية الحديث النبوي] ، ويقول : ما أنا أهل ذلك » ، وذكر بعض مُلَحه .

(٤) الأصل : « ولد » باسقاط الألف .

(٥) قال ابن أبي أُصَيْبِعة : « مهذب الدين النقاش : هو الشيخ الإمام العالم ، أبو الحَسَن ، علي .. مولده ومنشؤه ببغداد . عالم بعلم العربيــة والأدب ، وكان يتكلم الفارسي . واشتغل بصناعة الطب على الأجل أمين الدولة هبة الله بن صاعد ابن التلميذ ، ولازمه مدّة . واشتغل بعلم الحديث : سمع ببغداد من أبي القاسم عمر بن الحصين ، وحدّث عنه . سمع منه القاضي عمر بن القرشي ، وروى عنه حديثاً في معجمه .. وارتحل الى دمشق ، وبقي بها يطب ، وكان أوحد زمانه في صناعة الطب ، وله مجلس عام للمشتغلين عليه . ثم توجه الى الديار المصرية ، واقام بالقاهرة مدة . ثم رجع الى دمشق ، ولم يزل مقيما الى حين وفاته في يوم السبت ثاني عشر محرم سنة أربع وسبعين وخمس مئة ، ودفن بهــا في جبل قاسيون » . وذكر ابن أبي اصيبعة خدمته بصناعة الطب الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي ، وقال : « وكان يعاني أيضاً كتابة الإنشاء ، وكتب كثيراً له المراسلات والكتب الى سائر النواحي ، وكان مكيناً عنده . وخدم أيضاً في البيمارستان « المستشفى » الكبير الذي أنشأه نور الدين بدمشق ، وبقي به سنين ، ثم خدم أيضاً بصناعة الطب بعد ذلك الملكَ الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، لما ملك دمشق ، وحظي عنده » . وقال : « وكان مهذب الدين كثير الإحسان ، محبــاً للجميل ، يؤثر التخصّص ، ولم يتخذ امرأة ، ولا خلف ولداً » .

أوحدُ زمانه • كان من ظُرَفاء « بغدادَ » وأعيانها ، وحُلَفاء المروءة وأعوانها •

صاحب النّوادر والمُلَح ، والمآثر والمِنَح(٦) ، والمفاكهة المعسولة ، والمحاورة المقبولة ، والفصاحة باللّطافة ، والحَصافة(٧) بالظّرافة • لا تُمَلّ محاضرته ، ولا تستثقل مداعبته • يُخرج جِدّه في مَعرِض المَزْح ، ويتبلّج فجره عن الخُلُق السَّمْح •

وَقّاد الخاطر ، على كِبَر السّنّ ، ثاقب البصيرة حادّ الذِّهن ، سَحُوح مُزَنِ الفكر(٨) ، صحيح وزن الشّعر •

وكان يستشَار برأيه(٩) ، ويُرجَع إلى استصوابه ، في مقاصده وأَنحائه •

⁂

ولده (مهذّب الدّين) •

الّذي جمع الفضائل فأحكم الحِكَم ، وبرّز فيها على من تقدّم •

وهو صديقي ورفيقي •

جمعت بينَنا خدمة (نورالدّين)(١٠) رحِمه الله ، وصُحبةُ « بغـداد » ، والمُقام بِـ « الشّام » •

---

(٦) المِنَح : العطايا .

(٧) الحصافة : استحكام العقل ، وجودة الرأي .

(٨) سحوح : مبالغة اسم الفاعل ، من سحّ الماء ونحوه سحّاً ، إذا سال من أعلى الى اسفل . المزن : الأمطار ، الواحدة مزنة .

(٩) هذا التعبير ، كرره العماد في ترجمة أبي الفرج يحيى بن التلميذ . والعرب إنما تقول : استشاره ، أي طلب منه المشورة . واستنار به ، أو برأيه .

(١٠) ترجمت « نورالدين » رحمه الله ، وذكرت بعض مصادر الترجمة ، في ١/٦٣ . وأذكر هنا كتاب «نورالدين» باللغة الفرنسية، ثلاثة أجزاء، تأليف«نيكيتا السيف "Nikita Elesseff" ، وهو من أجمع ما كتب في « الملك العادل » الذي لقبه بعض من أرخه من الفرنجة بـ « الملك العظيم والقديس الذي يخاف الله » وقد نشره المعهد الفرنسي بدمشق في سنة ١٩٦٧ م .

وأنا شاكرٌ لأياديه ، ناشرٌ لمعانيه .

⁂

أنشدني من شعر والده[11] :

إذا وجَدَ الشّيخ في نفسه	نَشاطاً ، فذلك موتٌ خفي
ألستَ ترى أنَّ ضوءَ السِّراجِ	له لَهَبٌ قبلَ أن ينطفي ؟

⁂

وأنا لقيت (أبا عبدالله النَقّاش) بِـ « بغداد » .

وتُوفِّيَ ، رحمه الله ، [في][12] العشرين من جُمادَى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمس مئة ، بِها ، بعد مسيري[13] إلى « أَصفهان »[14] .

⁂

قرأت بخطّ (السَّمْعاني ّ)[15] :

« أنشدني (أبو عبدالله النَّقّاش) لنفسه :

رُزقت يَساراً ، فواسيت من	قَدَرت به حينَ لم يُرزَقِ[16]
وأملقت من بعده ، فاعتذرتُ	إليه اعتذارَ أخٍ مُملِقِ[17]
فإن كان يشكُر فيما مضَى	يداً ليَ ، يَعذِرُ فيما بقي »(★) .

(١١) البيتان ، عزاهما ابن أبي اصيبعة الى امين الدولة بن التلميذ مرةً « عيون الأنباء ٣٥٩ » ، والى أبي عبدالله النقاش مرةً «عيون الأنباء ٦٣٥ » عن « خريدة القصر» وعزاهما الكتبي في « فوات الوفيات ٢/٢٣٦ » إلى أبي عبدالله النقاش .

(١٢) الزيادة مني .

(١٣) مسيري : من « عيون الأنباء » ، الأصل « سيري » .

(١٤) في « عيون الانباء » : « اصبهان » ، وهذه أشهر ، وكلتاهما صحيحة ، انظر فهرس الجزء الأول ومقدمته .

(١٥) السمعاني : (ص ٣٧/ح٦) .

(١٦) فواسيت : في « عيون الأنباء » و « فوات الوفيات » : فوافيت . وقوله : «قدرت به » ، كأنه أراد أن يقول : واسيت بيساري مَنْ قدرت حاجته الى المال حين لم يرزق ما يسدّ خلّته .

(١٧) أملقت : افتقرت . فاعتذرت : الأصل « فاغتدرت » .

(★) البيت في الأصل :

وإن كان يشكر فيما مضى	بذا فسيعذر فيما بقي

وفي (ب) : « ... بذاك فيعذر .. » ، وتصحيحه من « فوات الوفيات » ، وهو في « عيون الأنباء » :

وإن كان يشكر فيما مضى	بذا فسيعذر فيما بقي

قال : « وأنشدني أيضاً لنفسه من قِطعة :

وكــــذا الرَّئيسُ ، فإنّـــــــه	عنــدي كمَجْرى الرُّوح يَجــري
أنـــــكرت ، في دَلْف ، عليــــ	ــهِ تهتُّكاً مــن بعـــد ستر[18]
وعــــذلت فيـــه ، فقــام وقـــا	لَ : قَــدْك ، فأنت مُغْـــرِ[19]
كيف السُّـلُوُّ ، وقـــد تَمَلّـــ	ــكَ مُهجتي عن غـــير أمري[20]
قمــرٌ .. نـــراه إذا اسْتَسَــ	ــرَّ ، كمثــل أربعـــة وعشـــرِ[21]
يـــرنو بنَجْلاوَيْنِ ، يُسْـــ	ــقِمُ مــن سَقامهما ويُبري[22]
وإذا تبسَّـــــمَ في دُجَــــى	ليلٍ ، شـــهِدت له بفجـــر
وكــــذاك تَظلِمُــــه إذا	شــبّهتَ رِيقتَـــهُ بخمرِ[23]
وبـــوَرْدِ وَجْنَتِــــهِ وآ	سِ عِـــذاره ، قد قام عُذري[24] » .

**

وتنسب إليه الأبيات التّي في (كثير بن شماليق) ، وقد مضى ذِكرها[25] .

---

(18) الدّلْف : المشي الرُّوَيْد .

(19) هذا البيت ، أسقطه ابن أبي أصيبعة ، واسقط الكتبي معه البيتين قبله أيضاً . عذلت : لمت . قَدْك : حَسْبُك وكفاك . مغرٍ : محرّض .

(20) المهجة : دم القلب ، و ـ الروح .

(21) استسرّ القمر : خفي في السرار ، وسرار الشهر آخر ليلة فيه . وكذا روايـــة اللفظة في « فوات الوفيات » ، وهي في « عيون الأنباء » : اســتمرّ ، ولا معنى لها هنا .

(22) عينان نجلاوان : واسعتان . يرنو : يديم النظر ، وفي «عيون الانباء»: « يرفو » ، وهو تصحيف . يبري : يشفي . سقامهما : في « فوات الوفيات » « يشابهه » ، وكالأصل في « عيون الأنباء » .

(23) وكذاك : في « فوات الوفيات » : « ولِذاك » . ولم يرد البيت في « عيون الانباء».

(24) وبورد : في « فوات الوفيات » : « ولورد وجنته وحسن عذاره .. » ، وفي «عيون الأنباء » : « وبورد وجنته وحسن عذاره .. » . والآس : شجر دائم الخضرة ، الواحدة آسة ، شبهوا بخضرته سواد عذار الغلام الجميل ، وهو جانب لحيته . وهي من (ب) ، والأصل « حسن » كما في الــكتابين المذكورين ، وما أثبتّ هو الموافق لتعابير الشعراء أيام كانوا يتغزلون بالغلمان الحسان .

(25) نبهت على هذا في الجزء الثاني (ص ٢٧٥) . وورد ذكر كثير بن شماليق ، أو كثير ابن سماليق وما قاله فيه البارد أبو تمام الدباس البغدادي في حجه ، في الجزء المذكور أيضاً (ص٣٣١) . وقد ذكر استطراداً في خبر في المنتظم ١٠/١٢ .

الشريفُ ابنُ الشَّجَريّ النَّحويُّ

أبو السّعادات ، هبة الله ، بن عليّ ، بن محمّد ، بن حمزة ، العَلَوِيّ ، النَّحْوِيّ[1] .

نقيب (الطّالبيّين) بِـ « الكَرْخ » ، نيابةً عن والده (الطّاهر)[2] .

أحد أئمّة النُّحاة .

---

(١) اسقطت (ب) هذه الترجمة . والشجري ، بفتح الشين والجيم ، نسبة الى « الشجرة » ، قرية على بعد ستة اميال من مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام. وشجرة أيضاً : اسم رجل ، وقد سمت به العرب وانتسب اليه خلق كثير من العلماء وغيرهم . ونسب ياقوت ابنَ الشجري الى بيت الشجري من قبل أمه . وقال ابن خلكان : ولا ادري الى من ينتسب الشريف المذكور منهما : « هل هو نسبة الى القرية ، أم الى أحد أجداده كان اسمه شجرة » .

وترجمة ابن الشجري قد أسلفتها مختصرة في الجزء الثاني(ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥)، وذكرت فيها بعض مصادرها ، واضيف إليها ها هنا ما يأتي : تلخيص ابن مكتوم ٢٦٧ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٩٤/٤ ، والعبر ١١٦/٤ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ــ الورقة ٧٧ ، وعمدة الطالب ١٨٨ ، وسير النبلاء ق١٨٨/١٢ ، وأعيان الشيعة ٤٨/٥١ ، وتنقيح المقال ٢٩١/٣ ، والفوائد الرضوية ٧٠٧ ، والمشتبه في الرجال ٣٥٤ ، وطبقات النحاة واللغويين ــ ق ٥٢٣ ، والبلغة في تاريخ ائمة اللغة ٢٧٨ ، والكنى والألقاب ٣٢٧/١ ، وموارد الاتحاف ٨٨/١ ، وهدية الأحباب ٦٨ ، وريحانة الأدب ٨٨/١ ، وكشف الظنون ١٦٢، ١٧٤ ، ٤١٣، ٦٩٢، ٦٩٣ ، ١٥٦٣ ، ١٥٧٣ ، وهدية العارفين ٥٠٥/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٤١/١٣ ، ومعجم المطبوعات ١٣٤ ، ومسالك الابصار ٤م٣٠٩/٢ ، و Brock 5.1 : 39 ,(286) 332 : 1 ، وغيرها . ولعبدالمنعم احمد صالح التكريتي : « ابن الشجري ومنهجه في النحو » رسالة « ماجستير » ــ خ .

(٢) الأصل : « ولد الطاهر » ، ومثله في « إنباه الرواة » . والصحيح ما أثبته عن « وفيات الاعيان » وغيره ، وقد فات ذلك محقق الإنباه . والطاهر إنما هو لقب والده أبي الحسن علي . وقد تولّى أبو السعادات نيابة النقابة عنه لسبب غير ظاهر لنا . وظن بعض الباحثين ان الطاهر هنا هو نقيب الطالبيين ببغداد : الطاهر أبو عبدالله أحمد ، بن أبي الحسن علي، بن أبي الغنائم العلوي، وليس بصحيح. وقد تولى هذا نقابة الطالبيين ببغداد عامة ــ وليس بالكرخ ــ بعد أبيه في سنة ٥٣٠ هـ ، وبقي فيها تسعاً وثلاثين سنة الى وفاته سنة ٥٦٩ هـ ، وليست سنة ٦٥٩ هـ كما وردت سهواًفي حاشية«نزهة الأدباء » (ص ٣٠٠ ، ط ٢ ،س١٩٧٠)، وقد بسطتُ الكلام عليه في الجزء الأول من هذا الكتاب (٣٥١ــ٣٥٢) .

وله معرفة تامّة باللغة والنَّحْو .

وكان معاصر (ابن الجَواليقيّ)[3] .

وأدركتُ أيّامه .

وتُوُفّي بـ « الكرخ » سادسَ عشَرَ [شهر] رَمَضانَ سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة[4] .

**

وله تصانيفُ في النَّحْو[5] .

وقد انتفع عليه جماعة . وله تلامذة .

عبارته حُلوة رائقة ، نافعة نافقة[6] .

وكان حَسَنَ البيان والإفهام .

وفضله أعلى من شعره .

**

فمن نظمه ، قولُه[7] :

هل الوَجدُ خافٍ والدُّمُوعُ شُهودُ ؟
وهل مُكْذِبٌ قولَ الوُشاةِ جَحُودُ ؟

---

(٣) ترجمته في (ص ١٨/ح٧) .

(٤) ودفن من الغد في داره بالكرخ ، بعد ان صلى عليه عليّ بن الحسين الغزنويّ الواعظ . وكان هذا شعوبياً حاقداً على العرب شديد البغض لهم ، وكان يدل بمحبّة الأعاجم ويظهر انحرافه عن بيت الخلافة العباسية،على ماقدمت فيترجمته (٢/٢٨٢) . وتقدم « الكرخ » في (ص ٣٧/ح٥) .

(٥) وفي غير النحو أيضاً . ومصنفاته هي : «الأمالي» ٨٤ مجلساً ، جزءان ـ طُبعا في حيدر آباد سنة ١٣٤٩ هـ ، و « شرح اللمع » لابن جني ، و « شرح التصريف الملوكي » لابن جنّي أيضاً وقد طبع المتن وحده ، و « ديوان الحماسة » ـ طبع في حيدر آباد سنة ١٣٤٥هـ ، و « كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه » ، و « ديوان مختارات الشعراء » ـ طبع في مصر مرتين ، وقال محقق « إنباه الرواة » : منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية « رقم ٥٨٥ الأدب » . و « الانتصار » ، ردّ فيه على ابن الخشاب مآخذه على مواضع من أماليه ، وبيّن موضع غلطه . قال القفطي : « وهو على صغر جِرمه في غاية الإفادة ، وملكته والحمد لله بخطه رحمه الله . وقد قرأه عليه الناس » و « ديوان شعر » ذكر الزركلي في الأعلام أنه مطبوع ، ولم أره .

(٦) نافقة : رائجة ، في الأصل « نافلاة » ، والمثبت من كتاب « إنباه الرواة » الذي نقل عبارات « خريدة القصر » .

(٧) اقتصر القفطي في « إنباه الرواة » على البيتين : الأول والثاني .

وحتّى متى تُفني شُـــؤونَكَ بالبُكا ،

وقـــد حَدَّ حَدّاً للبكاء (لَبيدُ)[8] ؟

وإنّي ، وإنْ حَنَّتْ قنـــاتيَ كَبْرَةً ،

لَذُو مِرَّةٍ في النّائبـــات جليـــدُ[9]

**

قال فيه بعض أهل « بغداد »[10] :

ما فيــكَ من نســبة النَّبيّ سِـــوى

أنّــك لا ينبغي لـــك الشِّـــعرُ[11] !

---

(8) البيت في « إنباه الرواة » :

وحتى متى تعنى شؤونك بالبكا وقـد جدّ جـدٌ للبكـاء جليد

و « تعني » تصحيف « تُفْنِي ». والشؤون : الدمع ، و مجاريها. حدّ حدّاً : الأصل « جد جدا » ، وهو تصحيف ، وصواب العبارات في وفيات الأعيان . قال ابن خلكان : « وفي البيت إشارة الى أبيات لبيد بن ربيعة العامري ، وهي:

تمنّى ابنتايَ أن يعيش أبوهمـــا وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَـرْ ؟

فقوما ، فنوحا بالذي تعلمانــــه ولاتخمشا وجهاً ، ولا تحلقا شَعَرْ

وقولا: هو المرء الذي لا صديقَـــه أضاع، ولا خان العهود، ولا غَدَرْ

الى الحول، ثم اسم السلام عليكما، ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظعنوا، فكان بكاءُ حَوْلٍ بَعدَهُم ثم ارعويت، وذاك حكم (لبيد) »

ولبيد : تقدم في (٢/١٨٨ ح١) .

(9) المِرّة : القوّة .

(10) هو الشاعر المشهور أبو محمد الحسن ، بن أحمد ، بن حكينا ــ من « الحريم الطاهري » ببغداد . وكان بينه وبين ابن الشجري تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل كما قال ابن خلكان . وقد تقدمت ترجمته وطائفة من شعره في ٢/٢٣٠ ــ ٢٤٨ .

(11) يلمح الى قوله تعالى : (وما علّمناه الشعر وما ينبغي له) «٦٩/سورة يس» . ولهذا البيت صِنْو" قبله ، وهو :

يا سيّدي ، والّذي يُعيذُك من نظمِ قَريضٍ يَصْدا به الفِكرُ

الشيخ الإمام أبو سعد يحيى بن علي بن حسن الحُلْواني (١)

أحد أئمّة أصحاب (الشّافعيّ)(٢) .
تفقّه على (أبي إسحاقَ الشّيرازِيّ)(٣) .
وكان حسن المناظرة ، مفتياً .
وولي التّدريس في « المدرسة النّظاميّة »(٤) بـ « بغدادَ » .
وأدركتُ جماعة أدركوه ، وأثنوا عليه .

***

(١) هذه الترجمة ، سقطت من (ب) . وأبو سعد : في الأصل « أبو سعيد » ، وتكرر بعدُ كما أثبتّه « أبو سعد » وفاقاً لمصادر ترجمته ، وهي : الأنساب ـ خ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٣٢٣/٤ ، وطبقات الشافعية الوسطى ـ خ ، وطبقات الأسنوي ٤٣٢/١ ، والاعلام لابن قاضي شهبة ـ خ ، والمنتظم ١٣٠/٩ ، وكشف الظنون ٤٨٠ ، وهدية العارفين ٥٢٠/٢ ، والأعلام للزركلي ١٩٨/٩ . وحسن : في ترجماته « الحسن » . والحُلْواني ، بضم الحاء وسكون اللام : نسبة الى « حُلْوان العراق » مدينة في آخر حدود السواد من جهة المشرق ، ومنها يصعد الى الجبال . وهي على خمسة مراحل من بغداد ، وعلى ثمانية عشر ميلاً من « قصر شيرين » وبينهما « خانقين» . وقد استوفيتُ الكلام عليها في « معجم الأقاليم » . ومولد أبي سعد في سنة خمسين وأربع مئة . قال السبكي : « وربما قيل في اسم والد أبي سعد : بُنْدار » ، وليس « العراق » كما ورد في حاشية ترجمته ، في طبقات الأسنويّ . وذكر لقبه « البزّار » ، وقد تصحف في بعض نسخه ، وصوابه هو هذا .

(٢) الشافعي : انظر ١٤٤/١ ، وج٤/م١/ص١٠٢ .

(٣) قال السبكي : « قرأ المذهب [فقه الإمام الشافعي] والخلاف والأصول على الشيخ أبي اسحاق الشيرازي [أسلفت ترجمته في ١٢٤/٢] ، وسمع الحديث من أبي جعفر بن المسلمة ، وأبي الحسين بن النّقّور ، وأبي الخطاب بن البطِر ، وشيخه أبي إسحاق ، وغيرهم . روى عنه السمعاني ، وغيره . وولي حِسْبَةَ بغداد [منصب كان يتولاه في الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة ، من مراقبة الأسعار والموازين والمكاييل ورعاية الآداب] ، ثم عزل عنها [وفي طبقات الأسنوي : ثم تركها] ، وولي تدريس النظامية ، وصنف كتاباً سماه « التلويح » ، في المذهب » . قال حاجي خليفة : «في الفروع» وقال البابانيّ : « في فروع الشافعية » .

(٤) المدرسة النظامية : في « تهذيب تاريخ مساجد بغداد وآثارها » (١٠٢ـ١٠٦) .

ومن شعره ، ما قرأته في بعض الكتب[٥] :

مررتُ بخبّازٍ ، أحاول حاجةً
مُدِلاً عليه ، أَيْ بأنّيَ عالمُ[٦] !

فلمّا رآني ، قال : أهلاً ومرحباً ،
ظفِرتَ بما تهوى ، فأين الدّراهمُ ؟

فقلت : معي كسرٌ ونقص ، وخاطري
يعيش فصولاً كلّهنّ لَوازِمُ[٧]

فقال : ومَنْ هذي الذّخائرُ عندَهُ
يُحاولُ عندي حاجةً ويُساوِمُ ؟

لَعَمْرِيَ ! لو بِعتَ الجميعَ بلقمة
لَما كنتُ ممّن في الشّراء يُخاصمُ[٨] !

**

قرأت بخطّ (السَّمْعانيّ)[٩] :

« خرج (أبو سعد الحَلْوانيّ) إلى « ما وراءَ النَّهْر »[١٠] ، في السّنة

---

(٥) وهي في طبقات الشافعية الكبرى أيضا (٣٣٤/٧) .

(٦) أدلّ عليه : وثق به فأفرط عليه ، وقد فسر ادلاله على الخبز بعلمه .

(٧) كسر : مطابق لروايته في طبقات الشافعية الكبرى – في طبعتها الأولى ، والطبقات الوسطى ، ولكنها رسمت فيهما منصوبة ، وكذلك الاسم المعطوف عليها ، وأثبتت في الطبعة الثانية « كَيْس » أي عقل . وقوله : « يعيش » ، في الطبقات المذكورة « يجيش » ، و « فصولاً » هي كذلك في الطبقات ، وفي بعض نسخها المخطوطة « فضولاً » بالضاد المعجمة .

(٨) لعمري : في الطبقات « لعمرك » .

(٩) السمعاني (ص ٣٧/ح٦) .

(١٠) ما وراء النهر : اسم أطلقه العرب على الأقاليم التي هي في شمال نهر جيحون القديم ، أي وراءه ، وكان هذا النهر يعد الحدّ الفاصل بين ايران وتوران . وقد استوفيت الكلام على أقاليم « ما وراء النهر » ومدنه في «معجم الأقاليم» .

الّتي ملَكها (محمد بن سليمان) المعروف بـ (أرســـلان خان)[١١] ، في أواخر [شهر] رَجَب سنة عشرين وخمس مئة ، فتـوُفّي إمّـا في التّوجّـه إلى « بُخَارَى »[١٢] ، أو في الرّجوع عنها »[١٣] .

---

(١١) هو ارسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داوود .. من الملوك الخانية الأتراك أصحاب «تركستان»ــوهي كاشغر وبلاد بلاساغون وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر . وهم من نسل أفراسياب التركي ،وكانوا في نزاع مستمر مع الصين . واخباره في « كامل التواريخ » : حوادث سنة ٥٢٤ هـ ، وسنة ٥٣٦ هـ .

(١٢) بخارى : من أجل مدن إقليم « السُغْد » قديمة ، نَزِهَة ، كثيرة البساتين ، كثيرة الفواكه ، لها قرى ومزارع ، يشتمل عليها سور واحد نحو ستة وثلاثين ميلاً في مثلها . وكانت بها مساكن ولاة « خراسان » من « آل سامان » . وكانت بخارى قصبة « السُغْد » الدينية في الإسلام ، خرج منها خلق كثير من ائمة الإسلام في فنون شتّى ، وفي طليعتهم إمام أهل الحديث أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجُعفي البخاري صاحب « الجامع الصحيح» و « التاريخ » ، وهو عنوان مجدها الخالد وصيتها الذائع . وللنرشـــخي « تاريخ بخارى » ، طبـع مختصره في مصر حديثاً .

(١٣) صيغة الخبر في « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكي : « وأرسله أميرالمؤمنين المسترشد بالله الى الخاقان محمـــد بن سليمان صـــاحب « ما وراء النهر » ــ ليفيض عليه الخِلَعَ ــ فتوفّي هناك ب « سمرقند » ، في شهر رمضان سنة عشرين » . ومثلها في « طبقات الإسنوي » ، غير أن الإسنوي أسـقط اســـم الخليفة والخاقان صاحب « ما وراء النهر » ، وزاد بعد الخبر قوله : « ذكــره التفليسيّ وأبو سعد [يعني السمعاني] في الذيل » . وذكر الخبر أيضاً الباباني في « هدية العارفين » باسقاط عبارة « ليفيض عليه الخلع » . وقد فات العماد والسبكي والإسنوي والباباني أن يذكروا إرسال الخليفة المستظهر بالله في سنة ٤٩٥ هـ أبا سعد الحلواني مع سعادة بن عبدالله الرومي وآخرين الى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقيّ ، ليكونوا معه في جميع مواقفه ويعلموا النـاس انه قد ولاه ما وراء بابه . وهـــذا الخبر ذكره ابن الجوزي في المنتظم ، وابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب في ترجمة « سعادة الرومي » ١٥٨/١/٤ .

القاضي زكيّ الدين أبو السّعادات المبارك بن احمد البغداديّ [1]

من فقهاء أصحاب (أبي حنيفة)[2] ، المدعوّ : (حركها) .

فقيه . ظريف . من أصحاب (أبي حنيفة)[3] .

مدرس « مدرسة سعادة »[4] بـ « بغداد » .

---

(١) أُسقطت هذه الترجمة من (ب) ، واغفلها اللكنوي في « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » ، وصاحبها من الفقهاء المدرسين المعروفين ببغداد في زمانه . وقد ترجمه محيي‌الدين القرشيّ المصري المتوفّى سنة ٧٧٥ هـ في كتابه « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » (١٥٠/٢) ، وترجم ولده « المظفر » ، وقال بعده : إنه « تفقـّه ، ودرّس ، وأفاد . وجاوز الثمانين . بهي المنظر » ، « وله شعر فائق » ، وقال : « ذكره أبو الفتوح عبدالسلام بن يوسف الدمشقي في كتاب « أنموذج الزمان في شعر الأعيان » ، وذكر أنه أجتمع به كثيراً » ، ثم أورد أبياتاً من شعره أنشدها إيّاه ، وسأذكرها في آخر الترجمة .

(٢) أبو حنيفة : (١٩٥/١) .

(٣) هذه الفقرة تكرار لما سبق .

(٤) أنشأها سعادة الرومي في الجانب الشرقي من بغداد ، ويظهر من اخباره أن ذلك كان قبيل نهاية المئة الخامسة الهجرية . وهو : عزالدين أبو الحسن سعادة ابن عبدالله الرومي المستظهري ، الخادم الرسائلي . ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ١٥٨/١ ، ونقل من تاريخ محمد بن عبدالملك الهمذاني قوله فيه : إنه « كان خادماً شهماً ، له منظر حسن ومخبر مستحسن ، يفصح بأكثر اللغات . أرسله المستظهر بالله إلى السلطان محمد بن ملكشاه في المحرم سنة ٤٩٥ هـ . . فمضى وأدى الرسالة ، وقفل من حضرته بالأموال العظيمة ، وصار يتولى المصالح مع الشحنة البُرسقيّ ، وعمر لنفسه الدار الجميلة على دجلة . وهي التي وقفها على الصوفية . . وكانت وفاته سنة خمس مئة ، ودفن في جوار الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه » . وقد لبثت هذه المدرسة مثابة لطلاب العلم الى آخر العصر العباسي ، ولا ادري ماذا حلّ بها عند غزوة المغول المدمرة . وكان من أواخر من درسوا فيها الشهيد فخرالدين أبو جعفر أحمد بن عبدالله الآمدي : رتب مدرسا للنحو فيها ، ثم معيداً في المدرسة المستنصرية ، وقتله المغول في الواقعة العظمى ببغداد في سنة ٦٥٦ هـ مع من قتلوا مع الخليفة المستعصم بالله واهل بيته ــ من أعيان بغداد وعلمائها وعظمائها ، رحمهم الله .

وهو كَهْل عند تعليقي هذا الجزء في سنة إحدى وسبعين [وخمس مئة] .

**

وله نظم . ومن ذلك ، قولُه ما يكتب[5] على خِزانة :

أمِنُونِي من دونِ غيري ، فما خُنْـ
ـتُ ، وآلَيْتُ حلفةً : لا أَخُونُ[6]

أودعوني سِرّاً ، وكنتُ ضميراً ،
وكذا المودَعُ الأمينُ يكونُ[7]

**

---

(٥) لعله : « مما يكتب » .

(٦) آليت : أقسمت .

(٧) أضيف إلى هذه المقطوعة التي اقتصر عليها المؤلف ما رواه مؤلف « انموذج الزمان في شعر الأعيان » عنه من شعره ، ونقله القرشي في « الجواهر المضية » عن هذا الكتاب ، وقد جاء بعضه محرفاً في المطبوع ، وإني مورده مصححاً مع ذكر أصله فيه :

(١)

كلامٌ ، كلُّه سِحْرٌ وليلٌ ، كلُّه سَحَرُ
وطَرْفُ الدهر مطروفٌ وقد غفلت بنا الغِيَرُ
وساعات ، يساعدُها قضاءُ الله والوَطَرُ
وهٰذي الشّمسُ والسّاقي وهذا الكأس والقمرُ

البيت الثاني في « الجواهر المضية » :

« وطرف الدّهر مطروق وقد غفلت بنا الفتر »

و « مطروق » و « الفتر » ، مصحفان .

(٢)

لَبِسْتُ عذاري واسترحتُ من الهوى
وقلتُ لليلِ العاشقين : يطولُ

فلا تسألوني عن حديثي وسَلْوَتي
فإن سؤالي : كيفَ ذاك ؟ فضول

البيت الأوّل في « الجواهر المضية » :

« أئست عذاري .. .. »

والصواب ما أثبتّ . يريد أنه عاد الى الجد والاستقامة في الخلق والسلوك ، وقد كان خليع العذار ماجناً .

(٣)

لقد سَفَرَتْ عن وجهها وتَنَقَّبَتْ
وماستْ وأغصان الكثيب رِطابُ

فللشّمسِ من ذاك السُّفُور تَبَرُّجٌ
وللبدر من ذاك النقاب نِقابُ

البيت الأول في « الجواهر المُضِيّة » :

« .. .. وماست وأغصان الكثيف رضاب »

وهو من أشنع التحريف .

أبو عبد الله البارع بن الدَّبّاس النَّحْويّ [1]

من أهل « بغداد »[2] .

الحسين ، بن محمّد ، بن عبدالوهّاب ، بن أحمد ، بن محمّد ، بن الحسن[3] ، بن عُبَيْدالله[4] ، بن القاسم[5] ، بن عبيدالله[6] ، بن سليمان ، بن وهب[7] .

---

(١) الدّبّاس : من يعمل الدّبس ، أو يبيعه . وعرف به من المحدثين أبو علي الحسن ابن يوسف الدباس البصري ، ذكره السمعاني في الأنساب، وابن الأثير في اللباب. وترجمة البارع في : معجم الأدباء ١٠/١٤٧ ، ووفيات الأعيان ١/١٥٨ ، والمنتظم ١٠/١٦ ، والبداية والنهاية ١٢/٢٠١ ، وغاية النهاية ١/٢٥١ ، وشذرات الذهب ٤/٦٩ ، وبغية الوعاة ٢٣٦ ، وتلخيص ابن مكتوم ٦٣ ، وروضات الجنات ٢٤٨ ، والعبر للذهبي ٤/٥٦ ، وتاريخ ابن الأثير ١٠/٢٥٤ ، والنجوم الزاهرة ٥/٢٣٦ ، ونكت الهميان ، وإنباه الرواة ١/٣٢٨ .

(٢) قال القفطي : « كان يسكن « البدرية » إحدى المحالّ الشرقية مما يلي دار الخلافة والشط » .

(٣) في معجم الأدباء ، ووفيات الأعيان ، وغيرهما : « الحسين » ، وفي إنباه الرواة: « الحسن » .

(٤) الأصل « عبدالله » ، ومثله في إنباه الرواة ، والصحيح ما أثبته .

(٥) القاسم بن عبيدالله (٢٥٨ ـ ٢٩١ هـ) : من الكتاب الشعراء ، له غزل رقيق ، استوزره المعتضد بالله العباسي ، بعد أبيه ، في سنة ٢٨٨ هـ ، وقام بعد وفاة المعتضد في سنة ٢٨٩ بأعباء الخلافة ، وعقد البيعة للمكتفي في غيبته ب «الرقة» ووزر له . قال ابن خلكان : « وهو الذي سم ابن الرومي الشاعر » ، وكان ابن الروميّ من زواره .

(٦) في وفيات الأعيان « عبدالله » ، ومثله في معجم الأدباء ، والصحيح عبيد الله ، وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب ، أبو القاسم ، من أكابر الكتاب . ولد سنة ٢٢٦هـ . استوزره المعتمد العباسي ، ثم المعتضد بعده ، واستمر في الوزارة الى وفاته سنة ٢٨٨ هـ . وكان معظماً في عصره ، قال فيه عبيدالله بن عبدالله بن طاهر حين وزر للمعتضد :

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرمُ

فقلت له : نعماك فيهم أتِمَّها ، ... ودَعْ أمرَنا ، إنّ المهمَّ المقدَّمُ

من أهل بيت السُّؤْدَد ، الكريم المَحْتِد(*) .

وكان نحويَّ زمانه(8) ، عديم النَّظير في أوانه .

وله مصنَّفات ، ومؤلَّفات ، وديوان شعر(9) .

كان قد أضرَّ(10) في آخر عمره .

وتُوُفِّي سابع [عَشَر(11)] جُمادَى الآخرة سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، ومولده [في] صَفَر سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة .

***

أنشدني (العلاء بن السَّوادِيّ الواسِطِيّ)(12) بها(13) ، قال : أنشدَني (البارع) لنفسه في (سيف الدَّولة صَدَقَةَ)(14) :

ولما توفي ، قال ابن المعتز عند دفنه :

هــذا أبو القاســم في نعشــه قوموا انظروا كيف تسير الجبالْ !

(*) المَحْتِد : الأصل .

(7) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي البكريّ ، أبو أيوب : من كبار الكتاب ، من بيت كتابة في الشام والعراق . ولد ببغداد ، وكتب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ، وولي الوزارة للمهتدي بالله ، ثم للمعتمد على الله ، ونقم عليه الموفق بالله طلحة والد المعتضد ، فحبسه ، فمات في حبسه في صفر سنة ٢٧٢هـ ، وقيل ٢٧١هـ . له « ديوان رسائل » . وكان هو وأخوه الحسن بن وهب الشاعر البليغ المترسل من مفاخر عصرهما أدباً وعقلاً وعلما ، وأخبارهما مستفيضة في كتب الأدب والتاريخ .

(8) وقال مترجموه : « كان لغويّاً ، نحوياً ، مقرئاً ، حسن المعرفة بصنوف الآداب . قرأ القرآن على أبي عليّ بن البنّاء وغيره ، وافاد خلقاً كثيراً ولا سيما باقراء القرآن الكريم . وسمع من القاضي أبي يعلى الموصلي وغيره . وروى عنه الحافظ أبوالقاسم بن عساكر . وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي ، وغيره » . وكانت بينه وبين ابن الهبارية الشاعر الأديب مداعبات ، فانهما كانا رفيقين منذ نشآ . وفي وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء بعض أمثلة هذه المداعبات الشعرية ، وربما بلغت حد السخف .

(9) قال ابن خلكان : « مصنفات حسان ، وتآليف غريبة ، وديوان شعر جيد » .

(10) أضرّ : عمي ، في الأصل « أخرّ » .

(11) من جميع مراجع ترجمته .

(12) ترجمته ، في (ج٤/م١/ص ٣٦٩ ـ ٣٩٩) من هذا الكتاب .

(13) يقصد بـ « واسط » .

(14) ترجمته في ج٤/م١/ص١٦٣ من هذا الكتاب .

طربتُ وهاج لي البرقُ وَهْنــا تباريحَ وَجْدٍ قديمٍ بِـ(لُبْنَى)[15]
فبتُّ لا أبيح الوِسادَ جنبــاً ولا أمنحُ النَّوم [منّيَ]جَفْنا[16]
أراقب إيماضَه كيف ضــاءَ ، وأنّى استطارَ ، ومن أين عَنّا[17]
وقــد بلَغَ الوَجدُ بي ما أحَبَّ وأدرك فِيَّ الأســى ما تمنّى[18]
كأنّي نظرتُ ، وقــد شِمْتُهُ ، ديارَ الأحبّــة مَغْنىً فمَغْنَى[19]
فَبُحْتُ ، ومــن خــانه صبرُه ، فليس لِكتمانــه الحُبَّ معنى
وماذا على مُدْنَف بِـ « العراق » تذكر بالرّمل عهـداً فحنّـا ؟[20]
وإنّي لــكلّ شَجٍ عــاذرٌ إذا ناح من طــرب أو تَغَنَّى[21]
ولي مُهجــةٌ ، قرنت بالأســى إلى جسد ظاهر الضّرّ مُضْنَى[22]
إذا ذكرت عهـدَ أُلافِهــا ، أجَـدَّ لها ذلك الذِّكرُ حُزنا[23]
فيَعْتَدُّهــا سبباً للضَّنَى ويعتــدُّ مسكنَها منهُ سِجنا[24]
وفي مثل حالَيْهِما مقلــةٌ أَحــال مآقيَهـا البَيْنُ مُزنا[25]
تمُــرُّ الشّهورُ بهـا والسِّنُون فتَفنى ، وأدمعُهـا ليس تَفْنَى

---

(١٥) الوَهْن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، نصبه على الظرفية بعد نزع الخافض . التباريح : الشدائد ، وتباريح الشوق : توهجه . لُبْنَى : من أسماء نساء العرب القديمة .

(١٦) مني : زيادة لازمة ، لإقامة الوزن . والشطر الأول مختلّ الوزن أيضاً .

(١٧) استطار البرق : انتشر في أفق السماء . عَنَّ : ظهر واعترض .

(١٨) الوجد : الحزن ، و ــ : الحبّ ، وجد به وجداً : أحبَّه .

(١٩) شام السحاب والبرق : نظر إليه يتحقق أين يكون مطره . المغنى : المنزل يغنى فيه أهله ، اي يقيمون .

(٢٠) المدنف : المريض اشتدّ مرضه وأشفى على الموت ، يقال : دَنِفَ المريض فهو دَنِفٌ ، وأدنف فهو مُدْنِف ، وأدنفه المرض فهو مُدْنَف .

(٢١) شجيَ يشجى شجاً : اهتم وحزن ، و ــ اهتاج للذكرى ، فهو شجٍ ، وهي شجيّة .

(٢٢) المهجة : دم القلب ، و ــ الروح . مُضْنَى : مريض أثقله الداء وألزمه الفراش .

(٢٣) أجَدَّ : أحدث .

(٢٤) الضنى : المرض أو الهزال الشديد .

(٢٥) البين : الفراق . المزن : المطر ، أراد كثرة الدموع .

سقى الله أربُعَنا بالحِمى … وإن كُنَّ بُدِّلْنَ بالسَّكْنِ سَكْنا[26]

وحيّا وجوهاً ، عَهِدْنا بها ، … وإن حَجَبَتْها يَدُ البَيْنِ عنّا

وخصَّ (لُبَيْنَى) .. فتلك التي … أجَنَّ الوِداد لها ما أجنّا[27]

تعلّقْتُها كاعباً كالْمَها … يناسبُها البدرُ حُسناً وسِنّا[28]

ولم يبدُ للعين من ثديها … سِوى ما يُرَى مِلْءَ كفٍّ وأدنى

⁂

ومنها :

وأترابُها كالدُّمى حولَها … يُلاعبن أكملَ منهنّ حُسنا[29]

تَميلُ عليهنَّ ، أو تستقيمُ … دَلالاً ، كما هزَّتِ الرّيحُ غُصنا

تكُفُّ ذَوائبَها باليَدَيْنِ … عن القدمين فُرادَى ومَثْنَى

كأنَّ كِفافَ الدُّجَى أحدقت … ببدر ، جلت شَمْأَلٌ منه دَجْنا[30]

كأنَّ قلائدَها والشُّنوفَ … يرين بـ « وَجْرَةَ » ظبياً أغَنّا[31]

⁂

---

(٢٦) السَّكْن : اهل الدار وسكانها .

(٢٧) أجَنَّ : أخفى وستر .

(٢٨) الكاعب : الفتاة نهد ثدياها . المها : الشمس .

(٢٩) الأتراب : المماثلون في السن ، الواحد ترب – بكسر التاء وسكون الراء . الدمى : الصور الممثلة من العاج وغيره ، يضرب بها المثل في الحسن ، والأصنام المزينة ، الواحدة دُمْيَة .

(٣٠) كفاف الدّجى : حواشي الظلام . الدَّجْن : الظلمة .

(٣١) الشنوف : الأقراط ، وقد تخصص بما يعلّق في أعلى الأذن ، والاقراط بما يعلّق في أسفلها . وواحد الشنوف والأشناف الشَّنْف ، بفتح الشين وسكون النون . وجرة : نقل ياقوت عن الأصمعي ، قال : وجرة بين مكة والبصرة ، بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلاً ، ليس فيها منزل ، فهي مَرَبّ [وفي القاموس المحيط : مَرْت] للوحش . أغَنّ : في كلامه غُنَّة ، وهي صوت يخرج من الخيشوم .

ولا أنسَ لا أنس إرسالَها ... إليَّ : بأنْ رُحْ إذا نحن رُحْنا ،(٣٢)
ودُونَك شرقيَّ ذاك الكثيبِ ... إذا ما سمرنا به فأتمنّا(٣٣)
وخَفْ أن تُصيبك عينُ الغيورِ ... فنُصرَفَ بالكُره عما أرَدْناه
فوافيتُ حيثُ أشارت إليـ ... ـهِ تحتَ رِواقِ الدُّجَى حينَ جَنّا،(*)
فألفيتُ ثَمَّ التي لم أكن ... لِتَعْدُوَها مُنيتي لو أُمِنّا ،
ومن حولِها أربع كالبدور ... ولكنْ بها شَغَفي دُونَهنّا .
فيا طِيبَ شكوايَ بينَ الحِسان ... إليها غرامي بها المستكنّا(٣٤)
وقَولي لها ، والهوى غالبي : ... تَقِي اللهَ في المُستهام المُعَنّى(٣٥)
وقول صواحبها : مغرم ... بحبّك ، فاتّخذي فيه حُسْنَى
ولا تَحرِميه زَكاةَ الجَمالِ ، ... فليس لمالكه أن يَضَنّا(٣٦)
فقالت : أتُسعِدْننا في الهوى ، ... وتَلأَمْنَ ما بينَنا ؟ قُلْنَ : إنّا.(٣٧)
فأعجبها ذاك من قولهنَّ ، ... وقالت : كذلك ظنّي بِكُنّا
ألانَ انصرِفن ، وأفرِدْنَنا ، ... فقد أخذ الشّوقُ ما شاءَ مِنّا(٣٨)
وإن طال موقفُنا دونَكُنَّ ، ... فلا تَستَرِبْنَ ،وأَحسِنَّ ظنّا .(٣٩)

---

(٣٢) ولا أنس لا أنس : كذا في الأصل ، والصواب : وإن أنسَ لا أنس . رُحْ : امر ، من : راح يروح رواحاً ، إذا سار في العشيّ ، ويستعمل الرواح للمسير في أي وقت كان من ليل أو نهار . وكذلك الغدُوّ .

(*) جنّه الدُجَى : ستره . الأصل « جئنا » .

(٣٣) إئتمنّا : امنّا . الأصل « فاتبنّا » وهو تحريف .

(٣٤) المستكن : الخافي .

(٣٥) المستهام : المشغوف حباً . المعنّى : المكلّف ما يشقّ عليه .

(٣٦) يَضَنّ : يبخل . يقال : ضَنَّ به عليه ، يضَنُّ ، ضَنّاً وضِنّاً وضَنانة: بخل بخلاً شديداً .

(٣٧) تلأمن : تجمعن ، الأصل « تلثمن » ، ولا وجه لها في سياق البيت . إنّ : نَعَمْ ، والألف الملحقة بها حرف إطلاق . وتلحقها هاء السكت في الوقف ، قال ابن قيس الرُقيّات :
ويَقُلْنَ : شيبٌ قد علا ... ك ، وقد كبِرتَ ، فقلتُ : إنّهْ

(٣٨) الان : الآنَ ، حذف المدّ لضرورة الوزن .

(٣٩) الاسترابة : الشكّ .

فمالت بمَفْرِقِها والبَنان ، | فقبّلت منها نَصيفاً ورُدْنا[٤٠]
وأينع في الخِدْرِ وَردُ الحياء | فشارفَ بالنَّظَر الحُلْو يُجْنَى[٤١]
وجَدَّ بنا غيرَ ما خائفَيْنَ | حديث ، تفرّع فَنّاً ففَنّا :[٤٢]
وقالت : سهرت بنا ، فلْتَبِتْ | بخير ، وإن عُدتَ للوصل عُدنا .
فودّعتُها وكأنّي أرى | عليها من الصَّوْن دُوني مِجَنّا[٤٣]
كما ضَنَّ بالعِرض (تاج الملوك) | فشاد عليه من الجود حِصنا

**

وأنشدني سيّدنا الشّيخ العالم (أبو محمد ، عبدالله ، بن أحمد ، بن أحمد ، ابن أحمد ، بن الخشاب[٤٤]) ، رحمه الله ــ تُوُفّيَ يومَ الثّلاثاء سادسَ عشَرَ مُحَرَّمٍ سنة إحدى وستّين وخمس مئة ــ من شعر الرئيس جمال الأُدَ [باء] : (أبي عبدالله ، الحسين ، بن محمّد ، بن عبدالوهّاب) المعروف بـ (البارع النَّحْوِيّ) ، قصيدتين ضاديّتين ، في مدح (شرفالدّين عليّ بن طِراد الزَّيْنَبيّ[٤٥]) في زمان نقابته ، وذكر الشّيخ أنّه قرأهما على (البارع) .

فإحدى القصيدتين ، هي يمدحه بها أوّلَ ولايته في سنة سبع وثمانين وأربع مئة :

إن كان جِيرانُ الغَضَى | رَضُوا بقتلي ، فَرَضَا[٤٦]
واللهِ .. لا كنتُ لِما | يهوَى الحبيب مُبغِضا

---

(٤٠) المفرِق ، من الرأس : حيث يفرق الشعر . البنان : أطراف الأصابع ، الواحدة بنانة . النَّصِيف : كلّ ما غطى الرأس من خِمار ونحوه .
(٤١) يَنَعَ الثمر ، وأيْنَعَ : أدرك وطاب وحان قطافه . الخِدْر : كل ما وارى من بيت ونحوه ، و ــ ستر يمدّ للمرأة في جانب البيت .
(٤٢) غير ما : ما زائدة .
(٤٣) المجن : التُرْس ، وهو ما يتوقى به في الحرب .
(٤٤) ترجمته في أول هذا الجزء ، ووفاته فيها سنة ٥٦٨ هـ .
(٤٥) أسلفت ترجمته في ٢٠٩/١ .
(٤٦) الغَضَى : شجر من الأَثْل ، خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمانا ←

صِرتُ لهم عبداً ، وما للعبد أنْ يعترضا
هم قلّبوا قلبي من الشَّوْق على جمر الغضى
وهم أحالوا الجسمَ مِنّي بالنُّحول عرضا[٤٧]
ووكّلوا بالدَّمع عيني مُذْ حموها الغُمُضا[٤٨]

***

أحبابَنا .. جار عَلَيَّ بَيْنُكم فيما قضى[٤٩]
أكان قتلي بالنَّوَى عليكُمُ مفترضا ؟[٥٠]
ليتَ المَطِيَّ رُحْنَ بالـ أرواح عنكم عِوَضا[٥١]
بل ليتَ أيّامَ الحِمى يعود منها ما مضى
فلستُ بالنّاسي لها حتّى أكونَ حَرَضا[٥٢]
وا أَسَفا على الصِّبا ! كان خِضاباً ، فنضا[٥٣]
عاد سوادُ لِمَّتي من الفراق أبيضا[٥٤]
كأنّما عهدُ الشّبا بِ كان دَيْناً يُقْتَضى

طويلاً لا ينطفيء . الواحدة غَضَاة . وجيران الغضى : أهل « نجد » ، لكثرته هنالك .

(٤٧) العَرَض : من معانيه الحُطام ، وهو بالسياق أشبه . وقد يكون تحريف « حَرِضاً » بالحاء وكسر الراء ، أي : سقيماً .

(٤٨) الغُمْض : النوم ، ضم ميمه لضرورة الوزن .

(٤٩) جار : الأصل « جاروا » .

(٥٠) النّوى : البعد .

(٥١) المطيّ : ما يمتطى من الدواب ، أي يركب مَطَاه وهو ظهره . الواحدة مَطِيّة .

(٥٢) الحَرَض ، بفتحتين : المشفي على الهلاك ، قال الفراء في قوله تعالى : « حتّى تكون حَرَضاً أو تكون من الهالكين » ، يقال : رجل حَرَضٌ ، وامرأة حَرَضٌ ، وقومٌ حَرَضٌ ، يكون موحَّداً على كل حال ، الذكر والأنثى والجمع فيه سواء .

(٥٣) الخضاب : ما يخضب به الشعر من حنّاء ، ونحوه . نضا : زال لونه .

(٥٤) اللِمّة ، بكسر اللام : شعر الرأس المجاور شحمة الأذن .

واهـاً لـه ! ما إنْ أتى ... نعيمُـه ، حتـى انقضى[٥٥]
كـم نلتُ منـه أمـلاً ... وكـم بلغتُ غرَضـا[٥٦]
يا حـاكمين بالصّـدو ... دِ ، جائرينَ في القضـا
عنـدي بقايا كَمَـدٍ ... يَضِيـقُ عنهنّ الفضـا[٥٧]
مَـنْ لمريضٍ .. لا يـرى ... سِـوى الطّبيب مُمْرِضـا ؟
أعـرض عنـه الصّبرُ مُـذْ ... أصبـح عنه مُعرِضـا

***

أقـولُ ، والهَمُّ لـه ... عليّ سـيفٌ مُنْتَضَى ،[٥٨]
ولليـالي أَسـهمٌ ... يُصِبْنَ قلبـي غرَضـا :[٥٩]
حسبي (عليُّ بـنُ طـا ... رِدِ بْنِ محمّـد الرّضَا)[٦٠]
مولىً .. إذا ما قعـد النّـ ... ـاسُ بصبري ، نَهَضـا
يـا ذا الـّذي عُهـودُهُ ... حاشـا لهـا أن تُنْتَقَضَى
خُـذْ بيـدي ، فالدّهرُ قـد ... أثقلنـي أن أنهضـا
حَمّـل ظهـري ظالمـاً ... من صَـرْفه ما أنقضا[٦١]
يا صـادقَ البِشـر إذا ... خُلّبُ بـرقٍ ومَضَـا[٦٢]

---

(٥٥) واهاً : كلمة تعجب من طيب كل شيء ، يقال : واهاً له ، وبه : ما أطيبـه . وتأتي للتلهف ، فيقال : واهاً ، وواهَ . والشاعر إنما أراد التفجّع ، وأخطأ في استعمال « له » معه .

(٥٦) غرَضا : الأصل « عرَضا » .

(٥٧) الكمَد : الحزن الشديد .

(٥٨) منتضى : مسلول .

(٥٩) الغرَض : الهدَف الذي يرمىٰ إليه .

(٦٠) طارد : هو « طِراد » بكسر أوله ، غيره لإقامة الوزن .

(٦١) صـرف الدهر : حدثانه . أنقض الحمل الظهرَ : أثقله ، وفي التنزيل العزيز « ووضعنا عنكَ وِزْرَكَ الذي أنقض ظهرك » .

(٦٢) الخُلّب : السحاب يومض برقه حتى يرجى مطره ، ثم يخلف ويتقشع . ويقال : برقٌ خُلّبٌ ، والبرق الخُلّبُ (بالوصفية) وبرقُ خُلّبٍ ، وبرقُ الخُلّب (بالاضافة) . ويشبّه به من يَعِدُ ولا يُنجز .

أعتقتَني من طمع | أضحى لقلبي مُرْمِضا[٦٣]
فليس عِتقي لاحتما | لِ مِنَّةٍ مُعَرَّضا
رفعتَ من قدريَ ما | له الرَّجاءُ خَفَّضا
وسَنَّ لي إكرامُك الْـ | إعراضَ عَمَّنْ أعرضا
بسَطْتَ ، ذا الفخرين ، لي | من أَمَلي ما انقبضا
فما أُبالي بك مَنْ | مدَّ يداً ، أو قبَضا
يا مَنْ إذا وفدُ الثَّنا | ءِ بالنَّوال عَرَّضا[٦٤]
وقد جرى بينَهُمُ | ذِكرُ الغَرامِ عَرَضا
أفنى نَداهُ مالَهُ | وبَزَّهُ ما اقترضا[٦٥]
كأنّما الجودُ على | بَنانِه قد فُرِضا
أنت (نِظامُ الحَضْرَتَيْن ...) | والأمين المرتضى
كُنْ لي ، فما أَحفِلُ بعد | دَ اليومَ ما جرى القضا
لا زِلتَ ترقَى في العلى | ما لاحَ برقٌ فأضَا[٦٦]

***

والأخرى ، نظمها في سنة ستّ وثمانين وأربع مئة ، وهي :

لهفي على شَرْخِ شبابٍ مضى
أنقض ظهري وِزْرُهُ ، وانقضى[٦٧]
ودّعتُ جهلي فيه ، لا عن قِلىً
وبِعتُه بالحِلم ، لا عن رِضا[٦٨]

---

(٦٣) المرمض : الموجع .
(٦٤) النّوال : العطاء .
(٦٥) بَزّه : سلبه ما يملك .
(٦٦) أضا : أضاءَ ، قصره للقافية .
(٦٧) شرخ الشباب : أوّله . أنقض : أثقل . الوِزر : الحمل الثقيل .
(٦٨) القلى : البغض ، والهجر .

واعتضتُ عنه الشَّيبَ ، فاعجَبْ لِما
بَزَّنِيَ الدّهرُ ، وماعَوَّضا[69]

كأنّني صاحبتُ ذا سَلَّةٍ
أسَرَّ ما كنتُ به أعرضا[70]

جُزتُ الثّلاثين ، وخلّفته
كأنّه كان خِضاباً نَضَا[71]

يا مَنْ رأى ليلاً على مَفْرِقي
ما خِلْتُه أظلمَ حتّى أضا[72]

ما طَلَّ صبحُ الشّيب فَوْدِي به
وليس بعدَ المَطْلِ إلا القضا[73]

ثمَّ استردَّ الدَّهرُ منّي الّذي
أعار ، واسترجع ما أقرضا

كأنّما سوَّدَ بيضَ المُنَى
عندي بِما من لِمّتي بَيَّضا[74]

أخلِقْ بدَيْن العُمر أنْ ينقضي
وَهْوَ بأنفاس المُنَى يُقتَضى

---

(٦٩) بَزَّني : سلبني .

(٧٠) السَّلَّة : السرقة ، يقال : « الخَلَّة تدعو الى السَّلّه » أي الفقر أو الاحتياج يدعو إلى السرقة . أعرض : صدّ وولّى .

(٧١) أنظر (ح ٥٣) .

(٧٢) المفرِق ، من الرأس حيث يفرق الشعر . خِلته : ظننته . أضا : اضاء : قصره للقافية .

(٧٣) ما طَلَّ : أجل موعد الوفاء بالشيء مرّةً بعد مرّة . الفَوْد : جانب الرأس مما يلي الأذن ، و ـ الشعر النابت فوقه . وهما فَوْدان . القضا : القضاء ، قصره للقافية .

(٧٤) اللمة : (ح ٥٤) .

ومُغـــــرَمٍ بالبِيض مُسْتَهْتَــرٍ
أصبـح من وَفْـر الصِّبا مُنْفِضـا[٧٥]

كان أخـــا يُســرٍ ، ولكنّــــه
أفلس لمّــا ردَّ ما اســـــتقرضا

لم تَثْنِ عنـه البِيضُ : بِيضُ الطُّلَى ،
حتّى رأيـن الشَّـعَرَ الأبيضـا[٧٦]

قـد كنّ يُمْسِكنَ بعهـد الهـوى
منـــه ، فأقنى الشَّيبُ أن ينقُضا[٧٧]

رَفَضْنَـــهُ أنْ قيل : ذو شـــيبةٍ ،
وحُـقَّ للشّائب أن يُرْفَضـــا[٧٨]

فاليومَ .. لا يطمَعُ في وصـــلِ مَنْ
أحبَّـــهُ منهُنَّ ، أو أبغضـــــا

كأنّمـــا عايَنَّ مـــن شـــيبِهِ
سـيفاً على مَفْرِقـه أومضـــا[٧٩]

كأنّـــه في جِنْـحِ ليـلِ الصِّبـــا
نَشْرُ (نِظامِ الحَضْرَتَيْنِ الرِّضَا)[٨٠]

---

(٧٥) مستهتَر بالبيض الحسناوات : مفتون بهن . الوفر : التام من كل شـيء . المنفض : الذي فني زاده ، يريد : زال شبابه التام .
(٧٦) لم تَثْن عنه : لم تنصرف عنه . الطُّلى : الأعناق .
(٧٧) قنى ، وأقنى : حفظ حياءَه ولزمه ، ويقال : قناني الحياءُ أن أفعل كذا ، أي: ردّني ووعظني ، وهو يقنيني . ونقض العهد : نكثه وإبطاله .
(٧٨) أن قيل : أي لأن قيل .
(٧٩) المفرق : (ح ٧٢) . أومض : لمع .
(٨٠) جنح الليل : ظلامه واختلاطه . النشر : الريح الطيبة .

مبتســـــماً ، والمـــــــالُ مستعبِرْ

يَبني العلى منـــــه الّذي قَوَّضا[81]

كأنّمـــــا يدعوه داعي النَّــــــدَى :

إلى اكتساب الحَسَنات انْهَضَـــــــا

فمـــــا ترى أســـرَعَ منــــه إلى

أُكرومـــــةٍ يُوشِـــكُ أنْ تَعْرِضـــا

لا يَعْلَـــــقُ الذَّمُّ بأثوابـــــــــه

إنْ حاســـدٌ يومـــاً بـــه عَرَّضـــــا

وإنّمـــــا الحمـــــدُ لِبـــاسُ الفتى

إذا لِبـاسَ البُخلِ عنــه نَضَـــا[82]

لو قِيـلَ : مَنْ أصـدقُ هذا الورى ؟

مـــا اختلفوا فيمن لــه قَرَّضـــــا[83]

ذو الشّـــرف العـادِيِّ ، والمُجْتَبَى

من (هاشـم) ، والحَكَمُ المُنْتَضَى[84]

ومَنْ إذا سُـــوجِلَ في سُــــؤدَدٍ

دعـــا الفَخـارَ الأطولَ الأعرضـــا .

إنْ ذكَـرَ النّـاسُ بُيوتَ العـــلى

والمجـــدِ في الغـــابرِ أو ما مضى ،[85]

---

(81) مستعبر : جاري الدموع . قوض : هدم .

(82) نضاه : نزعه وألقاه .

(83) قَرَّضَ ، وقَرَّظ : مدح .

(84) العاديّ : القديم ، كأنّه منسوب الى « عادٍ » قوم « هُود » . المجتبى : المختار . هاشـــم : (ص١٢/ح٤٧) . الحكم : من يختـار للفصل بين المتنـــازعين . المنتضَى : المسلول ، شبهه بالسيف في أحكامه الفاصلة .

(85) الغابر : الحاضر ، وهو من الأضداد يقال للباقي وللماضي .

فبيتُ (ذي الفَخْرَيْنِ) ، لم تَعْدُهُ
نِقابةٌ ، أو إمْرَةٌ ، أو قضا[86]

بيتٌ .. تولّى اللهُ إعلاءَهُ ،
ما يرفَعِ اللهُ فلن يُخفَضا

إذا خبا منه شِهابٌ ، بدا
في أُفْقِه بدرٌ ، فضاءَ الفَضا[87]

أُنظُرْ ، وقد ضعضع أركانَهُ
فَقْدُ (طِرادٍ) ، مَنْ له قُيِّضا[88]

قُيِّض مَنْ تَطْوي حَشاها العِدا
منه على واهجِ جمرِ الغَضى[89]

مَنْ خلّفَ (الكاملُ) منه شَجاً
في حَلْقِ مَنْ حاولها مُجْرِضا[90]

حتّى لقد أبغضها بعدَهُ
مَنْ لم يَزَلْ فيها له مُبغِضا[91]

كان بها منتظِراً يومَهُ
فالآنَ مُذْ غَمَّضَ ، ما أغمضا[92]

---

(86) قضا : قضاء ، قصره للقافية .

(87) الفضا : الفضاء ، قصره للقافية .

(88) قُيِّض له : قُدِّر له وهُيِّء .

(89) حشاها : في الأصل « حشاه » . الغضى : (ح ٤٦) .

(90) الشجا : ما اعترض ونشب في الحلق من عظم أو نحوه . مجرضا : صفة لـ « شجا » اسم فاعل ، من أجرضه بريقه ، أي أغَصَّه به .

(91) أبغضها : أبغض نقابة الطالبيين ببغداد .

(92) غمّض : نام . وأغمض في السِلعة : استحطَّ من ثمنها . يريد أن الطامع في هذه النقابة كف عن حطّه منها .

كيف ، وهــذا الليلُ من دُونِهــا
مُنتَجَعٌ ، والصِّلُّ قـد نَضْنَضا ؟ (٩٣)

كـادَ الهـدى بالغَيِّ ، لولا (الرِّضَـا)
والحــقُّ ، بالبـاطل أَنْ يُدْحَضـا(٩٤)

قلّـدَهـا كُفْـأً .. فمِن ناظـرٍ
أقـرَّهُ ، أو كَبِـدٍ أرمضـا(٩٥)

أللهُ أدرى ، يـا (بني هاشـم) ،
بمَنْ إليـه أمـرَكم فَوَّضـا(٩٦)

نِقـابةٌ .. خَصَّ بها اللهُ مَـنْ
تَخيَّـرَ المجـدَ لهـا وارتضَى

مَـدَّ (عليٌّ) نَحْوَها أبْحُـراً
مِـن راحتَيْـه بالنَّـدَى فُيَّضـا(٩٧)

فنـالَها عفواً ، ومُـدّت لهـا
أَيْـدٍ ، فشاءَ الله أنْ تُقبَضـا

لمّـا امتطى غارِبَهـا صعبـةً
ذَلَّـلَ منها جامحـاً رُيِّضـا(٩٨)

أجـرى إلى غـاياتِ آبائِـهِ
يركُضُ حتّى لم يجـِد مَرْكَضا(٩٩)

---

(٩٣) منتجع : مقصود ، الأصل « منتجعاً » . نضنض لسانه : حركه .
(٩٤) يُدْحَض : يُزْلَق ، اراد يبطل .
(٩٥) أرمض : أوجع ، وأحرق .
(٩٦) هاشم : (ص١٢/ح٤٧) .
(٩٧) فُيَّض : جمع فائض ، صفة لـ « أَبْحُر » .
(٩٨) الغارب : أعلى كل شيء ، وغارب البعير سنامه . الجامح : الذي يركب هواه فلا يمكن ردّه .
(٩٩) المركض : موضع الرَّكض .

فَلْتَعْرِفُوا السَّبْقَ لأربابــــه
وَلْتَحْمَــدُوا الله على مــا قضــى

فقــد صفــا شِــربكُمْ ، وانجــلى
عنــه القَذَى من بعــدِ ما غَرَّضا[١٠٠]

وقــامَ فيــكم عَلَــمٌ ، نُــورُه
في الشّــرق والغرب بــه يُستضا[١٠١]

كالغَيْثِ في معروفــه والنَّــدَى ،
والليثِ في جُــرأته والمَضــا[١٠٢]

لا يَصْــرِفُ الإحســانَ عن محســن ،
ولا يُــرَى عن زلّــة مُغْمِضــا

سُنّةُ أســلافٍ ، يرى حفظَهــا
من كلّ فــرض واجب أفرضــا .

إيــهِ ، (أبا القاســم) ، قــد أعتبت
بك الليــالي عاتبــاً مُرْمَضــا[١٠٣]

أصبحتُ عمّــا كــان من زلّــة
عنــدي لهــا من أجلكم مُعْرِضــا .

---

(١٠٠) الشرب ، بكسر الشين : الماء يشرب ، و ــ مورد الماء . القذى : ما يقع في الماء والعين من تراب أو نحوه . غرّض : ملأ ، يقال : فلان بحرٌ لا يُغرَّض : أي لا ينزح . ــ الأصل : « عرضا » بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(١٠١) يستضا : يستضاء ، قصره للقافية .

(١٠٢) المضا : المضاء ، الحدّة وسرعة القطع ، قصره للقافيه .

(١٠٣) إيهِ : بالبناء على الكسر اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمــل معهود . أعتبت : أرضتْ بعد عتاب . مرمَض ، بفتح الميم الثانية : موجَع .

يا مُنهِضـاً بالشّـكر في حـاله
مـا زال لي في مثلهـا مُنْهِضـا

كَفَفتَ عنّي صَـرْفيَ دهـرٍ ، رمى
نَحْري ، ومـا أسـمعني مَنْبِضا[104]

إذْ ناصـري ، إن لم يـكن قـاتلي
عمـداً ، فقد حَضَّ وقـد حرّضا

عَوّضَنيك اللهُ لمّـا اشـتكت
حـالي ، فعافاهـا كمـا أمرضا .

فـدُمْ على عهـدك لي ، لا أُبَـلْ
ما جَلَبَ الدّهرُ وجَرَّ القضـا[106]

واجْتَلِهـا بِكـراً ، تخيّرتُ من
مستحسَن اللفظ لهـا مِعرَضا[107]

وابْـقَ بحمـدٍ ، تقتضـي صَفْوَهُ
فالشّـكر للنّعمـة بالمقْتَضَـى

*

وأنشدني أيضاً من قصيدة له في (شرف الدّين أبي القاسم بن طِراد)[108] :

---

(١٠٤) صرف الدهر : حدثانه . النحر : أعلى صدر . المَنْبِض : ما يسمع منه همسات المتحرك أو يُجَسُّ فيه حركاته وضرباته .

(١٠٥) حضّ : الأصل « خصّ » .

(١٠٦) لا أُبَلْ : لا أبالي ، وفي تعليل حذف الألف والياء منه كلام كثير ، أنظرهُ ــ إذا شئت ــ في مادة (ب/ل/١) في لسان العرب وتاج العروس . القضا : القضاء ، قصره للقافية .

(١٠٧) المِعْرَض ، بكسر الميم : الثوب تجلى فيه الفتاة .

(١٠٨) أنظر (٢٠٩/١/ح٢) .

أَشاقَكَ رَسْمُ الدّارِ ، أَقْوَتْ عُهودُها

ورَثٌّ على لُبْسِ الزَّمانِ جديدُها ؟[109]

تَبَيَّنُ أَشْـــباهَ المُحِبِّينَ آيُهـــا

ويَسْنَحُ أشباهَ الأَحِبَّةِ غِيـدُها[110]

أَجَلْ ، هاجَ لي عِرفانُها واهِجَ الْجَوَى

بِـ (ليلى) ، وعادَ العينَ بالدَّمعِ عِيدُها[111]

فأذكيت بالأنفـاس نارَ سَمُومِهـــا ،

ودَيَّمَ طَرْفي ، فاســتهلّ يجودُها[112]

فنَصَتْ بها وحشيّةٌ ، زانَ خَلْقَهـــا

ـوإن لم تَكُنْها ـطَرْفُ (ليلى)وجِيدُها[113]

فأرسلتُها عمـــداً ، وقلتُ لصاحبي :

أتُشبِهُ (ليلى) هـــذه ، أم أصِيدُها ؟

وهبتــك من (ليلى) ، و (ليلايَ) بالحِمى

بنفسي سَحِيقُ الدّارِ عنّي بعيدُها ![114]

إذا كَفَّ من غَرْبِ الهوى طولُ عهـدِهِ ،

فبي لوعةٌ .. كَرُّ الليـــالي يَزِيدُها[115]

---

(١٠٩) اقوت الدار : خلت . رثّ : بلي ، الأصل « رثت » ، ب : على الصحة .

(١١٠) تبيَّن : تَتَبَيَّنُ ، حذف منه تاءَ المضارع تخفيفاً ، وهو قياسي . آيهـا : علاماتها ، الواحدة آية . يسنح : يعرض ويمرَ . الغِيد : النساء المتثنّيات في لين ونعومة .

(١١١) الجوى : الوجد ، وهو الحزن ، و ـ الحبّ . العيد : ما يعود من هم او مرض أو شوق أو نحوه .

(١١٢) أذكيت : أوقدت . السَّموم ، بفتح السين : الريح الحارَة . دَيَّمت السماء تديما : دام مطرها . الطرف : العين . استهل : اشتدّ انصبابه .

(١١٣) الجيد : العنق ، و ـ مقدَّمه ، و ـ موضع القلادة .

(١١٤) سحيق : بعيد أشدّ البعد .

(١١٥) غرب الهوى : حِدَّته .

أرى مـــاءَ عيني مســتحيلاً جُمُودُهُ
فلِمْ نــارُ قلبي مستحيلٌ خُمودُهــا ؟(*)

لكِ اللهُ من نفسٍ ، أباح لهــا الصَّــدَى
مواردَ شَــتّى ، والعَفافُ يذودُها[116]

عداهـــا الحَيــا ، فاشتفَّ مــاءَ حيائهـــا
بقـــاياه ، حتّى جفَّ للمَحْل عودُها[117]

تُسائلني محزونــةً عن حظوظهـــــا ،
فقلتُ : (نِظامُ الحَضْرَتَيْن) يُعيــدُها

لعلَّ (الرِّضَا) يُعْــدِي الزَّمانَ وفاؤه
فتصـــدُق للأيّــام قبــلُ وُعودُها(*)

⁂

[و] من قصيدة فيه ، وكتب بها إليه من « الحِلّة السَّيْفيّة»[118] في شهور سنة سبع(**) وتسعين [وأربع مئة] :

آهٍ لبــــرقٍ لَمَعَـــا ! مـــاذا بقلبي صَنَعَـــا ؟
خادَعَــه عـــن ســـرّه بالشّــوق حتّــى انخدعـــا
أيقـــظ منّــي للغَــــرا م مُستهاماً موجَعـــــا[119]

(*) جموده : الأصل « جمودها » .
(116) الصدى : العطش .
(117) عداها الحيا : تجاوزها المطر . اشتفّ ما في الإناء : تقصّاه .
(*) فتصدق للأيام : في الأصل « فيصدق لليام » .
(118) الحلة في ٢/٥٢ .
(**) الأصل : « سبعة » .
(119) المستهام : المشغوف حبّاً .

فبِتُّ من إيماضه | أسكُبُ دمعي دُفَعا
لا أرأمُ اليومَ، ولا | أمهَدُ جنبي مضجعا[120]
كأنّني أَطْوِي على | مثلِ سَناه الأضلُعا.
يا برقُ، إمّا تَرَيَنّـ... | ـي للصَّنيع موضعا،
فحَيِّ عنّي أربُعاً، | أكرِمْ بهِنَّ أربُعا!
كنتُ بها والإلْف، حتّـ | ـى انصدع الشَّمْلُ معا
فالآن.. لا علمَ لها: | مَنْ خانَ منّا، ورعى
من حفِظ العهدَ الّذي | كان بها، أو ضَيَّعا
وإن بَخِلْتَ بالحَيا، | فروِّهِنّ أدمُعا[121]
من ناظر.. أقسمَ مِن | بعدِ النَّوَى: لاهَجَعا
كبَّرَ مُذْ فارقَها | على الرُّقاد أَرْبَعا[122]
كان عَصِيّاً دمعُه | فاليومَ عادَ طَيِّعا
لو يستطيع، لَسَقى | ماءَ الشُّؤونِ أجمعا[123]
تلك الرُّبا، وذلك الْـ | ـمُصْطافَ والمُرْتَبَعا
مَصارع العُشّاق فيـ | ـها مَصْرَعاً فمَصْرَعا
لولا الأسى، نُحْتُ، فأَخْـ | ـرَسْتُ الحَمامَ السُّجَّعا
كم كَبِدٍ قَطّعها | بَيْنُ الحبيبِ قِطَعا[124]
وكم ديارٍ بالنَّوَى | أضحت خَلاءً بَلْقَعا[125]
أحبابَنا.. عَلّي أرى | شَمْلي بكم مجتمِعا

---

(120) ارام: اعطف. امهد: ابسط واوطّىء.
(121) الحيا: المطر.
(122) كبّر اربعا: اي اربع تكبيرات، وهي الصلاة على الميت.
(123) الشؤون: مجاري الدموع، و ـ الدموع.
(124) بين الحبيب: فراقه وبُعده
(125) النوى: البعد. البلقع: القفر.

ما كـان أَوْحَى ذا التَّنـــا ئي بينَنـا وأســـرعا ![126]

ليتَ الفِـراقَ لـم يـكن يـومَ دعـا فأسـمعا

بـل ، ليتَني صَمَمْتُ عـن حادِي المَطِيِّ مِسْمَعا[127]

مَنْ ذا .. إلى الدّهـر وَشَى بي وبـكم ؟ ومَنْ سـعى ؟

أمْ مَـنْ علينـا بالّذي نلقى من الشّـوق دعـا ؟

مـا لِغُرابِ بَيْنِـكم لا طـارَ إلا وَقَعـا ؟

قـد كنتُ مـن تَنْعـابه بشَتِّ شـملي جَزِعـا[128]

ما فعـل الصّبرُ الّـذي كنتُ لـه مُدَّرِعـا ؟

أخـانَ فيمن خـانَ ، أم وَدَّعَ فيمـن وَدَّعـا ؟

لم يُبـقِ في قوس الْجَـوى شـوقي إليكم مِنْزَعـا[129]

حَمَّلَ وَجْـدِي جلَـدي أكثرَ ممّـا وَسِـعا[130]

لو أنّ قلبي مـن صَفَـا ةٍ صَلْدَةٍ ، لانصـدعا[131]

لا نَهْنَهَتْ بعـدَكم الـ ـذِّكْرَى لدمعي مَدْمَعا[132]

ولا خـلا مـن حبِّـكم قلبي ولـو تقَطَّعـا

كيـلا أرى فيـه سِـوَى هواكُـمُ مسـتودَعا

---

(١٢٦) أوحى : أسرع .

(١٢٧) المطي : كل ما يمتطى مطاه ، أي يركب ظهره ، وهي هنا الإبل . المسمع ، بكسر الميم : الأذن .

(١٢٨) شَتّ الشمل : تفريقه .

(١٢٩) الجوى : (ح ١١١) . المنزع ، بكسر الميم : السهم البعيد المرمى ، وبالفتح : المكان الذي ينزع منه ، ونزع في القوس : مَدّها .

(١٣٠) الجلَد : القوة ، و ــ الصبر على المكروه .

(١٣١) الصفاة : الحجر العريض الأملس ، جمعها صَفًا . صلدة : صلْبة شديدة .

(١٣٢) نهنهت : كفّت .

كيف النشـــزوعُ عنـــكمُ ؟ يا بُعْـــدَ ذاك مَنْزَعا ![133]
أصبحتُ في دِين الوفـــا ءِ (للرّضـا) مُتَّبِعـــا
كــأنّني أرعـــى مـــن الـ ـعهـــد لـكم مـــا لا رعى

⁂

ووجدت في مجموع (أبي المعالي الحَظِيريّ [134]) من شعره ، قوله :

كُفّي عن العَـــذْل كُفّي خلّفتُ رُشـــدِيَ خلفي
من بَعـــدِ حجّي ونُســـكي عـاودتُ لهوي وقَصْفي[135]
فحجّتِ الـــكأسُ ثَغْـــرِي على مَطِيّـــة كَفّي[136]
وافتْ .. يطوفُ ويســـعى بهـــا غـــلامٌ كخَشْفِ[137]
مُهَفْهَفُ القَـــدّ ، يَثْنِي عِطْـفَيْ دلالٍ وظَرْفِ[138]
مورّدُ الخـــدّ ، صَلْتُ الـ ـجَبِين ، ساجي الطّرْفِ[139]
يُعِـــلّ باللحظِ واللفـ ـظ عاشـــقيه ويَشفِي
بوَفْـــرَةٍ .. تتهـــادَى ما بـــينَ رِدفٍ كحِقْفِ[140]
وطُـــرّةٍ ، حـــين قُصّتْ على الجَبِـــين كصَفّ !.[141]

---

(١٣٣) نزع عنه : كفّ وانتهى .
(١٣٤) ترجمته في ج٤/م١/ص ٢٨ - ١٠٦ .
(١٣٥) النُسك: التزهّد والتعبُّد. القَصف: اللهو واللعب والافتنان بالطعام والشراب، و - الجلبة والإعلان باللهو .
(١٣٦) المطية : (ح ١٢٧) .
(١٣٧) الخشف ، مثلث الخاء وساكن الشين : ولد الظبية أول ما يولد ، ويطلق على الذكر والأنثى .
(١٣٨) المهفهف : الضامر البطن ، الدقيق الخَصْر . العِطف ، بكسر العين : جانب الإنسان من لدن رأسه الى وَرِكه .
(١٣٩) جبين صَلْت : واضح في سعة وبريق . ساج : فاتر ساكن .
(١٤٠) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما جاوز شحمة الأذن ، جمعهـــا وِفار . الردف : العَجُز . الحِقف : ما استطال واعوجّ من الرمـــل ، أراد النتوء والبروز .
(١٤١) الطُرّة : ما تَطُرُّه - تقُصّه - المرأة من الشعر الموفي على جبهتها وتصفّفه،

يا كاتبَ الحسنِ فيهـــا أمـــا غَلِطتَ بحـــرف ؟!
بُــدِّلتُ من قطعيَ البيـ ـــدَ قِطعـةً تحتَ سقفِ[١٤٢]
ومــن سُـرَى الليل ضَمّيـ ـــه بيـنَ فُـــرشٍ ولُحفِ
ومن جَنَى الشّـيحِ وَرْداً لـه بخدَّيْـــهِ قطفي[١٤٣]
ومــن لُغـــام المطــايا رُضـابَهُ عنـدَ رَشْفي[١٤٤]
ومن وُرودِ الرَّكايـــا ورودَ صَهْبـــاءَ صِرْفِ[١٤٥]
ومــن نشـيد الحُـداةِ اصْـ ـطِفـــاقَ ناي ٍ ودُفّ[١٤٦]
والدَّهرُ يُكْدِر عيشَ الـ ـفتى زمانـــاً ويُصفي
هاتِ اســقنيها ، ودَعْني يلـــومُني كـــلُّ جِلْفِ
إن كنتُ تبْتُ ، فــإنّي مــن توبتي مســـتعفي
ليَهْــنَ (إبليسَ) أنّـي صبوتُ من بَعـدِ عَزْفِ[١٤٧]
وعُـــدتُ أُثني عليـــه من بعــد سَـــبٍّ وقَذْفِ
لَقِيتُـــهُ ثَمِـلاً ، وَهْـ ـــوَ حاســرٌ مُتَحَفّي[١٤٨]

---

(١٤٢) البيد : الفَلَوات .

(١٤٣) الشِّيح : نبت سُهْلي ، رائحته طيبة قوية ، ترعاه الماشية ، وهو كثير الأنواع .

(١٤٤) اللغام : زَبَد أفواه الإبل . المطايا : (ح١٢٧) . الرُضاب : الريق ، أو الريق المرشوف ــ أي الممصوص بالشفتين .

(١٤٥) الرَّكايا : الآبار التي لم تُطْوَ ، أي لم تُبْنَ بالحجارة . الواحدة رَكِيّة . الصهباء : الخمر . الصِرف ، بكسر الصاد : الخالصة ، لم تمزج بالماء .

(١٤٦) اصطفاق العود : تحرّك أوتاره ، الأصل « اتفاق » ، وليس بشيء . النّاي : من آلات الترنيم ، وهو قصب المزمار . فارسي معرب ، عربيه زَمْخَر . أصله بالفارسية « ناي نرمين » أو « ناي نرم » ، ثم عرب في الشعر القديم وكثر استعماله في كلامهم ، وورد في شعر الأعشى ، ومنهم من أبدل ياءه «همزة» ، كابن المعتز في قوله :

أين التورّع من قلب يهيم الى ساقٍ بهيج وحسن العود والنائي

(١٤٧) ليَهْنَ : ليَهْنَأْ ، حذفت همزته ، يقال : هَنَأَه يَهْنئه إذا سَرَّه ، وهنِىء بالشيء يَهْنَأُ : إذا فرح به . صبوت : ملت الى اللهو . العَزْف عن الشيء ، كالعزوف ، الانصراف عنه والزهد فيه .

(١٤٨) الثمل : السكران .

فقام يَمْسَحُ بالمَرْخ ، للتَّبَرُّك ، عُرْفي•[149]
لَئِنْ وقَفَتْ شبابي على مُجونٍ وسُخف ،[150]
وعُدْتُ إذْ عُدتُ لِلَّهْو من (حُنَيْن) بِخُفٍّ ،[151]
فليس في كَرَم اللّه بينَنا من خُلْفِ
غَنيتِ ، يا قُوَّةَ اللّه ، عن عقوبة ضعفي •

**

وأورد (السَّمعاني)[152] له هذه القصيدةَ في « المُذَيَّل » ، وهو ممّا قاله في ابتداء عمره بِـ « الحجاز » ، سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة • رواه عن (أبي المُعَمَّر الأنصاريّ)[153] ، عنه :

ذكَرَ الأحبابَ والوَطَنا والصِّبا والإلْفَ والسَّكَنا[154]
فبكى شَجْواً وحقّ له مُدْنَفٌ بالشّوق حِلفُ ضَنَى[155]
أبعدتْ مَرْمىً يدٌ •• رَجَمت من (خُراسانٍ) به (اليَمَنا)[156]

---

(١٤٩) المَرْخ : مصدر مرخ جسده إذا دهنه بالمَرُوخ ، وهو ما يدهن به البدن من دهن وغيره . العُرف : أراد به رأسه ، مستعار من العرف شعر عنق الفرس.

(١٥٠) المجون : قلة الحياء ، و ـ خلط الجدّ بالهزل .

(١٥١) حُنَيْن : إسكاف من أهل « الحِيرة » ، ساومه أعرابي بخفّين ، فلم يشترِ ، فغاظه ، وعلّق أحد الخفين في طريقه ، وتقدم ، وطرح الآخر ، وكمن له ، وجاء الأعرابي فرأى الأول ، فقال : ما أشبهه بخفّ « حُنَين » ! ولو كان معه آخر لاشتريته ، فتقدم ورأى الخفّ الثاني مطروحا ، في الطريق، فعقل بعيره ، ورجع الى الأوّل ، فذهب «حنين» ببعيره !وجاء الأعرابي الى الحي بخُفَّيْ حُنَيْن، فذهب مثلا . يضرب فيمن يردّ عن حاجته وينصرف خائباً .

(١٥٢) السمعاني ، (ص٣٧/ح٦) .

(١٥٣) أبو المعمر : (ص٣٩/ح١١) .

(١٥٤) القصيدة ، دوّنها الإمام ابن الجوزي أيضاً في المنتظم (١٠/١٧ـ١٨) .

(١٥٥) الشجو : الهم والحزن. المدنف: المريض الذي لزمه المرض الشديد واشفى على الموت . الضّنى : المرض أو الهزال الشديد .

(١٥٦) في المنتظم : « أبعدت مرمى به طرحت .. » ، وفي حاشيته : « طرحت : في الأصل فرحت » . والصحيح ما في « الخريدة » . والرجم : الرمي بالحجارة . خراسان : (٢٩٦/١ح٢) .

خَلَسَتْ مـــن بين أضلُعِــه ... بالنَّوَى قلبـاً له ضَمِنا[157]
مَــنْ لمشــتاقٍ •• تُمَيِّلُه ... ذاتُ سجعٍ مَيَّلَتْ فَنَنا[158]
كلّمــا هـــاج الهَدِيلُ لهــا ... طَرَباً ، هــاجت له شَجَنا[159]
لكِ ، يا وَرْقاءُ ، أُسْوَةُ مَنْ ... لم تُذيقي طَرْفَه الوَسَنا[160]
بكِ أُنســـي مثلُ أُنسِكِ بي ... فتَعــالَيْ نُبْدِ ما كَمَنَــا
نتشاكى مــا نُجِنُّ • فـــإنْ ... نُحتُ شَجْواً،صِحتِ :واحَزَنا![161]
غـــيرَ أنّي منــكِ أغدَرُ إنْ ... عاد سِـــرّي في الهوى عَلَنا[*]
أنــا ، لا أنتِ ، البعيــدُ هوىً ... أنا ، لا أنتِ ، الغريبُ هُنــــا
أنــا فردٌ ، يا حمــامُ ، وهــا ... أنتِ والإِلْفُ القَـــرينُ ثُنَى
إسرَحا رَأْدَ النّهــار ضُحىً ... واسكُنا جُنْحَ الدُّجَى غُصُنا[162]
وابكِيا ، يا جارَتَيَّ ، لِمــــا ... لعِبت أيـــدي الفِــراق بنــا
واعلَما أن قد مَلَلْتُ وأَمْـ ... ـلَلْتُ من تَطوافيَ المُدُنــا
كم ترى أشـــكو البِعاد ، وكم ... أندُبُ الأطلالَ والدِّمَنا[163]
ذُبتُ ، حتّى لو أخــو رَمَدٍ ... ضَمَّنِي جَفناه ، ما فَطِنَــــا
لو رآني حاســـــدٌ ، لبَـكى ... رحمــةً لي ، أو عليَّ حَنَــــا

---

(157) ضمِن : مصاب بعلّة .

(158) الفنن : الغصن .

(159) هذا البيت ، لم يرد في « المنتظم » ، هاجَ : الأصل « أهاج » . الهديل : صوت الحمام ، و ـ ذكر الحمام الوحشيّ . الشجن : الحَزَن .

(160) الورقاء : الحمامة . الأسوة : القدوة . الوسن : النعاس .

(*) أغدر : لعلّه أقدر .

(161) نجنّ : نخفي . الشجو : الهم والحزن .

(162) رأد النهار : انبساط شمسه وارتفاعه . ضحى : في المنتظم « معاً » . الجنح، من الليل : طائفة منه ، و ـ ظلامه واختلاطه .

(163) الأطلال : الشواخص من آثار الديار ، واحدها طَلَل . الدِّمَن : آثار الناس وما سوّدوا ، و ـ آثار الديار ، واحدها دِمنة . وفي المنتظم « الزمنــا » في موضع « الدمنا » .

لي عـيـنٌ ، دمعُهـا دِرَرٌ ،	خُلِقت أجفانُهـا مُزُنـا[١٦٤]
وحَشـاً .. أنفاسُـه شَرَرٌ	مُحْرِقاتٌ مَنْ إليَّ دنـا
أيـن قلبي ؟ ما صنَعت بـه ؟	لا أرى صدري له وَطَنـا
مـا جَنَى جسمي ، فعاقَبَهُ ؟	إنّمـا طَرْفي عليـه جَنَى
كان يومَ النَّفْر وَهْوَ معي ،	فأبى أن يصحَبَ البَـدَنا[١٦٥]
أَبِـهِ حادي الرِّفاق حـدا؟	أم له داعي الفِراق عَنَا ؟[١٦٦]
أم أصـاب البَيْنُ ما ظهَرَ الـ	يومَ من شَمْلي وما بَطَنـا ؟[١٦٧]
ليتَ أَنّي قد صَمَمْتُ ، فـلم	أُصغِ للدّاعي بـه أُذُنـا
إن عنـاني بالمسـير ، فعـن	سـير قلبي من حشاي كَنَى[١٦٨]
راح بي نِضْواً ، وخلَّفَـه	بالهوى ، في الحَيّ ، مُرْتَهنا[١٦٩]
خَلَسَتْهُ ، لا أبَرَّ بهـا ،	عينُ رِئم «الخَيْف» حين رنا[١٧٠]
ضَمَّنا رميُ الجِمـار ، فمـا	راح حتّى رُحتُ ممتَحنا[١٧١]

(١٦٤) درر : كثير سائل ، يقال : درّ اللبن ، والدمع ، والعَرَق ، والبول ، ودرّت السماء بالمطر : صبّته كثيراً ، والدِرر جمع الدِّرّة ، بكسر الدال فيهما . المزن : السحب ، والأمطار .

(١٦٥) النَّفْر : من « المنتظم » ، الأصل « النفس » ، ولا وجه له . وهو يومان : يوم النفر الأول : وهو اليوم الثاني من أيام التشريق ، ينفر فيه الحاجُ من « مِنَى» الى « مكة » ، ويوم النفر الآخر وهو اليوم الثالث من أيام التشريق . وأيام التشريق ثلاثة بعد يوم النحر .

(١٦٦) عنا له : خضع وذل .

(١٦٧) البين : الفراق والبعد .

(١٦٨) كنى عن الشيء يكنى كناية : تكلم بما يستدلّ به عليه ولم يصرّح .

(١٦٩) النِّضْو : المهزول ، وفلان نضو سفر : مُجْهَد من السفر . مرتهن : مقيَّد .

(١٧٠) لا أبَرَّ بها : في المنتظم « لا أبرئها » ، وفي حاشيته : « في الأصل : لا أثر بها » . الرئم : الظبي الخالص البياض ، و ــ ولده . الخَيْف : خيف مكة ، وهو موضع قريب منها عند « مِنَى » ، وفيه المسجد المشهور الذي يقـال له « مسجد الخيف » . وتعرف بهذا الاسم مواضع اخرى في بلاد العرب . رنا : أدام النظر في سكون طرف .

(١٧١) رَمْيُ الجمار : من مناسك الحج ، ويقال له التجمير ، والجمار : الحَصَيات التي ترمى بها الجَمَرات الثلاث بِمِنَى .

بينَمــــا نَقضي مَنَاسِكَنَا إذْ لَقِينا دُونَهـا الفِتَنـــا
رُفِعت سُجفُ القِبابِ ، فلا الْ فَرْضَ أَدَّيْنا ولا السُّنَنا[172]
سَـفَرَت تلك الوجوهُ ، فأعـ شَيْنَ بالأنوار أعيُنَنـــا[173]
ثمّ صِينت بالأكُفّ ، سِـوَى مُقَلٍ ••تَسْتَخْوِنُ الأُمَنا[174]
رشَـقتنا عن حواجبهــــــا بسِهامٍ •• تُنْفِذُ الجُنَنا[175]
فاحتسـبنا الأجرَ في نظــر آدَ بالأوزار أَظْهُـــرَنا[176]
كم أخي نُسْكٍ وذي وَرَعٍ جـاء يبغي الحجَّ ، فافتتنـــا
أَنصفونا ، يا (بني حَسَن)[177] ليس هـذا منكُمُ حَسَـنا
لِمْ أحلّتْ مُحْرِمـــاتُكُمُ بالعيُون النُّجْل أنفُسَنا؟[178]
قد سَمَحْنا بالقلوب لـــكم ليس نبغي منكُمُ ثَمَنـــا
فاعقِرُوهـــا باللِحـاظ ، إذا شِئتُمُ أن تَعقِرُوا البُدْنا[179]
لم يُجِـرْنا منكُمُ « حَرَمٌ » مَنْ أتاه خائفـــاً أَمِنـــا[180]

---

(١٧٢) السجف ، بضم السين والجيم : الستور ، واحدها سِجاف . وسكن الجيم للوزن .

(١٧٣) أعشاه : جعله أعشى ، أي مصاباً بضعف البصر .

(١٧٤) تستخون : تنسب الأمين إلى الخيانة . الأمنا : الأمناء ، قصره للقافية .

(١٧٥) تنفذ : تخرق . يقال : « رميته فانفذته » أي جعلت السهم أو الرمح ينفذ فيه . الأصل « تنفد » بالدال ، وهو تصحيف . الجُنَن : جمع « جُنّة » بضم الجيم ، وهي كل ما وقى من سلاح وغيره .

(١٧٦) احتسبنا الأجر على الله : ادّخرناه . آدَ الشيء حامله : اثقله واجهده ، أو حناه من ثقله . الأوزار : الأحمال الثقال ، واحدها وِزْر بكسر الواو .

(١٧٧) في المنتظم : « أنصفوا يا موحشين لنا » .

(١٧٨) لِمْ : لِمَ الاستفهامية . في الأصل « ألم » . المُحْرِمات : الداخلات في الحرم ، حرم مكة ، و ــ الداخلات في الشهر الحرام ، و ــ الحاجات ، و ــ المعتمرات . العيون النُّجل : الواسعات ، الواحدة نجلاء .

(١٧٩) العقر : الذَّبْح . البُدُن والبُدْن : النياق أو البقر ، تنحر بمكة قرباناً ، قال تعالى : « والبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله » ، الواحدة بَدَنَة .

(١٨٠) الحرم : حرم مكة ، وهو يلمح إلى قوله تعالى « في ٩٧ آل عمران » : (فيه آيات بيّنات ، مقام إبراهيم . ومن دخله كان آمناً) .

دُونَ هـــذا ما بِنـا رَمَق ٌ   حَسْبُكُمْ ما شَفَّنا وعَنَا[181]

أَنصِفونا ، أو فسابِغْ عَـــدْ   لِ (مُعــينِ الدِّين) يشمَلُنا

ملِـكٌ ، حاز العلى ، وأَذَلَّـ   ـ العِدا ، واستعبد الزَّمَنــا

***

وروى عن (الخَضِر بن ثَرْوانَ[182] الفارِقيّ)[183] ، عنه :

كلُّ غُصْنٍ ، مــالَ جانبُـهُ   فكأنَّ الغُصْنَ ســكرانُ

في غَديرٍ مــن مُقَبَّلِـهِ   ومن الصُّدْغَيْنِ بُســتانُ

***

وأُنشِدتُ له بـ « أصفهانَ »[184] :

إنّي رأيتُ الدَّهرَ في صَرْفه   يمنَحُ حظَّ العاقلِ الجـاهلا

وما أُراني نائــلاً ثَروةً   كأنّـه يحسَبُني عاقــلا

***

(١٨١) الرَّمَق : بقية الروح . شَفَّنا : أضمرنا وأرَقَّنا من الحب والهم . عنا : أهَمَّ ، يقال : عنا الأمر فلاناً : أهمه ، وعنا الأمر بـه : نـزل ، وعنـا عليـه الأمر : شَقّ .

(١٨٢) ثروان : في الأصل « بروان » ، وفي بغيةالوعاة ٢٤١ : « شروان » ، والصحيح ما اثبتّ من أصول ترجمته .

(١٨٣) هو الخضر بن ثروان بن احمد بن أبي عبدالله التَغلبي التُوماثِيّ ، أبو العباس، الجَزَري ، الفارقي ، النحوي ، الضرير . أصله من توماثى ـ قرية قرب « برقعيد » من بقعاء الموصل ـ . ولد سنة ٥.٥ هـ بـ « جزيرة ابن عمر » ، ونشأ بـ « مَيّا فارِقين » . عالم بالنحو ، مقرىء ، أديب ، حسن الشعر ، كثير المحفوظ . أخذ علمه من ابن الجواليقي وابن الشجري وأبي الحسن الأبنوسي ببغداد . قالوا : كان يحفظ « المجمل في اللغة » لابن فارس ، وشعر الهذليين ، وشعر رؤبة ، وشعر ذي الرُمَّة ، وغيرهم . لقيـه السَّمعاني ببغداد ، ثم بنيسابور ومَرْوَ وسرخس غير مرة في سنة ٥٤٤ هـ ، وكتبعنه شيئاً من أشعاره كمافي معجم البلدان ، وبغية الوعاة ، وإنباه الرّواة، وغيرها. وله ترجمة في قسم شعراء الشام من هذا الكتاب ٤٦٦/٢ .

(١٨٤) أصفهان المقدمة ، و ١٤/١ .

(١٨٥) في حاشية الأصل : « هذان البيتان ذكرهما المؤلف للبارد أبي تمام الدباس البغدادي قبلُ [ج٢ ص ٣٣١] ، وذكرهما ها هنا لهذا الشاعر ، فيعلم ».

وقرأت له بخطّ السيّد (أبي الرِّضَا الرّاونديّ)[186] في مجموعه :

« انشدني (البارع أبو عبدالله) لنفسه :

ألا ، هل إلى صفو من العيش ساعةٌ
سبيلٌ ؟ وأنّى ذاك للرّجل الحُرِّ ؟
يَتيهُ عليَّ الدّهرُ أنّيَ فاضلٌ ،
ولو كنت ذا جهل لَتِهْتُ على الدَّهرِ[187]
فيا ليته يدري بقدري فيَرْعَوِي
عن القصد لي، أو ليتَني كنتُ لا أدري ».[188]

***

وقال :

« في مجموع (أبي المعالي)[189] ، قوله :

لَنِعْمَ ذُخْرُ الفتى صنائعُهُ
تبقى ، ويَفنَى اللُّجَيْنُ والذَّهَبُ[190]
بأيّ يومٍ أُثني عليك؟ وأيّـ
ـامُك في المال كلُّها شُهُبُ
وأنت من معشَرٍ .. إذا قَدَرُوا
أَبْقَوْا ، كأنّ انتقامَهم أدَبُ » .

---

(١٨٦) الراونديّ : نسبة الى « راوَنْدَ » وتطلق على قرية من قرى « قاسان » ـ بالسين المهملة ـ بنواحي « اصبهان » ، وعلى ناحية ظاهر « نيسابور » ، وعلى مدينة قديمة بنواحي «الموصل» ذكرها أبو تمام في «ديوان الحماسة» في باب المراثي ـ كما في وفيات الأعيان في ترجمة احمد بن يحيى الراوندي ٢٧/١ ، ومعجم البلدان (راوند) .

(١٨٧) يتيه : يتكبر .

(١٨٨) يرعوي : يكفّ ويرتدع .

(١٨٩) هو سعد بن علي الوراق الكتبي الحظيري ، ترجمته وأمثلة من شعره ونثره في م١/ج٤/ص ٢٨ ـ ١٠٦ من هذا الكتاب .

(١٩٠) الصنائع : جمع الصنيعة ، وهي كل ما عُمِل من خير أو إحسان . اللجين : الفضة .

مَلِكُ النُّحاة أبو نزار الحسن بن أبي الحسن [1]

من أهل « بغدادَ »[2] .

النَّحْوِيُّ .

أحد الفضلاء المبرِّزين ، بل واحدُهم فضلاً ، وماجِدُهم نُبلاً ، وكبيرُهم قدراً ، ورَحِيبُهم صدراً .

قد غَلَبت عليه سِمَةُ : (مَلِكِ النُّحاة)[3] ، وشهدت بفضله أَلْسُنُ خُلاَّنِه والعُداة .

---

(١) له ترجمة في : طبقات الشافعية للسبكي ٦٣/٧ ، وطبقات الشافعية للأسنوي ٤٩٦/٢ ، ووفيات الأعيان ١٣٤/١ ، ومعجم الأدباء ١٢٢/٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١٦٦/٤ ، وإنباه الرواة ٣٠٥/١ ، وبغية الوعاة ٢٢٠ ، وشذرات الذهب ٢٢٧/٤ ، والنجوم الزاهرة ٦٨/٦ ، والعبر للذهبي ٢٠٤/٤ ، ومرآة الجنان ٣٨٦/٣ ، والبداية والنهاية ٢٧٢/١٢ ، وروضات الجنات ٢٢١ ، وتاريخ ابي الفداء ٥٤/٣ ، ومرآة الجنان ٣٨٦/٣ ، ومختصر تاريخ ابن الدبيثي ٢٨١/١ ، ومرآة الزمان ٢٩٥/٨ ، وعقد الجمان ج١٦ الورقة ٥٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٢٣/٤ ، ومختار ذيل السمعاني لابن منظور ، الورقة ١٨٤ ، والحلل السندسية في الأخبار التونسية ١٠٣ ، وكشف الظنون ٦٢٤ ، ٦٢٨ ، ٨١٥ ، ١١٧٠ ، ١٨٤٩ ، ١٧٨٧ ، وتلخيص ابن مكتوم ٥٦ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٣٠٢/١ ، ومسالك الأبصار ج٤م٢/٣١٦ ، واشارة التعيين ١٤ ، وتاريخ ابن النجار – خ .

اسم ابيه صافي بن عبدالله بن نزار بن ابي الحسن ، وكان « صافي » مولى الحسين الأَرْمَوِيّ التاجر ، قالوا : وكان « الحسن » لا يذكر اسم أبيه إلا بكنيته ، لئلا يعرف أنه مولى .

(٢) ولد الحسن ببغداد سنة تسع وثمانين واربع مئة ، في الجانب الغربي ، بشارع دار الرقيق ، ثم انتقل إلى الجانب الشرقيّ الى جوار حرم الخلافة العباسية ، وهناك قرأ العلم وتخرّج . سمع الحديث من الشريف أبي طالب الزينبي ، وقرأ الفقه على أحمد الأُشْنُهِيّ ، وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان صاحب الوجيز والوسيط في أصول الفقه ، وأصول الدين على أبي عبدالله القيروانيّ ، والخلاف على أسعد الميهنيّ المدرس بـ « النِّظامية » ، والنحو على الفصيحي تلميذ عبدالقاهر الجرجاني . وفتح له الجامع ، ودرس فيه .

(٣) هكذا كان يلقب نفسه ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك . ومن طريف ما يحكى عنه أنه كان يستخفّ بالعلماء ، فكان إذا ذكر واحد منهم ، قال : كلب من الكلاب ! فقال له رجل : أنت إذنْ لست « ملك النحاة » ، بل ملك الكلاب !! فاستشاط غضباً ، وقال : أَخرجوا عني هذا الفضولي .

سَمْحُ البَدِيهة ، في المقاصد النَّبيهة . عزيز النَّفْس . كثير الأُبِيّة[٤] ، عن المطالع الدَّنِيّة ، بالمطالب النَّزيهة ، والمراتب الوجيهة .

ولقد كانت نُحاتة نَحيتَتِه[٥] للنُّحاة بِضاعةً وافية ، وبراعةُ يَرَاعتِه للكُفاة كافية .

يأخُذ القلم فيمشُقُ الطِّرسَ في عرضه نظماً يُعجِز ، ونثراً يُعجب ، ونُكَتاً ترقص ، و [نُتَفاً]★ تُطرب .

طوَّف بلاد العجم[٦] ، ولقيَ كُرَماءَ « كَرْمان »[٧] . ووصل في سنة اثنتين وأربعين [وخمس مئة] إلى « أصفهان » . وسافر إلى « دِمَشْق » ، وأقام إلى آخر عمره في رعاية (نورالدِّين محمود[٨] بن زنكي) ، رحمه الله .

---

(٤) الأُبِيّة : الكِبْر والعظمة ، وفي إنباه الرواة — وقد نقل نص « الخريدة » : « الأنَفَة » في موضع الأُبِية .

(٥) النُّحاتة : ما نحت من الخشب ، وهي البراية . والنَّحيتة : المنحوتة ، ونحيتة الإنسان : طبيعته واصله. أراد المؤلف خلاصة محصوله . والعبارة في « إنباه الرواة » : « ولقد كانت نجابته للنحاة بضاعة وافية .. » !

(★) الزيادة من إنباه الرواة.

(٦) خرج من « بغداد » بعد العشرين والخمس مئة ، وسكن « واسطاً » مدة ، وأخذ عنه جماعة من أهلها أدباً كثيراً ، ووصفوه واثنوا عليه بالفضل والمعرفة مع خُرْق فيه — وهو واضح في أقواله واشعاره ورسائله . وسافر من « واسط » إلى « شيراز » و « كَرْمان » و « غَزْنة » . ثم قصد « الموصل » . ثم « الشام » وقدم « دمشق » ، ثم خرج منها لعلّة سأذكرها ، ثم عاد إليها واستوطنها الى أن مات . قال البَلَطِيّ : « كان ملك النحاة قدم الى « الشام » فهجاه ثلاثة من الشعراء : ابن منير ، والقَيْسَراني ، والشريف الواسطي ، واستخفّ به ابن الصُّوفي ولم يوفه قدر مدحه ، فعاد إلى « الموصل » ومدح جمال الدين [ترجمته في ٣٠١/١ من هذا الكتاب] ، وجماعةً من رؤسائها وقضاتها . فلمّا نبتْ به « الموصل » ، قيل له : لو رجعت إلى « الشام » ، فقال : لا أرجع إلى « الشام » الا أن يموت ابن الصوفيّ وابن منير والقيسرانيّ والشريف الواسطي . فقُتِل الشريف الواسطي ، ومات ابن منير والقيسرانيّ في مدّة سنة ، ومات ابن الصوفيّ بعدهم بأشهر » .

(٧) كرمان : (٤٢/٢) من هذا الكتاب .

(٨) انظر (ص ٤٧/ح١٠) .

وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأعمال ، يحكم على أهل التّمييز بحكم مُلكِه فيُقبَلُ ، ولا يُستثقَلُ[٩] .

يقول : هل (سيبويه)[١٠] إلا من رعيّتي وحاشيتي ، ولو عاش (ابنُ جنّي)[١١] لم يَسَعْهُ إلا حمل غاشيتي[١٢] !

مُرُّ الشَّتيمة ، حلو الشّيمة[١٣] .

يضمّ يده من الذّهب على المِئة والمِئتين ، ويُمسي[١٤] وهو منهما صِفْرُ اليدَيْن .

مُولَع باستعمال الحلاوات السُّكَّريّة وإهدائها لجيرانه[١٥] وإخوانه ، مغرَم مُغْرًى[١٦] بإحسانه إلى خُلْصانه وخُلّانه[١٧] .

***

---

(٩) في معجم الأدباء ، ونصه منقول من هذا الكتاب : « فيُقيل ولا يستقال » ، وفي بغية الوعاة ، وقد عزا مؤلفه السيوطي النص الى ياقوت توهما : « .. بحكم علمه فيقبل ولا يستقال » . وفي إنباه الرواة : « فيقبل ولا يستثقل » .

(١٠) سيبويه : (ص ١٧/ح٤) .

(١١) ابن جنّي : أبو الفتح عثمان بن جنّي « بتشديد النون وتخفيف الياء » : إمام من ائمة اللغة الكبار . ولد في أواخر الربع الأول من المئة الرابعة الهجرية ، في « الموصل » من أبٍ رومي كان عبداً مملوكاً لوزير صاحب الموصل ، وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ عن نحو خمسة وستين عاما . بلغت مؤلفاته زهاء خمسين كتاباً ، اشتملت على المبتكر والممتع الطريف في فلسفة اللغة والنحو،في الأصول والفروع . ترجمته في وفيات الأعيان ٣١٣/١ ومعجم الأدباء ٨١/١٢ ، وتاريخ بغداد ٣١١/١١ ، وإنباه الرواة ٣٣٥/٢ ، ونزهة الألباء ٢٤٤ ، وبغية الوعاة ٣٢٢ ، ويتيمة الدهر ٨٩/١ ،ودمية القصر ٢٩٧ ، وشذرات الذهب٣/١٤٠ ، ومقدمة كتابه الخصائص ، ومقدمة « تفسير ارجوزة أبي نواس » وغيرها .

(١٢) الغاشية : السؤال الذين يغشونك ، يرجون فضلك ومعروفك .

(١٣) الأصل : « مرُّ الشيمة ، حلو الشتيمة » وكذا في « إنباه الرواة » ، وفي معجم الأدباء : « مر الشتيمة ، حلو الشيمة » ، وصحح ناشره الشتيمة بالشكيمة ، ولا وجه لِما صنع ، والصواب ما أثبتّه .

(١٤) في معجم الأدباء : « ويمشي » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف ظاهر .

(١٥) في معجم الأدباء : « الى جيرانه » ، وفي إنباه الرواة : « لجيرانه » كنص الخريدة، والعرب تقول : أهدى له ، وإليه .

(١٦) مُغْرًى : مولع .

(١٧) الخلصان ، بضم الخاء : الخالص من الأصدقاء ، يستوي فيه الواحد والجمع. الخُلان ، بضم الخاء : جمع الخليل ، وهو الصديق الخالص ، و ـ الناصح .

تُوُفِّي بـ « دِمَشْقَ » ، سنة ثمانٍ وستينَ وخمس مِئَة[١٨] . وقد ناهز الثّمانين ، ولقِي العَرانِينَ[١٩] ، وجرّب الغَثّ والسَّمين[٢٠] .

***

أدركتُه[٢١] ، وقد وصلتْ إليه خِلعة[٢٢] مصريّة وجائزة سَنِيّة[٢٣] . فأخرج القميص الدَّبِيقي[٢٤] إلى السّوق ، فبلغ دونَ عشرة دنانيرَ ، فقال :

قولوا : « هذا قميص ملِك كبير ، أهداه إلى ملك كبير » ، ليعرِف النّاس قدره ، فيُحِلّوا عليه البِدَرَ على البِدار[٢٤] ، وليُجِلّوا قدره في الأقدار!» ثمّ قال : « أنا أحقّ به ، إذا جهِلوا حقّه ، وتنكّبُوا[٢٥] سُبُلَ الواجب وطُرُقه ! » .

***

(١٨) كانت وفاته يوم الثلاثاء ثامن شوال ، ودفن يوم الأربعاء تاسعه بمقبرة « الباب الصغير » .

(١٩) العرانين : الرؤساء .

(٢٠) قال علي بن عساكر الحافظ : « وكان صحيح الاعتقاد ، كريم النفس » ، وذكر عنه اسماء مصنفاته في النحو والتصريف والقراءات العشر والشواذ والعروض والفقه وأصول الفقه وأصول الدين . وله كتاب « التذكرة السفرية » بلغ أربع مئة كراسة ، و « المسائل العشر المتبعات إلى الحشر » ، وهي عشر مسائل استشكلها في العربية ، أوردها السيوطي في « الأشباه والنظائر(٣/١٧١-١٩٨) ولعبدالله بن بَرّي النحوي اللغوي ، جواب « المسائل العشر » هذه . و « ديوان شعره » ، و « كتاب المقامات » حذا حذو الحريريّ ، وكان يقول : « مقاماتي جدّ وصدق ، ومقامات الحريري هزل وكذب » !

(٢١) ب : « أدركه » ، وفي إنباه الرواة ، ومعجم الأدباء : « أذكره » .

(٢٢) اسم من : خلعت عليه ثوباً ، ألبسته إيّاه . ولا يزال متداولاً في كلام البغداديين .

(٢٣) رفيعة القدر .

(٢٣) نسبة الى « دَبِيق » : بليدة ، كانت بين « الفَرَما » و « تِنّيس » من أعمال « مصر » ، وكانت هي و « تِنّيس » و « تونة » مشهورات بالنسيج الفاخر . وسيرد ذكرها في (ج٤/م١/٢٣٤ ، ٣٢٥) .

(٢٤) فيحلّوا : الأصل « فتحلوا » . البِدَر : جمع بَدْرة ، وهي كيس فيه مقدار من النقود ، يتعامل به ، ويقدم في العطايا ، ويختلف مقدار النقود فيه باختلاف العهود . البدار : الإسراع .

(٢٥) تنكّبوا : تجنّبوا .

وله معي مخاطَبات ، ومعاتَبات ، ومكاتَبات .

فإنّني كنتُ « متوليَ ديوان الانشاء » بـ « الشّام » ، وقد اعتمد عليّ (نورالدّين)(٢٦) في خاصّ أسراره والعامّ ، وكنت أوفّيه حقّ الاحترام، وأتوسّل إليه في إصابة سهام آرائه الى مَرامي المَرام .

سمعت [من] الأمير (أبي الفوارس بن الصّيفيّ)(٢٧) الشّاعر ، بـ « بغداد»: أنّه و (ملك النّحاة) كانا يتردّدان في صِباهما إلى (الفصيحيِّ النّحويِّ)(٢٨) ، ويستفيدان منه .

ولقد كان علامــة في النّحو ، والنّظم ، والنّثر ، وعلم الفِقه ، ومعرفــة العَرُوض ، والشّعر .

شافعيّ المذهب . قرأ على (أسعد)(٢٩) .



---

(٢٦) أنظر (ص ٤٧/ح١٠) .

(٢٧) ترجمته في (١/٢٠٢–٣٦٦) من هذا الكتاب .

(٢٨) هو أبو الحسن علي بن أبي زيد محمد بن علي الإسْتَراباذي النحويّ . من أهل « إسْتَراباذ » بليدة من أعمال « مازندران » بين « سارية » و « جرجان » . قرأ النحو على عبدالقاهر الجرجاني ، وبرع فيه ، وأولع بالعربية ، وسمي «الفصيحي» لكثرة دراسته «كتاب الفصيح» لثعلب. وقدم «بغداد» واستوطنها، ودرس النحو بـ « المدرسة النظامية » مدة . وتوفي في ثالث عشر ذي الحجة سنة ٥١٦ هـ ببغداد . وكان يكتب خطاً في غاية الصحة ، وكتب كثيراً من كتب الأدب . قال الوزير القفطي : « رأيت بخطه « شرح الحماسة » للبياري، وهو في غاية الجودة والصحة» . وترجمته في : « وفيات الأعيان١/٣٤٤ ، ومعجم الأدباء ١٥/٦٦–٧٥ ، وبغية الوعاة ٣٥١ ، وإنباه الرواة ٢/٣٠٦ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٢/١٨٧ ، وتلخيص ابن مكتوم ١٥٢ ، وإشارة التعيين ، الورقة ٣٥ .

(٢٩) هو أبو الفتح أسعد بن محمد بن أبي نصر الميهنيّ ، نقيــه شافعي ، اشتهر بالبراعة في علم الخلاف ، ودرس بـ « المدرسة النظامية » بـ « بغداد » ، وتوفي بهمذان سنة ٥٢٧هـ وقيل : ٥٢٣هـ . قدمت ترجمته ومصادرها في (٢/٣٣٣) .

فممّا كتبه إليَّ ، وقد عمِل قصيدةً وكلّفني عرضها على (نورالدّ ِين) :

« دَعْوها تَنُشْ إسْحِلاً بِـ « العَقِيـ
ـقِ » غَضّاً وهُنّ عِطاشٌ صَوادِ [30]

أيانِـق يُورَدْنَ مـاء « النُّقَيـ
ـبِ » من كلّ ِ حاضرِ ركبٍ وبـادِ [31]

تنـاقلن أنبـاءَ غَضّ ِ الثّنـا
ءِ ، يُنْشَـرُ في كـلّ حَفْل ونـادِ

ثنـاءً .. نخُصُّ بـه ناصعـاً
خَصائِصَ مجـدِ العزيز « العِمادِ » :

فتىً .. كُلَّما اشتقتُ يوماً إليـ
ـهِ ، راسلتُ منهم رشيدَ السَّدادِ [32]

إليـك بَعثتُ وقـد صُغْتُهـا
قـوافٍ معبّرةً عـن وداد [ي [33]]

---

(٣٠) تنش : تنوش ، جزم لوقوعه جواباً للطلب ، أي تتناول وتأخذ ، الإسحِل : شجر يستاك بعيدانه،يشبه الأثل ، ينبت في السهول في منابت الأراك. العَقيق: كل مسيل شقه ماء السيل ، وموضع بالمدينة المنوّرة ،وقد رأيته مراراً لا تحصى في رحلاتي الخمس إلى الحجاز ، وباليمامة ، وبالطائف ، وبتهـامة ، وبنجد ، وستة مواضع أخر ، وتفصيل الـكلام عليها في « معجم البلـدان » « ومعجم ما استعجم » . الغضّ : الطريّ. الأصل«غضى » ، وهو يخلّ بالمعنى وبالوزن. الصوادي : الشديدات العطش .

(٣١) أيانق : جمع أيْنُق . وأينق : جمع ناقة ، وهي الأنثى من الإبل . النُّقَيب ، بالتصغير : موضع بين « تَبُوك » و « مَعَان » على طريق حاجّ « الشام » . وبالفتح : شِعب من « أَجَأ » في « نجد » ، ذكره حاتم الطائي في شعره ، قال:

وسـالَ الأعـالي من « نَقيب » و « ثرمـد » ،
وبلّغْ أُناساً أن « وَقْران » سـائل

(٣٢) السَّداد ، بالفتح : الاستقامة والقصد ، و ـ الصّواب من القول والعمل .

(٣٣) قوافٍ : حقها « قوافيَ » بفتح الياء . الياء في « ودادي » : زيادة مني لاقتضـاء السياق لها .

فنُبْ عن أخٍ عالم ، لو سما
لِـ (قُسّ) لأخجلَه في (إياد)[٣٤]

ولا تُهْمِلَنَّ ، فيأتي العِتا
بُ رائِحُه في الورى مثلُ غادِ

ألا ، وابقَ ، واترُكْ لأجفانِ مَنْ
يُعاند في النّاس شوكَ القَتاد[٣٥]

قد نفّذت ، في طيّ هذه الرِّسالة ، ملطّفاً ، فيه أبيات كافيّة ، لم أرَ أهلاً لأن ينوبَ عنّي فيها غيرُه • فإن رأى أن يَعرِضَها على المولى (نورالدِّين)، أنعَمَ ، وإن لم يتفق ، فليحفَظْها عندَه ليُعيدها ، فهي أعزُّ عندي من أنْ لا أسألَ عنها » •

**

والقصيدة الكافيّة ، عرضتُها • وهي :

دَعِ الغَضَى لنَهْجِه المسلوكِ وعَدِّ عن طريقه المشكوكِ[٣٦]
وقِفْ دُوَيْنَ « عالِجٍ » وبانِه وفازَةٍ منضودةِ الأرِيكِ[٣٧]

نادِ ، وقد أصغت إماءُ « عامر » :
هل من قِرىً لطارقٍ موعوكِ ؟[٣٨]

---

(٣٤) قس بن ساعدة الإيادي ، خطيب العرب المشهور : تقدم في (٩/١) .
(٣٥) القَتاد : شجر صلب ، له شوك كالإبر ، وفي المثل : « من دونه خَرْطُ القَتاد » يضرب للشيء لا ينال إلا بمشقّة عظيمة .
(٣٦) الغضى : (ص ٦٤/ح٤٦) .
(٣٧) عالج : رملة بالبادية ، وهي لا تعرف اليوم بهذا الاسم على ما في « صحيح الأخبار » (١٢٣/١ و ٤٦/٢) . البان : شجر سبط القوام ليّن،له هدب كهدب الأثل ، وثمرته تشبه قرون اللوبياء ، يشبه الشعراء المرأة الهيفاء به ، فيقولون كأنها بانة ، أو غصن بان . الفازة : مظلّة من نسيج أو غيره تمد على عمود أو عمودين ، جمعها : فازٌ . الأريك : جمع الأريكة ، وهي المقعد المُنَجّد .
(٣٨) القِرى : ما يقدم إلى الضيف من الطعام . الطارق : الآتي ليلاً . الموعوك : المحموم ، و ــ الموجَع .

هدتــه بعـدَ هَدْأةٍ لاحبــةْ
كالثّوب ثــوبِ التّــاجرِ المَحُوكِ [٣٩]

يا لَلعشـرَيْب ، أنصتُوا لراجـز جَلّ عن المُنْتَحَل الرّكيكِ [٤٠]
سَمَتْ بـه ناجيــةٌ مِرقالـةٌ تشكو انتهـاكَ قَتَبٍ مفكوكِ [٤١]
خُـذوا الثّنـاءَ سائغاً عن يَقُظٍ مهــذّبٍ مُفَوّهِ الألُوكِ [٤٢]
سَـمَتْ قوافيه ، فجاءت تهتـدي إلى عـــلاءِ ملــكِ الملوكِ

سَـمَتْ بـ (نُورالدّين) ذي الملك ، فهـا
ألفاظُهـــا كـالذّهَب المسبـوكِ

إليك ، يا رَبّ العلى ، بعثتُهـا بنـاتَ فكـرٍ مُتعَبٍ معروكِ [٤٣]
جـاءتك بالحقّ اليقـين ، فسـمت يا ملكَ الأرض ، عـن الشُّكوكِ
تسمَعُ مَنْ يقول في الحَفْل لهـا : أعربتِ عن فَرْطِ نُهَى أبيك [٤٤]
تبكي عُيونُ حاسديها إن بـدا لهم سَنَا مَبْسِمها الضَّحُوكِ
ليس لهـا في فنّهـا مماثلٌ سُبحانَ مَنْ جَلّ عن الشّريك
فاحْظَ بها ، وابْقَ كـذا مُمَلّكاً ألا ، وجُدْ بنـائلٍ وَشيكِ [٤٥]
حاشـاك أن تنسى حقوقاً سَلَفت إليـك عن وليّك المليـكِ
ألا ، فسارِعْ ، وابْقَ يا رَبّ العلى ، وسـم دم الأعـداء بالمسفوكِ (*)

---

(٣٩) الهدأة : سكون الناس في الليل بعد ذهاب طائفة منه . وطريق لاحبة : واضحة بيّنة .

(٤٠) المنتحَلُ : ما يدعيه الانسان لنفسه وهو لغيره ، يقال : انتحل فلان هذا الشعر، وهذا الرأي .

(٤١) الناجية : الناقة السريعة . المرقال : السريعة ، يقال : جمل مرقال ، وناقـة مرقال . القتب : الرحل الصغير على قدر سنام البعير .

(٤٢) سائغاً : في الأصل « شائع » ، وفي ب : « شائعاً » ، وأرى صوابه « سائغاً » . رجل يقظ ، بضم القاف وكسرها : ذكي فطن نبيه ، جمعه : أيقاظ . الألوك : الرسالة ، كالألوكة . الأصل « الاكوك » .

(٤٣) معروك : مُحَنّك ومؤدب ، و ـ من عركته الحرب ، أي دارت عليه .

(٤٤) الفرط : الزيادة .

(٤٥) نائل وشيك : عطاء سريع . (*) كذا الشطر الثاني ، ولم اتبين وجه معناه .

وكتب في آخرها :

« والله ، إنّي قد اشتقتُ الى الخدمة ، والشّيخوخةُ وقربُ الثّمانين أعجزاني عن الحركة » .

***

وعاقت عوائقُ وأعذارٌ لِـ (نورالدّين) عن عرض كافيّته عليه ، فكتب إليَّ :

يا (عِمادَالدّين) يا مَنْ هو بالنَّظم يُدِلّ[46]
ما لَكَ استرسلتَ في إهـ ـمالِ فضلٍ لا يُمَلّ ؟
فأتى الاذكار فصلاً ناصعاً يتلوه فصلُ
فتيقّظْ ، وتجنّبْ جاهداً ما لا يَحِلّ
وابْقَ ما رَنَّحَ غصنُ الْـ ـبانِ ، أو رَنَّحَ أثْلُ[47]

***

وكتب :

قل لِـ (عمادِ الدّين) : يا كاتباً أنهضتُ منه غيرَ نَهّاضِ ،
ومَنْ إذا قابلتُهُ مُسْفِراً ، قابَلَ إسفاري بإعراضِ :[48]
أهملتَ كافيّةَ شعري ، فخُذْ عتبي ، فانّي غيرُ ما راضِ .

***

ولاحَ لي وقتُ عرضِها ، وانتهاز الفُرصة في إنجاز غَرَضِها ، فأعلمته بذلك ، فكتب إليَّ مكتوباً ، على عنوانه :

إلى (عِمادالدِّين) وجّهتُها إلى الفقيه الكاتب الشّاعرِ
فَلْيَتَبَتَّلْ للّذي رُمْتُهُ يَحْظَ بوُدّ العالم الشّاكرِ[49]

---

(٤٦) أدل عليه بصحبته : اجترأ .

(٤٧) رنح : تمايل . البان : (ح٣٧) . الأثل : شجر طويل مستقيم يُعَمِّر ، جيّد الخشب ، كثير الأغصان متعقّدها ، دقيق الورق طويله ، واحدته أَثْلَة .

(٤٨) الإسفار : الوضوح والانكشاف .

(٤٩) التبتل : الانقطاع ، و ـ التفرغ لشيء ما .

وفي « المكتوب » :

قل لِـ (عِمادالدّين) : يا شاعراً — أوزانه في الشّعر مَوْمُوقَهْ[٥٠]
ومَنْ قَوافيـه وألفاظُـه — مصبوحـةٌ بالحُسن مغبوقَهْ[٥١]
لا تتأفّفْ ، واسْتَبِقْ ، عادةُ الـ — مُلوكِ تعلو رُتَبَ السُّوقَهْ[٥٢]

وفيه ، بعدَ نثرٍ :

فاقبَلْ وَصايا مِلِكٍ عالمٍ — حقوقُهُ واجبةٌ فرضُ
واشرَحْ لِماكُلِّفْتَ صدراً،وعِشْ — ياذا النُّهَى ما دامتِ الأرضُ !

وفيه :

فنُبْ ، لك الخيرُ ، عن العالم الـ — شّاعر والموسوم بالمَلْكِ
وناف أعدائي ، ولا تنخرطْ ، — ياذا العلى ، عن ذلك السِّلْكِ[٥٣]

إعتقدَ أنّ جماعة منعوني من عرض قصيدته .

***

وكتب إليّ أيضاً :

يا ابْنَ صِنْوِ (العـزيز) ، لا تتكلّفْ
وأرِحني من خجلةِ التّرديدِ[٥٤]

---

(٥٠) مومو قة : محبوبة .

(٥١) صبحه صَبْحاً : سقاه الصَّبُوح ، وهو ما يشرب في الصباح . وغَبَقَهُ : سقاه الغَبُوق ، وهو ما يشرب في المساء ، وهما هنا على وجه الاستعارة .

(٥٢) استبقْ : سابق . السُّوقة : الرعية ، و ــ أوساط الناس ، تطلق على الواحد وغيره ، فيقال : هو سوقة ، وهم سُوقة ، جمعها سُوَق ، بضم ففتح . والبيت في الأصل : « لا تتأفف واسبق ما عادت الملوك تعلو رتب السوقة » .

(٥٣) نافِ : عارِضْ وبايِنْ .

(٥٤) الصِّنو : الأخ الشقيق . العزيز : عزيزالدين ، أبو نصر ، أحمد بن حامد الأصبهاني ، عم العماد الكاتب . ذكرته في (١/٧) ، وفي مقدمة الجزء الأول (ص ١١) .

أَمْضِ ، أو فارْدُدِ القصيـــدةَ إن أُعْــ
ــجِزتَ عن عرضهـــا على ذي الجودِ
صُنْ كـــلامي عن ابتـــذالٍ الى زَيْــ
ــدٍ وعَمْرٍو ، واصدَعْ فؤادَ الحسودِ
فَهْيَ حقّـــاً كافيّــةٌ جزلــةُ الألْــ
ــفاظ ، [لا] تحتفِلْ بشعرِ (لَبِيدِ) ![55]
لو رآها (أُخَيْطِلِ) الشّعرِ ، خَلّى الْـ
ــكُفْرَ ، شوقاً إلى جِنانِ الخُلودِ ![56]
و (جَرِيرٌ) لو أُسْمِعَتْهُ أتاهـــا
خاضعـــاً خاشـــعاً على التّـــأبيدِ[57]

---

(٥٥) لا : زيادة مني ، لإقامة الوزن والمعنى . لبيد (٢/١٨٨/ح١) .

(٥٦) أخيطل الشعر : هو الأخطل ، غيَـــاث بن غوث التغلبي ، أحـــد الشـــعراء الثلاثة المتفق على أنهم اشعر أهل عصرهم : جرير ، والفرزدق ، والأخطل. نشأ على المسيحية ، في أطراف « الحيرة »بالعراق ، واتصل بالأمويين فكان شاعرهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق ، فتناقل الناس أشعارهم . وكان يقيم حيناً في « دمشق » مقرّ الخلفاء الأمويين ، وحيناً في « الجزيرة » حيث يقيم قومـــه التغلبيون ، وتوفي سنة ٩٠هـ . وأخباره مع الخلفاء والشعراء كثيرة . له ديوان طبع ببيروت ، وترجمتـــه في الأغاني ٨/٢٨٠ وخزانـــة الأدب للبغدادي ١/٢١٩ ، والشعر والشعراء ١٨٩ ، وشرح شواهد المغني ٤٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١/٥١٥ ، وغيرها ، ولبعض أدباء العصر رسائل في سيرته وشعره .

(٥٧) جَرِير بن عطية اليربوعي التميمي ابو حزرة : أشعر أهل عصره . ولد باليمامة بنواحي مدينة «الرياض » الحالية سنة ٢٨هـ ، وتوفي فيها سنة ١١٠هـ . عاش عمره كله يناضل شعراء عصره ، وكان هجاءً مراً ، فلم يثبت له غير اثنـــين : الفرزدق والأخطل . وهو من أغزل شعراء عصره وأعفّهم . وأخباره مع الخلفاء والأمراء والشعراء كثيرة . وقد جُمعتْ « نقائضه مع الفرزدق » في ثلاثةأجزاء، وهي مطبوعة ، وديوان شعره جزءان ، وقد طبع . وترجمته في : الأغاني ١/٨ ، والشعر والشعراء ١٧٩ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١/٣٦ ، وطبقات ابن سلام ٩٦ ، ووفيات الأعيان ١/١٠٢ ، وشرح مقامات الحريري للشريشي ٢/٢٤٩ . ولخليل مردم بك كتاب « جرير » ، ولجميل سلطان « جرير : قصـــة حياته ودراسة أشعاره » .

فاحترِمْهـا ، واسـلَمْ عزيزاً كريمـاً
ودَعِ الحاسـدينَ للتّفنيـدِ[58]

**

وعرضتُ قصيدتهُ بعـدَ ذلك ، وحصل مقصوده ، فكتب إليَّ أبيـاتاً ، ومنها « رُقعة » إلى (نُورالدّين) ــ فيها :

قولوا لِ (نورالدّين) : يا مالكـاً إنعامُـه نامٍ إلى النّـاسِ
لا تَنْسَني يـاذا العلى والنُّهَى حاشـاك أنْ تُوسَمَ بالنّاسي
أوحشـني الدّهرُ وأبنـاؤه فاجبُرْ،لك الخيرُ ، بإيناسـ[ي][59]

و « الرّقعةُ » ، أوّلُها :

« شكرتُ اهتمـام فُلان وسـعيَهُ ، واعتذرت إليه بالتّصديع والتّثقيل . ولكنّ بيتَه وفضلَه ، يَحُثّانـه على احترامِ الفضل ، وليس كغيره . وقد أثّرتْ فيَّ الشّيخوخة والكِبَر . ولولا ذلك ، لقصدتُ خدمته .

وقد قال الأوّل[60] :

ومـا بَقِي فيَّ لمُسْـتَمْتَعٍ غـيرُ لساني ، وبحسـبي لسـانْ »

**

(58) التفنيد : اللوم ، وتخطئة الرأي ، وتضعيفه .

(59) زيادة الياء منّي .

(60) هو عوف بن مُحلّم الخُزاعي ، بالولاء ، أبو المنهال : احـد العلماء الأدباء والرواة الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء . أصله من « حرّان » ، من مواليبني أميّة، أو بني شيبان . انتقل الى « العراق » ، وضمه طاهر بن الحسين إليه لمنادمته، وبقي معه ثلاثين سنة لا يفارقه ، فلما مات طاهر قربه ابنه عبدالله،وأنزله منزلته من أبيه ، وأفضل عليه ، حتى كثر ماله . واستمر في صحبته إلى أن كبر وتجاوز الثمانين ، وحنّ إلى أهله ، ففارق عبدالله ، وكر راجعاً الى « حرّان » وأمر له عبدالله بثلاثين ألف درهم ، فقال فيه عوف القصيدة التي منها هذا البيت ، الذي ورد في رقعة صاحب الترجمة ، والبيت المشهور :

إن الثمانين ــ وبلّغتَها ــ قد أحوجت سمعي الى ترجمان

ومات في طريقه (نحو ٢٢٠هـ) . وترجمته وأمثلة من شعره في معجم الأدبـاء ١٣٩/١٦ ، ومعاهد التنصيص ٣٧٥/١ ، وفوات الوفيات ٢٣٣/٢ ، وسمط اللآلي ١٩٨ ، والأزمنة والأمكنـة ٢٥٨/٢ ، وروى له ابو الفرج في « الأغاني » (٥/١١) بيتين قالهما في عبدالله بن طاهر في علة اعتلّها ، ومعجم البلـدان (الشاذياخ) و (الميان) .

والأبيـاتُ :

قل لِـ (عِمادالدّين) : يا كاتبـاً — يفزَعُ مِن أقلامه (الصّابي)[61]

وشـاعراً : ألفاظُه عَذْبَـةٌ — إن كان لفظُ الغَيْرِ كالصّابِ[62]

ويا فَقيهـاً رامياً خصمَـهُ — فيالحَفْلِ إن جاثَىَ بأوْصابِ[63]

قـد كنتَ قبلَ اليومِ أشعرتَني — بأنّ (نورَالدّين) أوصى بـي

فأوصِلِ المكتوب [لي] واسْتَعِضْ — من فَرْطِ إجداب بإخصابِ[64]

***

ولمّا أخذت المدرسة[65] بـ «دِمَشْقَ» ، كتب إليّ :

« أنا أهنىء تلك المدرسةَ بخصائص فلان ، فإنّها زالت عنها ظُلمةُ الجهل ،

---

(٦١) الصـابي : الصابىء ، سـهل همزته . وهو أبو إسحاق ، ابراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون ، الحرّاني : نابغة كتاب عصره . ولد سنة ٣١٣هـ . تقلد دواوين الرسائل والمظالم في أيام المطيع لله العباسي ، ثم قلده معز الدولة البويهي ديوان رسائله ، وخدم بعده ابنه عزالدولة ، وسجنه عضد الدولة ابن عم عزّ الدولة سنة ٣٦٧هـ واطلقه ابنه صمصام الدولة سنة ٣٧١هـ . وكان صلباً في دين الصابئة ، عرض عليه عزالدولة الوزارة إن أسلم ، فامتنع . وكان يحفظ القرآن ، ويشارك المسلمين في صوم شهر رمضان . مات سنة ٣٨٤ هـ . لـه « رسائل الصابيء » ــ ط ، و «التاجي» في أخبار بني بويه ، و « ديوان شعر» ، وكتاب في « أخبار أهله » . ترجمته في يتيمة الدهر ٢٣/٢ ،وسيرالنبلاء ــ الطبقة الحادية والعشرون ، ووفيات الأعيان ١٢/١ ، والإمتاع والمؤانسـة ٦٧/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٢٤/٣ ، والأعلام ٧٤/٩ .

(٦٢) الغير : في جواز إدخال التعريف على « غير » ومنعه ، كلام لأهل اللغة طويل . كالصاب : الأصل « كالصابي» وهو على الصحة في (ب) . وهو شجر مرّ ، له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة . وفي الحاشية : « لو قال : كالشهد الفاظه، كان أحسن » .

(٦٣) جاثى فلان فلاناً : جلسا على ركبهما متلاصقين . الأوصاب : جمع الوَصَب ، وهو المرض والوجع .

(٦٤) لي : سقطت من الأصل . الفَرْط : الزيادة . استعض : ب « استعضه » .

(٦٥) هي المدرسة النوريّة الشافعية،فوض إليه نورالدين محمود رحمه الله التدريس فيها في شهر رجب سنة ٥٦٧ هـ ، ثم عرفت من بعد بالمدرسة العمادية لكثرة إقامة العماد الكاتب بها وتدريسه فيها . أنظر « التصـدير » في الجزء الأول (ص ٣٨) .

إلى نور الفضل • وأنا ، بشيئة الله وحُسن توفيقه ، على عزم المَصير إلى زيارته في يوم الثّلاثاء •

فارتقبْ ، أيّها (العمادُ) ، حضوري
وانتظرْ أن أزورَ يوم الثّلاثا

وارضَ بالعالم الوليّ ، ودَعْ حَبْـ
ـلَ المُعادي ـ ياذا النّهى ـ أنكاثا[66]

والجَناب[67] العِماديّ ، يعتدّ لي بهذه ، إلى أن أحضُرَ ، لاعدم فضله» •

***

وكتب إليّ بالمعسكر في الثّغْر :

قل لِ (عِمادالدّين) عنّي إذا — أتيتَه في بُهْرَة العسكَرْ[68]
لا تنسَ حقّ الشّاعر العالم الـ — ـفقيه ، ياذا السّؤدَدِ الأشهَرْ
نُبْ عنه عندَ الملِك العادل الـ — ـمعظّمِ المقتدِرِ الأكبَرْ
ولا تكن عن حقّه قاعداً — ورُحْ إلى ما رُمْتَه وابكَرْ
ولا تأفّفْ ، وابْقَ ذا نعمة — تخلُدُ في الأزمان والأعصُرْ[69]

***

وكتب أيضاً ، وقد طلب منّي السّكّر ، فأبطأ عليه :

قُلْ لِ (عماد الدّين) عنّي ، إذا — رأيتَه في بُهْرَة الحَفْلِ :
ضَنَنْتَ بالسّكّر ، يا مَنْ له — سُنّةُ فرضِ الفعل والنَّفْلِ[70]
فاستدرِكِ الفارِط ، واسلَمْ لِذا — ما صدَحَت وَرْقاءُ في أَثْلِ[71]

***

---

(٦٦) حبل انكاث ، ونِكْث « بكسر النون » : منكوث ، أي منقوض ليعاد فتله .
(٦٧) في الأصل : « والجايب » .
(٦٨) البُهرة : وسط الشيء .
(٦٩) في الأصل : « والأعطر » .
(٧٠) ضننت : بخلت أشدّ البخل . الأصل : « ظننت » . النّفل : ما شرع زيادة على الفريضة والواجب .
(٧١) الفارط : السابق المتقدم ، يريد الذاهب . الورقاء : الحمامة . الأثل :(ح٤٧).

وكتب أيضاً ، وقد وصلتني(٧٢) خِلعةٌ(٧٣) من الخليفة ، وجائزةٌ وافرة :

قل لِ (عِمادالدّين) : يا كاتباً خُصّ بصيتِ المجدِ والرِّفْعَهْ
خُذْ من هناءٍ ناصعاً واصلاً بالخِلْعَةِ الغَرّاء والخُلْعَهْ(٧٤)
والمحترم المكتوب من جانبي لا سِيَّما في هذه الرُّقْعَهْ(*)

***

وكان يقرأ عليه فقيه مغربيّ ، اسمه (مخلوف) ، ورِقاعه تصِل إليَّ على يده ، فضاعت منه رقعة ، فكتب إليَّ :

قل (للعماد) الكاتبِ المُنيفِ ،(٧٥) مُجَرِّدِ الأقلام كالسُّيوفِ
الشّاعرِ المُفَوَّهِ الموصوفِ :(٧٦) لا تَلْحُ في ثَلْبِ الفتى (مخلوفِ)(٧٧)
في مَرْبَعٍ يَجْمَعُ ، أو مَصيفِ ، وانهَضْ بحقِّ عالمٍ وصُوفي(٧٨)
واخصُصْ عِدَاً بالجَدْعِ للأُنوفِ(٧٩)

***

وكتب إليَّ :

قل لِ (عمادالدّين) ، وَهْوَ الّذي يَمُتّ بالفِقه وبالشّعرِ(٨٠)
وإنّه يُخجِل انشاؤه (الصّابيءَ) ذا المجدِ وذا الفخرِ :(٨١)

---

(٧٢) وصلتني : الصواب «وصلت إليَّ »، كما سيأتي في كلام المؤلف نفسه بعد أسطر .
(٧٤) الخلعة الأولى : الثياب المهداة إليه من الخليفة . والثانية:خيار المال ، يضم أولها ويكسر .
(*) والمحترم ، كذا في الأصل ، ولعلّه « المحزم » ، فهو يقيم الوزن ، ولكنّ جملة معنى البيت ـ مع ذلك ـ غير مفهومة !
(٧٥) المنيف : الرفيع المكانة .
(٧٦) المُفَوَّه : القوّال .
(٧٧) لا تَلْحُ : يقال لحا الشجرة والعصا يلحوها : قشرها . و ـ فلاناً : لامه وعذله، فهو مَلْحُوٌّ . ولحاها يلحاها لَحْياً : قشرهما. و ـ الله فلانا : قبحه ولعنه ، فهو مَلْحِيّ . ثلب : في الأصل « ثلث » .
(٧٨) صوفي : في الأصل « صوف » .
(٧٩) جدع الأنوف : قطعها . للأنوف : في الأصل « الأنوف » .
(٨٠) يَمُتّ بالفقه : يتوسل به ، يقال : مَتّ إليه بقرابة ونحوها : توسل ، فهو ماتٌّ .
(٨١) الصابيء : (ح٦١) .

لا تنسَ حقَّ العالم الأوحد الـ | ـنّاجح بالنّظم وبالنّثر !!
فإنّني مُثْنٍ على فضلك الـ | ـباهر في سرّ وفي جَهْرِ
ألا ، فأَسْعِدْ ، وابْقَ ما رجّعتْ | صادحةٌ في واضح الفَجْرِ (82)

**

ومكتوباته إليَّ ، كثيرة . وإنّما أوردت هذه اللمعة ليُسْتَدَلّ بها على مذاهبه ، ومآربه ، ورغائبه ، (83) وغرائبه !

**

وممّا كتبه إليَّ أيضاً :

يا كاتباً ، ينثُر من فضله الـ | ـلُؤلُؤَ بينَ الخطّ والأسطُرِ
وشاعراً ، أشعارُه عَذْبَةٌ | تسخَرُ في النّاس من (البُحْتُرِي)! (84)
ضجِرتَ ، واللهِ . ولولا الّذي | كررتُ من كُتبيَ ، لم تضجَرِ
فرُغْتَ عن حقّي ، وأهملتَ ما | أطلُبُه منك من الشُّكْرِ (85)
فاحْظَ بعَتْبٍ واضح شائع | في أُسرة الفضل وفي المَعْشَرِ

**

---

(82) أَسْعِدْ : أسعدني ، اي : أعِنّي . ترجيع الصّادحة : ترديد الحمامة أو نحوها صوتها .

(83) الأصل : « وزعايبه » .

(84) هو الشاعر العباسي المشهور الوليد بن عبيد الطائي ، ابو عبادة ، البحتريّ : من بحتر فرع من طيء . ولد في سنة ٢٠٦ هـ بمَنْبِج ـ بليدة بين حلب والفرات ، ورحل الى العراق ، وعاش دهراً في كنف الخلفاء العباسيين ووزرائهم وغيرهم من الأعيان ، وأثرى من مدائحه ، ثم عاد الى منبج في أواخر عمره وتوفي سنة ٢٨٤ هـ . وكان أحد الثلاثة الكبار الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم ، وهم : أبو تمام الطائي ، وأبو عبادة البحتري ، وأبو الطيب المتنبّي . قيل لأبي العلاء المعري : أي الثلاثة أشعر ؟ فقال « المتنبي وأبو تمام حكيمان ، وإنما الشاعر البحتري » . وكان يقال لشعره « سلاسل الذهب » . وقد استفاضت الدراسة فيه وفي شعره قديماً وحديثاً ، وهي ذائعة .

(85) رُغت عن حقي : حِدت عنه ولم توفّه إياي وخادعتني .

ومن شعر (ملِك النّحاة) في القديم ، ب « واسِط »[٨٦] :

أراجِعٌ لي عيشِيَ الفارِطُ ؟ أم هو عنّي نازِحٌ شاحِطُ ؟[٨٧]

ألا ، وهل تُسعفني أَوْبَةٌ ، يسمو بها نجمُ المُنَى الهابطُ ؟[٨٨]

أرفُلُ في مِرْطِ ارتياحٍ ، وهل يطرُقُ سمعي : « هذه واسِطُ » ؟[٨٩]

يا زَمَني ، عُدْ لي ، فقد رُعْتَني حتّى علاني شيبِيَ الواخِطُ[٩٠]

كم أقطَعُ البَيْداءَ في ليلةٍ يَقبِضُ ظِلّي خوفُها الباسطُ[٩١]

أَأرقُب الرّاحةَ ، أم لا ؟ وهل يَعدِلُ يوماً دهرِيَ القاسِطُ ؟[٩٢]

أيا ذَوِي الوُدّ .. أما اشتقتُمُ إلى إمامٍ ، جأشُهُ رابِطُ ؟[٩٣]

وهل عهودي عندكم غَضَّةٌ ؟ أم أنا في ظنّيَ ذا غالِطُ ؟[٩٤]

لِتَهْنِكُمْ ، ما عِشتُمُ ، « واسِطٌ » إنّي لكم ، يا سادتي ، غابطُ[٩٥]

*

(٨٦) واسط : (٣٩/١) . وهذه المقطوعة مما سمعه السمعاني بواسط من شعر المترجم . وقد اختارها القفطيّ في « إنباه الرواة » (٣٠٦/١)، وياقوت في «معجم الأدباء » (١٣٣/٨) .

(٨٧) الفارط : السابق المتقدم . النازح : البعيد الغائب . ومثله الشاحط .

(٨٨) أوبة : رجعة . الهابط : النازل .

(٨٩) ارفل : أجر ذيلي واتبختر في سيري . المرط : كساء من صوف أو خَزّ ، وهو من الإنباه ومعجم الأدباء ، والأصل « مرح » .

(٩٠) وخط الشيب فلاناً يخِطه وَخْطاً : فشا في راسه أو استوى سواد شعره وبياضه ، فهو واخط .

(٩١) كم : الأصل « لم » والتصحيح من الإنباه ومعجم الأدباء. خوفُ : فاعل« يقبض»، والباسط صفة « ظلّي » . يقول : إلى متى أقطع الفلاة في الليالي ، والخوف يلازمني فينقبض منه ظلي الممدود .

(٩٢) قاسط : جائر . يقال : قسط الحاكم ، إذا جار ، وأقسط : إذا عدل ، ومن الأول قوله تعالى : (وأمّا القاسطون فكانوا لجَهنّمَ حطباً) ، ومن الثاني : (إن اللهَ يُحِبّ المُقسطين) .

(٩٣) رابط الجأش : شجاع ، يربط نفسه عن الفرار . والجأش : رُواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، أو نَفْس الإنسان .

(٩٤) غضة : ناضرة ، لم تذبل . ذا : في إنباه الرواة ومعجم الأدباء : «إذَنْ » .

(٩٥) لتهنكم : لتهنئكم سهلت همزته . وفي معجم الأدباء : « ليهنكم » . غابط : متمنّ عيشاً مثل عيشكم في « واسط » غيرَ مريد زواله عنكم .

وله :(٩٦)

الحُشُّ ، والبَـرَمُ الـكثيرُ منظـومُ ذلك والنَّثِـيرُ(٩٧)
ودُخَـانُ عُودِ « الهنـد » والـ ـشَّمْعُ المُكَفَّـر والعَبِيرُ(٩٨)
ورَشَـاشُ ماءِ الورد ، قـد عَرُفَت بـه تلك النُّحورُ(٩٩)
ومَثَالِثُ العِيـدانِ ، يُسْـ ـعِدُ جَسَّها بَمٌّ وزِيـرُ(١٠٠)

---

(٩٦) روى هذه المقطوعة السمعاني ، واختارها القفطي في « إنباه الرواة » (١/٣٠٧)، وياقوت في « معجم الأدباء » (٨/١٣٤) .

(٩٧) الحَشُّ ، بضم الحاء وفتحها : البستان ، و ــ النخل المجتمع . الأصل : « الخيش » ، وهو ثياب تتخذ من مشاقة الكَتّان ومن أردئه ، ومناسبته ها هنا ضعيفة جداً . وفي معجم الأدباء (٨/١٣٤) : « الحيش » ، وعدل عنه كاتب تعليقاته إلى « الجيش » زاعماً أنه هوصوابه . وفي إنباه الرواة (١/٣٠٧): الحش ، وهو الصحيح الموائم لمقصد الشاعر كما يظهر من تعداده ، في الابيات الآتية ، الملاذّ التي تلذ له . البَرَم : حبّ العنب أوّل ما يظهر ، وفسره كاتب تعليقات معجم الأدباء بأنه لفيف من الناس المختلطين ، وهو تفسير خاطىء .

(٩٨) المكفّر : المخلوط بالكافور ، وهو شجر ذو رائحة عطرية وطعم مرّ ، من الفصيلة الغارية ، تتخذ منه مادّة شفافة بلورية بيضاء . وهو أصناف كثيرة . العبير : الزعفران ، أو اخلاط من الطّيب تجمع بالزعفران كما في شرح كفاية المتحفظ .

(٩٩) عَرُفَتْ : طاب عرفها أي ريحها . الأصل « عرفت » بالقاف ، وهو تصحيف . قال ابن الأعرابيّ : « عَرُف الرجل [بضم الراء] : إذا أكثر من الطيب ؛ وعَرِف [بكسر الراء] : اذا ترك الطّيب » . وضبطه مصحح « معجم الأدباء» بالبناء للمجهول ، ولم يفسره ، كأنه عنده من المعرفة ، وهو واضح لا يفسر . وأصاب محقق « إنباه الرواة » في ضَبطه له ، ولكنّه أخطأ في تفسيره له : بضبطه المفسّر بالبناء للمجهول : « طُيِّبَتْ » . ولو كان المُفَسَّرْ مبنيّاً للمجهول ، لصَحّ ذلك . وصوابه ما بينته . النحور : جمع النحر ، وهو أعلى الصدر .

(١٠٠) المثَالث : جمع مَثْلَث ، وهو مثل ثلاثَ معدول من ثلاثة مصروف للعدل والصفة، وعنَى بها الأوتار. يسعد: يساعد. الجس :نقرالأوتار بالسبابة والإبهام دون المضراب ، ، وفي « إنباه الرواة » : « حَسَّنَّها » ، ولا وجه لها في السياق . البم : الوتر الغليظ من أوتار العود ، وهي أربعة : البم ، والمثلث ، والمثنى ، والزير . والزير أدقّها ، أو احدُّها ، وهو يقابل البَمّ ، وفي ملحق الشفاء لابن سينا : أن الذي يقابله في العود الحديث يقال له « العُشَيْران » بالتصغير .

وتَخافُقُ النّاياتِ ، يقـ ـلَقُ بينَها النَّبْلُ القصير[١٠١]
والشُّربُ بالقَدَحِ الصَّغيـ ـرِ ، يَحُثُّهُ القَدَحُ الكبيرُ ..
.. أحظى لَدَيَّ من الأبا عِرِ ، والحُداةُ بها تَسيرُ !
للعبدِ أن يلتذَّ في دُنياهُ ، واللهُ الغَفورُ .

⁂

وله في مَرْثِيَة[١٠٢] أمير المؤمنين (المسترشد بالله)[١٠٣] :

مَنِ النّافضُ البَيْداءَ ، والليلُ دامسٌ
عليه كَلُوحٌ ظاهرٌ وقُطُوبُ ؟[١٠٤]
يَغارُ ، إذا لم تهجُرِ الشّمس ضوءَها
ولم تَبْدُ منها رنّةٌ ونَحيب
نعى من (بني العبّاس) أروعَ ماجدٍ
كفاه تراثاً بُردةٌ وقضيبُ[١٠٥]

⁂

---

(١٠١) تخافق النايات : تصويتها عند النفخ بها ، وانظر عن الناي (ص ٨٠/ح١٤٦) يقلق : في « معجم الأدباء » : « يفلق » ، ووضع محققه بدلها « يَخْفَقُ » ، وقال : « هو كما تقول : خفقته بالدِّرَّة ، جعلتها تضربه ضرباً أشبه بالمس » ، وهو في « إنباه الرواة » كما في « الخريدة » .

(١٠٢) بتخفيف الياء .

(١٠٣) ترجمته في (٢٩/١) من هذا الكتاب .

(١٠٤) البيداء : الفلاة ، ونافضها : الناظر جميع ما فيها حتى يعرفها . ليل دامس : شديد الظلمة . الكلوح : العبوس .

(١٠٥) البردة والقضيب : أثران نبويّان ، كانا من شارات الخلافة العباسية . أما البردة فقد أسلفت الكلام عليها في ١٢/١ ، وأما القضيب فالمرويّ في كتب السيرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له قضيب من شوحط يسمى (الممشوق) ، قيل : وهو الذي كان الخلفاء يتداولونه . وقد صار مع البردة من شعار الخلافة . وكان الرسم أن يكون بيد الخليفة في المواكب ، وكانوا يطرحون البردة على أكتافهم في المواكب جلوساً وركوباً . وقد استوفى أحمد تيمور الكلام عليهما في كتابه « الآثار النبوية » ط ـ ٢ ، [س ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥ م] ، القاهرة .

وله :

«نَجْرانُ» والبانُ لا «حُزْوَى» ورَمْلَتُها
إذا صدَرْت وماءُ الغَوْر مورود(١٠٦)

يثوب في غارب العَنْس الدِّلاث فتىً
مُضَمَّرُ الخَلْق،شَخْتُ الآل،مَمْسُودُ(١٠٧)

ثَبْتٌ ، مِراحُ المَهارَى لا يزعزعه
كأنّما هو فوقَ الرَّحْل مشدودُ(١٠٨)

وإن تَلَوَّت رِقاب العِيس ، لَفَّتَها
عن الحِمى ملتوي الجنبين مقدودُ(١٠٩)

آلا ، لِمَنْ رُفِعت تلك القِباب ضُحىً ؟
إماؤُها تتغنَّى ، أم أَعابِيدُ ؟(١١٠)

---

(١٠٦) نجران : عَلَم لعدّة مواضع ، أشهرها « نَجْران اليمن » من مخاليف اليمن من ناحية مكة . . أكثرت الشعراء من ذكره في أشعارها ، وكان به قبل الإسلام بيعة على نهرٍ به ، بناها بنو عبد المدان بن الديّان الحارثيّ على بناء الكعبة ، مضاهاةً للكعبة ، وسموها « كعبة نجران » ، وقد جاء أساقفتها الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ودعاهم إلى المباهلة . البان : (ح٣٧) . حزوى : موضع في ديار بني تميم بنجد ، قال الأحول : « قريب من السّواد » : سواد العراق . الغَوْر : تهامة وما يلي اليمن .

(١٠٧) يثوب : كذا الأصل ، وقد يُقرأ « يشوب » ، وكلاهما لا وجه له ها هنا ، فلعله تحريف « يسور » أي يثب ويثور . العنس : الناقة القوية . غاربها : ما بين سنامها وعنقها . الدِّلاث : السريعة . الشخت : الضامر خلقة . الآل : الشخص . ممسود : مجدول الخَلْق ممشوق .

(١٠٨) ثَبْت : شجاع ثابت القلب . مِراح المَهارَى : نشاطها وشماسها والمَهارَى ، والمَهارِيُ : جمع مَهْرِيَّة ، وهي الابل المنسوبة الى مَهْرَة بن حيدان أبي قبيلة ، وهم حي عظيم ، من قضاعة ، من قبائل اليمن .

(١٠٩) العِيس : كرام الإبل ، أو التي يخالط بياضها شقرة ، واحدها أعيس ، وعيساء . مقدود : حَسَن التقطيع .

(١١٠) القِباب : خيام صغار أعلاها مستدير . الإماء : النساء المملوكات خلاف الحرائر . الأعابيد : جمع أعبد ، جمع عبد .

ضِرامُ نارِ قِراها ، وَهْيَ آهلةٌ
وَهْناً ، ثُمامٌ وقُلامٌ ويَعْضِيدُ[111]

لهم بمُنْحَرَف الوادي ، وقد نَزَلُوا ،
مضلِّل عن جهات الصَّبر منشودُ

**

وله ، يعارض قصيدة (الأَفْوَه الأَوْدِيّ)[112] ، التي يفضّل فيها

---

(111) القِرى : ما يقدم إلى الضيف من الطعام . الوهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . الثمام : نبت ضعيف له خوص ، أو شبيه بالخوص ، ويقال له « الثُّمُ » أيضاً ، ويقولون : هو منك على طَرَف الثمام ، أي : قريب سهل التناول . القُلّام ، بتشديد اللام ، ضرب من الحَمْض الذي ترعاه الإبل ، وهو القاقُلَّى . اليعضيد : بقلة زهرها شديد الصفرة ، تشتهيها الإبل والغنم ، والخيل أيضاً تعجب بها وتخصب عليها .

(112) هو صلاءة ، بن فارس الشوهاء : عمرو بن مالك ، من بني أَوْد ، من مَذْحِج : شاعر يماني جاهلي قديم ، يكنى أبا ربيعة . ولقب بالأفوه ، لأنه كان غليظ الشفتين ، ظاهر الأسنان . كان سيّد قومه ، وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها ، وكبار شعرائها ، ويَعُدّون داليته من حكمهم وآدابهم ، وهي التي يقول فيها :

لا يصلُح النّاسُ فَوْضَى لا سَراةَ لهم
ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادوا

تُهْدَى الأمور بأهل الرّأي ما صلحت
فإن تولت فبالأشرار تنقاد

ومنها في ذمّ بعض أهل الشرّ من قومه :

معاشرٌ .. ما بنوا مجداً لقومهم ،
وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا

ويقال إنه تُوفّي في أيام عمرو هند ملك الحيرة (نحو سنة ٥٧٠ م) ، وذكر ابن رشيق في « العمدة » عن بعض الرواة : « أن « الأفوه » أقدم من « المهلهل » و « امرئ القيس » و « عمرو بن قَميئة » ، وأنّه أوّل من قصّد القصائد »، وليس هذا موضع مناقشة هذا القول . وترجمته في الأغاني ١١/٤١ « ط . الساسي » ، والشعر والشعراء ٢٢٣ ، ومعاهد التنصيص ٢/١٥٠ ، وشعراء النصرانية ٧٠ ، وسمط اللآلي ٣٦٥ ، وجمهرة الأنساب ٣٨٦ .

(قحطانَ)[١١٣] على (نِزار)[١١٤] ، ونهى النبيّ — عليه [الصّلاة] والسّلام — عنها[١١٥] ، وقال : « وإيّاكم وكلمةَ (الأَوْدِيّ)[١١٦] » — بقصيدةٍ ، أوّلُها :

لمن النّارُ عَلىً مرفوعة في يَفَاعٍ ، حبلُ عَلْياه مُغار ؟[١١٧]

---

(١١٣) قَحْطان : هو ابن عابر ، بن شالح ، بن أرفخشذ ، بن سام ، بن نوح : أصل العرب القحطانيين ، وأبو بطون حِمْيَرَ ، وكهلان ، والتبابعة ملوك اليمن ، واللخميين ملوك الحيرة بالعراق ، والغساسنة ملوك الشام في الجاهلية . يعده النسابون أول رجال الطبقة الثانية من طبقات العرب الثلاث : العاربة ، والمتعربة ، والمستعربة .

(١١٤) نِزار : هو ابن معد ، بن عدنان ، وهو أبو إياد ، وربيعة ، ومُضَر ، وانمار ، يتصل به النسب النبويّ الشريف ، والكلام على سلالته يطول ، ومن أجمع الكتب له « شرح عمود النسب النبويّ » لشيخنا الإمام الحجة السيد الشريف محمود شكري الألوسي ، رحمه الله .

(١١٥) هذه القصيدة ، ذاهبة ، لا تعرف منها إلا أبيات ، ذكر عبدالرحيم العباسي خمسة منها في « معاهد التنصيص » (٢/١٤٥) ، وابن قتيبة ثلاثة في «الشعر والشعراء » (٢٢٣) ، وقال محققه الشيخ أحمد محمد شاكر إنه جمع أبياتاً منها في « لباب الآداب » (٣٧٣ — ٣٧٤) ، واشار في تعليقه إلى مصادرها .

وقال الرواة : إنها من جيّد شعر العرب . وهي من « الرَّمَل » ، وأوّلها :

إن تَرَيْ رأسيَ فيه نَزَعٌ وشَوَاتي خَلَّةٌ فيها دُوارُ

النزع : انحسار مقدّم الرأس عن جانبي الجبهة ، الشواة : جلدة الرأس . خلّة : مهزولة قليلة اللحم .

ويقول فيها :

إنما نعمةُ قومٍ مُتعةٌ وحياةُ المرءِ ثوبٌ مُستعارُ
حَتَمَ الدّهرُ علينا أنّهُ ظَلَفٌ مانالَ مِنّا،وجُبارُ

ظلف ، بالظاء ، وبالطّاء أيضاً : باطل . وجُبار : هَدَرٌ .

(١١٦) لم أجد هذا اللفظ في الأصول المعتمدة . ولكن القول بنهي النّبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، عن انشاد هذه القصيدة متعارف عند الأدباء ، قال العباسيّ في « معاهد التنصيص » : إنّما نهى النبي ، صلّى الله عليه وسلم . عن إنشادها، لِما فيها من ذكر « إسماعيل » ، عليه السلام ، وإيّاه عنى بقوله فيها :

رَيَّشَتْ « جُرْهُمُ » نَبْلاً ، فرمى
« جُرهما » منهن فُوقٌ وغِرار

الفُوق،بضم الفاء : من السهم حيث يثبت الوتر منه ، وهما فوقان . والغِرار: حدّ السيف ونحوه .

(١١٧) اليفاع : المشرف المرتفع من الأرض ، والجبل ، والرمل ، وغيرها . الأصل : سفاع . مُغَار : مفتول ، يقال : أغار الحبل : فتله فتلاً شديداً ، فهو مُغِير، والحبل مُغار . استعار الحبل للعلياء ، وقصر العلياء لضرورة الوزن .

لِأُناسٍ ، كَرُمت أخلاقُهم وسما في نَدْوَة الحَيِّ النّجار[118]

ومنها :

يا (بني قحطانَ) إنّي منكُمُ غيرَ أنّ الخوضَ في الباطل عارُ

وهي طويلة .

***

وكان من مذهبه أن يكتب « النُّهَى » و « العُلَى » و « الحِجى » بالألف ، فأنكر عليه واحد من علماء « أصفهان » ــ وهو بها ــ فقال (ملك النّحاة) من أبيات فيه :

زعَمتَ كَتْبَ « النُّهَى » باليـاء مُفْتَرَضاً

لقد عَدِمتَ النُّهَى باليـاء والألف

***

وممّا نظمه بـ « أصفهان » :

قل (للمكين أبي عليّ) : فُتَّ في

حدّ الخَساسة كلَّ حدٍّ شامِلِ

واجعل مكان الكاف هاءً ، وانتبِهْ

ياذا النّقائص للهجاء الكاملِ[119]

***

وأنشدني ابنُ أُخته (أبو الفتح بن محمّد الحلبيّ البزّار) ، وقد كتبها إلى (نورالدّين) يشفَع في بستان كبير ، بواسطة[120] (بهاءالدّين) الشّريف[121] :

---

(١١٨) النجّار : الأصل .

(١١٩) واجعل مكان الكاف هاءً ، أي كاف اسمه « المكين » ، فيكون « المَهين » .

(١٢٠) العبارة في الأصل : « لبرا بواسط بهاءالدين الشريف » .

(١٢١) وصفه المؤلف ، في ترجمة « أبي العلاء ــ بن أبي الندى المعري » ، (قسم شعراء الشام ٢/٧١) ، بـ « الأمير السيّد » ، وأورد أبياتاً من شعر أبي العلاء المذكور في مدحه ، أولها :

من أين كان لكُنّ يا حَدَقَ المَها

علم بنفث السحر في عُقَد النُّهَى ؟

ومنها في المدح :

جَمّ البهاء، كأنما جمعت له تلك الصفات الغُرّ من شيم البها

ما لهـــا تستعيض بالسَّهْل وَعْرا ؟ هيَ بالأبــــرق العقيقيّ أحرى[١٢٢]

صدّها بالعِران وَهْناً، لَعَمْرُ الـ •• ـلَّهِ، جارٌ بالأجرعِالفَرْدِ مُغْرَى[١٢٣]

مولَعٌ بالصَّبا رسـولاً ،وبالعَنْـ ـسِ رَحُولاً، وبالعَرارة عِطْرا[١٢٤]

وبريح الجَنُوب تردَعُ مِرْطــاً وتَرِيك الغَداةَ رِدْفاً وخَصْرا[١٢٥]

كلَّما استكتمته « رامةُ » عن « نَجْـ ـدٍ » حديثاً ، أذاع بالدَّمع سِرّاً[١٢٦]

ياخليلَيَّ بِ « الغُوَيْرِ » دَعاني أزجُرُ القلبَ عن«تَبالَةَ»زَجرا[١٢٧]

---

(١٢٢) الأبرق : مكان غليظ ، فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . العقيقي : نسبة الى « العقيق » ، وقد تقدم في (ح ٣٠) .

(١٢٣) العِران : في حاشية الأصل : « العران : الصوت » ، ولم تذكر دواوين اللغة هذا المعنى للعران . ومن معانيه فيها : الدار البعيدة ، والطرق ــ لا واحد لها ، ومنه قول ذي الرمة :

الا أيها القلب الذي بَرَّحَت به منازلُ «مَيٍّ »والعِرانُ الشواسعُ

والعِران : المسمار الذي يضمّ بين السِّنان وقناة الرمح ، والعران خشبة تجعل في وَتَرَة انف البعير ، وهو ما بين المنخرين ، ويكون المعنى على هذا أن هذه الإبل قد صدت عن وجهتها بجذب عرانها . وقد يكون الأصل «بالعَدان» بالدال وفتح العين وكسرها ، وهو أرض بعينها على ما في « لسان العرب » ، ونقل ياقوت عن نصر أنه موضع في ديار بني تميم بسيف « كاظمة » ، وقيل مــاءٌ لسعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيل : هو ساحل البحر كله كالطَّفّ ، فيكون المعنى على هذا أنها صُدّتفيهذا الموضع عن السير الى طيّتها البعيدة . الوهن : نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه. الأجرع : الأرض ذاتالحزونة تشاكل الرمل . مغرىً : مولع .

(١٢٤) العَنْس : الناقة القوية . الرحول : الناقة النجيبة . الأصل : « رسولاً » ، وليس بشيء . العرارة : واحدة العَرار ، وهو بهار طيب الرائحة .

(١٢٥) تردع : تطيّب ، يقال : ردع ثوبه بالزَّعْفَران أو الطيب ، إذا لطخه . المِرْط : كساء من خزّ أو صوف أو كتان ، يؤتزر به ، وتتلفّع به المرأة . الرِدف : الكفل . الخَصْر : وسط الإنسان ، وهو المستدق فوق الوركين .

(١٢٦) رامة : منزل في طريق مكة ، بينه وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة ، او هضبة ، او جبل .

(١٢٧) الغُوَير : موضــع على الفرات ، فيــه قالت الزَّبّــاء ، ملـكة تدمــــر : « عسى (الغوير) أَبْؤُسا » أي مهلكاً ، وهو منصوب على الحالية . والغوير أيضاً : ماء لبني كلب بأرض السَّماوة بين العراق والشام ، و ــ ماء بينالعقبة والقاع في طريق مكة ، فيه بركة وقباب لأم جعفر تعرف بالزبيدية . تَبالة ،

يا ابنَ بنتِ النّبيّ ، دعوةَ مَلْكٍ   عالمٍ صيتُهُ فُوَيْقَ الشِّعْرَى[128]
غيرَ أنّي قد اتّخذتُك ، يا مَوْ   لايَ ، في النّاس للشّدائد ذُخرا
فبعثتُ القَريضَ من بعدِ أَنْ كا   نَ مديحاً ، وقد تحوَّل شُكرا
قل لـِ (نورالدّين) المليك الّذي فا   ضَ نَداه ، فعَمَّ زيداً وعَمْرا :
أترى ناهضاً لتشفيع فضلي   رافعاً كلّ فادِحٍ عن«سَطْرَى»؟[129]

***

قال(★) : وأنشد بين يديه :

جَسَّ الطّبيب يدي ، فصِحتُ من الضَّنَى :
دَعْ ، يا طبيبُ ، يدي ، وجُسَّ فؤادي![130]

بفتح التاء : موضع ببلاد اليمن ، جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحجاج ،وتبالة: بلدة في تهامة في طريق اليمن ، يظن ياقوت أنها غير الأولى ، وتعرف بتبالة الحجاج بن يوسف ، وكانت أول عمل وليه ، فسار إليها ، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ وعلى أيّ سَمْت هي ؟ فقال : ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة ! فقال : « لا أراني أميراً على موضع تستره عني هذه الأكمة ! أهوِنْ بها ولاية ! » ، وكر راجعاً ، ولم يدخل . فضرب الناس المثل بهوانها ، وقالوا للشيء الحقير : أهون من تبالة على الحجاج .

(١٢٨) الشعرى (ص ١٤/ح٥٣) .

(١٢٩) سَطْرَى : قرية من قرى دمشق ، نزهة ، لهج شعراء الشام بذكرها ، قال ابن منير الطرابلسي يذكر مُتَنَزَّهات الغوطة :

فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الـ   أعلى فسَطْرَى فجرمانى فقَلْبِين

وقال عرقلة ، وقرنها بمَقْرَى :

سقى الله من سَطْرَى ومَقْرَى منازلاً   بها للندامى نضرة وسرور

وقال العماد :

أهوى مَقَرِّي بمَقْرَى ، والرياضُ بها   للزهر ما بين تفويف وتزيين
هاجت بلابلَ قلبي المستهام بها   بلابلُ الأيك غنتنا بتلحين
تتلو بسَطْرَى أساطيرَ الغرام على   صوامع الدوح وُرْقٌ كالرَّهابينِ

(★) القائل ابو الفتح بن محمد الحلبي .

(١٣٠) الضنى : المرض أو الهزال الشديد .

فعمِل على وزنه قِطعة ، منها :

وِدُوَيْنَ ذاكَ الظِّلِّ مهضومُ الحَشا داني التَّجَنِّي ، نازحُ الإسعادِ [١٣١]

أرضاه من مَرَضي الّذي استعذبتُه لو أَنَّـــه في جُملـــة العُوّادِ

⁂

قال : ووصل إلى بعض البلاد بـ (خُراسانَ)[١٣٢]،فكتب إلى الصَّدْر هناك :

يا ابنَ الّذين ترفّعوا في مجـــدهم وعلتأخامِصُهم فُروعَ«شَمام»[١٣٣]

أنا عالم ، ملِك ــ بكسر اللام فيـــما أَدّعِيهِ ــ لا بفتح اللام!! [١٣٤]

⁂

قال : وكان عند (تقيّ الدين[١٣٥] ، عُمَرَ ، بن شاهَنْشاه ، بن أَيّوب)[١٣٦]

---

(١٣١) مهضوم الحشا : لطيف الكشحين ، ضامر البطن . التجنّي على الإنسان : ادّعاء جناية عليه لم يفعلها . نازح : بعيد . الإسعاد : الاعانة .

(١٣٢) خراسان (٢٩٦/١ ح ٢) .

(٣٣) الأخامص : جمع الأخمص،وهو باطن القدم الذي يتجافى عن الارض . شَمام، بفتح أوله وبناء ميمه على الكسر : جبل لباهلة ، له رأســـان يسميان ابني شَمامٍ ، ذكره لبيد بن ربيعة العامري في بعض شعره .

(١٣٤) في حاشية الأصل : « يعني أنا مَلَكٌ لا أطعم ولا آكل » .

(١٣٥) هو ابن أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي . يلقب بالمظفر ، ويكنى بأبي سعيد . ولد بالفيوم بمصر ، وولي الولايات ، وناب عن عمه في مصر . ثم ولاه« حماة » وعدداً من البلاد حولها الى ديار بكر،وأناخ على «منازكرد» من نواحي«خلاط» ليأخذها ، فتوفي على أبوابها في تاسع عشر شهر رمضان من سنة ٥٨٧ هـ ، فحمل الى « ميافارقين » فدفن بها ، ثم بنيت له مدرسة بظاهر « حمـــاة » ونقل إليها رفاته . وكان ركناً عظيماً من أركان البيت الأيوبي كمـــا قال أبو الفداء ، شجاعاً مظفراً ، مؤيداً في الحروب ، وله مع الفرنج مواقف ، وشارك عمه صلاح الدين في حصار عكا وغيرها ، وكان جواداً كريماً ، محباً للعلم ، بنى مدارس عدة في مصر والفيوم والرها ودمشق . وكان الى ذلك صاحب فضل وأدب وشعر رقيق عذب ، أختار منه تاج الدين زيد بن الحسن الكنـــدي مئتي بيت على حروف المعجم وترتيبها ، وأوردها المؤلف عنه في « الخريدة » في ترجمة الأمير الشاعر (بداية قسم شعراء الشام ٨٠ ــ ١١٢) ، وقد أثنيـــا عليه ما شاءا ، وأطالا وأطابا .

(١٣٦) أيوب بن شاذي (وشاذي لفظ أعجمي معناه : فرحان) بن مروان ، الملك المفضل ، نجم الدين : رأس الأسرة الأيوبية ذات التاريخ الباذخ ، ووالـــد السلطان صلاح الدين قاهر الصليبيين.أصله من «دُوِين » في إقليم أذربيجان،

قبلَ أن تُفضي إلى (أيّوب) سلطنة « مِصْـــرَ »(*) ، وقد أنشده (حسّان عَرْقَلَة)[١٣٧] ، وقد وهب له (تقيّ الدّين) عشرين ديناراً :

تَهَبُ العشرينَ إذا حضَـرَتْ   وتَرُدُّ الألفَ إذا حَضَـرا[١٣٨]

من أبناء أعيانها . ولي أبوه « شاذي » قلعة تكريت بالعراق ، فكان أيوب معه فيها الى أن مات . وولي مكانه . ثم عزل عنها فرحل ومعه اخوه شيركوه الى الموصل ، وهناك كانت أول صلاتهما بالأتابك عماد الدين زنكي ، فأحسن اليهما ، واقطعهما إقطاعاً حسناً . ثم لما ملك الأتابك قلعة بعلبك استخلف بها نجم الدين أيوب . ثم انتقل الى دمشق فأقام في خدمة نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي . ولما ولي ابنه صلاح الدين وزارة الديار المصرية في أيام العاضد ، استدعي اباه من دمشق ، فانتقل أيوب الى مصر سنة ٥٦٥ هـ ، وخرج العاضد للقائه إكراماً لابنه صلاح الدين يوسف . ولم يزل عنده حتى استقل صلاح الدين بالسلطنة ، فأقطعه الاسكندرية والبحيرة الى أن مات من سقطة عن فرسه ، في سنة ٥٦٨ هـ ، ودفن إلى جانب أخيه أسدالدين شيركوه ، ثم نقلا في سنة ٥٨٠هـ الى المدينة المنورة ، ودفنا في تربة الوزير جمال الدين الجواد الأصفهاني وزير الموصل بجوار الحجرة الشريفة النبوية . وكان أيوب خيّراً ، جواداً ، عاقلاً ، كثير الصلاح ، فيه دهاء . رأى من أولاده عدة ملوك ، وصار يقال له « ابو الملوك » . واخبـاره في : وفيـات الأعيـان ١/٨٤ ، والروضتـين ١/٢٠٩ ، ومرآة الزمان ٨/٥٩٥ ، وغيرها .

(*) كذا ، والمعروف أنّ سلطنة مصر إنّما أفضت الى ابنه صلاح الدين .

(١٣٧) هو حسان بن نمير بن عجل الكلبي ، أبو الندى ، يعرف بـ « عرقلة الأعور » شاعر دمشقي ، مطبوع ، من الندماء والخلعاء ، لطيف النوادر ، معاشر للأمراء . اتصل ببني أيوب ، ولاسيما الملك الناصر صلاح الدين ، وطوّف في البلاد ومدح جمال الدين وزير الموصــل ، وحسام الدين تيمورتاش الأرتقيّ صــاحب « مارِدِين » ، والملك الصالح طلائع بن رُزّيك بمصر . مات في ســنة سبع وستين وخمس مئة ، وقد قارب الثمانين . له ديوان مستطرف ، « وقصائده كما قال المؤلف في ترجمته ـ قصار ، وفي النادر أن تزيد قصيدته على خمسة وعشرين بيتاً ، ومقطعته على عشرة أبيات ، وكلها نوادر وكلام مضحك » . وقد ترجمه العماد واختار شيئاً كثيراً من ديوانه في (قسم شعراء الشام ١/١٧٨ـ ٢٢٩) . وله ترجمة في فوات الوفيات ١/٢٢٢ ، ومـرآة الزمان ٨/٢٨٦ ، وشذرات الذهب ٤/٢٢٠ ، والنجوم الزاهـرة ٦/٦٤ ، والشعور بالعور للصفدي « مخطوط » .

(١٣٨) الألف : اي من القاتلين ، يصفه بالجود وبالشجاعة . اذا حضرا : الأصـل « إلا حضرا » .

فعمِل (ملِك النَّحاة) على وزنها فيه :

حيّـــاكَ الظَّبْيُ وقـــد نَفَرا وألِفْتَ البانـــةَ والسَّمُرا [139]
وطَـــرَقْتَ الحَيَّ على عَجَلٍ وَهْناً ، فأنِسْتَ لنار قِرى [140]
عـاينتَ كَثيبَ البـــانِ يَهِيـــلُ ، وغُصنَ البانةِ مُنْأَطِرا [141]
ومُحَجَّبَـــةً في الحَـــيّ ، دَعَـــوْ
تَ « جَدْيسَ » لها ، فدعَتْ « مُضَرا » [142]
ســفَرَتْ ورنتْ ، فرأيتُ الصُّبْـــحَ علا ، والبـــدرَ قد انبهرا [143]
جـــارت ، فعلِقت ببَدْرِ الدَّوْ لــة كاســرِ سَطْوَتِها (عُمَرا)

---

(١٣٩) البانة : (ح ٣٧) . السَّمُر ، بفتح فضمّ : ضرب من شجر الطَّلْح ، والطلح شجر عظام من شجر العِضاه ، وهو شجر شائك .

(١٤٠) طرقت الحيّ : أتيته ليلا . الوهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . أنست : سكنت وذهبت وحشتك ، يقال : أنس به ، وإليه . القرى : ما يقدم الى الضيف من الطعام . ونار القرى : من نيران العرب ، وهي نار يُوقدونها ليلاً ، ليراها الطُرّاق ، فيهتدوا إلى موضع الضيافة . وهذا غاية في كــرم الشمائل والشِيَم .

(١٤١) يَهِيل : أراد « ينهالُ » أي يتهدم ، لأنه يقال : هال فلان الرمل يهيله هيلا ، وأهاله فانهال ، وهَيَّلَه فتهَيَّل ، ولم يجيء لازما في كلام العرب . مُنأَطِر : معوجّ ومُنْثَنٍ ، يقال : انأطر العود ، وتأطَّرَ .

(١٤٢) جَدِيس : قبيلة من العرب العاربة البائدة . كانت مساكنهم باليمامة حيث مدينة « الرياض » الحالية ، وبالبحرين . وكـــان بجوارهم في مســـاكنهم « طَسْم » ، وكان الملك على القبيلتين لطسم ، فانتهى ملكهم الى ملك غشوم ، كان ظلمه سبباً في قتل جديس له ، واقتتال القبيلتين من أجل ذلك حتى هلكتا وبادتا . مضر : قبيلة من العدنانية ، وهم بنو مُضَر بن مَعَدّ بن عدنان ، يقال لها : مُضَر الحمراء . وكانت أهل الكثرة والغَلَب بالحجاز من بني عدنان . وكانت لها الرئاسة بمكة والحرم .

(١٤٣) رنت : نظرت ، يقال : رنا يرنو رَنْواً ورُنُوّاً : أدام النظر في سكون طَرْف . انبهر : مطاوع بَهَرَ أي أدهشه وحيَّره .

بفتىً ، إن جادَ فـ (كَعْبُ) نَدىً

وإذا ما صالَ فليث شَـرَى[١٤٤]

زُرْهُ في الحَفْل وبُهْرَتِهِ لِترى بَدْراً يُعطي البِدَرا[١٤٥]

يا مَنْ قارضتُ جلالتَهُ فغدوتُ بذلك مفتخرا[١٤٦]

لا تُلْغِ حقوقاً واجبةً لإمامٍ قد عدِمَ النظَرا[١٤٧]

وأَثِبْ ، وأجِبْ ، واسْلَمْ أبداً زَيْناً للسّادة والأمَرا[١٤٨]

*****

وله قصيدة ، يعارض بها (ذا الرُمّة)[١٤٩] في قصيدته الحائيّة[١٥٠] . نقلتُها من خطّه بعد وفاته :

---

(١٤٤) كعب : هو كعب بن مامة الإياديّ ، أبو دُؤاد : من أجواد العرب في الجاهلية يضرب به المثل في الجودوفي حسن الجوار ، فيقال : « أجود من كعب بن مامة» و « جار كجار أبي دؤاد » . وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار : « إسق أخاك النمري » ، وهي في : « بلوغ الأرب في أحوال العرب » للألوسى ، وغيره من كتب الأدب والتاريخ . الشرى : موضع كثير الأسود ، ويقال : هو أسد الشرى : شديد شجاع .

(١٤٥) بهرة الشيء : وسطه . البِدَر : جمع البَدْرَة (ح٢٤) .

(١٤٦) قارضه : أعطاه قرضاً ، و ـ جازاه .

(١٤٧) واجبة : الأصل « واصيدة » . النظرا : النظراء ، جمع النظير . قصره للقافية .

(١٤٨) أثب : من الإثابة ، أي : كافِيء وجاز . الأصل « واتب » بالتاء ، وهو تصحيف. الأمرا : الأمراء ، قصره للقافية .

(١٤٩) هو غيلان بن عقبة العدوي ، من مضر ، أبو الحارث ، ذو الرُمّة : من فحول شعراء الطبقة الثانية في عصره . ولد سنة ٧٧هـ . كان يقيم بالبادية ، ويحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً ، وعشق « مَيَّةَ المِنْقَرِيَّةَ » ، واشتهر بها . وكان شديد القصر ، دميماً ، يضرب لونه إلى السواد . توفي سنة ١١٧ هـ . أكثر شعره تشبيب،وبكاء على الأطلال،يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. امتاز باجادة الوصف والتشبيه . قال عمارة بن عقيل ، قال ذو الرمة : « اذا قلت « كأنّ » فلم أُجد وأُحسنْ ، فقطع الله لساني » . وقد لقي شعره عناية بالغة من الرواة والشراح القدامى ، وحفل بعض الأدباء العصريين بنشر ديوانه وتحقيقه ، وسبق إلى ذلك المستشرق الانكليزي كارليل هنري هيس مكارتناي (Carlyle H. H. Macartney) من مدرسى اللغة العربية في بلاده ، فنشره

لِمَنْ بعدَ هَدْءٍ صَدْفَةٌ وتلفتٌ
عن البان ، والشوقُ اللّواغِبُ جُنّحُ ؟[151]
ودُونَ المَرابي الحاجِرِيّة عَسْفَةٌ
تَعجِّزُ عنها ، يا لك الخيرُ ، (صَيْدَحُ)[152]

معلقا عليه بحواش لأبي الفتح الحسين بن علي العائدي . ثم كان قصب السبق في تحقيق الديوان مع شرح الباهلي صاحب الأصمعي للدكتور عبدالقدوس أبي صالح ، وقد طبعه له « مجمع اللغة العربية بدمشق » ــ ثلاث مجلدات كبار (سنة ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م) وما بعدها .

(١٥٠) القصيدة ، ستة وستّون بيتاً ، في ديوانه (١١٨٩/٢ ــ ١٢٢٦) « ط . مجمع اللغة العربية بدمشق » ، أوّلها :

أمنزلَتَيْ (مَيّ) ! سـلامٌ عليكما
على النّأي ، والنّائي يَوَدُّ ويَنْصَحُ

وفيها :

إذا غيَّرَ النأيُ المحبين لم أجد
رَسِيسَ الهوى من ذكر (مَيَّةَ) يَبْرَحُ

(١٥١) الهدء ، والهداة : (ح٣٩) . الصَّدْفة : الإعراض والميل . البان (ح٣٧) . اللواغب : المطي التي أجهدتها الأسفار . جُنّح : جمع جانح ، اسم فاعل من: جنح الإنسان والبعير إذا مال على أحد شقّيه .

(١٥٢) المَرابي ، بفتح الميم : المرابيء ، خفف همزته للوزن . وهو جمع مَرْبَأ:موضع الربيئة ، وهو الطليعة الذي يرقب العدوّ من مكان عال لئلا يدهم قومَه . الحاجرية : نسبة الى « حاجر » ، منزل للحاج بالبادية ، وهو قبل « معدن النقرة » . قال ابن خلكان في ترجمة عيسى بن سنجر الإرْبِلي المعروف بالحاجري (٤٠٠/١) : « كانت [حاجر] بليدة بالحجاز ، لم يبق منها سوى الآثار ، ولم يكن الحاجري منها ، بل لكونه استعملها في شعره كثيراً نُسِبَ اليها » . لك الخير : دعاء . و « يا » قبلها للنداء ، وقد حذف المنادَى بعده ، اي : يا صاحبي لك الخير . صيدح : اسم ناقة « ذي الرُّمّة »،استعاره منه.وقد أكثر ذو الرّمّة من ايراده في شعره ، ومنه قوله :

إذا ارفَضّ أطراف السِّياط وهلّلتْ
جُرومُ المطايا ، عَذَّبتهنّ (صَيْدَحُ)

وقوله :

سمعتُ : النّاسُ ينتجعون غيثاً ،
فقلت لـ « صَيْدَحَ » : انتجعي « بلالا »

أواجهتَ عن شــرقيٍّ « رامــةَ » ناسماً
يُهاديك من « نَجْرانَ » ما هو أنْوَحُ ؟[153]

ألا ، فتُنَّ غاياتِ الغــرامِ وحزْتَهــا
ومــا البــانُ إلا أَوْدَةٌ وتَــرنُّحُ[154]

وأين مــن الهِيف النَّــواعم مــا هفت
إليــه جِهــات من فؤادك تطمَحُ[155]

سقى الجِزْعَ ما روّى رُباه مُجَلْجِلٌ
هَتُونُ الغَوادِي ، برقُهُ يَتَوَضَّحُ[156]

وجِيــدَ بذاك الوَبْلِ ما خَطَرت بــه
(سُلَيْمى) تأَتَّى ما تشاء وتَمْرَحُ[157]

كمــا تتلوّى حيّــةُ الرَّمْل أُرْمِضت ،
يميــلُ بهــا إعجابُهــا ويُرَنِّحُ[158]

---

(١٥٣) نجران (ح١٠٦) رامة : (ح١٢٦) . أنْوَحُ : اكثر هبوب ريح .

(١٥٤) البان (ح ٣٧). الأودة : العطف والتثنّي . الأصل « ادة » . الترنح : التمايل يميناً وشمالاً . حزتَها : ملكتها .

(١٥٥) الهيف : المشوقات الضامرات البطون .

(١٥٦) الجزع : منعطف الوادي ووسطه . ما روّى : ما مصدرية ظرفية . روّى : اشبع . مجلجل : مصوّت صفة لموصوف محذوف . يقال : جلجل السحاب والرعد : صوّت في حركة . هتون الغوادي : منسكب الأمطار ، والغوادي : جمع الغادية ، وهي السحابة تنشأ فتمطر غدوة ، و ـ مطرة الغداة .

(١٥٧) جِيدَ : عمّه وشمله الجَوْد ، بفتح الجيم وسكون الواو ، وهو المطر الغزير ، وفي حديث الاستسقاء : « ولم يأت أحد من ناحية الا حَدَّث بالجَوْد » . الوبل : المطر الشديد الضخم القطر .

(١٥٨) أُرمضت : ارمضها حر الرمل ، أي احرقها واشتد عليها وقع الشمس .

حَصـانٌ ، عـدا أنّي أُسـلِّمُ مُعْرِضاً

فتـأنَسُ منّـي بالسَّـلام وتَسْنَحُ (١٥٩)

يُمانِعُهـــا إدلالُهـا عجلـةَ الصِّبـــا

ووَحْفٌ على أردافهـــــا يترَجَّحُ .(١٦٠)

وما روضـــةٌ طُلَّتْ سُحَيْراً ، وجادَها

ضَحاءً حَبــاً ، واهي العُرا ، يتبطّحُ ،(١٦١)

همى نـازحَ الأرجاء مُنْبَجِسَ الْحَيـــا

فعمٌّ إلى أنْ فـــاضَ وادٍ وأبطَحُ ،(١٦٢)

---

(١٥٩) حَصان ، بفتح الحاء : عفيفة منيعة ، قال حسان بن ثابت في أم المؤمنـــين «عائشة » ، رضي الله عنها :

حَصَـانٌ رَزَانٌ ، مـا تُزَنّ بريبـة

وتُصبح غَرْثَى مـن لحوم الغوافلِ

ما تزنّ : ما تتّهم . مُعرِضاً : مولّياً ، يقال : أعرض عنه إذا صدّ وتولى . تسنح : تمرّ ، يقال : سنح الطائر أو الظبي وغيرهما : مرّ من مياسرك إلى ميامنك ، فولاك ميامنك . الأصل « تسبح » .

(١٦٠) يمانعها : الأصل « يمابغها » ! وحف : الأصل «وجف»،وشعر وَحف : كثير أسود . يترجَح : يتهزّز ويتحرك ، ويقال : ترجحت به الأرجوحة : مالت، وقول المعاصرين : « تأرجحت » غلط ، ولا قيمة للتمحّل في تخريجه .

(١٦١) طُلّت : أصابها الطّلّ وهو الندى ، فهي مطلولة . سحيراً : تصغير السَّحَر ، وهو آخر الليل قبيل الفجر . جادها : أمطرها الجود (ح١٥٢) . الضَّحاء، بفتح الضاد : الضُّحى ، أو قرب انتصاف النهار . حبا ، بوزن عصا : سحاب متراكم بعضه فوق بعض ، ومثله الحَبِيُّ . ولفظه في الأصل غامض مستبهم بين خاو وخلو . وما وضعته اجتهادا هو اللفظ الذي يوائم السياق وينسجم معه . ويوصف السحاب عند تشققه عن مائه بوَهْيِ العرا . يتبطّح : يتسع سيله في الأباطح ، والرجل يتبطح : يسبطرّ على وجهه ممتداً على وجه الأرض، قال ذو الرمة في معشوقته « مية المنقريّة » :

أبيت ، بِمَيٍّ ، مُسْتَهاماً ، وزوجُهـــا

على كالنَّقـا من « عـــالج » يتبطّـحُ !

(١٦٢) همى : سال . نازح الأرجاء : بعيد النواحي . الحيا : المطر . الأبطح : المكان المتسع يمرّ به السيل ، فيترك فيه الرمل والحصى الصفار ، مؤنثه البطحاء ، ومنه أبطح مكة ، أو بطحاء مكة .

فمــا رامَ ، حتّى عــادَ نَشْــرُ عَرارِها
كما فُتّـِقَتْ فأراتُ مِسْكٍ تُذَبَّحُ ،[163]

.. بأطْيَبَ من أنفاسِها بعدَ هجعةٍ
وما ضَمّ ثِنْيا مِرْطِها حين تُصبحُ ،[164]

شكوت إليها بعدَما نَبَضتْ لـه
ضُلوعي ، ودمعي من شُؤُونيَ يسفَحُ ،[165]

ألايا فهل عاينتَ أحسنَ لافظٍ
به عُجمةٌ عن جابةٍ ، وَهْوَ مُفصِحُ ؟[166]

تطأطأتُ للأثقال بعدَ انتصابةٍ
وأصبحتُ والآمالُ تكبو وتجمَحُ ،[167]

فهـا أنا لا تعتاقُني عَجْرَفِيَّةٌ ،
وكافلُ صَدْعِ الشَّمْل بينٌ مُزَحْزِحُ ،[168]

---

(١٦٣) رام مكانه يريم ريماً وريماناً : فارقه . النشر : الرائحة الطيبة . العرار : بهار طيب الرائحة . فُتّقت : خلط بها ما يُذْكيها ، أي يزيدها سطوعاً وفوحاً . فأرات المسك : أوعيته التي يجتمع فيها .

(١٦٤) بأطيب : خبر « وما روضة .. » قبل ثلاثة أبيات . المِرط : كساء من خزّ أو صُوف أو كتان يؤتزر به ، وتتلفع به المرأة . ثِنْياه : طرفاه .

(١٦٥) الشؤون : مجاري الدمع .

(١٦٦) الا : أداة تنبيه . يا : حرف نداء ، المنادى بعدها محذوف . لافظ : في الأصل « لافت » ، ولست ارى له وجهاً . الجابة : الجواب ، يقال « اساء سمعاً ، فأساءَ جابة » .

(١٦٧) تكبو : تعثر . تجمح : تركب هواها فلا يمكن ردّها .

(١٦٨) تعتاقني : تمنعني وتشغلني . العجرفية : العجرفة ، وهي جفوة في الكلام وخُرق في العمل . صدع الشمل : تفريق المجتمع . البين : الفرقة .

من الرَّكْب ، ما لَوَّوْا إلى ذي صَبابــةٍ
تَلَفَّتُهُمْ عن عُرض «وَجْرَةَ» أشبُحُ(١٦٩)

تعــاطَوْا فجابوا كلَّ تَيْهــاءَ مَهْلَكٍ
تَراطَنُ فيها الجنُّ ، والعيسُ ترزَحُ (١٧٠)

يسومونها نَشْقَ الخُزَامى بِـ « عالِجٍ »
ودُونَ الخُزامى مَجْهَلُ السَّيرِ صَحْصَحُ(١٧١)

إلى مُحْتَبٍ ، للوفــد يبسِمِ أنْ رأى
رحــالَ المطــايا حولَهُ تتطرَّحُ(١٧٢)

قليلُ التِفات الهمّ ، إلا إلى النَّــدَى
يُشاع ، ومغبوقٍ من الجود يصبحُ(١٧٣)

---

(١٦٩) الركب : الراكبون ، العشرة فما فوق . تلفتهم : تصرفهم ، الأصل « تنافتهم »، وليس له معنى . وجرة : موضع بين مكة والبصرة ، بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلاً ، ليس فيها منزل ، فهي مَرَبٌ للوحش . عرضها : جانبها . أشبح : جمع شَبَح .

(١٧٠) جابوا : قطعوا . التيهاء : التيه ، وهو المفازة لا علامة فيها يهتدى بها . مهلك: توصف التيهاء بمهلكة ، بتثليث اللام وبالهاء ، لأنها تهلك الأرواح فيها ، ويقال أيضاً مفازة هالك ، أي مهلكة من تعرض فيها هلك . واما المهلك فهو وقت الهلاك ، ومصدر كالإهلاك . تراطن : تتراطن ، حذفت منه تاء المضارع تخفيفاً ، وهو قياسي في التاء ، أي تتخاطب بكلام لا يفهم . العيس: كرام الإبل، و ـ التي يخالط بياضها شقرة . ترزح : تضعف وتلصق بالأرض من الإعياء أو الهزال لا تتحرك .

(١٧١) يسومونها : يكلفونها . الخزامى : عشبة طيبة الريح، فيها نَوْر كنَوْر البنفسج وليس في الزهر أطيب ريحاً منه . عالج : رملة بالبادية ، بين « فَيْــد » و « القُرَيات » على طريق مكة. المجهل : المفازة لا اعلام فيها ، ويقال : أرضٌ مَجْهَل ، لا يهتدى فيها . الصحصح : الأرض المستوية الواسعة .

(١٧٢) المحتبي : المشتمل بثوبه .

(١٧٣) مغبوق : اسم مفعول ، من : غبقه ، أي سقاه غبوقاً ، وهو ما يشــرب بالعشي .

يهـاب به ، والجَحْفَل المَجْـرُ ضـارِبٌ

رِواقَيْـه ، والأبطالُ للموت تَكْلَحُ[174]

فتعنو لذِكراه القَنـا وكُعوبُهـا

وبِيضُ الظُّبا والسّابِريُّ المُصَفَّحُ[175]

إليـك ، زعيمَ الدّولتـين ، تُجوذِبَت

بُرَى النُّوق تغـدو شُزَّباً وتُرَوَّحُ[176]

يواعِـدنَ سَبْطَ الكفِّ مصطحبَ العُلى

سـريعَ القِرى ، يهفو الجليس ، فيصفَحُ[177]

فـلا ، وأبي ، ما لَفَّهُنَّ إلى امْـرِىءٍ ،

عَداك ، طريقٌ فيـه مَنْأىً ومَنْزَحُ[178]

رأينـك سَـعْدانَ المُنَى فتخاضعت ،

أما وجميـعُ النّاس نبتٌ مُصَوَّحُ[179]

ألا ، هـذه الغُرُّ القـوافي ، سـخا بهـا

أَلَدُّ ، له في بُهْرَةِ المجـد مَسْرَحُ[180]

---

(١٧٤) الجحفل : الجيش الكثير فيه خيل . المَجْرُ : العظيم ، يوصف به الجيش .

(١٧٥) الظُّبا : في الأصل « الضبي » . السابريّ ، من الدروع : الدقيق النسـج في إحكام .

(١٧٦) البُرَى : جمع البُرَة ، وهي حَلْقة من صفر أو غيره ، يخزم بها أحد جانبي أنف البعير لتذليله . الشُّزَّب : المُضَمَّرات .

(١٧٧) سبط الكف : جواد معطاء . القِرى : ما يقدم الى الضيف من الطعام . يهفو : يزلّ ويخطيء .

(١٧٨) المنأى : الموضع البعيد ، ومثله المنزح .

(١٧٩) السَّعْدان : نبت ذو شوك ، وهو من أنجع المرعى ، وفي المثل : « مَرْعىً ولا كالسَّعْدان » يضرب مثلاً للشيء يفضل على أقرانه . المصوح : اليـابس المتشقق .

(١٨٠) الَلدُّ : مجادِل غالب . البهرة : وسط الشيء .

تَعــــامى الورى عن فضلـه ، فأعـارهم
إهابــةَ مَنْ يُعْطَى مُنـــاه ويُمْنَحُ

إليَّ ســــما حـــدُّ البلاغــة وانتهى ،
فمـا فاســـدٌ إلّا بقوليَ يُصْلَحُ !

فقـاربتُ ، حتّى لاتَ حِينَ تقــارُبٍ
أنـا المـادحُ المُثْنِي وأنت المُمَدَّحُ (181)

*

وقال في الشّكوى من « دِمَشْقَ » :

لأُرَحِّلَـــنَّ مطيّتي عـــن بلــــدةٍ
شـعثاءَ يُكْرَهُ مـاؤُها وهواؤُها(182)

ولأَرمِيَنَّ « دِمَشــقَ » غيرَ مُجَحِّـفٍ
بفَواقِرَ التّبَســتْ لهـــا أبناؤهـا(183)

ولأزجُرَنَّ العِيسَ عنهـــا مُعرِضــاً
إن أقـــدرتْني دولةٌ ولواؤهـــــا(184)

فإلامَ أُغضِي في « دِمَشْقَ » على قَذىً
والأرضُ نازحـــــةٌ بهـا أرجاؤها ؟ (185)

---

(181) لات : ليس ، اسمها محذوف ، أي ليس الحين' حينَ تقارب .

(182) المطية : كل ما يمتطى مطاه ، أي يركب ظهره . شعثاء : مُتَّسِخة .

(183) مُجَحِّف ، بالتضعيف ، مبالغة جَحَف : مُضِرّ . لم تذكره المعاجم ، وإنما ذكرت جحفه ، واجتحفه ، واجحف به . وهي في الأصل « محجف » بتقديم الحاء . الفواقر : الدواهي . أبناؤها ، أو أنباؤها : النقطتان فيها حائرتان في الأصل ، وأرجح الثانية .

(184) العيس : (ح ١٧٠) .

(185) أغضى على الشيء : سكت وصبر ، ويقال : أغضى عيناً على قذى أي صبر على أذى . والقذى : ما يتكون في العين من رَمَص وغَمَص وغيرهما . الأرجاء : النواحي ، الواحد رَجًا . نازحة : بعيدة .

أَأُضَـــامُ ، والأمـــلاكُ ترجو أن ترى

ظِلـّي ، ولي في العـــالمين وِلاؤهـــا ؟

إن لم أَثُرْ أَنَفـاً ، فلا أجْرَت يــدي

قلمـــاً ، به يُرْوِي المعـالي ماؤها(*)

أنـا كاشفُ الغـُمَّى إذا ما أُســرةُ الـ

ـفضل الشّـــهير تحيّرت علمـــاؤها[186]

⁂

وقال ، يعارض (مِهْيارَ)[187] في قصيدته الميميّة ، الّتي يقول فيها :

فابْعَثُوا أشباحَكم لي في الكَرى إنْ أردتُم لجُفوني أن تنـــاما[188]

وكتبها إلى (كمال الدّين الشّهرزوري)[189] :

(*) يروي : في الأصل « تزوي » .

(186) الغُمّى : الشديدة من شدائد الدّهر .

(187) مهيار بن مرزويه الديلمي : شاعر فارسي الأصل ، كان مجوسياً وأسلم سنة ٣٩٤ هـ ، وتخرج في الشعر والأدب على الشريف الرضي ، ومات سنة ٤٢٨هـ جمع شعره بين فصاحة العرب ومعاني العجم كما قال فيه الحُرّ العاملي، ولم يُخْلِه من حقده على السلف الصالح وسبّه لعظماء الأمة. وديوانه ٤ أجزاء مطبوعة . وقد ترجمته في ١٠٢/١ ، واضيف هاهنا إلى موارد ترجمته : تاريخ بغداد ٢٧٦/١٣ ، وتاريخ ابن الأثير ١٥٧/٩ ، والبداية والنهاية ١٤/١٢ ،والعبر للذهبي ١٦٧/٣ ، وشذرات الذهب ٢٤٢/٣ ، والنجوم الزاهرة ٢٦/٥ ،والمنتظم ٩٤/٨ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمن ــ الترجمة العربية . وللسيدعلي الفلال كتاب « مهيار الديلمي وشعره ــ ط » ذكره الزركلي في الأعلام .

(188) هو البيت الثاني والعشرون من القصيدة المشهورة (الديوان ٣٢٧/٣ ــ ٣٣١)، الّتي مطلعها :

بكر العارض تحدوه النعامى فسقاكِ الري يا دارَ أُماما

وقوله : « إن رأيتم » ، روايته في الديوان : « إن اذنتم » ، وهي لغـــة مهيار كما قال في قصيدة اخرى (الديوان ٣٤٧/٣) :

قد قنعنا ان نرقب الأحلامــا لو اذنتم لمقلةٍ أن تنـــاما

(189) هو محمد بن عبدالله بن القاسم ، أبو الفضل ، كمال الدين ، فقيه أديب شاعر كاتب ظريف من بيت كبير من بيوتات العلم والادب والقضاء . ولد في الموصل

جـاذِبِ العيسَ نُسُوعاً وزِمامـا | إنْ تعرَّضْنَ فناوَشْنَ البَشَاما[190]
وإذا اسـتقبلكَ الرَّكْبُ ، فسَلْ : | أرأيتم شِيحَ «نَجْدٍ» والثُّماما؟[191]
ومُوَيْهـاً عَنْدَماً، باناتُـــــهُ | تتراءَى إنْ جرت ريحُ النُّعامى[192]
وإذا شـــارفتَ قاراتِ الحِمى ، | وقِبــــاباً عالياتٍ ، وخِياما ،[193]
فأجِبْ ، لافُضَّ فُو ذي لَسَنٍ | إنْدعافاستنصتَالوُرْقَالحَماما[194]

سنة ٤٩٢هـ ، وتفقه ببغداد ، وسمع فيها الحديث ، وتولّى القضاء بالموصل ، وبنى فيها مدرسة للشافعية ، ورباطاً بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتقل إلى دمشق ، فولاه نورالدين محمود بن زنكي الحكم فيها ، واستوزره ، فكان له الحلّ والعقد في الديار الشامية ، وأقرّه السلطان صلاحالدين يوسف ابن أيوب ، بعد وفاة نورالدين ، على ما هو عليه ، فاستمر الى ان توفّي في سنة ٥٧٢هـ . وله شعر جميل ، قرضه على سبيل التظرف والتطرّف . وترجمته في قسم شعراء الشام من هذا الكتاب (٣٢٣/٢ ــ ٣٢٧) ، ووفيـــات الأعيان ٤٧٢/١،والمنتظم ٢٦٨/١٠ ، ومرآة الزمان ٣٤٠/٨،والوافي بالوفيات ٣٣١/٣، ومختصر تاريخ الدبيثي للذهبي ٥٥ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ــ خ،وطبقات الشافعية الكبرى١١٧/٦، وطبقات الإسنوي ٩٩/٢، وتاريخ ابنالاثير١٦٧/١١، وتاريخ ابن الوردي ٨٧/٢،وشذرات الذهب ٢٤٣/٤،والبداية والنهاية٢٩٦/٢، ٢٩٧ ، والعبر للذهبي ٢١٥/٤ ، ٢١٦ ، والنجوم الزاهرة ٨٠/٦ .

(١٩٠) العيس (ح ١٧٠) . نسوعا : من (ب) ، الأصل «نزوعا »،ولا موضـع لها في سياقالبيت. وهي سيور عراض تشدّ بها الرّحال أو نحوها ، واحدها نِسْع، بكسر فسكون . الزِمام ، الخيط الذي يشدّ في البُرَة (انظر : ح١٧٦) ، ثمّ يشدّ إلى طرف المِقْوَد . ناوشن : تناولن . البشام : شــجر طيب الريح والطعم ، يستاك بعيدانه .

(١٩١) الركب : (ح١٦٩) . الشِيح : نبت ذو رائحة طيبة قوية ، وهو كثير الأنواع ترعاه الماشية . الثمام : (ح ١١١) .

(١٩٢) مُوَيْه : تصغير ماء . عَنْدَم : أحمر اللون ، والعندم : هو دم الأخوين ، وقيل : البَقَّم . بانات : جمع بانة (ح٣٧) . تتراءى : ب « تترامى » . النُّعامى : ريح الجنوب ، وهي في « جزيرة العرب » أندى الرياح وأرطبها .

(١٩٣) القارات : الآكام ، و ــ جبال صغار منفردة سُود مستديرة ملمومة طوال في السماء ، و ــ الأرضون ذوات الحجارة السود .

(١٩٤) فأجب : الأصل « فأصب » . استنصت : دعا الى الإصفاء . الورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة .

قل ، وقد أنْصَتَ عبـدا « عامرٍ » وإماءُ الحَيِّ ينفُضْنَ القِراما:[195]

هل لضيف من قِرىً يَزْهَى بـه من حديثٍ واصلٍ يَشفي الأُواما؟[196]

يا (بني قحطـانَ) ، قد ناهزْتُمُ غارباً في الفخر صَعْباً وسَناما[197]

أنا من سِرّ (بني مَذْحِجٍ..) كُمْ أفترضَوْنَ لفضلي أن يُضاما؟[198]

أَنصِفُوني ، لا عـدا أرضَكُمُ وابلٌ ، بارِقُـه يُبدي ابتساما[199]

ونسـيمٌ ، كلّمـا مَـرّ نَمَى
غَضٌّ حَوْذان « المُصلّى » والخُـزامى[200]

أَنصِفُوني من زمـان جـائر كلّمـا نُبِّـهَ للإنصاف نامـا

صـدَفَ الثّروةَ عنّي ، ومضى مَطَلَ الفضلَ بهـا عاماً فعاما[201]

وهو الدّهـرُ ، بصيرٌ بالورى لكِنِ الدّهرُ .. عِناداً ، يتعامَى

يا بني وُدّي ، رفَضْتُمْ حُرَماً رفضُها أضحى على خِلٍّ حراما[202]

وتناسـيتُمْ حقوقاً ، وَجَبَتْ لِنَجِيّ .. فات في الفضل الأناما(*)

---

(195) انصت : الأصل « أصفت » عبداً عامراً ، ب : اصفت عبدا عامرٍ . ولعل الصحيح ما اثبتّه : انصت عبدا عامرٍ . القِرام : ستر فيه رقم ونقوش ، جمعه قُرُم .

(196) القِرى : ما يقدم الى الضيف من الطعام . يَزْهى به : يعجب به . الأُوام : حرارة العطش . ب : « أواما » غير معرّف بأل .

(197) بنو قحطان : (ح113) . ناهزتم : دانيتم وقاربتم . الغارب : الكاهل ، و ـ من البعير ما بين السنام والعنق ، و ـ أعلى كل شيء .

(198) مذحجكم : الأصل « مدحجكم » بالدال المهملة ، وهو تصحيف . وبنو مَذْحِج : قبيلة قحطانية ، من كهلان . واسم مذحج مالك .

(199) الوابل: المطر الشديد الضخم القطر .

(200) الحَوْذان : نبت له ورق وقصب ونَوْر أصفر . المُصلّى : موضع الصلاة ، وهو موضع بعينه في عقيق المدينة : مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام . الخزامي : (ح171) .

(201) صَدَفَ الثروة عني : صرفها . مطل الفضلَ : أجّل موعد الوفاء به مرةً بعد مرة .

(202) الخِل : الخليل .

(*) لنجيّ : من (ب) ، الأصل « لنحيّ » بالحاء المهملة . والنجيّ : المناجي ، والنحي : المنتحي ولعله أراد بالنّحِيّ : « النّحْوِيّ » .

كنتُ أرجو أن تثوروا أَنَفاً ... من تَصاريفِ زمانٍ قد أغاما[203]

فقعَدْتُم عن أخٍ ، لو رُمتُمُ ... لهَزَزْتُم منه في حَفْلٍ حُساما

ورجاكم ، فغدا يُصلت من ... عزمكم في حادث سيفاً كَهاما[204]

رامَ أن تُعطُوا ذِماماً فضلَهُ ... من سُطَا الدّهر ،فلم تُعطوا ذِماما[205]

وبَخِلْتُم ، فمنَعْتُم ـ جَفْوَةً ـ ... عنه أسبابَ الرِّضا حتّى السَّلاما

فاسمَعُوا في كلّ يومٍ واضح ، ... يا بني الدّهر ، عِتاباً ومَلاما

وبنيّات حديثٍ مُقلق ، ... لو سمت للنّيل ، ما حَطَّ لِثاما

يا أبا الفضل دعاءً واصلاً ... مُسْمِعاً فَذَّ عتابي والتُّؤاما[206]

لم أزَلْ أرجوك عوناً لي ، إذا ... أنا يوماًخِفتُ من دهري اهتضاما[207]

فأعَنْتَ الدّهرَ حتّى راعَني ... بهَنَاتٍ،أورثت جسمي السَّقاما[208]

عُدتُ أستشفي لدائي ، سالكاً ... سُبُلَ أمراضي،وأستسقي جَهاما[209]

فإذا غُرْمي ، على التَّرْحَة بي ، ... مستطيرٌ بالخَوافي والقُدامى[210]

---

(٢٠٣) أغام : غامت السماء ، وأغامت : غطّاها الغيم ، ويقال غام اليوم . الأصل : «أعاما » ، ب : « أضاما » .

(٢٠٤) يصلت : يسلّ . سيفٌ كَهامٌ : كليل .

(٢٠٥) سُطا الدهر : سَطَواته ، أي عسفه . ذماماً « الثانية » : في النسختين « زِماما » بالزاي ، وهو تصحيف . والذّمام : العهد والأمان والكفالة ، و ـ الحق والحرمة .

(٢٠٦) الفَذّ : الفرد . التؤام : جمع التَّوْأم ، وهو المولود مع غيره في بطن من الاثنين إلى ما زاد ، ويستعار في جميع المزدوجات ، وأصله ذلك .

(٢٠٧) الاهتضام : مبالغة في الهَضْم ، وهو الظلم والغصب ، و ـ نقص حق الإنسان .

(٢٠٨) الهَنَات : جمع الهنة ، الشرور والفساد .

(٢٠٩) أستسقي : أطلب السقيا . الأصل « وأستشفي » ، وهي تحريف . الجهام: السحاب لا ماء فيه .

(٢١٠) غرمي : الأصل « عزمي » وهو تصحيف . والغُرم : ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه أو خيانة . التَّرْحَة : الحزن ، و ـ قلة الخير . الخوافي : ريشات أربع ، اذا ضمّ الطائر جناحه خفيت ، الواحدة خافية. القدامى : ريشات عشر كبار في مقدّم الجناح ، وهي القوادم أيضاً جمع القادمة . وقيل : هي أربع ريشات .

يا (كمالَ الدِّين)[211] .. أنصِفْ مسرعاً
ذا الرَّفيقَ العالمَ الحَبْرَ الإماما !

عالماً ، يُرضيك في الحَفْلِ إذا حضَرَ الحَفْلَ ، حُفالاً وكلاما[212]

وتُهادي ، يا سَمِيَّ (المصطفى) ، نفسَ عَلْياك بناءً مُسْتَداما

فتدارَكْ ، وابْقَ لي ــ ياذا العلى ــ ما سما صبحٌ ، وما نافَى ظلاما[213]

عِشْ على رُغْمِ عدوٍّ لك ، أو لي ، ودَعْ أنفَ عدوٍّ والرَّغاما[214]

**

ولِـ (ملك النُّحاة) خمسُ « مقامات » .

إبتدأ فيها بخطبة فصيحة ، وكلمات بديعة مليحة ، فلم أَرَ الإخلالَ بذكر خِلالها[215] ، فروَّيتُ ظَمَأَ الخواطر من زُلالها .

وهي :

« الحمد لله على انقياد البلاغة بزِمامها ، وإكمال نِعَم الفضل وإتمامها . والصَّلاةُ على (مُحَمَّدٍ) ، المبعوثِ وبُرهانُ الفصاحة إعجازُه ، الحاكِمِ باستتباع (العرب) تطويلُه وإيجازُه .

وبعدُ ، فمن سبيل مَنْ عَبِقَ أَرَجُ التّخصيص بأَرْدانه[216] ، وجال طِرْفُ فكرِه[217] في رحب الفضل وميدانه ، أن يعلم أنّ وصف القرائن والقوافي[218] ، يباينُه اختلال المنظوم ويُنافي .

---

(211) في حاشية الأصل : « كان رفيقه في المدرسة أيام اشتغاله » .

(212) الحُفال : الجمع العظيم . الأصل : « جفالاً » ، وهو الكثير من كل شيء . وما اثبتّه أليق بالسياق .

(213) نافَى : عارَضَ وبايَن .

(214) الرَّغام : التراب ، ويقال : « ألقاه في الرَّغام » : اذلّه وأهانه .

(215) الخِلال : الخصال ، جمع الخَلّة بفتح الخاء . تجوّز المؤلف في استعمالها لغير الإنسان .

(216) عبِق به الطيب : لزِق وظهرت فيه رائحته . الأرَج : انتشار الطيب .

(217) الطِرف : الكريم من الناس والخيل ونحوها .

(218) القرائن : جمع القرينة ، قال أبو البقاء في الكلّيات : هي ما يوضح عن المراد ، لا بالوضع ، تؤخذ من لاحق الكلام الدالّ على خصوص المقصود ، أو سابقِه .

وكان بعض مَنْ كوشف له أنّ طريقتي في النَّظم والنَّثر ، لا تنهَضُ قوّة أحد إلى سلوكها ، وأنّه إذا استُفيض نبأ الفصاحة أشار إليَّ بالسّيادة العظماءُ من ملوكها ــ أجرى ذكر « مَقَامات » لِـ (ابن الحريريّ)[219] ، لم تسلَمْ من لحن منتشر في أثنائها،وألفاظ ركيكة في مقاصدها وأنحائها،وأوضاع تَليقُ بالرَّعاع[220]، وأسجاعٍ تَصدِف عنها خُروقُ الأسماع !![221]

فلَمَحْت في ضمن إشارته أن أُجيب ، في مقابلة ذلك ، بما يعلو عن خَلَل ، ويرفُلْ من أنواع الكمال في أحسن حُلَل[222] ، مع جِدٍّ لا تعبَثُ يدُ الهَزْل بمِرْطِه[223] ، ولا يطمَعُ حسود في اختلال شرطه .

فشمَخَ أَنْفُ الأَنَفة عن مضاهاة ناقص[224] ، وموازاة من لم يَحْظَ بِنَجْرٍ في العلوم خالص[225] . فأجبتُ بعضَ الإجابة ، وسلكت فيما وصَفتُ مسالكَ الكتابة ، ووضعت خمس « مقامات » : تدُلُّ على تمكُّنٍ من أَضعافها ، وتُنبىء عن إيهاءِ مُنَّة الغير وإضعافها[226] :

حَنَانَيْكَ ! إن راعتك يوماً خصائصي ، وهالَكَ أصنافُ الكلامِ المسخَّرِ ،[227]

فسَلْ مُنصِفاً عن قالتي غيرَ جائرٍ ، يُجِبْكَ بأنّ الفضلَ للمتأخّرِ[228]

---

(219) ترجمته في (ج٤/م٢/ص٥٩٩ ــ ٦٧٤) من هذا الكتاب .

(220) بضم أوّله وفتحه : الغوغاء السِفْلة .

(221) حكم باطل ، ورأي فائل ، وإفراط في التجريح يجانف الحقيقة .

(222) يرفل في ثوبه : يجرّ ذيله ، ويتبختر في مشيه . الحُلَل : جمع الحُلّة ، بضم الحاء ، وهي الثوب الجيد الجديد ، و ــ ثوبان من جنس واحد ، و ــ ثلاثة أثواب ، وقد تكون قميصاً وإزاراً ورداءً .

(223) المِرط : (ح١٢٥) .

(224) المضاهاة : المشابهة .

(225) النَّجْر : الأصل .

(226) الإيهاء : الإضعاف . المُنّة ، بضم أوّله : القوّة . الغير : في جواز إدخال « ال » على « غير » ومنعه ، خلاف ليس هذا موضع بسطه .

(227) حَنَانَيْك ، وحَنَانَك : رحمةً منك موصولة برحمة .

(228) عن : في الأصل « من » .

وقد كنتُ أصون الكِنانةَ عن نَثْلها[229] » .

***

ومن شعره الّذي أودعه في « المقامة » الأُولى :

أقول لِشَــرْب الرّاح صِرْفاً ، وأَحْتَبي
لمجدٍ أُراعيه ، وعِـرضٍ أصُونُهُ : [230]

أفِي لجليسي للعِـدات ، ورُبَّمـا
وَفَى لي حسـودي بالمُنَى فأخونُهُ [231]

***

وقوله أيضـاً :

وكنت إذا اســترسلتُ ، وجّهت عزمتي
لفصلِ خطــاب ، أو لرَشْفِ كَعابِ [232]

فلا الصّـدُّ منهنّ العشيّةَ نـازلٌ
ولا الضّـدُّ يَرميني بوَصْمـة عـابِ

***

وقوله أيضـاً :

فأُقسِمُ بالمجـد الأثيل ، ومُنْيَـةٍ
تـدانت بهـا الأوقـاتُ لم تتلبَّثِ [233]

---

(229) الكِنانة ، بكسر اولها : جعبة صغيرة للنبل من اَدَم،أي جلد. ونثلُ ما فيها : إستخراجه .ـ ليت « ملك النحاة ! » امسك عن هٰذا الجور على غيره ،وعن هذا الفخر بنفسه ، فأخفى خُرقه ، ولم يسجّله شاهداً على ضعف عقله .

(230) الشَّرْب ، بفتح فسكون : القوم يشربون ويجتمعون على الشراب . الراح: الخمر . الصِّرف : الخالصة ، لم تمزج بالماء . أحتبى : اعطي اصحابي وغيرهم وأكرمهم ، والاسم منه الحِباء بكسر الحاء ويضم .

(231) للعدات : كذا الأصل ، كأنه يريد جمع العِدَة ، أي الوعود التي قطعها على نفسه لجليسه ، ويلزم ان يعدى بالباء . وفىٰ لي حسودي : الأصل « وفى لحسودي » .

(232) فصل الخطاب : الحكم القاطع الذي لا رادّ له . الرشف : المصّ . الكَعاب: الفتاة التي نَهَدَ ثدياها .

(233) الأثيل : المؤصَّل .

لَئِنْ جَذَبتني بعدَها يَدُ تَرْحَةٍ ،
قطَعتُ التفاتي عن مقالةِ مُحْنَثِ (٢٣٤)

**

وقوله في « المقامة » الثانية ، وقد عِيب بالكِبْر :

رأوني صعبَ النّفس ، سهلاً إلى العلى
قليلَ التفات الهمّ عن قول ناقصِ

أَسَفّوا ، ففازوا بالصِّلات سَنِيَّةً ،
وعُدتُ بجَدٍّ في العشيرة ناكصِ (٢٣٥)

**

وله قصيدة على وزن قصيدة (ذي الرُّمَّة)(٢٣٦) التي أوّلُها :
(ما بالُ عينِك منها الماءُ ينسكبُ ؟ (٢٣٧))

أحاضرٌ ، وأُهَيْلُ المُنْحَنى غَيَبُ ؟
نوى ملامَكَ ذاكَ الظَّلْمُ والشَّنَبُ (٢٣٨)

فاوِضْ نِياقك إرغاماً ، فإن شمَخَت
بها البُرَى ، سمَحَت بالرَّدْعة الجَدَبُ (٢٣٩)

---

(٢٣٤) الترحة : الحزن . المحنث : المحمول على الحِنث في يمينه أي الخُلْف فيها ، والميل من باطل الى حق ، ومن حق الى باطل .

(٢٣٥) أسَفّوا : دَنَوا ، يقال : أسف للأمر ، وإليه . السنية : ذات الرفعة والقَدْر . ناكص : راجع الى الخلف .

(٢٣٦) ذو الرمة : (ح ١٤٩) .

(٢٣٧) شطره الثاني : « كأنه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ » . والقصيدة ١٢٥ بيتاً في ديوانه (١/٩ – ١٣٦)ط . مجمع اللغة العربية بدمشق . وهذه القصيدة من أشهر قصائد ذي الرمة ، قال الأصمعي : « سمعت من يذكر عن ذي الرُّمَّة انه لم يزل يزيد على كلمته التي على الباء حتى مات » .

(٢٣٨) المنحنى : مُنْحَنى الوادي ، أو الطريق : منعطفه . غَيَب : غائبون . الظَّلْم ، بفتح فسكون : ماء الأسنان وبَريقها . الشَّنَب : جمال الثغر ، وصفاء الأسنان . قال ذو الرمة : « وفي اللثات وفي أنيابها شَنَبُ » .

(٢٣٩) البُرَى : (ح١٧٦) . الردعة : الزجرة . الجَدَب : كأنه اراد الأرضين التي لا نبات بها ، يقال : أرض جَدْبٌ وجَدْبَة ، أي مجدبة ، والجمع جدوب ، وقد قالوا : أرضون جَدْبٌ ، كالواحد ، وفتح الشاعر داله للضرورة .

سَلْ رَكْبَ « رامةَ » ، والأنباءُ سائرةٌ :

هل مُدَّ بعدُ لِحَيٍّ بالفَضا طُنُبُ ؟(٢٤٠)

يهفو بقلبك ، والعَيْساء رافلةٌ

من الصِّبا ، لا عداها الأَيْنُ والنَّصَبُ(٢٤١)

إذا انبرتْ ، هاضَها كالهِقْل نافرةً

هجومُ أحقبَ قد أودى به الهَرَبُ(٢٤٢)

سما له أشعثُ الجنبَيْنِ منخذلٌ

خافي الضَّغينة يَطوِي شخصَه السَّغَبُ(٢٤٣)

أيا ذُؤابةَ سِرِّ الحَيِّ : هل وَطَرٌ ؟

«نَجْرانُ» منتزِحٌ ،والمُنْحَنى كَثَبُ(٢٤٤)

---

(٢٤٠) رامة : (ح١٢٦) . الفضا : الفضاء ، وهو ما اتسع من الأرض ، و ــ الخالي من الارض . هذا معناه هنا ، ولا يكاد يعرف الفضاء اليوم الا باستعماله المولّد ، وهو ما بين الكواكب والنجوم من مسافات لا يعلمها الا الله . الطُنُب: حبل الخِباء والسُّرادِق ونحوهما .

(٢٤١) العيساء : الناقة الكريمة ، و ــ التي يخالط بياضها شقرة . الأصل: «العسياء» . رافلة : اسم فاعل ، من : رفل ، اذا جرّ ذيله وتبختر ، يستعمل في الإنسان، وحقه هنا « راقلة » بالقاف ، ولكن العرب ، لم تقل رقلت الناقة ، وانما قالت أرقلت الناقة : اسرعت ، فهي مرقلٌ ومرقال ليس غير ، فعدل الى رافلة بالفاء ، ليستقيم له الوزن . الأيْنُ : الإعياء والتعب . والنَّصَب : الجدّ والاجتهاد ، والإعياء والتعب أيضاً .

(٢٤٢) انبرى : مطاوع : برى له ، اي عرض . هاضها : كسرها . وفي الأصل«آضها»، وآض فعل لازم لا يتعدى : معناه رجع وعاد . أو هو « آدَها » أي ثناها وردّها . الهِقْلُ : الفتيّ من النّعام ، وقال بعضهم : الهِقل الظليم ــ ذكر النعام ــ ، ولم يعيّن الفتيَّ . الأحقب : الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض .

(٢٤٣) يصف في هذا البيت ذئباً . وقوله : سماله : رُفع له ، ومنه قول البحتري في داليّته في وصف الذئب :

سما لي وبي من شدة الجوع ما به

بِبَيْداءَ لم تعرف بها عيشة رَغْدُ

وهو في الأصل « لضاله » ، ولم أجد لتخريجه وجهاً مقبولاً . أشعث : متلبّد الشعر . الضغينة : الحقد الشديد . السَّغَب : الجوع من تعب .

(٢٤٤) الذؤابة : من كل شيء أعلاه . ويقال : فلان ذؤابة قومه ، أي شريفهم والمقدم فيهم . الوَطَر : الحاجة فيها مأرب وهمة . نجران (ح١٠٦) . منتزح : بعيد، الأصل « منتزحاً » . المنحنى : منحنى الوادي أو الطريق ، منعطَفُه . كَثَب: قريب .

ما لي وللبارق العُلْوِيّ •• جَـدَّ ؟ ولي
شوقٌ إلى « عالجٍ » قلبي به يَجِبُ[٢٤٥]

إذا أُطِيفَ بِفِيهـا عُودُ إسْحِلَةٍ ،
فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ ،والصَّهْباءُ،والضَّرَبُ[٢٤٦]

**

ومنهـا :

سَلِ البَشامةَ : هل روَّعتُ صادِحَها ،
إلا وقد كان مِرْطُ الليـلِ ينجذبُ ؟ [٢٤٧]

**

ومنهـا :

أَعَرْتُ شامتَها شَرْطَ المُنَى ، فَجَرَت
بـه الأجارِعُ ، وانهالت به الكُثُبُ[٢٤٨]

**

ومنها في المَخْلَص :

إن يَنْـأَ ما لم يزَلْ أَسْمُو لِأُدرِكه ،
فبـالوزير (جـلال الدين) يقترب[٢٤٩]

**

---

(٢٤٥) عالج (ح٣٧) . يَجِب : يضطرب . الأصل : « شوقاً الى عالج قلبي لهيجب» .
(٢٤٦) بفيها : بفمها . الإسحلة : واحدة الإسْحِل ، وهو شجر يستاك بعيدانـه ، يُشبه الأَثْلَ . المَنْدَل : العود الطيب الرائحة . الصهباء : الخمر . الضَّرَب: العسل الأبيض الغليظ . الأصل « والطرب » ، ولا وجه له هاهنا .
(٢٤٧) البشامة : شجرة طيبة الريح والطعم ، يستاك بعيدانها . المِرط : (ح١٢٥) .
(٢٤٨) الأجارع : جمع الأجرع ، وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل . الكُثُب : جمع الكثيب ، وهو الرمل المستطيل المحدودب .
(٢٤٩) ينأى : يبعد .

ومنها في وصف القصيدة :

فَوِّضْ إليَّ حديثَ البانِ ، وارْضَ بها
لَدّاءَ .. لا حَيْفَ يعروها،ولا كذِبُ[250]

لهــا انتسابٌ إلى فكري ، تَمُتُّ بــه ،
فخــاطري ناظمــاً أمٌّ لهــا وأبُ

إذا ذكرت لهـا (غَيْلانَ) ، أغضبَهـا .
وهل يقاس بتلك الفِضّة الذّهَب ؟![251]

وهي كلمة طويلة ، بالفصاحة مستطيلة .

***

وكان قد هجاه (ابن مُنير)[252] بأبيات ، فيها بانت[253] كتبٌ إلى بعض القُضاة [في][254] المجلس القاضَوِيّ ، وهي :

---

(٢٥٠) البان : (ح٣٧) . لدّاء : مجادلة غلابة . الحيف : الجور والظلم .

(٢٥١) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور (ح١٤٩) .

(٢٥٢) ابن منير : هو أحمد بن منير الطرابلسي ، أبو الحسين ، مهذب الدين : شاعر مشهور ، من أهل طرابلس الشام . ولد بها سنة ٤٧٣ هـ ، وكان أبوه ينشد الأشعار ويغني في أسواق طرابلس ، ونشأ ابنه ، وحفظ القرآن الكريم ،وتعلم اللغة والأدب ، وقال الشعر ، وقدم دمشق فسكنها ، وكان هجّــاءً خبيث اللسان فأحفظ أكابرها ، وسجنه بوري بن اتابك طغتكين صاحب دمشق مدة، وعزم على قطع لسانه ، فشفعوا فيه، فنفاه الى حلب. واتصل في آخر عمره بخدمة السلطان نورالدين محمود بن زنكي ، ووافى دمشق رسولاً من جانبــه قبل تملكه لها ، ونال عنده الوجاهة . ومات بحلب سنة ٥٤٨ هـ . وكانت بينــه وبين القيسراني الشاعر المشهور معارضة ومهاجاة . « وهما كفرسَيْ رهان ، وجوادي ميدان » كما قال فيهما العماد . ولابن منير ديوان . وترجمتــه في خريدة القصر ، قسم شعراء الشام ١/٧٦ـ٩٥ ، ووفيات الأعيان ١/٤٩ ،

أيا مَلِكَ النَّحْوِ ، والحاءُ من ... تهجيه من تحتُ قد أعجموها[255]

أتانا قياسُك هذا الّذي ... يُعجِمُ أشياءَ قد أعربوها

ولمّا تصفعنت في القاضَوِيّ ... غدا وجهُ جهلِك فيه وُجوها[256]

وقالوا ، قَفَا الشّيخِ : (إنّ الملو ... كَ إذا دَخَلُوا قريةً أفسدوها)[257]

فأجابه (ملك النّحاة) :

أيا (ابنَ مُنير) .. حسِبتَ الهِجا ... ءَ رتبةَ فخر ، فبالغتَ فيها

جمعتَ قوافيَ من ذا وذا ، ... وأصبحتَ منتَحِلاً تَدّعِيها[258]

وقالوا ، قَفَا الشَّيْخ : « إنّ الملو ... كإذا أخطأتْ سُوقةٌ أدّبُوها»[259]

**

والروضتين ٩١/١ ، وتاريخ ابن القلانسي ٣٢٢ ، ومرآة الزمان ٢١٧/٨ وشذرات الذهب ١٤٦/٤ ، واعلام النبلاء ٢٣١/٤، والنجوم الزاهرة ٢٩٩/٥.

(٢٥٣) بانت : وصلت ، وهو من الأضداد .

(٢٥٤) في : زيادة لازمة ، والعبارة في الأصل:« فيها بانت كتب .. القاضوي »مضطربة.

(٢٥٥) يعني صيّروا لفظ « النَّحْو » نَجْوَاً ، وهو ما يخرج من البطن من ريح وغائط. وما أرذل هذا الكلام وأسقطه ! وكان المؤلّف، وهو من هو ، حرى أن ينزّه كتابه من حكاية أمثاله . وقوله « أيا مَلِكَ » في الأصل : « أيأمن » ، وهو تحريف .

(٢٥٦) تصفعن : لفظ عاميّ مبتذل ، أهملته دواوين اللغة . يظهر أن العامة بنته على « صَفَعَ » ، وزادت فيه التاء في أوله والنون في آخره ، لتولّد منه معنى أرادته ، وهو الخُرْق والجهل الفاحش الذي يدعو إلى صفع صاحبه أي ضربه على قفاه كما يفيده سياق البيت . وفي « لسان العرب» و « تاج العروس » : رجل صفعان ومصفعاني : يصفعه الناس .

(٢٥٧) اقتباس من قوله تعالى « الآية ٣٤/النحل » : (قالت : إنّ الملوكَ إذا دَخَلُوا قريةً افسدوها) .

(٢٥٨) المنتحل : (ح٤٠) .

(٢٥٩) السوقه : (ح٥٢) .

وذكر الأديب (فِتيان المعلّم الدِّمَشْقِيّ)[٢٦٠] : أَنّه رآه في المنام بعدَ موتهِ ، فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال أنشدتُه قصيدة ، ما في الجنّة مثلها ، فعلق بحفظه أبيات [منها][٢٦١] ، وهي أوّلها :

يا هذه ، أَقْصِري عن العَذَلِ
فلستِ في الحِلّ ، وَيْكِ ، من قِبَلِي[٢٦٢]

يا ربّ ! ها قد أتيتُ ، معترفاً
بما جنَتْهُ يداي من زَلَلِ

ملآنَ كَفٍّ بكلِّ مَأثَمَةٍ ،
صِفْرَ يدٍ من محاسن العملِ

فكيف أخشى ناراً مُسَعَّرَةً ،
وأنت ، يا ربّ ، في القيامة لي ؟

قال : فَوالله ، منذُ فَرَغْت من إنشادها ما سمعتُ حَسِيسَ النّار[٢٦٣] .

---

(٢٦٠) هو الشهاب فتيان بن علي الأسدي الحنفي الدمشقي ، المعروف ب «الشاغوري المعلّم » الشاعر المشهور : ولد سنة ٥٢٣هـ في «بانياس » في الساحل الشامي، وسكن « الشاغور»من محالّ دمشق فنسب إليه ، وأقام مدة ب«الزَّبَداني»، وكان صاحب حلقة في جامع دمشق : يقرىء النحو . اتصل بالملوك والولاة الأيوبيين ، ومدحهم ، وعلم أولادهم . وتوفي في دمشق سنة ٦١٥ هـ .وشعره جيد ، اختار ابنه منه ديواناً كبيراً حققه أحمد الجندي وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م . وله أيضاً ديوان صغير ، جميع ما فيه دُوبيت « رباعيّ » ، قال ابن خلكان : « رأيته بدمشق ، ونقلت منه .. » . وترجمته في خريدة القصر ، قسم شعراء الشام ٢٤٧/١ ــ ٢٥٩ ، ووفيات الأعيان ٤٠٧/١ ، ومعجم البلدان (الشاغور) ، ومطالع البدور ٢٨/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٢٦/٦ و ٢٧٤ .

(٢٦١) زيادة لازمة .

(٢٦٢) أقصري : اتركي ، يقال : أقصر عن الشيء،إذا كفّ ونزع عنه وهو يقدر عليه. العذل : اللوم . ويك : يكنى بها عن الويل ، مركبة من : « وَيْ » ، وكاف الخطاب ، قال عنترة :

ولقد شفى نفسي وابرأ سُقمَها
قِيلُ الفوارس : وَيْكَ ، عَنْتَرُ ، أَقْدِمِ

(٢٦٣) الحسيس : الصوت الخفيّ ، قال الله تعالى : (لا يسمعونَ حسيسها ، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) .

الأجلُّ الإمام الأوحد جمال الدين أفضل الإسلام

أبو الفضل ، عبدالرَّحيم[1] ، بن أحمد ، بن محمّد ، بن محمّد ، بن إبراهيم، ابن الأخوة ، البغداديّ ، الشّيبانيّ ، أدام الله أيّامه .

أوحد الدَّهر ، وأفضلُ أهل العصر .

خصّه الله بالفضل الوافر ، والخاطر الواقر[2] ، والعلم الكامل ، والأدب الشّامل .

---

(١) ترجمه ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ١/٥٥٧ ـ ٥٥٨ ، والبستاني في دائرة المعارف ١/٣٧٢ بما يشبه ترجمة « الفوات » ، وقد سمياه : « عبدالرحمن » ، وعلّق محمد محيي‌الدين عبدالحميد عليه في الطبعة الجديدة للفوات بقوله : « إنه ما يظن اسمه إلا « عبدالرحيم » ، لوقوعه بين جماعة ظهر ان اسم كل منهم عبدالرحيم » . وهي قرينة قويّة تأذن بالقطع ، لا الظّنّ . ويعضدها تسمية العماد الكاتب له « عبدالرحيم » ، ووروده كذلك في تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٦هـ (١٢/١٢٠) ، وفي العبر للذهبي في حوادث سنة ٦٠٥ هـ(٥/١٩) ، في ترجمة ابنه « مؤيّدالدين أبي مسلم هشام بن عبدالرحيم بن أحمد بن محمد ابن الأخوة البغدادي ثم الأصبهانيّ المعدّل » . وكان من علماء الحديث ، سمع حضوراً من ابن أبي ذَرّ وزاهر ، وسمع من أبي عبدالله الخلال وطائفة ، وروى كتباً كباراً .

وقد جاء في فوات الوفيات تلقيبه بابن الأخوة العطار ، وأنه « سمع من [الأصل : عن ، وهو تصحيف] أبي الفوارس طِراد الزينبيّ ، وأبي الخطاب نصر بن البطِر ، وغيرهما [الأصل : وغيرهم] . وسافر إلى « خراسان » في طلب الحديث ، وسمع بنَيْسابور والري وطبرستان وأصبهان . وقرأ بنفسه ، ونسخ ما لا يدخل تحت الحصر . وكان يكتب خطّاً مليحاً . وكان سريع القراءة والكتابة » .

ونقل قول محبّ‌الدين ابن النّجّار المؤرّخ البغدادي : إنه « رأى بخطه « كتاب التنبيه » في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي ، وقد ذكر في آخره أنه كتبه في يوم واحد . وكانت له معرفة بالحديث والأدب . وله شعر . وكان يقول : كتبت بخطّي ألف مجلّد » . وقال : « روى أنه كان يقرأ « معجم الطّبَرانيّ » ، ويقلب ورقتين ، ويترك حديثاً وحديثين . رواه السمعاني عن يحيى بن عبدالملك ابن أبي المسلم المكي ، وكان شابّاً صالحاً » . « وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمس مئة بشيراز » ، ثم روى أربع مقطوعات من شعره .

(٢) الأصل « الوافر » بالفاء ، وهو تكرار للفقرة الأولى . والواقر : الرزين .

وهو أُعجوبة « العِراق » ، وجَوّابةُ الآفاق[٣] .

ضَنَّتْ بمثله الأعصار[٤] ، وطَنَّت بذكره الأمصار .

فوائدُ [هُ][٥] ، فرائد حَسَنات الزّمان ، وقصائده ، قلائدُ تقلّدها الثّقَلان[٦] !

تَوَدّ « الشِّعْرَى »[٧] أَنّها شِعارُ شعرِه ، و « النَّثْرَةُ » أنّها نِثارُ نثرِه[٨] .

(سَحْبانُ)[٩] ، يسحَبُ ذيل الفَهاهة من فصاحته ، و (حَسّانُ)[١٠] ، غير محسن في حِلْيَة بلاغته .

---

(٣) جوابة : رحّالة ، يقطع الأرض ويسافر من بلد إلى بلد .

(٤) ضنت : بخلت أشد البخل .

(٥) زيادة لازمة .

(٦) الإنس والجنّ .

(٧) الشعرى : (ص١٤/ح٥٣) .

(٨) النَّثْرَة : كوكبان ، بينهما قدر شبر في عين النّاظر . النِثار : ما نُثِر في حفلات السرور من نقود أو حلوى .

(٩) سَحْبان : هو ابن زفر الوائلي : أحد مشاهير خطباء العرب ، يضرب به المثل في البيان ، والمشهور انه أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وأقام في دمشق أيّام معاوية ، وتوفي في سنة ٥٤ هـ . ترجمته في الإصابة ، الترجمة ٣٦٥٨ « شكّ المؤلف في إدراكه الإسلام » ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٥/٥ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٣٤٧/٤ ، وشرح المقامات للشريشى ٢٥٣/١ ، وبلوغ الأرب ١٥٦/٣ ، وكتابي « المجمل في تاريخ الأدب العربي »١/١٦١ .

(١٠) حسان بن ثابت الأنصاري : شاعر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عاش في الجاهلية والإسلام ، وتوفي في سنة ٥٤ هـ ، وديوانه مطبوع مشهور . وأخباره في كتب الصحابة ، والشعر والشعراء ٣٠٥/١ ، وطبقات الشعراء ٥٢ ، والأغاني ٢/٤ ، وخزانة الأدب للبغداديّ ١٠٨/١ ، واللآلي ١٧١ ، ونكت الهميان ١٣٤ ، ومقدمة شرح ديوانه للسندوبي ، وكتابي : المجمل في تاريخ الأدب العربي ٢٢٦/١ ، وغيرها .

أشعاره السّائرات سيّارات سماءِ المجد[11]،وعُلالات سَيّارة الحمد[12].

أقام أربعين سنةً بـ « أصفهان »[13] حتّى كاد يُعَدّ من أهلها ، وجمع بين لطافة « بغدادَ » ، وصِحّةِ هواء « جَيّ »[14] ، فإنّ منشأهُ بـ « مدينة السّلام »[15] .

وهو جامع للعلوم ، ومتفرّد بإنشاء المنثور والمنظوم .

أفاضل العصر تلامذة علمه ، وأماثل الدّولة مهتدون بنجمه .

قد أخذ بمجامع الحقائق النّقليّة ، واطّلع على دقائق مكنونات الأدب الخفيّة :

فأمّا الحديث ، فهو سابقُ فُرسانِه .

وأمّا التّفسير ، فهو فارسُ ميدانِه .

وأمّا النّحو ، فهو بدرٌ ، طلع في أُفُقِه .

وأما الأدب ، فهو شمسٌ ، تطلّعت من شرقه .

---

(11) السيارات : هي الكواكب السبعة المتحيّرة ، التي تتحرك بين الكواكب الثابتة، وهي : القمر ، وعُطارد ، والزُّهَرَة ، والشمس ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل . وكانت معروفة عند العرب في الجاهلية ، وعند المؤلفين المسلمين قبل أن نقلوا العلوم الدخيلة . وقد أضاف إليها الفلكيون في العصر الحديث : يورانوس ــ سنة ١٧٨١ م ، ونبتون ــ سنة ١٨٤٦ م ، وبلوتون ــ سنة ١٩٣٠ م ، عدا عدداً كبيراً من الكواكب الصغيرة يزيد على خمس مئة وألف كوكب .

(12) العُلالة : ما يتعلّل به ، أي يتلّهى به ويكتفى . السيارة : القافلة ، وفي القرآن الكريم : (وجاءت سيّارة فأرسلوا وارِدَهُمْ) .

(13) أصفهان : المقدمة ، و ١٤/١ .

(14) جَيّ : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة . قال ياقوت في الربع الأول من المئة السابعة الهجرية : « وهي الآن كالخراب منفردة ، وتسمى الآن عند العجم « شهرستان » ، وعند المحدثين « المدينة » .. ومدينة أصبهان منذ زمان طويل وإلى الآن ، يقال لها « اليهودية » وبينها وبين « جَيّ » نحو ميلين ، والخراب بينهما . وفي « جيّ » مشهد الراشد بن المسترشد ، معروف بزار . وهي على شاطىء نهر زَنْدَرُوذ » . والراشد هو الخليفة العباسي الشهيد ، المنصور الراشد بالله أبو جعفر بن الفضل المسترشد بالله ، من خلفاء الدولة العباسية ، اغتاله الباطنية على باب أصبهان في سنة ٥٣٢ هـ ، ودفن بمدينة جيّ . خلف نيفاً وعشرين ولداً . وكان حسن السيرة يؤثر العدل ويكره الشر ، أديباً شاعراً سمحاً جواداً كما وصفه ابن قاضي شهبة .

(15) هي بغداد ، سماها بانيها أبو جعفر المنصور « مدينة السلام » .

يكاد شعره ، من اللطافة ، يُذيب القلب القاسي ، ونثره ، من السَّلاسة ، يُؤَوِّبُ معه الجبل الرّاسي[١٦] .

له من جَزالة البداوة طَلاوَة[١٧] ، وعليه من حلاوة الحضارة علاوة[*] .

معانيه أدقُّ من السِّحر الحلال ، وألفاظه أرقُّ من الماء الزُّلال ، [وأناشيده][١٨] أشجى من شَدَوات الحمام على الفَنَن[١٩] ، وأحلى من حَدوات الحادِينَ للظُّعُن[٢٠] .

⁂

حضرت[٢١] للاستفادة منه بـ « أصفهان » عنده ، واستقدحتُ لاقتباس أنفاسِه زَنْدَه[٢٢] ، وانتظمت في سلك المستفيدين من غُرَر أشعاره ، المتحلِّين بدُرَر بنات أفكاره .

فممّا أنشدَنا من إنشائه ، قصيدةٌ ، نظمها في الصّاحب الإمام(نصيرالدّين ، محمود ، بن أبي توبة)[٢٣] ــ رحمه الله ــ ، وزير السّلطان الأعظم (سنجر[٢٤] ، ابن ملكشاه)[٢٥] ، [بِـ] « نَيْسابُورَ »[٢٦] ، ليلةَ عيد الفِطْر ، سنةَ خمس وعشرين وخمس مئة :

---

(١٦) يؤوّب : يرجع ، وفي القرآن الكريم « ١٠/سبأ » : (يا جِبالُ أَوِّبي معه والطَّيْرَ) ، أي : رجّعي معه التسبيح . الراسي : الثابت الراسخ .

(١٧) البداوة : في الأصل « البدالة » . الطلاوة ، مثلث الطاء : الحسن والرونق .

(*) كذا .

(١٨) زيادة منّي ، ليستقيم المعنى .

(١٩) اشجى : اكثر إطراباً وتهييجاً للشوق . الفَنَن : الغصن .

(٢٠) الظُّعُن : الإبل التي يرتحل عليها ، الواحدة ظعينة .

(٢١) الأصل : « وحظرت » .

(٢٢) استقداح الزند : استخراج ناره ، كناية عن استخراج علمه وأدبه .

(٢٣) ترجمته في ٢٣٦/١ (ح٩) .

(٢٤) ترجمته في ٢٣٧/١ (ح١) .

(٢٥) هو ابن الب ارسلان ، بن داوود ، بن ميكائيل ، بن سلجوق التركي ، جلال الدولة ، ابو الفتح ، واسطة عقد الملوك السلاجقة . ترجمته في ٨٩/١(ح١٠) .

(٢٦) نيسابور : مدينة عظيمة في إقليم « خُراسان » ، وتسمى أيضاً « أَبْرَشَهْر » . ادخلها العرب في الأسرة الإسلامية ، في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد

خَلِّ الظّلامَ لِأيدي الضُّمَّرِ القُودِ
يَهتِكْنَ ما انبثَّ من أثوابه السُّودِ [٢٧]

هُنَّ المَطايا ، فإن قلّدتَهن هَوىً ،
ألقت إليك الأماني بالمَقاليدِ [٢٨]

الليلُ والنّاجياتُ الضُّمْرُ ، أليقُ بي
إذا تصاريفُ أزماني حَنَتْ عُودي [٢٩]

وللقَواضب منّي هِمّةٌ ،وَسَمَتْ
بهِنّ ما ازْوَرَّ من هام الصَّناديدِ [٣٠]

قرعُ الظُّبا بالظُّبا ، أشهى لسامعتي
من مُسمِعٍ خَنِثِ الأعطافِ ، غِرّيدِ [٣١]

الأحنف بن قيس ، وكان لها في الإسلام شأن عظيم ، وخرج منها من أئمة العلم من لا يحصى . وأصابها « الغزّ » في سنة ٥٤٨هـ بمصيبة عظيمة فخربوها وأحرقوها وأسروا الملك سنجر ، ثم اختلفوا فهلكوا ، وتغلّب عليها المؤيد أحد مماليك سنجر ، فعمرها وسوّرها ، وتقلبت بها أحوال حتى عادت من أعمر البلاد وأحسنها وأكثرها خيراً وأموالاً ، وبقيت على ذلك الى أن خرج التتر من « ما وراء النهر » في سنة ٦١٨هـ ، ودخلها جنكيز خان دخول حنِق وقتل جنده كل من كان فيها ، وخربوها حتى الحقوها بالأرض ، قال ياقوت : « ما دهى الإسلامَ قطُ مثل مصيبتها » .

(٢٧) الضمر : جمع ضامر ، وهو الفرس القليل اللحم الرقيق . القُود : الخيل الجياد ، جمع أقود ، يقال قوِد الفرس يَقْوَد قَوَداً : طال ظهره وعنقه ، وتوصف به الإبل أيضاً . والضمور والقَوَد من علامات الأصالة .

(٢٨) المطايا : جمع المطية ، وهي كل ما يمتطى مطاه ، أي : يركب ظهره . المقاليد : المفاتيح ، واحدها مِقلاد . يقال : أُلقيت إليه مقاليد الأمور ، إذا فُوّضت إليه .

(٢٩) الناجيات : النياق السريعات السير . الضُمْر : أراد الضُمَّر ، فخفف الميم . اليق : الأصل « أبلق » ، ب : « أبلق لِي » ، كلاهما تحريف .

(٣٠) القواضب : السيوف القواطع . ازورّ : مال . هام الصناديد : رؤوس الشرفاء الشجعان .

(٣١) المسمع : المغني المطرب . خنث : ليّن متثنٍّ . الأعطاف : جمع العِطف ، بكسر أوله ، وهو جانب الإنسان من لدن رأسه الى وركه . ب : الألفاظَ .

والنَّفْحُ من سَهَكِ الماذِيِّ ، أروحُ لي
في السِّلْمِ من نَفَحات الخُرَّدِ الغِيدِ [٣٢]

ما لِلْهُوَيْنَى وما لي ؟ والعزائمُ قد
أَذِنَّ منّي بإنجاز المواعيدِ [٣٣]

بيني وبينَ العُلى شَأْوٌ ، ربَطْتُ به
عزماً ، يقطّع أنفاسَ المجاهيدِ [٣٤]

أُرِيغُه بذِمامٍ غاضَ .. بِغْيَتُه
نسيانُ دهرٍ ، بيأس منه معقودِ [٣٥]

فمن غِلائي ومن دهري مطارَدةٌ ،
فهمّتي بينَ تقريبٍ وتبعيدِ [٣٦]

والأعجبان ، وأحوالُ الورى عَجَبٌ :
غَمْرٌ مُعَنّىً ، وحُرٌّ غيرُ مكدودِ [٣٧]

***

(٣٢) السَّهَك : الرائحة الكريهة ، يقال : يده من السمك ومن صدأ الحديد سهِكة، وسهك سَهَكاً : عرق فانتشرت منه رائحة كريهة . الماذيّ : خالص الحديد وجيّده ، و ـ الدروع اللينة . الخُرّد : جمع خريدة ، وهي المرأة الحيية ، و ـ البِكر لم تُمَسّ . الأصل : « الفرد » . الغِيد : جمع غيداء ، وهي المتمايلة المتثنية في لين ونعومة .

(٣٣) الهوينى : الاتّئاد في المشي ، و ـ الخفض والدَّعَة .

(٣٤) الشأو : الشوط ، و ـ الأَمَد . المجاهيد : المتعَبُون ، جمع المجهود .

(٣٥) أُريغه : أُريده وأَطلبه . الذِمام : الحق والحرمة . الأصل « بزمام » وهو تحريف . غاض : ذهب ، من : غاض الماء ، إذا نزل في الأرض وغاب فيها، ويقال: غاض الكرام وفاض اللئام . البِغية : ما يبتغى ، أي : يراد ويطلب . نسيان دهر بيأس : الأصل « يبسان دهر بباس » .

(٣٦) الغِلاء ، بكسر أوله : مصدر غالى في الأمر غِلاءً ومغالاة : بالغ فيه ، و ـ غالى الشيء ، وبه : اشتراه بثمن غال ، و ـ غالى فلاناً : راماه ، و ـ غالى بالسهم: غلا به ، أي رفع به يديه يريد أن يبلغ به أقصى العلوّ .

(٣٧) الغمر : الجاهل الذي لم يجرب الأمور . المُعَنّى : المتعب .

أقول : هذه الأبيات ، من حقّها أن تطرّز بماء الذّهب ، على وِشــاح الأدب[٣٨] • فإنّها من لطافتها تكاد تخرق مَعارج السّماوات ، ومن عذوبتها تذوب في مخارج اللـهَوات • تدعو إلى يوم المعالي وشَيْم بوارقها[٣٩] ، وتحُثّ على الصَّبر على صُروف الليالي لحلول طوارقها[٤٠] • ولقد صدق في قوله : « إنّ الأعجبين في الدّنيا : عَناءُ الغَمْر ، وراحة الحُرّ » •

⁂

ومنهـا :

مَنْ لي بأَحْمَسَ لا يَثْنَى ، يحطّمه
ما فاض من عَبَرات الكاعب الرّود ؟[٤١]

إذا تكمّش للأهوال ، شيّعه
رأيٌ جميع لآراءٍ عَبادِيدِ[٤٢]

يلقى الخطوبَ بقلبٍ غيرِ منقلب
دُونَ المُنَى ، وفؤادٍ غيرِ مَزْؤُودِ[٤٣]

شِعارُه ، وجَناحُ الليل منسدلٌ ،
أقتادُ ناجيةٍ ، أو سرجُ قَيْدُودِ[٤٤]

---

(٣٨) الوشاح : نسيج عريض يرصّع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكَشْحَيْها.

(٣٩) شام البرق والسحاب : نظر إليه يتحقق أين يكون مطره .

(٤٠) صروف الليالي : حدثانها،واحدها صَرْف،بفتح أوله وسكون ثانيه .الطوارق: الأحداث التي تطرق ليلاً .

(٤١) احمس : شجاع صُلْب متشدّد ، الأصل : « بأخمس » ، وهو تصحيف . يحطمه : الأصل « تحطمه » . الكاعب : الفتاة التي كعب ثدياها وبرزا . الرّود: الرّؤْد ، سهل همزته : الحسنة الشباب .

(٤٢) تكمش : تقبّض واجتمع ، الأصل «تكمس » . شيّعه : استخفّه وضَرَّمه ، يقال : شيّع الغضب فلاناً . رأي جميع : مجتمع سديد. آراء عباديد : متفرقة ذاهبة في كل وجه .

(٤٣) مزؤود : مذعور .

(٤٤) الأقتاد : جمع القَتَد ، بفتحتين ، وهو خشب الرَّحْل . الناجية : الناقة السريعة السير . القيدود : الفرس الطويلة العنق في انحناء .

أُعيرُهُ شُعبةً من عزمة ، نَشَدت
في ضيعة الفضل حظّاً غيرَ منشودِ [٤٥]

يسعى ، وأسعى لأمرٍ .. نام طالبُه
ورُبَّما نال مجدود بمجدودِ .[٤٦]

*****

قال الإمام (عبدالرحيم) :

لما أنشدتُ : « ورُبّما نال مجدودٌ بمجدودِ » قال الوزير : لو قلتَ :
« ورُبّما نال محدودٌ[٤٧] بمجدودِ » . فكِلاهما جائز .

لقد أبدع في معانيها ، وأحسن إيراد الحِكَم فيها .

*****

ومُنْتَشينَ على الأكوار ، رَنَّحَهُمْ
سكرُ الكَرى ، لا مُجاجاتُ العناقيدِ [٤٨]

إذا اطمأنّت بهِمْ أرضٌ ، نَبَتْ بِهِمُ
حاجٌ .. تَلاعَبُ بالمَهْرِيّة القودِ [٤٩]

شاموا بُروقَ الغِنى ، واشتفّ أنفسَهم
تطمُّعٌ نحوَ لا بأسٍ ولا جُودِ [٥٠]

---

(٤٥) نشدت : طلبت .

(٤٦) المجدود : ذو الحظ ، يقال : جُدَّ ، بالبناء للمجهول ، فهو مجدود .

(٤٧) المحدود : مَنْ قُتِّر عليه في الخير والرزق . يقال : حُدّ فلان حداً ، بالبناء للمجهول .

(٤٨) المنتشون : هنا ، السكارى من النعاس . الأكوار : الرحال ، واحدها كور بضم الكاف . رنّحهم : أمالهم يميناً وشمالاً .

(٤٩) ارض : الأصل « أرضاً » وهو على الصحة في (ب) . نبت بهم : لم توافقهم ، قال الشاعر : « وإذا نبا بك منزل فتَحَوَّلِ » ، ونبت به تلك الأرض : لم يجد بها قراراً . حاج : جمع حاجة . المهرية : (ص١٠٩/ح١٠٨) . القَود : (ح٢٧) . القُود : (ح٢٧) .

(٥٠) شاموا : (ح٣٩) . اشتفّ انفسهم : امتصَها . بأس : الأصل « بأساً » ، وهو على الصحة في (ب) .

حتى اطّباهُمْ ، وقد كلَّتْ عزائمهم ،

نَدى الوزيرِ (نَصيرِ الدّين محمودِ)[٥١]

(هذا تخلّص بديع ، ومديحٌ شأْوُه رفيع)[٥٢] .

صدرٌ .. أعارَ الليالي حسنَ سيرته ،

فأحسنتْ بعدَ ترنيقٍ وتصريدِ[٥٣]

وعَمَّ بالعدل أكنافَ البلاد ، فلم

تخشَ النِّقادُ ظلاماً صولةَ السِّيدِ[٥٤]

جرى على سُنّة في المجد ، يأثُرُها

آباؤه الصِّيدُ عن أجداده الصِّيدِ .[٥٥]

وإن دجا ليلُ خَطْب ، تستفزّ له

خوفَ العواقب أحلامُ الرّعاديدِ ،[٥٦]

أضاءَه بشِهابٍ من صَرائمه ،

وواضحٍ من صليب الرّأي مشهودِ[٥٧]

---

(٥١) إطّباهم : دعاهم دعاءً لطيفاً واستمالهم إليه . ندى الوزير : جوده وعطاؤه .

(٥٢) شأوه : شوطه وأَمَدُه .

(٥٣) الترنيق : التكدير . التصريد : التقليل .

(٥٤) الأكناف : جمع الكَنَف ، بفتح أوله وثانيه ، وهو جانب الشيء ، و- الظل . النِّقاد : صغار الغنم ، أو جنس منها ، واحدها نَقَد بفتح أوله وثانيه . السِّيد : الذئب .

(٥٥) يأثرها : ينقلها ويَرْويها . الصِّيد : جمع الأصيد ، وهو كل ذي حَوْل وطَوْل من ذوي السلطان .

(٥٦) دجا يدجو دَجْواً ودُجُوّاً : تمت ظلمته وألبس كلّ شيء . الرّعاديد : الجبناء يرتعدون ويضطربون عند القتال جبناً ، الواحد رِعديد .

(٥٧) الصرائم : جمع الصريمة ، وهي إحكام الأمر والعزيمة فيه .

لَيْنُ السَّجايا ، وفي أثنائهــا شرسٌ ،
والمــاءُ والنّــار يكتنـّـانِ في عُودِ[٥٨]

والمرءُ والسّيفُ ، مــا لم يُبدِيا أثــراً
حــيٌّ كمَيْتٍ ، ومسـلولٌ كمغمــود

***

هذا سحر ، لا شعر • وله ، باختراع هذا المعنى ، على المتقدّمين فخر • وهو الّذي أبدى سيفُه الأُثُر[٥٩] ، وتاه بها على البشر • لسانُه السيف المسلول الذي لا يُغْمَدُ ، وجَنانُه[٦٠] الحيُّ الذي آثارُه تحمد •

***

ومنهــا :

إن قال ، أبــدى مقــالاً غــيرَ مردودِ
أو نــال ، أعطى عطــاءً غــيرَ محــدودِ

تُغضي السَّــحائبُ إن قِيســت بنائلــه
وهــل يُقايَسُ معــدوم بموجود ؟[٦١]

قال :

وإنّما سمّيتُ السَّحائب معدومة ، لأَنّها لا تدوم ، وأنّها عند جوده تُعَدُّ معدومــة •

***

عونُ اللهيفِ ، ومولى كلِّ مُضطَهــــد
يَبغي انتصاراً ، ومأوَى كلِّ مطرودِ[٦٢]

---

(٥٨) يكتنّ : يستتر •

(٥٩) الأُثْر والأُثُر : بريق السّيف •

(٦٠) الجَنَان : القلب •

(٦١) تُغضى : تقارب بين أجفانها خجلاً •

(٦٢) اللهيف : المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر ، ورجل لهيف القلب : محترقه • مضطهد : مبالغ في ضَهْده ، اي إذلاله وقهره •

يا ابنَ الأكارم ، والشُمِّ الخَضارم ، والْـ
ـغُلْب الأجاوِيدِ ، والغُرِّ المنَاجيدِ (٦٣)

ومَنْ بهم قامتِ العليـاءُ ، واطَّرَدت
عَلى رِواقٍ ببـاع العِزِّ معمودِ (٦٤)

تأثَّلوا رُتَباً ، ضاقت مذاهبُها
على الكِرام ، وأعْيَت كلَّ صِنديدِ (٦٥)

وأورثوها هُماماً منك ، هِمَّتُه
رَبُّ المعالي بتشييدٍ وتوطيدِ (٦٦)

مَلَكْتَ رِقَّ الليالي ، وَهْيَ ذابلة
أفنانُها ، فاغتدت كالماء في العُودِ (٦٧)

ورُضْتَ جامحَ دهرٍ ، شَدَّ وَطْأَتَه
على بَنِيه ، وعَفَّى منهجَ الجودِ (٦٨)

فعاد مَنْ كان في أثوابِ مَسْكَنةٍ
بسَيْبِ كفِّك في أثوابِ محسودِ (٦٩)

---

(٦٣) الشُمّ : المترفّعون والمتكبّرون ، الواحد أشمّ وهي شماء . الخَضارم : جمع الخِضْرِم ، وهو السيّد الحمول الجواد الكثير العطاء والمعروف . الغُرّ : الأشراف والسادة . المناجيد : جمع المِنجاد ، وهو النَّصُور السريع الغوث .

(٦٤) معمود : مقام على العُمد ، مدعوم بها.

(٦٥) تأثَّلوا الرتب : اكتسبوها واتّخذوها وثَمَّرُوها . الصنديد : الشريف الشجاع .

(٦٦) رَبُّ المعالي : ولايتها وحفظها وتعهدها بما ينمّيها . المعالي : جمع المَعْلاة ، وهي الرفعة والشرف .

(٦٧) الأفنان : جمع الفَنَن ، بفتحتين ، وهو الغصن . كالماء : الأصل « اماء » .

(٦٨) الجامح : الراكب هواه الذي لا يمكن ردّه .

(٦٩) السَّيْب : العطاء .

آمنتَ حتّى تناسى النّاسُ ظلمَهُمُ ،
وجُدْتَ حتّى تحامَوْا كلّ مرفودِ [٧٠]

ولَذَّ مدحُك ، حتّى كاد من طرب
تُلقي إليك الليالي بالأناشيدِ

أوردتَ جُوداً وبأساً مَنْ دنا ونأى
عَذْباً قُراناً ، وملحاً غيرَ مورودِ

ودُفْتَ للكاشحينَ الصّابَ ، فانعطفوا
على جَوانحِ وُدٍّ ليس بالمُودي [٧١]

رأوكَ مِلءَ قلوبٍ .. مِلْؤُها حَنَقٌ
بلحظِ أَخْيَبَ عن مَغْزاه مصدودِ

فأذعنوا لك ، لا بُقيا ، وقد جَدَحُوا
كأسَ الوِداد لشخص غيرِ مودودِ [٧٢]

خَفّضْ عليك ، فإنّ السّعْدَ أيسرُ ما
رام انتصاراً لجَدٍّ منك مسعودِ [٧٣]

واهتِفْ بدهرك ، واستنهِضْ حوادثَه ،
تَبْطِشْ بهم قبلَ إنذارٍ وتهديدِ

---

(٧٠) المرفود : المُعْطى ، وفي القرآن الكريم : (بئس الرِّفْدُ المرفود) أي بئس العطاء المعطى .

(٧١) دُفْت الصّاب : مزجته ، وهو شجر مر له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة . الكاشح : العدوّ المبغض . الجوانح : جمع الجانحة ، وهي الضِّلَعُ القصيرة مما يلي الصدر . المودي : الهالك ، و ـ الذاهب بالشيء .

(٧٢) البُقيا : الإبقاء ، يقال : نشدتك الله والبُقْيا ، أي : وأن تستبقي المودّة والتواصل . جدحوا : خلطوا ، يقال : جدح السَّوِيق وغيره في الماء ونحوه جدحاً ، خلطه وحركه وخوّضَ فيه بالمِجْدَح ، وجدح الشراب : خوّضَ فيه بالمجدح ، وهو خشبة في رأسها خشبتان معترضتان يُساط بها الشراب .

(٧٣) خفّضْ عليك : هوّن أمرك .

قد يُطْرِقُ الصِّلُّ ، لا عن رغبةٍ • فإذا

[مــا] صالَ ، غادر أمراً غيرَ معهودِ [٧٤]

نَــداك ، والأفْقُ مُغْبَــرٌ ، هَيــادِبُهُ

أروى لعافيك من وُطْف المَراعِيــدِ [٧٥]

**

قال :

رأيت الوزير تهتزّ أعطافه[٧٦] عند إنشاده هذه الأبيات طرباً ، ويستحسنها ، ويَقضي[٧٧] منها عجباً ، ونفّذ لي في الحــال مئــة دينــارٍ كبيســة[٧٨] ، مع خِلعة[٧٩] نفيسة •

**

كما يَراعُك ، والهيجــاءُ كالحــــة

يُغني عن السَّمْهَرِيات الأماليــدِ [٨٠]

إذا اعتلى صَهْوَةَ القِرطاسِ ، ضــاحكه

آثــارُك البِيضُ في آثــاره السُّودِ [٨١]

---

(٧٤) يطرق : يميل راسه ولا يتحرك . ما : زيادة لإقامة الوزن ، وهي من (ب).

(٧٥) شبه عطاءه بالسحاب ، وجعل له هيادب ، (جمع هَيْدَب) وهو ما يتدلى ويدنو من الأرض ويرى كأنه خيوط عند انصبابه . العافي : سائل المعروف . المراعيد: السحب المرعدة المطرة ، الوُطْف المتدلية الذيول .

(٧٦) الأعطاف : (ح٣١) .

(٧٧) الأصل : « ويغضى » .

(٧٨) الأصل « كنية » ، وقد تكون « كبيسة » هي الوجه في التصويب ، ومعناهــا مكبوسة ، اي مضغوط بعضها على بعض ، لفظ مولّد .

(٧٩) الخلعة : (ص ٩٠/ح٢٢)

(٨٠) اليراع : الأقلام تتخذ من القصب ، واحدتها يراعة . الهيجــاء : الحرب . الســمهريات : الرماح الصِّلاب الأعواد ، منسوبة الى (سَمْهَر) رجل كان يثقّف الرماح . الأماليد : جمع الأُمْلود ، بضم أوله ، وهو الناعم اللين .

(٨١) الصهوة ، من كل شيء : اعلاه .

يجري ، وللدّهر من هَبّـــاته قلـَـق"
مقسَّم" بـين َ إيعـــــاد وموعودِ [٨٢]

(هذه ، معان أبكار ، لم تسمح بها قبلـَه ُ أفكار) •

فدُمْ بمـا يُكمِد الأعـداءَ مغتبطـــاً
يُفضي بك السَّعدُ من عيـدٍ الى عيـدِ [٨٣]

تُرجى ، وتُخشـَى ، وتُبلي الدّهرَ ، مكتسياً
ثوبـاً مـن العـزّ مقرونـاً بتأييـدِ

وخُذْ بثأريَ من رَيْب الزّمان ، فقـد
ــ والله ــ أقصدني ، يا خيرَ مقصودِ [٨٤]

**

ومن قصائده الغُرّ ، ما مدح به بعض أمراء السّادة العَلـَوِيّة ــ حرسهم الله :

أَمِطْ عنك عُـذرَ الجـارمِ المتجرّمِ
وذَرْ بيقينٍ كـلَّ ظـنٍّ مُرَجَّمِ [٨٥]

وطـارِدْ بهـا أظلالَهـا حيث ترتمي
ودائقـه لِـلائحِ المتضـرّمِ [٨٦]

---

(٨٢) الإيعاد : مصدر أوعده ، اي تهدَّدَه . قال الشاعر :

وإنّي إذا أوعدته أو وَعَدْتُه ُ — لَمُخْلِفُ إيعادي ومنجزُ مَوْعِدي

(٨٣) يفضي بك السعد : ينتهي بك .

(٨٤) ريب الزمان : حادثه . اقصدني : اصابني ، يقال : اقصد السهم إذا أصاب ، واقصد فلاناً : طعنه فلم يخطيء مَقَاتله .

(٨٥) أَمِطْ : نحّ وابعِدْ . المتجرّم : الّذي يتنصّل من جريمته ، ويدّعيها على إنسان لم يفعلها . ورجّم : تكلّم بالظن ، ويقال : رَجَّمَ بالغيب ، إذا تكلم بما لا يَعْلَم .

(٨٦) الأظلال : جمع الظِّلّ ، وهو من كل شيء شخصُه . الودائق : جمع الوديقة ، وهي الموضع فيه بقل أو عشب . اللائح المتضرم : البرق المتلهّب .

بعزمـــةِ لاوانٍ ، يكفتُك شَــــأْوُه
تَهاويلَ ليــلٍ حالكِ اللونِ أَقْتَمِ[87]

وخُضْ غَمَرات الرَّوْع ، والخيــلُ ترتمي
على مثلهــا •• رَيّــا المَعاطفِ بالدَّمِ[88]

ينزِّقُهــا لــذعُ الأسِنّة ، إن وَنَتْ
فأبصارُهــا صُورٌ إلى كلِّ لَهْذَمِ[89]

وإن راعَها وقعُ المُهَنَّــدِ ، حمحمتْ
لذِكرى مُــداراةِ القَطيعِ المُحَرَّمِ[90]

وقـــد يصغُرُ الخَطبُ الجسيمُ إذا بدت
شواكلُ •• أدهى منــه مَسّاً ، وأجسَمُ[91]

فبِئس شِعارُ المرءِ إن لم يَخُضْ بـــه
إلى الحظّ أَطرافَ الوَشيجِ المُقَوَّمِ[92]

---

(87) الواني : الفاتر . الشأو : الشوط والأمَد . التهاويل : ما هالك ورَعَبَك من شيء . اقتم : اغبر ضارب إلى سواد أو حمرة .

(88) الروع : الحرب ، وغمراته : شدائده .

(89) ينزّقها : ب « ويُنزقها » ، والتنزيق والإنزاق شيء واحد ، وهو أن تضـرب الفرس حتى تَنْزِق ، اي تَثِب وتتقدّم في خفة . الأسنّة : نصال الرماح ، أي حدائدها . صُور : مِيل ، جمع أصور . اللَهْذَم : الحادّ القاطع من سِنان أو سيف أو ناب .

(90) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . المُحَرَّم : ذو الحرمة ، و ــ من الإبل : الصعب الذي لا يركب ، كأنما حُرِّم ظهره .

(91) الشواكل : الطرق المتشعّبة التي تلتبس على السالك . وقد أَقوى الشاعر ، فرفع « أجسمُ » ، وقوافي القصيدة مجرورة .

(92) الوشيج : ما نبت من القَنا والقصب ملتفاً ، الواحدة وشيجة . والمقوم منه : المثقّف ، ليصير رمحاً .

يقطّع أعقابَ «الوَجيه» و «لاحقٍ»
ويُردي بُنَيّاتِ «الجَديل» و«شَدْقَم»(٩٣)

يَرُود مزايا العِزّ في كلّ موطنٍ
ويَطْوي إليها كلَّ فَجٍّ ومَخْرِمِ(٩٤)

ترى هَبَواتِ النَّقْع في حُرّ وجهه
حَبيكَ لِثامٍ، وَهْوَ غيرُ مُلَثَّمِ(٩٥)

له كلَّ يومٍ عزمةٌ مُشْمَعِلّةٌ(٩٦)
لَعُوبٌ بأطراف المَطِيّ المُخَزَّم(٩٧)

وليس شفاءُ النّفس غيرَ شِمِلَّةٍ
أَمُونٍ، ومأمونِ الحِرانِ مُطَهَّمِ(٩٨)

---

(٩٣) الوجيه ولاحق : فرسان من خيل العرب نجيبان ، لغني بن أعصر ، قال طفيل الغَنَوي :
بنات الغراب والوجيه ولاحق وأعوج تنمي نسبة المتنسّبِ
وقال النابغة :
فيهم بنات الأعوجي ولاحق وُرقاً مراكلها من المضمار
وفي الصحاح : « ولاحق اسم فرس كان لمعاوية بن أبي سفيان». وهذا غير ذاك.
يردي : يهلك . جديل : فحل من الإبل لمَهْرَة بن حيدان قبيلة من قضاعة من اليمن . وقيل : جديل وشدقم كانا للنعمان بن المنذر ملك « الحِيرة » بالعراق، وربما كان هذا سَمِيّ ذاك ، أو من سلالته، والعرب كانت ولا تزال تعنى بأنساب الخيل والإبل عنايتها بأنساب الأسر والقبائل .

(٩٤) يرود : يطلب. الفَجّ : الطريق الواسع . المَخْرِم : الطريق في الجبل أو الرمل.

(٩٥) النقع : الغبار الساطع أي المنتشر ، وهَبَواته ما ارتفع ودَقّ منه . حُرّ الوجه: الجزء الظاهر منه . الحبيك : المنسوج المحبوك المُجاد نسجه .

(٩٦) مشمعلّة : وصف من اشمعلّ الرجل ، اذا ارتفع وأشرف ، و ـ خف وطرب ، ويقال : اشمعلّت الدابة ، نشطت ومرحت ، واشمعلّت الغارة : اتسعت وشملت .

(٩٧) المطي : الدواب التي تمتطى أمطاؤها ، أي تركب ظهورها . المُخَزَّم : اسم مفعول ، من خزمه : جعل في جانب منخره الخزامة لتسخيره .

(٩٨) الشِّمِلَّة : الناقة السريعة الخفيفة . الأَمُون : المأمونة لا تعثُرُ ولا تفتر ، جمعها أُمُن بضمتين . الحِران : وقوف الدابة حين يطلب جريها ورجوعها القهقرى . المطهّم : المتناهي الحسن البارعُ الجمال ، و ـ الكريم الحسب .

تقمَّصَ جِلباباً من الليـل كالحـــاً
وأرســاغُه والوجــهُ خمسةُ أنجُمِ (٩٩)

إذا امتدّتِ البَيْداءُ ، قصَّرَ طُولَهـــا
بإرخاءِ مَضّاءٍ .. على الهَوْل مُقْدِمِ (١٠٠)

أضَرَّ به عَلْكُ الشَّكيمِ ، ونُغْبَــةٌ
يُخـالسها كالذّائــق المُتَطَعِّمِ (١٠١)

يُعيرُ الطَّوَى لَحْظاً مُريبـاً ، كأنّـه
أخو مَلَّةٍ .. يَخْشَى مِطال التَّلَوُّمِ (١٠٢)

سَـلِ الليلَ عنّي : هل هتَكْتُ حجابَهُ
بِهَمٍّ ، على العِلاّت ، غيرِ مُقَسَّمِ ؟(١٠٣)

ووجهٍ إذا ما قطَّبت أوجُـهُ المُنَى ،
وضَلّت لهـا الأحلامُ ، لم يتَجهَّمِ (١٠٤)

---

(٩٩) الجلباب : القميص . الكالح : العابس . الأرساغ : جمع الرُّسْغ ، وهو من الخيل مفصل ما بين الساق والحافر .

(١٠٠) إرخاء الفرس : عَدْوُه عدواً شديداً . فرس مضّاء : ماضٍ بسبيله سريع لا يفتر .

(١٠١) الشكيم : جمع الشكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام . النُغبة : الجرعة ، من (ب) ، الأصل «نعته» وهي تحريف . يخالسها : يعاجلها في نهزة ومخاتلة .

(١٠٢) الطَّوَى : الجوع ، الأصل « الظوى » بالظاء المعجمة ، وهو تصحيف . أخو مَلّة : ذو مَلَل . المِطال : تأجيل موعد الوفاء بالشيء مرة بعد مرة . التلوّم: التلبُّث .

(١٠٣) حجابه : الأصل « وجاحه »، ولا معنى له . ب : « ستوره » .على العِلات : على كلّ حال .

(١٠٤) ضلّت : الأصل « ظلت » ، وهو على الصحة في (ب) . لم يتجهم : لم يستقبل بوجه كريه .

أُواصِلُ مَنْ واصلتُ غيرَ مُوارِبٍ
وأهجُرُ مَنْ هاجرتُ غيرَ مُذَمَّمِ(١٠٥)

وأَغْلِبُ ظنّي إنْ تنكَّرَ صاحبٌ
وأُصْفِي له شُرْبي ولو كانَ من دَمي(١٠٦)

(ما أعجبَ هذا الكلامَ ! كأنّما سُقِي شِرْباً من تَسْنِيم(١٠٧)، أو رُكِّب من أنفاس نسيم) .

أخوكَ ، الّذي إن رابَكَ الدَّهرُ رابَهُ ،
ولم يلتفت عن مَغْرَمٍ نحوَ مَغْنَمِ(١٠٨)

ترى سِيمِياءَ الوُدِّ في صَفَحاته
تلوحُ لعينِ النّاظرِ المُتَوَسِّمِ(١٠٩)

وإنّي ــ إذا ما الوغدُ أَوْكَى عِيابَهُ ــ
أبيٌّ ، غنيُّ النَّفْسِ في حالِ مُعْدِمِ(١١٠)

---

(١٠٥) مُوارِب : مخاتل ومخادع .

(١٠٦) اغلب ظنّي : اقهره . وأصفي له شربي : أخلصه له ، يقال : أصفيت فلاناً ، إذا صدقته الودّ والإخاء وأخلصتهما له .

(١٠٧) الشِرب ، بكسر أوّله : الماء يُشْرَب ، و ــ النصيب منه . تسنيم : عين في الجنة ، وكأنها سميت بذلك لعلو مكانها ، وفي سورة المطففين : (ومِزاجُهُ من تسنيم ، عيناً يَشْرَبُ بها المُقَرَّبُونَ) .

(١٠٨) رابك الدهر يَرِيبك : نابك وأصابك. المَغْرَم : الغرامة ، وهي الخسارة، وفي الحديث : « أعوذ بالله من المَغْرَم والمأثم » ، أي : من الذنوب والمعاصي .

(١٠٩) السِّيمِياء ، والسِيماءُ، والسِّيما : العلامة ، وفي القرآن الكريم : (سِيماهُمْ في وجوههم من أَثَر السُّجُود) . المتوسم : المتفرِّس .

(١١٠) الوغد : الأحمق الدنيء الرَّذْل ، الأصل «الوعد»، وهو تصحيف. أوكى عيابه : شدَّها بالوِكاء ، وهو الرباط . والعياب : أوعية من أَدَم ونحوه يكون فيها المتاع ، واحدها عيبة . وفي أساس البلاغة : ومن المجاز: « سألناه فأوكى علينا»، اي بَخِلَ ، و « إن فلاناً لَوِكاء ما يبِضّ بشيء » . معدم : عديم ، مفتقر .

أَميسُ أخا طِمْرَيْنِ ، والفضلُ فيهما ،

وذو الجهل يُزْهَى بالرِّداء المُنَمْنَمِ[111]

وأَرْبَأُ بالأموال أن يَستفزّها

سِوى خيرِ مأمولٍ وأعلى مُؤَمَّمِ[112]

وما خَطَبْتُها إلا امْرُؤٌ ، ضُربت له

على المجد أَطنابُ الرِّواقِ المُعَظَّمِ[113]

فيا خابِطاً .. يَبغي سَنا (ابنِ أبي السَّنا) ،

لقد أعرض المرعى الخصبُ ، فخَيِّمِ[114]

وَرَدتَ بِـ (مجدِ الدّين) بحرَ مآثِرٍ ،

فلا تَرْضَ ، إذْ يَمَّمْتَهُ ، بالتَّيَمُّمِ[115]

هُمامٌ .. إذا ما هَمَّ ، سَدَّدَ هَمَّهُ

صَرائمَ مَحْمِيِّ الذِّمار مُصَمِّمِ[116]

---

(111) أميس : أتبختر واختال . أخا طِمْرَيْن : ذا ثوبين خَلَقيْن باليين . يزهى به : يُعْجَب به . المنمنم : المزخرف .

(112) أربأ بالأموال : ارفعها وأباعدها ، وهو في الأصل ، و (ب) : « أزبا » ، ولا معنى له .

(113) الأطناب : جمع الطُّنُب ، بضمتين ، وهو حبل يشدّ به الخباء والسرادق والرواق . والرواق ، بضم أوله وكسره : بيت كالفُسطاط يحمل على عمود واحد طويل .

(114) الخابط : السائر على غير هدى . السَّنا ، بالقصر : ضوء القمر ، و ــ الضوء الساطع ، والسناء ، بالمد : العلو والارتفاع ، وهذا أراد الشاعر ، وقصره للوزن. أعرض : ظهر وبرز ، و ــ أمكن ، يقال : اعرض لك الصيد فارمه ، وأعرض لك الخير .

(115) يممته : قصدته . التيمّم للصلاة : مسح الوجه واليدين بالتراب ، عند عدم وجود الماء .

(116) الهمام : السيد الشجاع السخيّ . هَمَّ بالأمر : عزم على القيام به ولم يفعله . سدَّدَ همّه : قوّم عزمه وأحسن العمل به . الصَّرائم : جمع الصريمة ،وهي إحكام الأمر والعزيمة فيه . الذّمار : ما ينبغي حياطته والذود عنه ، كالأهل والعرض ، ويقال : « هو حامي الذّمار » .

ترعرعَ في حِجـر النُّبُـوَّة ، فاغتذى
لِبـانَ المعـالي حينَ ينمى وينتمي(١١٧)

له نَفَحـاتٌ بالنَّوال ، تتـابعت
على مُنْجِدٍ يَبغي النَّوالَ ومُتْهِمِ(١١٨)

يُتَمِّمُ بالبِشـر المبشِّرِ جُودَه ،
وكـم بـادىءٍ بالجود غـير مُتَمِّمِ

يُـدِلُّ ، إذا ما الخَطْبُ أرسى ، بثاقبٍ
من الرَّأي ، وَلّاجٍ على كلِّ مُبْهَمِ(١١٩)

بجُودٍ .. كدُفّاع الأَتِيِّ ، وسَـطْوَةٍ
تضعضع أركانَ الخَميسِ العَرَمْرَمِ(١٢٠)

سـبوق إلى الغـايات ، لا يستفزُّه
وَنىً ،ذو إبـاءٍ لا يُسِفُّ لِمَأْثَمِ(١٢١)

---

(١١٧) ترعرع : تحرّك ونشأ وشبّ واستوت قامته . لِبان المعالي:رضاعها،والمعالي: جمع مَعْلاة ، الرفعة والشرف . ينمي الشيءَ : يرفعه ويُعلي شأنه ، وينميه: ينسبه . وينتمي : ينتسب .

(١١٨) النوال : العطاء . المُنْجِد : من يأتي « نجداً » ، والمُتْهِم : من يأتي « تِهامة »، يعني أن نواله عامّ ، يصيب منه المشرّق والمغرّب .

(١١٩) يدل : يجرؤ ، يقال : فلان يُدِلّ على قرنه ، وهو مدلّ بفضله وشجاعته . الأصل « يذلّ » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف . أرسى : رسا ، أي ثبت . ولاج : كثير الولوج ، أي الدخول .

(١٢٠) الأتيّ : السيل يأتي من بعيد . والدفاع : السيل العظيم . الخميس : الجيش الجرار ، سمي بذلك لأنه خمس فرق : المقدّمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة، والساق . العرمرم : الكثير .

(١٢١) الونى ، والوَناء : الفتور والضعف والإعياء . لا يسف لمأثم : لا يدنو من الإثم ، ولا يقع فيه . الأصل : « وني دواباي لا يسف لمائم » .

إذا مــــا انتمى ، أدّى العـلاءَ انتماؤه

إلىذِروة «البيتِ العَتيقِ» و «زَمْزَمِ»(١٢٢)

وفـاءَتْ عليـــه نبعـةٌ (فاطميّـــةٌ)

إلى باذخات المجـــد والفضـــل ترتمي(١٢٣)

غــذا عُودَها « الفُرْقانُ » ، وامتدّ فرعُها

بأسبغَ ظِلاً من قِنــانِ « يَلَمْلَمِ »(١٢٤)

على باحـــةٍ .. ينتابُهــــا كلُّ مؤمنٍ

حَنيْف ، ويَغْشَى ظِلَّها كلُّ مُسْلِمِ(١٢٥)

---

(١٢٢) البيت العتيق : هو الكعبة المعظمة بمكة ، وهو اسمها في القرآن الــــكريم : (وَلْيَطَّوَّفوا بالبيتِ العتيقِ) ، وذلك لقدمه ، لأنه أول بيت وضع للناس ، ففي القرآن الكريم : (إن أوّل بيت وُضِعَ للنّاس لَلّذي بِبكَّةَ مباركاً) . وقد يكون معنىٰ العتيق الكريم ، وكل شيء كرُمَ وحسُنَ يقال له عتيق . وفي بعض الأقوال : سمي عتيقاً ، لأنه أعتق من الغرق أيامَ الطّوفان ،واستدلّ قائله بقوله تعالى : (وإذْ بَوّأنا لإبراهيم مكانَ البيتِ ..) ، وهـــذا دليل على أن البيت رُفع وبقي مكانه.وقيل غير ذلك أيضاً . زمزم : البئر المباركة المشهورة في المسجد الحرام بمكة ، عن باب الطواف تجاه باب الكعبة . سميت زمزم ، لكثرة مائها ، يقال : ماء زمزم وزُمازِم ، وقيل : هو اسم لها وعلم مرتجل، وقيل غير هذا أيضاً . ولينظر تاريخها في « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » وغيره من تواريخ مكة للأزرقي والفاكهي وزيد بن هاشم العلوي الحَسَني .

(١٢٣) فاءت عليه : بسطت ظلّها . وهو في الأصل ، و (ب) : « وفات » . النبعـة : واحدة النبع ، وهو شجر ينبت في قلل الجبال تتخذ منه القسي والسهام ، وفلان من نبعة كريمة : ماجد أصيل . ب : « نبفة » ، وهو تصحيف . الباذخ: الرفيع البائن العلوّ .

(١٢٤) غذا : في الأصل « غدا » ، وهو تصحيف . الفرقان : كتـــاب الله تعالى ، وفي التنزيل : (تَبَارَكَ الّذي نَزّل الفُرقانَ على عبده لِيكُونَ للعالمين نذيرا) . أسبغ : أتمّ وأوسع . قِنان يلملم : أعاليه ، جمع القُنّة . ويَلَمْلَم ، قـال البكري في « معجم ما استعجم » : « هو جبل على ليلتين من مكة ، من جبال تهامة ، وأهله « كنانة » ، تنحدر أوديته الى البحر ، وهو في طريق اليمن الى مكة ، وهو ميقات من حَجّ من هناك » . الاصل : « ضلا من قنان يالملم » .

(١٢٥) الباحة : الساحة . ينتابها : يقصدها مرة بعد أخرى . الحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه ، و ـ الناسك ، و ـ كل من حَجّ . وفي كليات أبي البقاء : إذا ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاجّ ، كقوله تعالى : (ولكن كان حنيفاً مسلماً) . وإذا ذكر وحده فهو المسلم ، كقوله تعالى : (فأَقِمْ وجهك للدين حنيفاً) ، جمعه حُنَفاء . يغشى : الاصل « يخشى » ، وهو عكس المراد.

ترى ، إنْ بدا في النّاس منه وفي النّدى
وفي الفخر ، مِلْءَ القلبِ والعينِ والفمِ

(كأنّه يصف شِعره ، لأنّه ملء القلوب والأسماع) .

صَلابةُ مرهوبِ الشَّذاةِ على العِدا
وألطافُ صَبٍّ بالسَّماحة مُغْرَمِ[126]

يُعاذُ بِهِ ، والخَطْبُ عادٍ ، فيَرْعَوِي
ولولاه لاستشرى بهبّاتِ أَرْقَمِ[127]

ومُنْتَهشٍ للنّائباتِ .. أعاذَهُ
بشِلْوٍ ، على أُمّاتِهِنّ مُحَرَّمِ[128]

أتته العُلى عن كلِّ أروعَ ماجدٍ ،
وبَثَّ النَّدَى عن كلِّ أبلجَ مُنْعِمِ[129]

سُلالةُ مَنْ بادَ الضَّلالُ بسيفه ،
وكافحَ في نصرِ الهُدَى كلَّ مُعْظَمِ

تَناذَرَه الكُفّارُ ، إذ فاق منهمُ
ضِباعَ الفَلا ، وانتابهم كلَّ قَشْعَمِ[130]

---

(126) الشذاة : بقيّة القوة والشدّة ، الأصل « الشداة » بالدال المهملة ، وهو تصحيف . الصَّبّ : العاشق .

(127) عادٍ : واثب . يرعوي : يكفّ ويرتدع . استشرى : عظم وتفاقم . الأرقم : ذكر الحيّات ، أو أخبثها .

(128) الانتهاش ، المبالغة في نهش الشيء ، وهو العضّ والخدش . الشِلْو : العُضو ، وأشلاء الإنسان وغيره : أعضاؤه بعد التفرق والبِلى . أماتهن : أمهاتهن .

(129) الأروَع : الذكي الفؤاد ، و ـ المُعجَب بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته . الأبلج : البَيّن البلج والبلجة ، أي الإشراق بين الحاجبين وبين العارض والأذن ، قال :

أبلجُ بينَ حاجبيه نورُه

(130) تناذره الكفار : خوّف بعضهم بعضاً منه . انتابهم : قصدهم مرة بعد أخرى . القشعم : المُسِنّ .

فسَلْ « ذا الفَقار » العَضْبَ عن ضَرَباته

بعُدْوَةِ «بَدْرٍ »في الرَّعيل المُسَوَّمِ [131]

وسَلْ « هَلْ أَتَى » عنه ، يُخَبِّرْكَ ناطقٌ

من الوحي عن أنباء غَرْثانَ مُطْعِمِ [132]

فيا (آلَ بيت الله) أسرَعَ مُقْتَنٍ

لِنُعْمَى ، وأعفى عن جَريرةِ مُجرِمِ [133]

بكم مَهَّدَ اللهُ المَناقِبَ ، واعتلى

لِواءُ بني الآمال في كلِّ مَعْلَمِ [134]

---

(١٣١) ذو الفَقار : اسم سيف العاص بن منبه ، قتل يوم بدر كافراً : قتله علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وأخذ سيفه هذا ، فصار إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثم صار الى عليّ ، وفيه قيل : « لا فتى إلا عليّ ، ولا سيف إلا ذو الفَقار » ، والفقار ، بفتح الفاء ، والعامّة تكسره ، الحزوز . قال أبو العباس : « سمى سيف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، « ذو الفَقار »، لأنه كانت فيه حُفَر صغار حسان » . العضب : القاطع . العُدْوَة : الجانب ، بدر : ماء مشهور ، بين مكة والمدينة ، أسفلَ وادي الصفراء ، بينه وبين « الجار » وهو ساحل البحر — ليلة" ، اشتهر بالوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام ، وفرق بين الحق والباطل ،في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة . الرعيل : الجماعة القليلة التي تتقدم غيرها . المسوَّم : المُعْلَم بسُومة ، وهي السِّمَة والعلامة .

(١٣٢) « هل أتى » : اسم سورة قرآنية ، وتسمى سورة الإنسان ، وسورة الدهر ، والأمشاج . وهي مكية ، وآيُها إحدى وثلاثون . ورد فيها ثناء على خلائق الأبرار ، وعنايتهم بضعفاء البشر ومواساتهم والاجتهاد في إيصال كل خير إليهم ودفع كل ضر بهم . والشاعر يلمح الى الآية الثامنة في السورة ، وهي قوله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيرا) ، قال أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي في تفسيره « فتح البيان » (١٣٧/١٠) : « وعن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . أخرجه ابن مردويه . وقيل : عامة في كل من أطعم هؤلاء لله ، وآثرَ على نفسه » . يخبّرك : الأصل « ويُخْبِرْكَ » ، وهو على الصحة في (ب) كما أثبتُّه . غرثان : جائع .

(١٣٣) الجريرة : الجناية والذَّنْب .

(١٣٤) المَعْلَمُ : ما يستدلّ به على الطريق من أثر ، جمعه معالم . ويقال له : عَلامة ، بضم العين وتشديد اللام .

وإن قيسَ ذو فضل بكُم ، قيسَ غاربٌ
أشَمُّ الذُّرا ، يومَ الفَخارِ ، بمَنْسِمِ (١٣٥)

يُقِرُّ لكم شُوسُ الملوكِ ، ويُفتــدى
بأعناقهم من طَوْلِكم كلُّ ميسَمِ (١٣٦)

ثواقبُ فخرٍ .. ليس يخبو اتّقادُها
بآفاقِ دهرٍ حالكِ اللونِ مُظلمِ

غدا أهلُه من كلِّ خير بنَجْوَةٍ
وما الكَرَمُ العاديُّ مثلَ التّكرّمِ . (١٣٧)

فما زاخرُ الآذيِّ ، طامٍ عُبابُه
بغَمْرَةِ مهجورِ المواردِ خِضْرِمِ (١٣٨)

زَهَتْهُ النُّعامَى ، فاستدار .. كأنّه
هِضابٌ ، تسامَتْ بينَ فَذٍّ وتَوْأَمِ (١٣٩)

إذا جاشَ ، خِلْتَ الماءَ راجِعَ أهلَهُ
فلاذَ من السُّحْبِ الغِزار بمُعْظَمِ (١٤٠)

---

(١٣٥) الغارب : أعلى كل شيء ، ومن البعير : ما بين السَّنام والعنق . المَنْسِم : طرف خف البعير .

(١٣٦) شُوس : جمع أَشْوَس ، وهو الجريء والشجاع ، و ـ المتكبر الذي ينظر بمؤخر عينه تكبّراً وتغيّظاً . الطَّول : الفضل والغنى واليسر . الميسم : السِّمَةُ .

(١٣٧) النجوة : المرتفع من الأرض ، ويقال : هو بنَجْوَةٍ من هذا الأمر : بعيد عنه بريء سالم . العاديّ : القديم الموروث ، ، وفي حاشية الأصل : « العادي : منسوب إلى العادة [قلت : وليس بصحيح] . ليس التكحل في العينين كالكَحَل » .

(١٣٨) الآذيّ : الموج الشديد . طامٍ عبابه : مرتفع ماؤه . الغمرة : الماء الكثير . الخِضْرِم : الكثير الواسع .

(١٣٩) زهته : هزّته ، يقال : زهت الريح النبات والشجر : هزّته غِبَّ المطر والنّدَى . النّعامى ، ريح الجنوب ، وهي في جزيرة العرب أندى الرياح وأرطبها . الفذ : الفرد . التوأم : المزدوج .

(١٤٠) جاش : هاج فلم يُستَطَع ركوبه . راجع أهله : في حاشية الاصل « راجع أهله ، أي : كاد الماء يرجع إلى السُّحُب » .

.. كسَيْب (علاء الدّولة) استَنّ وَبْلُه

على المُعْتَفي ، لكنّه عن تبسّمِ ، [141]

ولا مُخْدِرٌ ، ذو لِبْدَتَيْنِ ، استثاره

بَداهةُ مشبوح الذِّراعَيْن مِرْجَمِ ،[142]

فجالَ ، وشِبْلاه بأقصى عَرِينِهِ

رَميّانِ مَرْهُوما التَّرائبِ بالدَّمِ ،[143]

فدَقّ الحصى حِقداً بزَوْرٍ .. كأنّه

عَلاةٌ ، ووالى نظرةَ المتذمّمِ ،[144]

متى عَزّه مطلوبه ، استلم الثَّرَى

وإن يلتمسْ شِبْلَيْه في الغِيلِ ، يَنْأَمِ [145]

وزمجرَ ، واستاف الرَّغامَ ، وهزّه

إليه انتصارُ القاهر المُتَهَضِّمِ ..[146]

---

(١٤١) السَّيْب : العطاء . استنّ وبله : انصبّ مطره الشديد الضخم القطر . المعتفي : طالب المعروف .

(١٤٢) أسد مُخْدر : ملازم خدره ، أي مأواه واجَمَته . اللِبدة : الشعر المتراكب بين كتفي الأسد ، وفي المثل : « هو أمنع من لِبْدَة الأسد » . استثاره : الأصل « استناره » . البداهة : ما يفجأ من الأمر . مشبوح الذراعين : ممتلىء الذراعين بعيد ما بين المنكبين . مِرْجَم : شديد الوطء كأنه يرجم الأرض .

(١٤٣) الرَّميّ : المَرْمِيّ . مرهوم : مُخَضّب ، استعاره من رُهمت الأرض : اذا أصابتها الرِّهام ، وهي الأمطار الضعيفة الدائمة . الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين ، الواحدة تَرِيبة .

(١٤٤) الزَّوْر : ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين . العَلاة : السِّندان ، والزُبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد ، الجمع العَلا . المتذمم : المستنكف والمستحيي .

(١٤٥) عزّه : قهره وغلبه . استلم الثرى : لمسه بيده ، وقد كثر استعمال عامة الكتاب اليوم له بمعنى تسلّم الشيء : أخذه وقبضه ، وهو خطأ . الغيل ، بكسر أوّله وفتحه : الشجر الكثير الملتف الذي يستتر فيه . ينأم : يصوت ، و ـ يئن أناً خفيفاً .

(١٤٦) استاف الرَّغام : شمّ التراب . المتهضِّم : الظّالم .

.. بأجرأ صدراً منه ، والخيلُ تلتوي
بفرسانها تحتَ الحديد المنظَّمِ (★)

فَداهُ من الأقوام كلُّ مُرَنَّقٍ
يُعقِّب منزورَ النَّدَى بالتَّندُّم[147]

وأعطى قليلاً ، ثمَّ أكْدَى ، فلا يَدِي
إلى مدحه يوماً تَتُوقُ ولا فمي[148]

ولا أرتضي الإحسانَ من كلِّ مُحسِنٍ ،
ولا أقبَلُ النَّعْماءَ من كلِّ مُنعِمِ

**

وما قاله في بعض الأكابر ، على لسان غيره :

لِجَدْواكَ (مجدَ الدِّينِ) تعنو العمائمُ
وتُذعِنُ للآراء منكَ الصَّوارِمُ[149]

إذا ما أجَلْتَ الحِلمَ ، أطرقَ (أحنفٌ)
وإمَّا أفَضْتَ البَذْلَ ، أطرقَ (حاتِمُ)[150]

(★) بأجرأ : خبر قوله : « فما زاخرُ الآذِيِّ . . » البيت المرقم ١٣٨ .

(١٤٧) المرنق : المكدّر . المنزور : القليل . وفي الأصل : « مرند بعقب » ، وهو من أشنع التحريف .

(١٤٨) أكدى : بخل ، وفي القرآن الكريم : (وأعطى قليلا وأكدى) .

(١٤٩) الجدوى : العطية . تعنو : تخضع وتذلّ .

(١٥٠) الأحنف بن قيس : سيد تميم ، وأحد عظماء العرب الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين . يضرب به المثل في الحلم . ولد في البصرة سنة ثلاث قبل الهجرة النبوية ، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره . وصى عمر بن الخطاب ابا موسى الأشعري والي البصرة أن يدنيه ويشاوره ويسمع منه . شهد الفتوح في خراسان ، واعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صفين مع علي ، وولي خراسان . توفي سنة ٧٢هـ وأخباره كثيرة ، ولعبدالعزيز بن يحيى الجلودي كتاب « أخبار الاحنف » . وترجمته في طبقات ابن سعد ٦٦/٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١٠/٧ ، ووفيات الأعيان ٢٣٠/١ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٨٤/٢ و ١٢٩/٣ ، والأعلام ٢٦٢/١ وغيرها . حاتم الطائي : (ص ١٥/ح٥٩) .

تُبِيــــدُ المُعــادي ، والمُوالِي تُفيدُه ،

فسيفُك صَرّامٌ ، وسَيْبُكَ رائــم ،[151]

وإن عضّتِ الحربُ العَوانُ وأعضلتْ ،

كشفتَ دُجاها وَهْو بالشّرّ عــاتم ،[152]

ويقشع هَطّالُ السَّحابِ ، فلا يَفِي

بمَا يُرتَجى منــــه ، وجودُك دائــمُ

ويَبغي المُنــاوِي نيــلَ شأْوِك في العُلى

فيُغرقــــه تَيّـــــارُك المتلاطم ،[153]

إذا ما اطمـــأنّ الجأْشُ منك ، كَدَدْتَـه

بجِدّك ، فانثالت عليــه العظــــائم ،[154]

وإن رامَ ما أَثّلْتَهُ ، اعتــاقَ عزمَـــــه

صوارمُ •• تُنْسَى عندَهُنّ الصَّرائم ،[155]

وأرقشُ في يُمنــاك •• يَهْزَأُ نقشُـــــه

بما اســتودعتْ أنيــابهُنّ الأراقم ،[156]

إذا جــــال ، فالحَتْفُ المثَّلُ جــائلٌ •

وإن حـــامَ ، فالمجدُ المؤثَّلُ حائم ،[157]

---

(١٥١) تُبيد : تهلك . صرّام : قطّاع . السيب : العطاء . رائم : مصلح لحال الفقر .

(١٥٢) حرب عوان : قوتل فيها مرة بعد اخرى . عضت : اشـــتدت . أعضلت : اشتدت واستغلقت .

(١٥٣) المناوي : المناوىء ، وهو المعادي ، سهلت همزته . الأصل : « المنادي » ، وهو تحريف . الشأو : الغاية والأمد والشوط .

(١٥٤) الجأش : النفس ، أو القلب . بجدك : الأصل « يحدك » .

(١٥٥) أثّل الشيءَ : أصّله . الصرائم : جمع الصريمة ، وهي إحكام الأمر والعزيمة فيــه .

(١٥٦) أرقش : قلم أرقش ، منقّط . الأراقم : جمع الأرقم ، وهو ذكر الحيّات او أخبثها .

(١٥٧) الحتف : الهلاك .

يُجلّي عَمايات الخُطوب إذا دَجَتْ ،
ويَرْفَضُّ منـــه المَأْقِطُ المتلاطم،[١٥٨]

ويَلْتَهِمُ الأقرانَ وَهْيَ قَساوِرٌ ،
ويستصغرُ الأبطالَ وَهْيَ ضَراغِم،[١٥٩]

ويَرْقَمُ في الطّرس المَنــايا مع المُنَى ،
وهل نِيلَ فيما قيل أرقَمُ راقِمُ ؟[١٦٠]

ومَشْهَدِ يومٍ ذي مَضايقَ ، رُعْتَـــهُ
برَوْنَقِ وجـــهٍ لَوَّحَتْه المقاوم،[١٦١]

كشَفْتَ قِنــاعَ النَّقْع عنـــه بعــارضٍ
حَيــاه ، إذا صابَ ، الطُّلَى والجَماجم،[١٦٢]

لشيَّدْتَ بالإفضال والفضل رُتبـــةً
بنى شَأْوَها أبناءُ صدقٍ خَضــارم[١٦٣]

---

(١٥٨) العَماية والعماءة : السحابة الكثيفة المطبقة ، استعارها لشدة الخطوب . يرفضّ : يتفرق ويتبدد ويزول . المأقِط : المضيق في الحرب .

(١٥٩) القساور : الأُسُود ، وكذا الضراغم .

(١٦٠) أرقم : (ح١٥٦) . راقم : ذكر أهل اللغة الرَّقِمَ ، كفَرِح ، وهو الداهية، وما لا يطاق له ، ولا يقام به . يقال : وقع في الرقم ، والرقم الرقمـــاء أي بالداهية الدهياء .

(١٦١) لوّحته : غيّرت لون بَشَرته وسودته ، يقال : لوحه البرد ، ولوحتـــه الشمس . المقاوم : لعلها « المقادم » بالدال ، جمع المَقْدَم ، مصدر ميمي بمعنى الإقدام والجراءة ، وضعها موضع الاسم ، وأراد الحروب .

(١٦٢) النقع : الغبار الساطع اي المنتشر . العارض : السحاب الذي يعترض في الأفق فيسدّه ، وفي القرآن الكريم : (قالوا : هذا عارضٌ مُمْطِرُنا) . الحيا : المطر . صاب : صب ماءه . الطُّلَى : الأعناق ، وقيل : أصول الأعنـــاق ، الواحدة طُلاة ، وطُلْوة ، وطُلْية .

(١٦٣) الشأو : الغاية والأَمَد . الخَضارم ، بفتح أوله : جمع الخُضارم بضمه ، وهو السيد الحمول الجواد الكثير العطاء والمعروف .

أكارمُ .. أدّاهم إلى الفضل عُصبـةٌ
رِحابُ المَقارِي والصُّدورِ ، أكارمُ(١٦٤)

مَطاعِيمُ إن هبّتْ شَمالٌ عَرِيّةٌ ،
مَطاعِينُ حينَ المَأْقِطُ المتلاحمُ(١٦٥)

يفوح ثَناهُم في النَّدِيّ ، كما هفا
أَريجُ الصَّبا .. شابتْ نَداه اللَطائمُ(١٦٦)

غَنَوا غيرَ مَزْرِيّ عليهِم ، وأدلَجُوا
وأعراضُهم موفورةٌ ، لا الدَّراهمُ(١٦٧)

إذا ما انتَدَوْا للمجد ، أنشد مجدُهم :(١٦٨)
« وتأتي على قَدْرِ الكِرام المكارمُ »(١٦٩)

وأنت ، إذا عُدّوا ، أعَمُّهُمُ نَدًى
وأصفحُهم إن أحفظتك الجرائمُ(١٧٠)

---

(١٦٤) المَقاري : جمع المِقْراة ، ومن معانيها : الجفنة ، يقال : مقار كالمقاري ، أي: جفان كالجوابي وهي الحياض التي يجمع فيها الماء . ورحب المقاري كناية عن الجود .

(١٦٥) العَرِيّة : الباردة . مطاعيم : جمع مطعام . مطاعين : جمع مطعان . المأقط : (ح١٥٨) . يصفهم بالجود والشجاعة .

(١٦٦) الندي : النادي . النَّدَى : الجود . شابت : خالطت . الاصل « سابت » . اللطائم : جمع اللطيمة ، وهي وعاء المسك .

(١٦٧) أدلجوا : ساروا ، والإدلاج خاصّ بالسير من أوّل الليل . موفورة : تامة لم ينقص منها شيء .

(١٦٨) انتدوا : اجتمعوا في النادي .

(١٦٩) تضمين من شعر المتنبي ، وصدره :
على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ

(١٧٠) احفظتك : اغضبتك .

تُلِمُّ بِكَ الآمالُ رَزْحَى طَلِيحَةً ،
فتُوسِعُها رِفداً ، وثغرُكَ باسمُ(١٧١)

وتُضحِي المعالي ، يا (ابن موسى) ، أَبِيَّةً
فيقتادُها منكَ اللُّها والعزائمُ (١٧٢)

فلا هَمُّكَ المِقدامُ ، عنهُنَّ ناكصٌ
ولا عزمُكَ اليقظانُ ، عنهُنَّ نائمُ(١٧٣)

وإن صُلْتَ لم يبلُغْ مقامَكَ صائلٌ
وإن قُلتَ لم يُدرِكْ مقالكَ عالمُ*

وأحرزتَ شَأْوَ الفضلِ ، حتّى لقد غدت
تَساوَى الخوافي عندَها والقوادمُ(١٧٤)

لِعبدِكَ ، يا عِزَّ الملوكِ ، وَسيلَةٌ
بها الحقُّ في شرعِ المكارمِ لازمُ

وَلاءٌ .. يَشِفُّ الصُّبحِ من جَنَباتِه ،
ونُصحٌ .. عليه للوَلاءِ علائمُ

فَرُضْهُ بأدنى خدمةٍ ، فغَضاضةٌ
إذا ما أطالَ المكثَ في الغِمدِ صارمُ(١٧٥)

---

(١٧١) رزحى : ضعيفة معيية ، يقال : رزح الرجل ، إذا ضعف وذهب ما في يده . طليحة : مهزولة مجهودة . الرِفد : العطاء .

(١٧٢) اللُّها : أفضل العطايا وأجزلها ، واحدتها لُهوَة .

(١٧٣) ناكص : راجع القهقرى .

(*) في حاشية الأصل : « كأنه مدح بهذا البيت نفسه ، فهو أحقّ به » .

(١٧٤) الشأو : الأمد والغاية . الخوافي : ريشات أربع اذا ضمّ الطائر جناحه خفيت ، الواحدة خافية . القوادم : ريشات عشر كبار ، أو أربع في مُقَدَّم الجناح ، الواحدة قادمة .

(١٧٥) غضاضة : ذلّة ومَنْقَصة .

ومثلُك •• مَنْ لاحت لأيّـــامِ أمرِه ،
على صَفَحاتِ المُنتَمين ، مواســـــمُ

فلا زِلتَ للإســلام والفضل والعُلى
بهــاءً ، وأنفُ الحاسدِ الغَمْرِ راغمُ[176]

ولا جَــدَّ ، إلا في جنــابك ، آمِــلُ
ولا اتَّجهَتْ ، إلا إليك ، الرَّواســمُ(★)

⁂

وكتب إلى السيِّد الإمام (ضياءالدِّين فضل الله الرّاوَنْدِيّ)[177] ، رحمه الله ، من أهل « أصفهانَ »[178] ـ إلى « قاشانَ »[179] ، جواباً عن بيتين له إليه ، وهما :

شــوقي إلى مولاي (عبدالرَّحيمْ) عــرَّضَ قلبي للعــذاب الأليمْ
وا عجبــا من جَنَّة •• شــوقُها يُوقِــدُ في الأحشاء نارَ الجحيم !

الجواب :

كــم بــينَ آرامِ اللِوى فالصَّرِيمْ من مُخْطَفٍ •• يرنو بألحاظِ رِيمْ[180]

(١٧٦) الغَمْر : من لم يجرّب الأمور . راغم : لاصق بالرَّغام ، وهو التراب .

(★) الرواسم : النِّياق القوية التي تؤثر في الأرض من شدّة وطئها .

(١٧٧) الراوندي (ص ٨٦/ح١٨٦) .

(١٧٨) اصفهان : المقدمة ، و ١/١٤ .

(١٧٩) قاشان : مدينة إيرانية، قرب قُمْ ، تذكر معها ، وبينهما ستة وثلاثون ميلاً ، وعلى ثلاث مراحل من قاشان مدينة أصبهان. تصنع فيها الغضائر «القاشانيّ» المشهورة ، والعامة تقول « الكاشيّ » . وقد وصف الشاعر ابن الهبارية العباسي أهلها باللؤم . وينسب إليها طائفة من أهل العلم .

(١٨٠) الآرام : جمع الرِّئم ، وهو الظبي الخالص البياض . الأصل : « أدام » . اللوى : ما التوى من الرمل ، أو منقطع الرمل . الصريم : القطعة المنعزلة من معظم الرمل . مخطف : ضامر البطن . يرنو : يديم النظر في ســكون طَرْف . الأصل : « يرنق » . والشاعر يتغزل بحسن البدويّات .

ذي قامة •• ظَلْتُ لها في جَوًى ، يُقعدني طوراً ، وطوراً يقيمْ[181]

حَمَى لَساهُ ، لو حَمَى مُهجتي ، سَوطُ عذابٍ من هواه أليمْ[182]

ونـام ، لكنّي ـ وحُبِّيهِ ـ لا أنامُ ، مُذْ صَدَّ، كما لا أُنيمْ[183]

واعجبا من طَرْفه ! كيف لا يَرثي لِما بي ، وكِلانا سقيمْ ؟

لم أنسَ ، إذْ أضحكه موقفي ، أبكي ويَبكي لفراق الحَميمْ[184]

فلاحَ من دمعي ومن ثَغْره دُرّانِ : ذا نَثْرٌ ، وهذا نظيمْ •

ولائمٍ •• مُغْرًى بلومي ، وهل يُلامُ يا للناس! غيرُ المُليمْ[185]

أُتيحَ •• لكن لأخي لوعةٍ ، غرامُه أضحى له كالغَريمْ[186]

فسامه ما ليس في وُسْعِه ، وكيف يَدري بالسَّليمِ السَّليمْ؟[187]

أبلغَ لو يُنْجِد مَنْ لامَهُ بطائف من سَلْوةٍ أو عَزيمْ[188]

لكنَّ دُونَ اللوم من سمعه وَقْراً ، وشيطانُ هواه رجيمْ[189]

بَلْ ،مَنْ لِدهرٍ •• عادَ،من جوره الْ أَغَرُّ من آمالنا كالبهيمْ ؟[190]

---

(١٨١) الجوى : اشتداد الوجد من عشق أو حزن . ظَلْتُ : ظللت ، حذفت اللام الثانية للتخفيف ، وفي القرآن الكريم : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) ، و (ظَلْتَ عليه عاكفاً)، يقال:ظلَّ نهارَه يفعل كذاوكذا يَظَلُّ ظَلّا وظلولاً، وظَلِلْتُ أنا وظَلْتُ وظِلْتُ . ومن فتح فقال « ظَلْتُ » فالأصل فيه « ظَلِلْتُ » ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر ، وبقيت الظاء على فتحها . ومن كسر فقال « ظِلْت » بالكسر ، حوّل كسرة اللام على الظاء . وبهما قرئت الآيتان . ولها نظائر تنظر في كتب النحو وكبار معاجم اللغة .

(١٨٢) اللمى : بفتح اللام : سمرة في الشَّفَة تستحسن .

(١٨٣) لكني : الأصل « لكن » ، وهو على الصحة في (ب) . وحبيه : أقسم بحُبّي له .

(١٨٤) لفراق : الأصل « للفراق » . الحميم : القريب الذي تَوَدُّه ويودّك .

(١٨٥) مُغْرًى : مولع . المليم : من أتى بما يلام عليه ، أو صار ذا لائمة . وفي القرآن الكريم (فالْتَقَمه الحوتُ وهو مُليمٌ) ، وفي المثل: «رُبَّ لائمٍ مُليمٌ».

(١٨٦) أتيح : قُدِّر . الغريم : الدائن .

(١٨٧) السليم الأول : الملدوغ ، والسليم الثاني : السالم .

(١٨٨) العَزيم : الصبر .

(١٨٩) الوَقْر : ثقل السمع ، أو الصَّمَم .

(١٩٠) الأغر : الأبيض المشرق . البهيم : الأسود .

ذي خَرَقٍ في كلّ ما شــاءَ ، بل ... عن كلّ ماسَرٍ صَدُوف كَظِيمْ(١٩١)

يــرأَمُ •• حتّى إن حَلَبَتْ درّةً ... منه لِجِرْوٍ ، عاد منها فَطِيمْ(١٩٢)

هــذا ، وكائِنْ دافَ لي شُــربةً ... مُمْقِرَةً، يُعلَكُ منها الشَّكيمْ(١٩٣)

سَوَّغَنيها طولُ تَردادِهــا ، ... وقد يُسيغ الاعتيادُ الوَخِيمْ(١٩٤)

لكنّ ما كلّفني من أَســـــى ... لعبدِ (فضلِ الله) ما إن يَريمْ(١٩٥)

فقــد دهــاني نَأْيُــهُ بالّــذي ... عادت له أُمُّ اصطباري عَقِيمْ(١٩٦)

فإنْ يَغِبْ ، أَفديهِ ، عن ناظري ... فَهْوَ على النَّأْي بقلبي مقيـــمْ

أهمل سَرْحَ اللهوِ منّي ، وقــد ... كان له منّي مُرِيحٌ مُسِيمْ(١٩٧)

فكاهــةٌ •• زِينت بفضل ، فــلا ... ينكلُ عنها الطّبعُ، بل لا يَخِيمْ(١٩٨)

وشــاردات من مَعانٍ ، غــدت ... بناتُ نفسي بَعدَهاوَهْيَ هِيمْ(١٩٩)

---

(١٩١) الخَرَق : الحمق . صدوف : معرض . كظيم : ممسك على ما في نفسه عند الغضب . الأصل : « صدوق كضيم » .

(١٩٢) يرأم : يعطف ويشفق . في الأصل « يرام » غير مهموز . الدِرّة ، بكسر أوله وفتحه : اللبن ، أو الكثير منه . لجرو : في الأصل « لجر » .

(١٩٣) كائِنْ : اسم يفيد تكثير العدد بمعنى « كم » الخبرية ، ومثلها « كَأَيِّنْ » يقال : كائن أو كأيِّنْ رجلاً لقيت ، وكائن أو كأيّن من رجل لقيت ، وإدخال « من » بعده أكثر . داف : خلط . ممقرة : مُرّة . الشكيم: جمع الشكيمة، وهي الحديدة التي تعترض في فم الفرس من اللِجام .

(١٩٤) سوّغنيها : جعلني أسوغها ، أي أبتلعها واستمرئها واستطيبها . يسيغ : في الأصل « يشيغ » . الوخيم : الثقيل الرديء .

(١٩٥) يريم : يفارق .

(١٩٦) نأيه : بُعده .

(١٩٧) السرح : الماشية ، تسمية بالمصدر . ولا يسمى سرحاً إلا ما يُغْدَى به ويراح . استعاره للهو الدائم ، ومن قبله استعاره له أبو نواس فقال وصدق :

ولقد نهزت مع الغُواة بدلوهم ... وأَسَمْتُ سرح اللهو حيث أساموا

وبلغتُ ما بلــغ امرؤ بشبابه ... فاذا عصــارة كل ذاك أثـــــام

المريح : الراعي الذي يرد ماشيته بعد الغروب الى مراحها . المسيم : الراعي الذي يسيم ماشيته ، أي يذهب بها على وجهها حيث شاءت .

(١٩٨) ينكل عن الشيء : يرتدّ عنه . يخيم : يجبن ويتراجع .

(١٩٩) هِيم : خارجات على وجهها في الارض لا تدري اين تتوجه .

كــــلُّ حميــــــدٍ وجميـــلٍ إذا
قِيس بــه يومــاً ، ذَميمٌ دَميم[200]

سَــلْ عنــه « راوَنْدَ » ، فإن أنــكرت ،
فاسألْ به « البطحاءَ » ثُمَّ « الحَطِيمْ »[201]

و « هَلْ أتى » فاســألْ ، تَجِــدْ ناطقــاً
عن ضِئْضِيءِ المجـد وبيتٍ صَميم[202]

ذلك (فضــلُ الله) ، يُؤتيـــــه مَنْ
يشـــاءُ ، والفضـــلُ لديــهِ عظيمْ

لم يُنْسِــه البُعــدُ وِدادي ، كمــا
لم يَنْسَني وَهْوَ قــريبٌ مُقيــمْ

فجـــاد بالاِحسان من نظمــــه ،
ومن نَــداه بالجــزيل العَميــمْ

لمّــا انطــوى قلبــي على وُدّه
أرســلَ بالمَطْوِيّ فعــلَ المُقيــمْ

(المَطْوِيّ : عنَى به المقشّر القاشـانيّ . ولقد ذهب ، واللهِ ، في الإجادة كلَّ مذهب ، وارتقى في الفصاحة كلَّ مَرْقَب) .

فكـانَ أحـلى موقعــاً ، إذْ أتـى
من ثــروة .. أفضى إليهــا عـديم[203]

---

(٢٠٠) الدَّمِيم ، بالدال المهملة : القبيح المنظر الصغير الجسم الحقير . وبالذال المعجمة : المذموم .

(٢٠١) راونـــد : (ص ٨٦/ح١٨٦) . البطحـــاء : بطحاء مكـــة المكرمـــة ، وهو مكان بها متسع يمرّ به السيل ، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار . الحطيم : بمكة ، قال الإمام مالك بن أنس : هو ما بين المقام (مقام إبراهيم) إلى الباب ، وقال ابن جريج : هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحِجر .

(٢٠٢) هل أتى : (ح١٣٢) . ضِئضي المجد : أصله . صميم : محض خـالص .

(٢٠٣) أفضى إليه : انتهى إليه . عديم : معدم مفتقر .

كأنّمـــــا شِـــيبَ بأخلاقـــــه
فلَـــذَّ منـــــه طعمُـــه والشَّمِيم°[٢٠٤]

ينطِقُ قبلَ الخَبْرِ مَرآه عن مَخْبَرِ صدقٍ بنعيمٍ زعيم°[٢٠٥]
وإن يكن قُلّاً ، فما قــدرُه مُقَلَّلاً عندي ولا بالمَدِيم°[٢٠٦]

يأبى الرِّضـــا ، (أبا الرِّضـــا) ، منك لي
إلا اصطنـاعَ الألْمَعِيّ الـــكريم°[٢٠٧]

هـــــذا ، وإغضــاؤك عــن هَفْوَةٍ
تَعِنُّ منّي ، منـــك سُوسٌ وخِيم°[٢٠٨]

فاقنَعْ بســـا استيسر مـــن مُخلصٍ
زَئيرُه لِلهَمّ أضحـــى نَئِيـــم° [٢٠٩]

عُجـــالة مـن خاطـرٍ .. برقُـــــه
بدا ، ولكنْ خُلَّبــاً حين شِـــيم°[٢١٠]

---

(٢٠٤) شِيب : خُلِط . الشميم : المشموم .
(٢٠٥) الخبر : معرفة الخَبَر على حقيقته .
(٢٠٦) القُلّ : القليل .
(٢٠٧) الألمعي : الذكيّ المتوقد الصادق الفراسة ، قال :
الألمعيّ ، الّذي يظنّ بك الظَّنَّ ـ كأنْ قد رأى وقد سمِعا
(٢٠٨) اغضى عن الشيء : حوّل طَرْفه عنه ، واغضى عليه : سكت وصبر. تعن مني : أراد تصدر مني ، وإنما العَنّ هو ظهور الشيء أمامك واعتراضه ، ولذلك قالوا : عنّ له الشيء ، وعنَّ النّجم في السماء . السُّوس : الطبع والخلق والسجية ، يقال : الكرم أو اللؤم من سُوسه . وكذلك الخِيمُ .
(٢٠٩) الزئير : الصياح من الصدر ، ومنه زئير الأسد . النئيم : الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان .
(٢١٠) العُجالة : ما يعجَّل من شيء ، و ـ ما يتزوّده المسافر مما لا يثقل عليه . الخُلَّب : السحاب يومض برقه حتى يرجى مطره، ثم يُخلف ويتقشع. شِيم: نُظِر إليه ليتحقق أين يكون مطره .

ولـو ، لَعَمْـرُ اللهِ ، أَسْطيعُـه
شـدَدْت مرتاحـاً إليـك الحَزيم[211]

معتـذراً ، بـل ناقعـاً غُلَّـةً ،
بل راعيـاً عهـدَ إخـاءٍ قـديم[212]

فاعـذِرْ ، وقلِّـدْني بهـا مِنَّـةً
مقرونـةً منـك بطَوْلٍ جَسيم[213]

***

وكتب إلى الأجلّ (يمين الدّين ، أبي علي ، أحمد ، بن إسماعيل) ، أدام الله نعمته ، وهو بـ « قاشانَ »[214] :

سـلامٌ ، كأنفاس الخُزامى ، يُذيعُهـا
أَريجُ النُّعامى ، سُحْرَةً ، ويُشيعُها[215]

وإمّا وَنَتْ عنها النُّعـامى ، جرى بهـا
نسيمُ الصَّبا،يَعصِي النَّوَى ويُطِيعُها[216]

---

(٢١١) أسطيعه : أستطيعه ، حذفت تاؤه تخفيفاً ، ومنه قوله تعالى: (فما اسطاعوا أن يُظهروه) ، فان أصله « استطاعوا » والتاء والطاء من مخرج واحـد ، فحذفت التاء ليخف اللفظ . ومن العرب من يقول « استاعوا » بغير طـاء ، ولا يجوز في القراءة . الحزيم : موضع الحزام من الصدر والظهر ، يقال : شدّ لهذا الأمر حزيمه ، أي : استعدّ له .

(٢١٢) الغُلّة : شدة العطش وحرارته . ونقعها الماء : اذهبها وسكنها ، ويقـال : نقعت بذلك نفسي : اطمأنت إليه ورويت .

(٢١٣) الطَّوْل : الفضل والغنى واليُسر .

(٢١٤) قاشان : (ح١٧٩) .

(٢١٥) الخزامى : عشبة طيبة الريح ، فيها نَوْر كنور البنفسج ، وليس في الزهر أطيب ريحاً منه . النُّعامى : ريح الجنوب ، وهي في جزيرة العرب أندى الرياح وأرطبها ، الأريج : الريح الطيبة . السحرة ، بضم فسكون : آخر الليل قبيل الفجر .

(٢١٦) ونت : فترت . النَّوَى : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعـد ، وهي مؤنثة لا غير . الأصل « اللوى » ، ولا وجه له في السياق .

يُوافي بهـا « قاشانَ » عنّي بَواكِرُ الـْـ
ـعِهـاد ، فلا تنفكّ خُضْراً رُبُوعُها[217]

وإن حَمَلَتْه الشّمسُ عندَ غُروبِهـا
أجَــدّ به عهـدَ الوفاءِ طلوعُهـا

فلي نحوَها قلبٌ شـديدٌ نُزوعُـه ،
ونفسٌ لمن فيهـا طويلٌ نُزوعُهـا[218]

وتهفو بلُبّي ذُكْـرَةٌ تبعَثُ الجـوى
إليها ، وعينٌ في الدّموع شُـروعُها[219]

وما ذاك إلا أَنْ غـدت بجَنابهـا
رِكابُ (أمينِ الدين) مُلْقىً نُسُوعُها[220]

أخو المجد •• يُبدي فخرَه ويُعيـدُه ،
مناقبُ •• لم يُجمَعْ لشخصٍ جميعُهـا

سـما طالعاً نحوَ المآثِرِ ، واعتـلى
ثَنايا عُلىً •• أعيا الرّجالَ طلوعُها[221]

إذا عُدّتِ السّادات فَهْوَ هُمامُهـا ،
وإن عُدّتِ الأجوادُ فَهْوَ قَرِيعُها[222]

---

(217) العِهاد : مطر أول السنة . وفي الأصل : « بواكراً كعهاد » .
(218) النزوع : الحنين والاشتياق .
(219) الأصل : « وتهفوا بلبي ذكره » .
(220) أمين الدين : تقدم « يمين الدين » . النُسوع : جمع النِّسْع ، بكسر فسكون ، وهو سير عريض طويل ، تشدّ به الحقائب أو الرحال أو نحوها .
(221) الثنايا : الطّرق في الجبل ، واحدها ثَنِيّة ، ويقال « فلان طلاع الثّنايا » ، أي : جَلْد يتحمل المشاقّ ، أو ساعٍ لمعالي الأمور .
(222) الهمـام : (ح116) . القريع : السّيّد ، وهو قريع الكتيبة ، أي : رئيسها .

وكائِنْ بجَــدْواه انثنيتُ ، ومَرْبَعي
من الخِصب مُخْضَرُّ المَغانِي مَرِيعُها[٢٢٣]

وكم فُرصــةٍ قضّيتُ فيهــا مآرِبي
لديــهِ ، وواتى من أُموري مَنِيعُها[٢٢٤]

ويا حبّــذا تلك الليــالي وحَبَّـــذا
سروري بها .. لو حانَ يوماً رجوعُهــا

أبانَ لَيالِيَّ الوِخــامَ لذيذُهـــا
وكَرَّهَ أيّــامي البِطــاءَ سَريعُهــا

ولولا أُطَيْفــالِي لَعُذْتُ بظلّـــه ،
فتلك المُنَى .. لو أنَّني أســتطيعُها

***

وله من قصيدة :

كَفى حَزَناً أنْ بِتُّ أَطوي أَضالِعي
على زَفَراتٍ .. ليس يخبو سَــعيرُها

ودُونَ مَــزارِ (العامريّة) شُـــقَّةٌ
لَعُوبٌ بأخفاف المَطِيِّ شَــطيرُها(*)

فليست على شَحْط النَّوَى تستزيرُني ،
ولستُ على شَحْط النَّوَى أَستزيرُها[٢٢٥]

---

(٢٢٣) كائِنْ : (ح١٩٣) . الجدوى : العطية . المغاني : جمع المَغْنى ، وهو المنزل الذي غَنِيَ ــ أي أقام ــ به أهله . الأصل « المعاني » بالعين المهملة ، وهو تصحيف . المَرِيع : الخصيب المعشب ، وغيث مريع : تمرع منه الأرض .

(٢٢٤) المآرب : جمع المأرَب ، وهو الحاجة ، و ــ البِغية والأمنية .

(*) الشُقّة : البُعد ، و ــ السفر البعيد ، أو المسافة يشق قطعها . قال تعالى: (ولكن بَعُدَتْ عليهِمُ الشُقّةُ) . المطي : الدواب التي تُمتطى امطاؤها ، أي تركب ظهورها من إبل وخيل ونحوها . الشطير : البعيد .

(٢٢٥) الشحط : البُعد . النوى : (ح ٢١٦) .

ولي أدمــــعٌ •• إنْ لاحَ من جانب الحِمى
تلألُؤُ برقٍ ، لا يَغِبُّ مَطِــيرُها[226]

وما هدَرَتْ وَرْقاءُ ، تدعو هَدِيلَهـــا
على فَنَنٍ ، إلا شَـــجاني هَدِيرُها[227]

ولي نفسُ صَبٍّ ، قد أضَرَّتْ بها النَّوَى ،
فهـــل ثَمَّ نفسٌ غيرُها أَستعيرُها ؟ [228]

⁂

وهذا كتابٌ •• كتبه الأجلّ الإمام الأوحد (جمال الدّين ، أفضل الإسلام ، ابنُ الأُخُوَّة ، البغداديّ) ، أدام الله عُلُوَّه ، من « أصفهان » إلى السيِّد الإمام (ضياء الدين ، أبي الرِّضا ، فضل الله ، بن عليّ ، بن عبدالله ، الرّاونديّ[229] ، الحسينيّ) في مُحَرَّمٍ سنة ستّ وأربعين وخمس مئة ، بـ « قاشان »[230] .

وقد أنشأ فيه قصيدةً ، وسمِعتُها من لفظه :

« بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

كتابي ــ أطال الله بقاءَ المجلس الأسمى الأجلى : السيِّديّ الأميريّ الإماميّ الضيّائيّ ، وأدام عُلُوَّه في سعادة متواصلة الآماد[231] ، متلاحقة الأَمْداد[232] ــ وأنا ، وإن صَدَفَتْني[233] العوائق عن النّهوض بِوَاجِبِ خدمه ، والاستقلال

---

(٢٢٦) لا يغبّ : اي يأتينا كل يوم .

(٢٢٧) هدرت : رددت صوتها في حنجرتها . الورقاء : الحمامة . الهديل : ذَكَر الحمام الوحشي . الفنن : الغصن .

(٢٢٨) الصَّبّ : العاشق . أضرّت : الأصل « أضر » ، وأنثته لأن فاعله مؤنث لا غير ، انظر (ح ٢١٦) .

(٢٢٩) راوند : (ص ٨٦/ح١٨٦) .

(٢٣٠) قاشان : (ح ١٧٩) .

(٢٣١) الآماد : جمع الأَمَد ، بفتحتين ، وهو الغاية والنهاية .

(٢٣٢) جمع المَدَد ، وهو ما يُمَدُّ به الشيء ، أي : يُقَوَّى ويُعان به .

(٢٣٣) صدفتني : صرفتني .

بمفترضات مِنَنِه ، وكفّتْ كفّي ولساني عن إدمان المفاوضات ، والاستمرارِ على المألوف من امتراء المُناسَمات[٢٣٤] ، التي كنتُ أحياناً أمْتَرِيها ، وبالمكاتبة أقتضيها — [٢٣٥] فإنني مُثابر[٢٣٦] على أدعية لتلك الحضرة العالية أُولِيها ، وأثْنِيةٍ[٢٣٧] لا أزال على العِلاّت[٢٣٨] أُعيدها وأُبديها ، مدفوع مع ذلك إلى تردُّد حَيْرَتي،وتلَدُّد بَلْدَتي[٢٣٩] .وذاكَ أنّي إذا استَنْبَتُّ التّقصيرَ خجِلت، وإذا اعتراني الخجل قصّرتُ . وتلك خُطّة .. لا يجِدُ القلم معها تَماسُكاً ، ولا الخاطرُ عندَها تَماسُكاً ، فأعدِلُ إلى مُعاتبة المِقدار[٢٤٠] ، وأتجاوز في تعنيفه المِقدار[٢٤١] ، وأقِفُ في التّشْوير[٢٤٢] بين الباب والدّار .

أمّا أنا ، فكما علِمتَ ، فكيف أنت وكيف حالُكْ ؟
يُضحِي ادِّكارُكَ مُؤْنِسي ويَبيتُ في عيني خَيالُكْ

بل ، كيف لا ؟(*) فإنّ النّبأ — بحمد الله — ذائع ، والخبرَ في الأطراف شائع ، بانتظام الأمور لديه ، وإلقاءِ المآرب مَقاليدَها إليه[٢٤٣] .

فالحمدُ لله الّذي رَجَعَهُ إلى مَقرّ سيادته سالماً ، ويَسَّرَ انقلابَه إلى مركز سعادته غانماً .

وقد كنت أحدّث نفسي بإلقاءِ أعباءِ التّبرُّم بهذه الخُطّة عن قلبي[٢٤٤] ،

---

(٢٣٤) امتراء الشيء : استخراجه ، والمناسمة : المحادثة ، والمُسارّة .
(٢٣٥) اقتضيها : أطلبها .
(٢٣٦) مداوم .
(٢٣٧) جمع ثناء .
(٢٣٨) اي : على كلّ حال .
(٢٣٩) التلدُّد : التلفت يميناً وشمالا تحيّراً . و — التلبُّث والتبلُّد .
(٢٤٠) المقدار : القضاء الذي يقضي به الله على عباده .
(٢٤١) اي الحدّ ، ومقدار الشيء : قَدَره وحالاته المقدرة له .
(٢٤٢) شوّر تشويراً : فعل ما يخجله .
(*) في الأصل : « بل لا كيف » .
(٢٤٣) المقاليد : المفاتيح ، واحدها مِقْلاد ، وإلقاء المقاليد الى الإنسان : التفويض إليه . إليه : في الأصل « لَدَيْه » .
(٢٤٤) الأعباء : جمع العِبء ، وهو الحمل ، و — الثقل من اي شيء كان . التبرّم : السّأم والضّجَر . الخُطّة ، بالضم : الأمر او الحالة .

ورَحْضِ ما رانَ بها على لُبّي[245] ، بالنّهضة إلى تلك الحضرة العاليـــة ولو لُمْعَةً ، والتَّحَرُّمِ بالخدمة ولو جُمْعَـــةً[246] ، فنفىَ عزيمتي عوارضُ ترُدُّني القَهْقَرَى ، وتَقِفُ بي عند حدّ العجز مُنحسرا ، فيتواصل الأسَى ، ويتوالى منّي قولُ : لَعَلَّ وعسى ! وأنا ، بعدَ ذلك،في التَّخَيُّل أُصادم الدّوافع، وأُكافح الموانع ، وأكمُنُ لعتاب الصَّوادف[247] ، وأســـتتر بجَناح المَكْر عن فَلَتات الصَّوارف .

وقد كان اتَّفق لي ، في هذه الأيّام ، انخراطٌ في سِلك طائفة من فُرسان القَرِيض ، المُجْرِين في ميدانه الطَّويل العريض ، وانتهت المجاراة بنا إلى اختيار شأْو الارتجال[248] ، واستيراءِ القَرائح في الإعجال[249] .

فنظمت قصيدة مُضَريّة ، لم تُدَمِّثْها رَوِيّة[250] ، ولا سأل بثَّها فكرةً سَوِيّة[251]، موسومة ـ كما اقترح عليَّ ـ علاوةً على الوزن والرَّوِيّ ـ[252] بمدحِ أبٍ وابْن . فاتّفق طلوعها وغروبها في مقدار طلوع الهلال وغروبه ، في ثالثة الاستهلال ، ولم أجد لها كُفُواً[253] .. أُضَمّنها مآثره ، وأجعل ترصيفَها مناقبَه ، سوى المجلس(★) .

---

(٢٤٥) الرحض : الغسل . ران قلبه يَرِين رَيْناً : غلبـــه وغَطّاه ، وفي القرآن الكريم : (كَــلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسِبُون) .

(٢٤٦) التحرُّم : المعاشرة والمالحة ، يقال : تحرّم به ، إذا عاشره ومالحه وتأكدت الحرمة بينهما . الجمعة : أطلقها على الأسبوع .

(٢٤٧) الصوادف : الصوارف عن الشيء .

(٢٤٨) الشأو ، هنا : الشوط .

(٢٤٩) الاستيراء : استخراج النار من الزّنْد . القرائح : جمع القريحــة ، وهي الطبيعة التي جبل عليها الإنسان ، واستعملها المولدون للملكة التي يستطاع بها ابتداع الكلام .

(٢٥٠) دَمَّثَ الشيء : مَرَسه حتى يلين . الرَّوِيّة : النظر والتفكير في الأمور .

(٢٥١) سويّة : معتدلة لا إفراط فيها ولا تفريط .

(٢٥٢) موسومة : مُعْلَمَة بعلامة . الرَّوي : من مصطلحات العروضيين ، وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، وإليه تنسب ، فيقال : قصيدة همزية إذا كان رويّها الهمزة ، وهكذا .

(٢٥٣) الكُفُو : الكُفْء ، وهو المماثل ، وفي سورة الإخلاص : (ولم يكن له كُفُواً أَحَدٌ) .

(*) آخر اللوحة ٢٤٢ من الأصل ، وتركت الصفحة بعد هـــذا الموضع في (ب) بيضاء . وواضح أن هاهنا كلاماً من الرسالة ومن القصيد ةبعدها لا يعرف مقداره .

إذا استمرّت ، راضَها بمِرَّةٍ
رادعةٍ أمثالُها أمثالَها[٢٥٤]

لو ناضل البحرُ الخِضَمُّ دُفعةً
من سَيْبه ، لم يستطع نِضالَها[٢٥٥]

مقادم .. حيّرتِ الأحلامَ ، لا
يقوم ذو مَرِيرَةٍ حِيالَها[٢٥٦]

لو شامتِ السّهام فيها مَنْفَذاً ،
رَدَّت على أَفْواقها نِصالَها[٢٥٧]

مَنْ كـ (ضياءالدّين) أو (كمالِـ)ـهِ
إنْ نَبْوَةٌ أبدت لنا إعضالَها[٢٥٨]

غيثان ليثان .. بلا مَنْ كادَها
إدلالَها بالقهر ، بل إذلالَها[٢٥٩]

لو ناضلت بحدّها الشُّهْب خَبَتْ ،
أو طاوَلَتْه في المَضَاء طالَها[٢٦٠]

---

(٢٥٤) المِرّة : القوّة،وفي القرآن الكريم (علّمه شديد القُوَى ذو مِرَّةٍ فاستوى).
(٢٥٥) ناضل : في الأصل « فاضل » . الخِضم : البحر الواسع . السَّيْب:العطاء.
(٢٥٦) مقادم : في الأصل « مقاوم » . المريرة : العزيمة ، ويقال : « استمرت مريرته على كذا » إذا الفه واستحكم أمره عليه . وهي في الأصل «مريرية » .
(٢٥٧) شامت : نظرت ، والأصل فيه النظر إلى السحاب ليتحقق أين يكون مطره . وهي في الأصل « سامت » . الأفواق : جمع الفوق ، بضم الفاء ، وهو موضع تثبيت الوتر من السهم . النِصال : جمع النصل ، وهو حديدة السهم .
(٢٥٨) النَّبْوَة : الجفوة ، ونبوة الدهر : خَطْبُه . الإعضال : الاشتداد والاستغلاق .
(٢٥٩) كذا بإفراد الضمير .
(٢٦٠) بحدّها : في الأصل « بحدهما » . خبت : انطفأ شعاعها .

إذا الْتَــوَتْ بآمِــلٍ آمالُــهُ

حَــلا بـلا آصِـرَةٍ عِقالَهــا(٢٦١)

وأعمــلا في حالتَيْــه همّـــةً

قــد ألفت في مثلــه أعمالَهــا

دائبــة المســرى .. ترى ركودَهــا

يَحُــلُّ ما اســتبهم ، واســتقلالَها

قــد حملت طائفــة تمرَّسَــت

بكيدهــا ، وحكَّمَت جُهّالَهــا

وهل تمــادَى بالبُغــاث نَشْؤُهــا

فاستنســرتْ ، إلا رأت مـا هالَهـا ؟ (٢٦٢)

إذا أحَسَّتْ نَبْــأَةً مـن قَطِـم

ذي مِنْسَرٍ حُجّـِرَ ، أخفتْ آلَهـا(٢٦٣)

إنَّ المَذَاكي إن جـرت ، ورامَهــا

هُجْنُ الرِّمــاكِ ، أنكرت مَجالَها(٢٦٤)

---

(٢٦١) الآصرة : ما عطفك على غيرك من قرابة ونحوها .

(٢٦٢) البغاث : طائر أبغث اللون ، اي به بقع بيض وسود ، اصغر من الرَّخَم ، بطيء الطيران ، جمعه بِغثان بكسر الباء . وفي المثل : « إنّ البُغاث بأرضنـا يستنسر » . نشؤها : صغارها . استنسرت : قويت كالنسور .

(٢٦٣) النَّبْأَة : الصوت ليس بالشديد ولا بالمسترسل . القَطِم : مشتهى اللحم ، يقال : قَطِمَ الصقر الى اللحم . المنسر : منقار الطائر الجارح . حُجِّرَ : قُيِّد ومنع من الطيران . آلها : شخصها .

(٢٦٤) المذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، الواحد مُذَكٍّ . وفي المثل : « جَرْيُ المذكّيات غِلاب » يضرب لمن يوصف بالتبريـز على أقرانه . رامها : طلبها ، أو طلب لحاقها . الرِّماك : جمع الرَّمَكَة ، وهي الأنثى من البراذين . والهُجْن ، بضمتين وسكن الثانية للوزن : جمع الهجين ، وهو ما تلده برذونة من حصان عربي .

واللؤمـاء .. إن سَعَوْا كعُصبـة
كريمـةٍ ، لـم يُحرِزُوا أفعالَهـا
يستوقف الطَّـرْفَ الرُّوَاءُ والحِلَى ،
ولو درى مَخْبُوءَها ، أدالَهـا[٢٦٥]
ما كلُّ قـول سـائرٌ ، وإنّمـا
يُعلِي ثَنا مَقَـالة من قالَهـا
يَشْـفي الصُّـدورَ رصفُهـا ، وإنّمـا
صُدورُه عن أهلـه أشـفى لَهـا
وقَدْرُ أبيـات القَصِيـد رَبُّهـا
قصَّـرَها النّـاظمُ أو أطالَهـا .[٢٦٦]

**

ومن مُقَطّعاته ، قولُه :

قالوا : اكتسِبْ فضلَ مالٍ تكتسِبْ شرفاً ،
عنّي إليكم .. فليس المجدُ بالمـالِ[٢٦٧]
إنّي امْـرُؤٌ لَهِجٌ بالفضل أُحـرزه ،
فكيف أصبو إلى ضِدٍّ لـه قـالِ[٢٦٨]

---

(٢٦٥) الطرف : العين . الرُّواء : المنظر الحسن . الحِلى ، بكسر ففتح : جمـع حِلْيَة ، كالحُلِيّ بضم فكسر . مخبوءها : في الأصل « فجئورها » .

(٢٦٦) ينظر إلى بيت الفرزدق :
وخير الشـعر أكرمـه رجـالاً — وشـرُّ الشـعرِ مـا قـال العبيـدُ

(٢٦٧) بالمال : في الأصل « بالمالي » .

(٢٦٨) قالٍ : مبغض أشد البغض .

المـالُ .. مشـتهرٌ بالنقص يتبعُـه ،
وليس يومـاً إلى فضـل بميّـال .

**

وقولُه :

سـرى طَيْفُها ، والبِيدُ دُوني ودُونَها ،
وما خِلْت من بَعدِ النَّوَى أَنَّه يَسرِي(٢٦٩)
فقبّلتُ دُرّاً ، وارتشـفتُ سُـلافةً
وعانقتُ غُصنـاً ، واستبحتُ حِمى بدرِ(٢٧٠)
وكم من مَزُورٍ في الكَرَى وَهْوَ غـافلٌ ،
وكم زائرٍ .. يُعطى المُنَى وَهْوَ لا يَدْري !
أَمَا والّذي لو شـاءَ غَيَّضَ عَبْرَتي
عليكِ ، وأطفـا من هواكِ جوى صدري(٢٧١)
لقـد بِتُّ أرضى من وِصـالكِ بالمُنَى
وأقنَـعُ من ميسور وصلِك بالنَّزْرِ(٢٧٢)
ويذكُرُني الواشي لَديْكِ بريبـة ،
فأحملُ للواشي يداً ، وَهْوَ لا يدري !(٢٧٣)

**

(٢٦٩) البيـد : الفَلَوات ، واحـدتها بَيْداء . خِلت : ظننت . النـوى : (ح ٢١٦) .

(٢٧٠) ارتشفت : شربت مَصّاً . السلافة : الخمر .

(٢٧١) غيَّضَ عبرتي : نقص دمعتي وحبسها . اطفا : اطفأَ ، سهل همزته لضرورة الوزن . الجوى : اشتداد الوجد من عشق أو حزن ، يقال : جَوِي يَجْوَى جَوىً : مرض صدره ، و ـ ضاق صدره من داء لا يكاد يبين عنه لسانه ، وـتطاول مرضه .

(٢٧٢) النزر : القليل .

(٢٧٣) هذه المقطوعة من سائغ شعره ورقيقه .

وقولُه :

يـــا لَيــــالِيَّ بـِ « وَلْوا ـــلِجَ » ، لا كُنْتِ ، فـــزُولِي[٢٧٤]
فلـــــكَم قلّبتِ قلبــي بــينَ هَــمٍّ وغَليـــلِ[٢٧٥]
ولـــكَم أرعيتِ أجفـــا ني السُّـــهَا حتّى الأُفولِ[٢٧٦]
ولـــكَم باعـــدتِ حزنـاً بــينَ فجـر [ي] وأَصِيلِي[٢٧٧]
نـازِحُ الخِطَّـــة ، لا يَعْـ ـرِفُ لي حَــقَّ النَّزِيل .[٢٧٨]
إنْ أنـــا تُوجِفُ بي عنـ ـكِ بُنَيّاتُ « الجَدِيل »[٢٧٩] ،
وتـــدانى بــينَ أَنْســا عٍ ووَخْـــدٍ وذَمِيلِ ،[٢٨٠]
وأرى دُونَـــكِ ذا عُــــرْ ضٍ من البِيــد وطُــولِ ،[٢٨١]
ـ ليت شـــعري ! أتُـــراني بالغـــاً من ذاكِ سُولِي ؟[٢٨٢]

---

(٢٧٤) وَلْوالج ، ضبطه ياقوت بالفتح ثم السكون وكسر اللام ، قال : « بلد من أعمال بذخشان ، خلف بلخ وطخارستان .. » . ونقل أبو الفداء في تقويم البلدان عن « القانون » للبيروني : أنها « قصبة طخارستان مملكة الهياطلة في القديم » ، وسماها العزيزي « ولوالِش » ، وقال : « مدينة كبيرة من مدن طخارستان ، بينَها وبين « الطايقان » ستة فراسخ (١٨ ميلاً) . وهي في مستوٍ من الأرض » .

(٢٧٥) الغليل ، هنا : الغيظ .

(٢٧٦) ارعيت اجفاني : جعلت عيوني تراقب « السّها » ، وهو كوكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى أو الصغرى ، وفي المثل : « أُريها السُّها وتريني القمر » ـ يضرب للمدهوش الذي يسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً .

(٢٧٧) باعدت : في الأصل « ماعدت » . بين فجري وأصيلي : الأصل « بين فجر وأصيل » ، وإنما هو يتحدث عن نفسه ويضيف إليها الأشياء . والأصيل : الوقت حين تصفر الشمس لمغربها .

(٢٧٨) الخِطة ، بكسر الخاء : ما يختطّه الإنسان لنفسه من المدينة أو نحوها ، أو المكانَ المختطُّ للعمارة . ونازحها : بعيدها .

(٢٧٩) توجف : تسرع . الجديل : (ح٩٣) .

(٢٨٠) الأنساع والنسوع : (ح٢٢٠) ، وهي في الأصل « انصاع » . الوَخْد : ضرب من سير الإبل السريع . والذميل : سيرها سيراً سريعاً ليناً .

(٢٨١) البِيد : الفلوات ، واحدها بَيْداء .

(٢٨٢) السُّول : ما سألته .

بك ، (مجدَ الدّين) ، عُـدْوا ني على الدّهـر الجهـول

ومَعالِيـكَ بمـا أبْـ ـغي مـن الأمـر ، كَفيلي

فأَدِلْني من صـروف الـ ـدَّهْر ، يا خيرَ مُـديلِ[٢٨٣]

وأَنِلْني مـن نَـداك الـ ـغَمْرِ ، يا خيرَ مُنيـلِ[٢٨٤]

واصطنـعْ عبـدَكَ في تَسْـ ـهيلِ أسـبابِ الرَّحيـلِ

***

وقولـه :[٢٨٥]

الدّهْرُ ، كالميـزان .. يرفَـعُ ناقصـاً

أبـداً ، ويَخْفِضُ زائـدَ المِقـدارِ

وإذا انتحى الإنصـافَ ، عـادل عِدْلَهُ

في الوزن بينَ حـديـدةٍ ونُضَـارِ[٢٨٦]

***

وقولـه في « أصفهان » :

ما « أصفهـانُ » لِمن ألَمَّ بهـا وطـنٌ ، يعيش به ، ولا بَلَدُ[٢٨٧]

« إرَمٌ » .. ولكنْ ما بها أَرِمٌ ، حد .. ولكن ما بهـا أحَـدُ[٢٨٨]

---

(٢٨٣) أدِلْني من صروف الدهر : انصرني على احداثه ، واظفرني بها .

(٢٨٤) النّدَى' الغمر : العطاء الجزيل .

(٢٨٥) في فوات الوفيات ١/٥٥٨ .

(٢٨٦) انتحى : قصد . العِدل ، بالكسر : المثل والنظير ، و ـ نصف الحمل يكون على أحد جنبي الدابة ، و ـ الجوالق . وبالفتح : الإنصاف . النُضـار : الذهب .

(٢٨٧) أصفهان : المقدمة ، و ١/١٤ .

(٢٨٨) الإرم في أصل اللغة حجـارة تنصب في المفـازة علمـاً . وهي هنا « إرم ذات العِماد » من بلاد اليمن ، بين حضرموت وصنعاء . نسب القدماء بناءها الى شدّاد بن عاد ، وأطالوا في صفتها وما كانت عليه من عظم العمران وجلالـه وجماله ، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك بأوجز عبارة ، فقال : (الم تـرَ كيف فـَعَلَ ربّك بعادٍ إرَمَ ذات العماد، التيلم يخلق مثلها في البلاد). وللمؤرخين ←

ما شـــئت من نِعَمٍ لَدَى نَعَمٍ لا الصَّفْدُ يَثْنيهم ولا الصَّفَدُ[٢٨٩]

(اتّفقت هذه التّجنيسات مطبوعة ، غير مصنوعة ، لم يَعْلُها تكلّف لفظ ولا تعسّفُ معنى[٢٩٠]) .

خُلِقوا ، وعندَ الفضل ما خُلقوا . وُجدوا ، وعندَ الجود مـا وُجدوا

سِيّانِ .. إن قَرُبوا وان بَعُدوا ، سِيّانِ .. إن غابوا وإن شَهِدُوا

إن ألجأتك ضـــرورةٌ حَرَمُوا ، أو أســـعدتك قنـاعةٌ حَسَدُوا

لا والـــدٌ يحنـو على ولـــد ، وبذاك يَجزِي الوالدَ الوِلـــدُ

نَقَدٌ .. ولكن في الأذى أُسْـدٌ، أُسْدٌ ولكنْ في الوَغَى نَقَدُ[٢٩١]

طُلْسٌ..على الفحشاء قد مَرَنُوا ، شُوسٌ..على البغضاء قد مَرَدُوا[٢٩٢]

لا للقريب ولا الغـريب بهـــم وَزَرٌ يُعاضـده ، ولا سَنَدُ[٢٩٣]

والجغرافيين والمفسرين كلام طويل في شأن هذه البلدة ، يضيق عنه المقام .
ما بها أَرِم ، بوزن حذِر : ما بها أحد ، لا يستعمل إلا في الجحد ، قال زهير :

دارٌ لأســـماء بالغَمْـــرَيْن ماثـــلة
كالـوحي ، ليـس بهـا مـن أهلهـا أَرِمُ

ومثله قول الآخر :

تلك القرون ، ورِثنا الأرض بعـــدَهُمُ
فمـــا يُحَسُّ عليهـــا منهُمُ أَرِمُ

ويقال : ما بها أَرَم ايضاً ، بفتحتين ، اي ما بها عَـلَمٌ . وقوله : « حـد » الظاهر انّ صوابه « أُحُد » : جبل « المدينة » الذي وقعت عنـده المعـركة المشهورة بين المسلمين والمشركين شبّهها به .

(٢٨٩) نَعَم «الثانية » ، بفتحتين : هي المال السائم ، واكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل ، جمعه انعام . الصَّفْد : الشدّ بالحبل والإيثاق . والصَّفَد : العَطاء.

(٢٩٠) هذا السطر في الأصل ، في حاشيته . وهو أشبه بأن يكون من الأصل .

(٢٩١) الوغى : الحرب . النَّقَد : صغار الغنم ، او جنس منها صغير الأرجل قبيح الشكل .

(٢٩٢) طُلْس : جمع أطلس ، وهو الذئب الأمعط « الذي ليس على جلده شعر » في لونه طُلْسَة اي غبرة الى سواد . مرنوا على الفحشاء : تعوّدوا تعاطيها من غير حياء أو خجل . شوس : متكبرون . مردوا : طغوا وجـاوزوا الحـد ، ومرد على الشيء : مَرَن واستمر عليه . يقال : مَرَد على الشـر والنفاق ، وفي القرآن الكريم : (مَرَدُوا على النّفاق) .

(٢٩٣) الوَزَر : الملجأ والمُعتَصَم .

فأخو التَّعَفُّفِ في ديـــارِهِمُ ... بادي الضَّراعةِ ، حائرٌ ، كَمِدُ(٢٩٤)

والمُوسـع المُثـري •• بجورِهِمُ ... ما إن لـه سَبَدٌ ، ولا لَبَدُ(٢٩٥)

لو عَـنَّ وِردُ الموتِ ، وارتقبوا ... أدنَى حُطام عندَه ، وَرَدُوا(٢٩٦)

لا شيءَ عنـــدَهُمُ إذا اختلفوا ... إلا الخِصـامُ المُرُّ واللَّدَدُ(٢٩٧)

يتهارشــون ، وما تهارُشُــــهم ... يُجدِي ، ولا لمدبِـده مَسَدُ(٢٩٨)

***

وقولُه :

أنــا في « أصفهــانَ » حَــيٌّ كمَيْتِ

حِلْسُ بيتٍ ، وليـس لي حَلْـــسُ بيتِ(٢٩٩)

أبداً أقطَعُ الزَّمانَ بـ « لَيْتٍ » ، ... وعناءٌ قطعُ الزَّمانِ بـ « لَيْتِ »(٣٠٠)

أنــــا ، في الحَلْبَـــة ، المُجَلّي • ولـــكنْ

حظّيَ النَّحْسُ في مَقــام السُّـكَيْتِ(٣٠١)

***

(٢٩٤) الضراعة : النحول والهزال . الكمِد : الكامد ، المتغير اللون ، و ـ الشديد الحزن ، و ـ الكاتم حزنه .

(٥٩٥) بجورهم : بسبب جورهم . ماله سَبَد" ولا لَبَد : ماله قليل ولا كثير ، أو: ماله ذو وَبَرٍ ، ولا صوف متلبّد ، يكنى بهما عن الإبل والغنم .

(٢٩٦) عَنَّ : عرض . الحُطام ، من كل شيء : ما تحطم منه ، ومن النَّبات :مايبس، ومن الدنيا : متاعها .

(٢٩٧) اللَّدَد : شدّة الخصومة . وفي الأصل : « أولي الخطام واللذد » .

(٢٩٨) يجدي : ينفع . المَسَد : الليف ، وفي القرآن الكريم : (في جيدها حبل من مَسَد) ، و ـ الحبل المضفور المحكم الفتل ، وهو المراد هنا .

(٢٩٩) حلس البيت « الأولى » بكسر فسكون : ملازمه الذي لا يبرحه . في الأصل : « جليس بيت » . وحَلْسُ البيت « الثانية » ، بفتح فسكون : ما يبسط فيه من حصير ونحوه من كريم المتاع .

(٣٠٠) ليت : من الحروف الناصبة ، تنصب الاسم وترفع الخبر ، مبنية في الأصل. تفيد التمني . وهي هنا اسم تام ، ولذلك أعربها ، ومنه قول أبي زُبَيْد :

ليت شــعري ! وأيــن منّيَ لَيْتٌ ؟

إن لَيْتــاً وإنّ لَــواً عنـــاءُ

(٣٠١) الحلبة : خيل تجمع للسباق من كل أوْب . المجلّي : السابق . السُّكَيْت : آخر ما يجيء من الخيل في الحلبة ، ويقال « فلان سكيت الحلبة » بالتشديد ـ ويخفف ـ : للمتخلف في صناعته .

وقولــه :

مَنْ ذا عَذِيريَ من قومٍ ، إذا خُـدِمُوا
تعجرفوا ، وإذ لم يُخْدَمُوا غَضِبُوا ؟![302]

لا القُـربُ يُطمع في إحسانهم أحـــــداً
وليس يُنقِـــذه مـــن لؤمهم هَـــرَبُ

لا يســـــتقلونَ للرّاجي بواجبـــــه ،
ويســـتقلّون منـــه فوقَ ما يَجِبُ[303]

وأعجبُ الأمـرِ .. عُجْبٌ ، لا يؤيّـــده
فضـلٌ ، ولا نَسَبٌ زاكٍ ، ولا حَسَبُ !

**

وقولــه :

ما لي وللدهـــر ؟ ما ينفـكّ يُعمِـــل لي
مكايــداً ، وأنــا في شَرْكِهِنَّ لَقَى[304]

أغــرى بيَ البَيْنَ ، حتّى من خيـــانته ،
جَفْنايَ ، ما اصْطَبَحا غُمضاً ولا اغتبقا[305]

---

(٣٠٢) العذير : العاذر ، و ــ النّصير . ومن عذيري من فلان : من يعذرني في أمره ، إذا جازيته على صنعه ، ولا يلومني على ما أفعله . وإذا : في الأصل « وإن » .
(٣٠٣) استقل بواجبه : انفرد بتدبيره . واستقل الشيء : رآه قليلا .
(٣٠٤) مكايدا : صرفها لضرورة الوزن . شَرْكِهِنَّ : الأصل « أشراكهن » ، وهو تحريف يخل بالوزن . وفي اللسان : « الشَّرَك : حبائل الصـــائد ، وكذلك ما ينصب للطير ، واحدته شَرَكة ، وجمعها شُرُك ، وهي قليلـــة نادرة » . وسكن الشاعر ثانية للضرورة . اللّقَى : المطروح المتروك .
(٣٠٥) اغرى : أولع . الاصطباح : شرب الصَّبُوح في الصباح . الاغتباق : شـرب الغبوق في المساء . وهما ــ أعني الصبوح والغبوق ــ ما يشرب في الصباح ، وما يشرب في المساء .

إذا اعتقـــدت أخـاً ، أَلْوَى الفراق بــه
فأســكن القلبَ هَمّاً والحشا حُرَقا[٣٠٦]

فلو صبــا جوهرٌ منّي إلى عَــرَض ،
ســعى لرُغْميَ بالتَفــريق ، فافترقا[٣٠٧]

*

وقولـــه :

يقولون لي : أجدبتَ ، وَيْحَكَ ، فانتجعْ •
وأيُّ كريمٍ ، لا أبالك ، يَستَجْدِي ؟[٣٠٨]

وكيف أُرَجّي سَــيْبَ مَنْ لو أضَفْتُه
إلى القِرد يوماً ، غَضَّ من ذلك القِردِ ؟[٣٠٩]

إذا صعَّرَ المغمور ذو الجهــل خَــدَّه ،
أبى لي فضلِ [ــي] أن يَذِلّ له خدّي[٣١٠]

*

---

(٣٠٦) اعتقدت أخاً : اتخذت صديقاً وثبتّ على إخائه ، يقال : اعتقد أخاً في الله ، واعتقد بينهما الإخاء إذا صدق وثبت . قال شاعر يخاطب خليفة من الخلفاء العباسيين الأوائل ، فرّط في جنب الصادقين المخلصين وأهملهم :

لما اعتقدتم أناســا لا حلوم لهم ضِعتُمْ ، وضيّعتُــمُ من كان يعتقــدُ
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم حمتكم الســادة المذكــورة الحُشُــــدُ

الوى به : ذهب به ، ويقال « الوى بهم الدهر » : اهلكهم .

(٣٠٧) صبا : مال . الجوهر والعَرَض : من مصطلحات الفلاسفة ، يطلقون الأول على ما يقوم بنفسه ، والثاني على ما يقوم بغيره . سعى:في الأصل «يسعى»».

(٣٠٨) الانتجاع : طلب الكَلأ ، أي العشب ، ويقال : « انتجع فلاناً » قصده يطلب معروفه . الاستجداء : طلب الجَدَا ، وهو العطاء . لا أبالك : في الأصــــل « لا أبالكم » .

(٣٠٩) السَّيْب : العطاء . في الأصل « بسيب » . غضَّ منه : نقصه وحطّ من قدره .

(٣١٠) صعّر خده : أماله تكبّراً . المغمور : الخامل المجهول . في الأصل«المعمور» . فضلي : في الأصل « فضل » ، والسياق يطلب زيادة ياء الإضافة .

وقولُه في صفة الليل :

وليلٍ غُـــدافيّ ِ الإهـــاب ، طويتُـــهُ
بشُعْثٍ ، على شُعْث القُتود طوالـعِ (٣١١)
محـا صورة الأبـدان منّـــا ، فلم يـــكن
تعـــــارُفُنـا فيـه بغـير المَســـامعِ

**

وقولُه :

أَقَوْمِيَ بـ « الزَّوْراء » .. جادَكُم الحَيا
هل الملتقى ، بعدَ النَّوَى ، مُتَـدانِ ؟(٣١٢)
وهل ، بعدَ أن شطَّتْ بنا غُرْبَةُ النَّوَى ،
تلاقٍ ؟ وهل ، بعدَ الجَفاء ، تَحـــان ؟(٣١٣)
ترحّلتُ عنـكم ، والشَّـبابُ بمائـــه ،
فشـــيّبني هِجرانـكم وحَنـــــاني
وقيّـدني عنكم أصـاغرُ صِبْيَـــةٍ ،
تَوزَّعَ قلبي شـــأنهم وعنـــــاني
إذا هـــزّني عـزمي إليكم ، أهـاب بي
تعهّـــدُهم ، فاعتـاقني وثَنـــاني(٣١٤)

(٣١١) الغُدافي : ما كان لونه أسود . الإهاب : الجلد . الشعث : جمع أشعث ، وهو مِنَ الناس ، مَنْ تغير وتلبد واتّسخ ، ومن الأمر : ما انتشر وتفرق . القُتود : ب : « القتار » . يصف شَعَث أصحابه وشعث المطيّ . والقَتود : جمع القَتَد ، وهو خشب الرَّحْل .

(٣١٢) أقومي : الهمزة للنداء . الزوراء : من اسماء بغداد . الحيا : المطر . النوى : (ح٢١٦) ، في الأصل « النأي » .

(٣١٣) شطّت : بعدت . تحان : في الأصل « تجان » .

(٣١٤) أهاب بي : دعاني إليه . اعتاقني : عاقني ، منعني وشغلني . ثنـــانى : لواني .

فأُنشِـد نفسـي قول (صَخْرٍ) ، وأنطوي
على كَمَدٍ .. يَحكي شَباه سِـناني :[٣١٥]

(أَهُمُّ بأمـر الحـزمِ ، لو أسـتطيعُه ،
وقـد حِيلَ بينَ العَيْرِ والنَّزَوانِ)[٣١٦]

**

وقولـه :

يقولون : في إدمـانك الرّاحَ راحـةٌ
فـداوِ بهـا ما في الفؤاد من الكربِ[٣١٧]

وهل لي فيمـا يزعُم النّـاس لـذَّةٌ ،
إذا ابتُزَّ يومـاً طِيبُ ذكرِكِ من قلبي ؟[٣١٨]

**

وقولُه من قصيدة ، كتبها جواباً عن قصيدة .. كتبها إليه بعض شـعراء « كَرْمانَ »[٣١٩] ، يَصِف القلم :

وأرْقَشَ .. تهـزَأُ آثـارُه بمـا رقَم العارضُ المُمطِرُ[٣٢٠]

---

(٣١٥) الكمد : الحزن الشديد . الشَّبا : جمع شباة ، وهي حد السيف . السنان: حديدة الرمح . صخر : هو ابن عمرو بن الحارث بن الشـريد الرِّياحي السُّلَمى ، أخو الخنساء الشاعرة المشهورة . كان من فرسان بني سُلَيْم وشعرائهم . مات (نحو سنة ١٠ قبل الهجرة) ولأخته الخنساء شعر كثير في رثائه ورثاء أخيه معاوية ، ومنه بيتها المشهور :

وإن صخراً لتأتم الهُداةُ بـه كأنـه علم في راسـه نـار

(٣١٦) هذا البيت ، من أبيات لصخر ، قالها حين جرح في غزوة له على بني أسد بن خزيمة ، وكانت آخر غزواته ، وقد مرض قريباً من الحول ، ثم نتأت قطعة من جنبه ، فأزيلت ، فمات . وقوله : « وقد حيل بين العَيْر والنزوان » مَثَل ضَرَبه لعجزه من البلاء الذي نزل به . والعَيْر : الحمار الوحشى سمي لأنه يَعِير ، أي يتردّد هاهنا وهاهنا من نشاطه .

(٣١٧) الراح : الخمر .

(٣١٨) ابتُزّ : سُلِب .

(٣١٩) كَرْمان : (٢/٤٢) .

(٣٢٠) وارقش : الواو ، واو رُبَّ التقليلية . ارقش : منقط ، صفة لموصوف محذوف ، وهو القلم . العارض : السحاب الذي يعترض في الأفق فيسدّه . وفي القرآن الكريم : (قالوا : هـٰذا عارضٌ ممطرنا) .

يَذِلُّ لـــه الأبيضُ المُنتضَى ويعنو له العاسلُ الأسمر[٣٢١]
يَسُنُّ على الصبح ثوبَ الظلام فيُشرِق صبح له مُسفِرُ[٣٢٢]
نجومٌ .. ولكنّها منطِق عُقودٌ .. ولكنّها أسطُرُ[٣٢٣]
إذا نُشِرت خَجِل الأتحَميُّ وإن أُنشدت كسَدَ الجوهرُ[٣٢٤]
وإن قُويست بخُدود الحِسا نِ ، لم يُدرَ أيُّهما أنضرُ

***

وقولُه :

أَفيقِي .. فآسادُ الشَّرى ، لا يروعُها
تزحزُحُها عن غابها وشُسُوعُها[٣٢٥]
دَعِيني وأهوالَ الليالي ، فإنّ لي
مآرِبَ .. في إظلامهنّ طُلُوعُها

***

وقوله :

قد يجود الكريمُ ، والمالُ نَزْرٌ ويَشِحُّ اللئيم ، والمالُ غَمْرٌ[٣٢٦]
وكذاك الأنهار .. تَجري وتُرْوِي ويُطيلُ الرُّكودَ والمنعَ بحرُ

***

(٣٢١) يذل : في الأصل « يزال » ، ب : « يزل » . الأبيض المنتضَى : السيف المسلول . العاسل الأسمر : الرمح .

(٣٢٢) يسنّ الثوب عليه : يلبسه إياه ، مجاز ، من قولهم : سن عليه الماء : صبّه صباً سهلاً . مُسفِر : واضح منكشف .

(٣٢٣) عقود : قلائد ، واحدها عِقد بكسر العين .

(٣٢٤) الأتحميّ : ضرب من البرود ، يقال : تَحَمْتُ الثوب ، إذا وشّيته . ورُوي عن الفراء قال : التَّحَمَةُ ، البرود المخططة بالصفرة . وقال أبو عمرو : التاحم : الحائك .

(٣٢٥) الشَّرَى : قيل هو مأسَدَة بعينها ، وقيل : شرى الفرات ، ناحيته ، به غياض وآجام تكون فيها الأسود . كان هذا في القديم . شسوعها : بعدها .

(٣٢٦) نزر : قليل . غمر : كثير ، في الأصل : « عمر » .

وقولُه في غلام ، بيده قوس :

مـا أَنْسَ لا أَنْسَ ، إذْ تَبَدَّى يَميس لِلتِّيــهِ والدَّلال[٣٢٧]
وقــد حوى باليمين كأســاً وقد حوى القوس بالشِّمال[٣٢٨]
كأنّــه الشّمسُ .. قــد أمالت كفّــاً ، وضمّت على الهــلالِ

**

وأنشدني في غلام .. قد الْتَحى ، ومات أبوه :

قلتُ ، لمّــــا الْتَحى ومــات أبوه :
أيّ رُزْءَيْكَ حَطّ في النّــاس قدرَكْ ؟
لســتُ أدري : بـذا أُعـزّيك ، أم ذا ؟
عظّم اللهُ في مُصــــابَيْك أجـرَكْ !

لست أدري : أهذا أبدعُ ، أم قول (أبي بكر الأَرجانيّ)[٣٢٩] ؟ :

شِــــبتُ أنــا ، والْتَحى حبيبي حتّى ــ برُغمٍ ــ سلوتُ عنــهُ
فابيضّ ذاك السَّــوادُ منّــي واسْــوَدّ ذاك البياضُ منــه

**

ومن مَراثيه :

قصيدة ، يعزّي بها الإمام (معينالدّين بن ماشاذَه)[٣٣٠] عن طفلين ماتا له :

---

(٣٢٧) تبدّى : بدا وظهر . يميس : يتمايل ويتبختر . التيه : التكبّر .

(٣٢٨) كأساً : في الأصل « قوساً » ، ولا وجه لتكرارها ، والسياق يطلب ما اثبتّ .

(٣٢٩) هذا التعليق في الأصل ، في الحاشية . وأبو بكر الأرجاني : قدمت ترجمته في ١٤١/١ .

(٣٣٠) ما شـــاذَه : في الأصل : « ماسادة » ، ووقع في النجوم الزاهرة ٨٠/٦ « ماه شاده » ، وفي شذرات الذهب ٢٤٢/٤ «ماساده » وفي هامشه ــ نقلاً عن زيادات السخاوي على نزهة الألبـاب لابن حجر العسقلاني ــ : « ماشاذه » ويعضد هذا ما في المنتظم ٢٧٧/٨ ، والعبر للذهبي ١١٧/٣ ، و ٢٥١/٤ ، وتلخيص مجمع الآداب ١٠٥/٣ . وبيت ماشاذه ، من بيوتات الحديث والفقه والإقراء والقضاء باصبهان في المئة الخامسة والمئة السادسة ، وفي المصـادر المذكورة هذه ، تراجم أفراد من أبنائه المشاهير ، ولم يذكر بينهم معين الدين المذكــور .

هــل للمـُوائلِ عن حِمـــامٍ مَوْئِلُ ؟
أم هــل لذي وِردٍ سِواهُ مَنْهَلُ ؟[331]

تتشـــعّب الأهواءُ ، ثُمَّ يَضُمّهـــا
نَهْجٌ إلى الحَتْفِ المُتــاح مُذَلّلُ ،[332]

وتــرى الفتى يَطْوي الليــاليَ كادحـاً
سَلِسَ المَقــادةِ ، والحِمـامُ المَنْزِلُ

يُبلي الجديدانِ الجـديدَ ، وإنّمـــا
هي مُهلــةٌ .. فمُعَجّلٌ ، ومُؤَجّلُ ،[333]

هي جُرعــةٌ .. لا بُدَّ من تَرَشّــافها ،
فالإمَ يَعقِلُها الحَصِيفُ ويَذْهَلُ ؟ [334]

ســــائلْ ذوي التّيجان : هل أغنتهمُ ؟
وذوي المَعــاقلِ : هل حَماهم مَعْقِلُ ؟

وتأمّلَنْ سَـــلَفَ القُرون ، فإنّمـــا
يَجنِي مُنـــاه النّــاظرُ المتــأمّلُ

أينَ الأُلى شـــادُوا البُنَى ، وتوقّلُوا
شَــمّاءَ .. يقصُر دونها المتوقّلُ ؟ [335]

---

(331) المُوائل : طالب النجاة . الحِمام : الموت . الموئل : الملجأ . المنهل: المَوْرِد.
(332) الحتف المتاح : الهلاك المقدّر .
(333) يبلي : الأصل « تبلي » .الجديدان : الليل والنهار ، قالت الخنساء :
إن الجديدين،في طول اختلافهما، لا يفسُدان ، ولكن يفسد الناس
(334) الحصيف : المستحكم العقل الجيّد الرأي .
(335) البُنَى والبِنَى ، بالضم وبالكسر : جمع البُنْيَه والبِنْية ، وهي ما يُبْنَى.
توقل في الجبل : صعّدَ فيه ، ويقال : توقّلَ في مصاعد الشرف .

رامُوا البقــاءَ ، وأين ذاك ؟ فعَزّهُمْ
ما حــاوَلُوه ، وفاتَهم ما أمَّلُوا(٣٦)

ضمَّتْهمُ القِيعــانُ في أحشائهـا ،
ودعـــا أخيرَهُمُ إليهـا الأوّلُ

فعـــلامَ تُلْهينـا زخـارِفُ عيشــةٍ ؟
ولمِثــلِ ما لاقَوْا نَعِلّ ونَنْهَلُ (٣٣٧)

ســبق الهُداةُ الرّاشــدون إلى الرّدَى
وأُذِيق سَكْرَتَهُ النَّبِيُّ المرسَــلُ

ومُنِي بثُكْلِ بنيـــه ، حتّى غـــادروا
قلبـاً أخـا حَزَنٍ ، وعينـاً تَهْمِلُ(٣٣٨)

فأفاضَ عَبْرَتَــهُ ، ولمّــا يَثْنِــه
شــرفُ النّبوّة والكتابُ المُنْزَلُ .

عُقبى مســرّةِ ذا الزّمانِ مَساءةٌ ،
وعَقِيبُ لَذّةِ كــلِّ أَرْيٍ حنظلُ(٣٣٩)

صبــراً ــ (مُعينَ الدّين) ــ فالدّنيا كذا ،
وجميــعُ زهرتِها لنــا مُتَعَلَّلُ(٣٤٠)

---

(٣٣٦) عزّهم : غلبهم ، وفي القرآن الكريم : (فقال : أَكْفِلْنيهـا ، وعَــزّني في الخطاب) .

(٣٣٧) علّ يَعِلّ علاّ وعللاً : شرب ثانية ، أو تباعاً ، وأعلّه : سقاه ثانيــة ، أو تباعاً . وكلاهما جائز هنا . نهِل يَنْهَلُ نَهَلاً ومَنْهلا : شرب الشرب الأول ، وأنهله : سقاه نَهَلاً ، و ــ العطشان : سقاه حتى رَوِيَ .

(٣٣٨) مُنِي : مُنِيَ ، أي ابتُلِيَ ، بناه على السكون لإقامة الوزن . الثكل : فقد الحبيب . تَهْمِلُ : تفيض وتسيل .

(٣٣٩) الأَرْيُ : العَسَل . الحنظل : نبت مُرّ يمتد كالبطيخ على الأرض ، يضرب المثل بشدّة مرارة ثمرته .

(٣٤٠) المُتَعلَّل : ما يتعلل أي يلتهى به .

الشّمسُ أنت • فـإنْ يَغـُرْ نجمٌ إلى
نجم ، فنورُكَ في البسيطة أشـمـلُ

والليثُ أنت • فإنْ يَفُتْ شِبـلٌ الى
شِبـل ، فإنّك بالأئمّـة مشبِلُ[341]

سُقِيَتْ الجُفونُ ، على النَّوى،رَمْسَيْهما
إنْ ضَنَّ بالقَطر السَّحابُ الهُطَّلُ[342]

إن أخلفتْ تلك المَخَايلُ منهمـا
فضـلاً ، فما انتقـلا إليـه أفضلُ[343]

لا تجزَعَنّ ، وأينَ منك غَضاضـةٌ ؟
فالطَّوْدُ ذو الهَضَبـات لا يتحلحلُ[344]

وارجعْ إلى الوعـد الجميل ، فـإنّ مـا
عُوِّضْتَـه ، أجـدى إليك ، وأجملُ •

***

وقوله ، يرثي ابنـاً له •• اسمُه (محمّد) ، تُوُفّيَ طفلاً :

أبُنَيَّ •• لا تَبْعَدْ • ومَنْ تَكُ نفسُـه
غَرَضـاً لراميـة النّوائِب ، يَبْعَدِ[345]

---

(341) الشبل : ولد الأسد إذا ادرك الصيد ، ولبوءة مشبِل : معها أولادها ، قيل لها « مشبل » لشفقتها على الولد ، ويقال مثله في المرأة ، ولم يوصف بهالأسد ولا الرجل في مثل هذا السياق . نعم ، يقال : أشبل عليه ، أي عطف عليه واعانه ، غير أن ما أراده الشاعر هو غير هذا .

(342) الرَّمْس : القبر . ضنَّ : بخل أشدَّ البخل . النَّوَى : (ح 216) .

(343) المَخَايل ، هنا : مخايل النجابة ، أي دلائلها ومَظِنّتُها ، واحدتها مَخِيلَة، بوزن كبيرة .

(344) الغضاضة : الذلة والمنقصة .

(345) بَعِدَ يبعَدُ بَعَداً : ضدّ قرب ، و ـ هلك . وكثر في دعاء العرب : « لا تَبْعَدْ » ، وفي الرثاء أيضاً . قال الشاعر الحماسي :

يقولون : « لا تَبْعَدْ » ، وهم يَدْفِنُونني
وأين مكـانُ البُعـد إلا مكانيـا

الغَرَض : الهدف الذي يرمىٰ إليه .

قــد كنت آمُلُ أن تعيش بغِبطــة ،
فتخالَجَتْك يــدُ المَنـايا من يدي[٣٤٦]

جارَيْتَني ، فسَـبقْتَ أنت لموعـدٍ
وتركتَني حرَضاً .. أُغِذُّ لموعدي[٣٤٧]

وودتُ لو أَنّي أَمـامك وارد
فأَقيك من شَـرَقات ذاك المَوْرِدِ[٣٤٨]

(ما أظُنّ أنّه رثى طفلاً بأحسنَ من هذا أحد[٣٤٩]) .

أقُبَيْـلَ معرفـة الليـالي عِفْتَهـا ؟
يا قُربَ سَوْرَةِ مِيتـةٍ من مَوْلدِ ![٣٥٠]

إنّي لأَذهَـلُ عـن مُصـابٍ نالني
بك ـ يا (مُحمَّدُ) ـ بالنّبيّ (مُحَمَّدِ)

⁂

وقولُه في غلام .. كان له ، تُوُفِّي بـ « مَرْو »[٣٥١] ، وأبدع فيه :

---

(٣٤٦) الغبطة : حسن الحال . تخالجتك : تجاذبتك .

(٣٤٧) الحَرَض : الشديد المرض ، قال الله تعالى : (تالله تفتأ تذكر يوسُفَ حتى تكون حَرَضاً أو تكون من الهالكين) . والحَرِض مثله . اغَذَّ السيرَ ، وفي السير : أسرع فيه .

(٣٤٨) الشَّرَقات : الغُصَص ، واحدتها شَرْقة بفتح فسكون .

(٣٤٩) هذا السطر في الأصل ، في الحاشية .

(٣٥٠) السَّوْرَة : الوثبة .

(٣٥١) مَرْوُ : (١) مَرْوُ الرُّوذ : من اشهر مدن خراسان،وهي اليوم في افغانستان الشمالية ، وهي على نهر كبير وعليه البساتين ، طيبة التربة والهواء ، خرج منها كثير من الأعيان الأكابر المتقدمين ، من فقهاء ومحدثين وغيرهم ،والنسبة إليها « مَرْورُوذيّ » و « مروذيّ » أيضاً . (٢) مرو الشاهجان : مدينة قديمة مشهورة في خراسان أيضاً ، على عشرين ميلاً ومئة ميل من « مرو الروذ » ، يخترقها نهر يعرف بالرّزيق ، يساق منه الماء إلى حياض المدينة ، ولها ثلاثة انهار أُخَر ، ولها الفواكه التي يحمل يابسـها الى البلاد والزبيب المفضل والغروس . وقد أخرجت من الأعيان وعلماء الدين والأركان طوائف ، والنسبة إليها « مروزي » . وقد أطنب الجغرافيّون القدماء ، ولا سـيما ياقوت ، في وصف هاتين المدينتين العظيمتين .

عجبـــاً لغُصن البان! أ َتـّـ . .. ى ماسَ ، بعدَ ذُبولِ قَدّ ِكْ ؟[٣٥٢]

والبــــدرِ ، والشّمسِ المُنيـ ـرةِ ، إذْ أضاءا بعــدَ فقدِكْ ؟

لهفي ! وواأَسَفِي لِنَـــــرْ جِسِ مُقلتَيْك ، وورد خدّ ِكْ !

لو جـــاد ســلطان الـــرَّدَى لمّــــا دعـــاك ليوم وِرْدِك ،

لَفَـــداك مولاك الـّــــذي هو في الحقيقـــة عبـدُ عبدِكْ

ليتَ العيــونَ مكـــانَ رَمْـــ سِكَ ، والقلوبَ مكانَ لَحْدِكْ .

(هذه القِطعة ، بلغت من الحسن غايته ، [و][٣٥٣] من اللطف نهايته . تأخُــذ بمَجامِع القلب ، وتسلُبُ جوامعَ اللّبّ) .

***

ومن مقطّعاته في الهِجــاء :

قولـُه في (البِسْطاميّ)[٣٥٤] ، لمّا كان يَعِظُ بـ « أصفهانَ »[٣٥٥] :

أعــورُ « بِســـطامَ » في زعانفـــة

غَطّى عليهم عَمـــاهُمُ عَوَرَهْ[٣٥٦]

لم يُنكِـــروا ، إذْ دهى بَصــائِرَهُم

غِشـاوةُ الجهلِ ، ما دهى بصَـــــرَهْ

يرقُص فوقَ السَّـــرير ، إنْ صفّق الـ

ـقومُ ، وثـــارت لِنَتْنِهمْ قَتَرَهْ[٣٥٧]

---

(٣٥٢) البان : (ص ٩٣/ح٣٧) . ماس : تمايل .

(٣٥٣) زيادة مني .

(٣٥٤) بِسطام : ٣٤٧/٢ .

(٣٥٥) أصفهان : المقدمة ، و ١٤/١ .

(٣٥٦) الزعانف . جمع الزِّعْنِفَة ، بفتح أولها وكســره ، وهي رديء كل شيء ورُذالُه ، و ـ كل جماعة ليس أصلهم واحداً .

(٣٥٧) القَتَرَةُ : شبه دخان يغشى الوجه من كَرْب أو هول ، وفي القرآن الكريم: (وجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ) .

أقـــول ، إذْ أحـــدقوا بمِنبـــره :
عنـــدَ الخنازيرِ تنفُقُ العَذِرَهْ !(٣٥٨)

***

وقولُه في بعض المحتشمين ، [و](٣٥٩) قد رجع من المعسكر ، فدخل عليه ، فأحضر بينَ يديه بِطّيخة ، فقال هذه المقطعة :

وفاســـدِ الآراء ، ذي همّـــــة في طُرُق الخـيرات منسوخَـــهْ
غاب . فلمّـــا آب ، أهــدى لنـــا بَعـــدَ تَمادِي البُعد بِطّيخَهْ
مُنتنةً .. تُشْبِـهُ أخلاقـــــه فارغـــةً .. تُشبِـه يافوخَـــهْ !

***

وأنشدني لنفسه :

قـــال (أبو الفتـــح) ذاتَ يومٍ مضمّـنـــاً جِـــدَّهُ مِزاحَـــهْ :
نلني ، فـــداكَ الفـؤادُ منّي ، فقلت : لا أُحسِنُ السِّباحَـــهْ

***

وكان يُجْرَى على الفقهاء بـ « النِّظاميّة »(٣٦٠) الشّعير ، فقال :

فُقَهَـاءُ « مدرسة (النِّظـــام) » على الحقيقـة كالحمير(٣٦١)
لـو لـم يكونوا هكـــذا ، لـم يَعْلِفُوهم بالشَّـعِير

***

وقال :

أطعمنـــا السَّيّد (سـعدُ الكُفـاهْ)
سبعَ ليـالٍ من جُـدَيٍّ شَـــواهْ

---

(٣٥٨) العذرة : الغائط ، وفي الحديث : «اليهودُ أنتن خلق الله عَذِرَةً » .
(٣٥٩) زيادة مني .
(٣٦٠) هذه نظامية اصبهان .
(٣٦١) النظام : الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي ١/٨٤ .

فكان ما عُمِّرَ في موته
أضعافَ ما عُمِّرَ [هُ] في الحياه[٣٦٢]

هذا ما وقع إليَّ من لطائف شعره .

*

ثمَّ اتّفق حضوري عندَه في الجامع ، وبيده جزء .. فيه مدائح النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : أنشأتُها اليومَ .

فأحببتُ كَتْبَها .

فمن جملة مدائحه في رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، ما أنشدَنا بـ « أصفَهان » ، يومَ الجمعة الثّالثَ عشَرَ من صَفَر سنة ست[٣٦٣] وأربعين [وخمس مئة][٣٦٤] :

صلّى الإلـه على النّبيّ (مُحَمَّدِ)
هادي البَرِيَّةِ والإمام المهتد [ي][٣٦٥]

الصّابرِ ، البَرِّ ، الرَّؤُوفِ المرتضى
الماجدِ ، النَّدْبِ ، الكريمِ السّيّدِ[٣٦٦]

الصّادقِ ، الصَّدُوقِ ، والبدرِ الّذي
عَمَّ البلادَ بنوره المتجدِّدِ

نَجَّى به اللهُ الأنامَ من الرَّدى ،
والنّاسُ في ليل الظّلام الأسودِ

لا ينقضي بينَ الورى إعجازُه ،
فدليلُه في اليوم ، باقٍ في غَدِ

---

(٣٦٢) زيادة الهاء ، بعد « عُمِّرَ » الثانية ، مني ، لإقامة وزن البيت .
(٣٦٣) في الأصل : « ستة » .
(٣٦٤) زيادة مني .
(٣٦٥) زيادة الياء منّي .
(٣٦٦) النَّدْب : الظريف النجيب .

فمن اهتـــدى بهـُداه فاز ، ومن عتـــا
عنــه تر ّد ّدَ في العذاب المُوصِـــدِ[٣٦٧]

⁂

وقال :

ســـلامٌ على (أحمدَ المُصطفى)	سلامٌ على الطّـــاهر المُرتَضَى
ســـلامٌ على صَفْوَةَ العـــالمين	سِــــراجِ البريّــة شمسِ الورى
ســـلامٌ على خـــاتم الأنبيـــا	(محمّدٍ) الماجدِ المُجْتَبى[٣٦٨]
بــــه شـــيّد اللهُ ركنَ التُّقى	به رفَـــع اللهُ شـأنَ الهُـــدى
وأيّـــــدَ مِلّتَـــــه ، فانطوى	رِداءُ الضَّـلال بهـــا وانجلى
وأســرى به ، فأراه السّـــماءَ	وجـــاز به سِدْرَةَ المُنْتَهى[٣٦٩]
وما زاغَ ناظـرُه ، إذْ دنــــا	من العرش ، كَـلا وما إن طغَى[٣٧٠]
ومركبُــهُ حــينَ ذاك « البُراقُ »	و (جِبريلُ) يحجُبُه اذْ علا[٣٧١]
وســـلَّمَ فيه على الأنبيـــاءِ	وأخبـر عمّـا دنـا أو نَــأَى
أذاع ببعثتـــه الأنبيـــــا	ءُ من قبـلِ موقعِــه في الحشـــا
وبشَّـرَ (مُوسى) بــه قومَــهُ ،	و (عيســى) ، وذاك بوَحْيٍ أتى
وسبَّح في كفّــــه ، إذ ثوَتْ	براحتــــه صامتـــاتُ الحصى
وأوْفَى الى القمــر المُسْتَنيرِ	وقد بهَرَ الطَّرْفَ لمّـا بدا[٣٧٢]

---

(٣٦٧) عتا عنه : ولّى . الموصد : المرهق .
(٣٦٨) المجتبى : المختار .
(٣٦٩) سِدْرَةُ المنتهى : شجرة في الجنة ، وفي سورة النجم ، قوله تعالى : (ولقد رآه نَزْلَةً أخرى . عند سِدرة المُنْتَهى . عندها جنة المأوى) .
(٣٧٠) زاغ البصر : مال عن مستوى النظر حيرةً وشخوصاً ، قال الله تعالى في سورة النجم : (ما زاغ البصر وما طغى) . دنا : في الأصل « رنا » .
(٣٧١) البراق ، في حديث المعراج . سمي لنصوع لونه وشدة بريقه ، أو لسرعة حركته ، شُبِّه فيهما بالبرق كما قال ابن الأثير في النهاية .
(٣٧٢) أوفى إليه : بلغه . بهر الطرف : غمر العين بنوره .

فعـــاد بإيمـــــانه فِرقتَيْـــنِ ، فِرْقاً هنـاك وفِرْقاً هنا[٣٧٣]
وأشـبع سـبعين من صَحْفَـةٍ تَضِيق عن الفرد عندَ القِرَى[٣٧٤]
وقال له الضَّبُّ : أنت الرَّسُـولُ الى الخَلْق ، يشهَدُ ذاك المَلا[٣٧٥]
وحَنَّ له الجِذْعُ ، إذ مـال عنـ •• ـه إلى مِنْبَـــر ، وعليه ارتقى
وأيّـده بالكتـاب المُبـــين يعـرِفُ إعجازَه مـن تــلا
وتابَعَـهُ الموقنون الهُـــدا ةُ أهــلُ اليقـين وأهـلُ التُّقى
فطُوبى لعبـدٍ •• سعى سَعيَهُمْ ومـال إلى هَدْيهم واقتـدى[٣٧٦]
فمَنْ تَبِع الحقّ منهم نجـا ، ومـن زاغَ عمّـا أتوه هَوَى •

⁂

ومن منثوراته :

كتاب •• كتبه إلى الأمير السَّيّد بـ « قاشان »[٣٧٧] الإمام (ضياءالدين ، فضل الله ، الرّاوندي)[٣٧٨] :

« الاشـــتياقُ ــ أطال الله بقاءَ مجلس سيّدنا ، وأدام عُلُوَّه ، وكبَتَ عدوَّه[٣٧٩] ــ وإن استشرت نوازعه[٣٨٠] ، واستطار شَرَرُه ، فإنه ــ مع قُرب

---

(٣٧٣) الفِرق ، بكسر الفاء : القسم المنفصل من الشيء .
(٣٧٤) الصَّحْفَة : إناء كالقَصْعة المبسوطة ونحوها ، جمعها صِحاف . القـرى : ما يقدم إلى الضيف من الطعام .
(٣٧٥) الضَّبّ : حيوان من جنس الزواحف من رتبة العِظاء،غليظ الجسيم خشنه، له ذنب عريض حَرِش اعقد ، يكثر في بوادي الجزيرة العربية ، ويأكله البدو . المَلا : الملأ ، سهل همزته للقافية ، وهو الجماعة ، و ــ أشـراف القـوم ، وسَراتهم .
(٣٧٦) الطّوبى : الحسنى ، و ــ الخير ، وبكلٍ فسر قوله تعالى : (طُوبى لهم) ، وهي كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر .
(٣٧٧) قاشان : (ح١٧٩) .
(٣٧٨) راوند : (ص٨٦/ح١٨٦) .
(٣٧٩) كبت الله عدوه : ردّه بغيظه .
(٣٨٠) عظمت أشواقه .

الدّار ــ أشقّ ، وعندَ تداني المَزارِ أشــدّ ، وسلطانه مع التّصاقب أشـــدّ تسلّطاً[٣٨١] ، وشيطانه حيثُ التّقارُبُ أعظمُ تمرّداً ، وإن كان اشتياقي إلى حضرته معتدل الأطراف ، مستمرّ الإلمام ، متساويَ الأحوال ، لا يخونه قُرب ، ولا يَثْلِمُه بُعد ، ولا يعتريه بحَسَب التّقلّبات نقص ، ولا يَحْجِزُ دونَه عزم • فانّ الاتّباعَ سُنّة ، والموافقةَ شريعة(*) ، وقد قيل :

وأبرَح ما يــكون الشوق يومــاً إذا دنتِ الدّيارُ من الدّيارِ[٣٨٢]

فلهذا سوّغتُ لنفسي أن تدّعِيَ الزّيارة ، في ارتياحٍ •• هُوَ لهـــا خُلق وعادة •

ولَعَمْرُ مجلسِه إنّي إليه أعلى فُواقاً من النّاهل الى المَنَاهِل[٣٨٣] ، وأغلى نِزاعاً من الواجد إلى الواجد[٣٨٤] • وحاشا كرَمَهُ أن يَعُدّ ذلك منّي تملّقاً ، أو يقدره تخلّقاً[٣٨٥] ، فلي من سُوَيْدائه شاهدٌ لا يكذِب[٣٨٦]،وحاكم لا يَحِيف[٣٨٧] • وما أقدرَ الله ــ عَزّ اسمُه ــ على تيســير الاجتمـــاع ! فأبْقَه ــ حرس الله ظلّه ــ دقيقَ أمري وجليله •

فقـــد طوّفتُ في الآفـــاق ، حتّى
رَضِيتُ من الغنيمـــة بالإيابِ[٣٨٨]

---

(٣٨١) التصاقب : التجاور .

(*) في الاصل : « شريطة » ، ولست ارى لها وجها .

(٣٨٢) أبرح : افعل ، من البَرْح ، وهو الشدة ، و ــ العذاب الشديد .

(٣٨٣) فُواقاً : في الأصل « فرقا » ، وصوابه ما أثبتَ . والفُواق ، هنا : ترديد الشهقة العالية . الناهل : العطشان ، و ــ الرّيّان ، من الأضداد ، والمراد هاهنا العطشان . المناهل : جمع المَنْهَل ، وهو المَشْرَب ، ثم كثر ذلك حتى سُمّيت منازل السُفّار على المياه « مناهل » .

(٣٨٤) النِزاع : الاشتياق . من الواجد إلى الواجد : في الأصل « من الواحــد الى الواحد » ، وأرى صوابهما ما أثبتّ . والواجد : المحبّ الشديد الحب ، يقال : وجِد به وجداً .

(٣٨٥) تخلق تخلّقاً : تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوي عليه .

(٣٨٦) السويداء ، من القلب : سواده .

(٣٨٧) يحيف : يجور ويظلم ، قال الله تعالى : (أم يخـــافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) .

(٣٨٨) البيت لامرىء القيس ، وهو مما يتمثل به من شـــعره ، وأوله في ديـــوانه : « وقد » . الإياب : الرجوع .

وإن كنتُ فيما أسلفتُه من الخِدَم قد تعلّقتُ من الشّكاية بطَرَف ، وطرحت من مَذَمّة القوم ببعض . (ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخيرِ وما مَسَّنيَ السّوءُ)[٣٨٩] .

ما ظنّه ــ أيّد الله رفعته ــ بقومٍ .. أكذبَ ما يكونون إذا أكّدوا الأَيمان ، وحلفوا بطلاق النّسوان ، وظاهروا بالحِلف[٣٩٠] ، وجاهروا بالقَسَم ، وآلَوْا بأيمان البَيْعَة[٣٩١] ، وأغرقوا في المعاهدة ، وأجود ما يُعَدّون إذا أجاعوا الطّارقَ[٣٩٢] ، وردّوا السّائل ، وانتهروا الآمِل ، واستخفّوا بحرمة المستميح[٣٩٣] ، وزبَرُوا الطّالب[٣٩٤] ، هذا إذا لم يَزيدُوا في الحِرمان ، ولم يُشْلُوا الكلابَ على الضّيف حالةَ الإلمام[٣٩٥] !

فكم جَوْعَةٍ مُنيتُ بها لديهم آنستني بالصّيام[٣٩٦] ، وكم أَرَقٍ دُفِعت إليه بهم علّمَني كيف القيام[٣٩٧] ! فيا لي بعدَها من صائم لو ساعدتِ النّيّةُ ، وقائمٍ لو صَحَّتِ الطّويّة[٣٩٨] ! ويا لها غنيمةً ! جلبت ديناً ، وأفادت تجربةً ،

---

(٣٨٩) الآية ١٨٨/الأعراف .

(٣٩٠) ظاهر الرجل امرأته : قال لها « أنتِ عليَّ كظهر أمي » . وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذه الكلمة ، وكان الظهار في الجاهلية طلاقاً ، فلما جاء الإسلام ، نُهُوا عنه ، وأوجبت الكفارة على من ظاهر من امرأته ، قال الله تعالى في سورة المجادَلة :(الذين يظاهرون منكممن نسائهم ما هُنّ أُمّهاتِهم ، إنْ أُمّهاتُهم إلا اللائي ولدنهم ، وانهم ليقولون مُنكَراً من القول وزوراً ، وإنّ اللهَ لَعَفُوٌّ غفورٌ . والّذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لِما قالوا ، فتحريرُ رَقَبةٍ من قبلِ أن يتماسّا ، ذلكم تُوعَظُونَ به ، والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيامُ شهرين متتابعين من قبلِ أن يتماسّا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ..) .

(٣٩١) آلَوْا : اقسموا .

(٣٩٢) الطارق : الضيف الذي يأتي ليلاً .

(٣٩٣) المستميح : سائل العطاء ، أو الشفاعة له . الأصل : « المستبيح » .

(٣٩٤) زبروا : انتهروا وزجروا .

(٣٩٥) أشلى الكلب : اغراه . الإلمام : الزيارة القصيرة .

(٣٩٦) مُنيت : ابتلبت .

(٣٩٧) الأَرَق : امتناع النوم .

(٣٩٨) الطّويّة : الضمير ، جمعها الطّوايا .

ومَنَحت خِبْرَةً ، وعرَّفَت أثر العُزلة ، وأرت(٣٩٩) مقدار الانقباض ، وعلَّمت كيفيّة الإعراض ، وأذاقت حلاوة القناعة ، وزَمَّتِ النّفْسَ عن التّطَلّع إلى الأماثِل(٤٠٠) ، وكَفّتِ الآمال عن الاستشراف إلى كلّ نائل(٤٠١) ، وبَلّدَتِ العزيمةَ عن التّعَلّق بكل سبب ، وكبَحَتِ(٤٠٢) الهمّةَ عن الجُموح إلى كلّ مطلب ! ففي بعض هذه الفوائد نعمةٌ لمن عرَفَها ، وفائدةٌ لمن تأمّلَها .

وعندي ، بعدَ ذلك ، إضرابٌ عن الكافّة(٤٠٣) يُريحُ القلب ، ويُزيل الهمّ ، ويُفرّغ البال ، ويَرُمُّ الحال(٤٠٤) ، وانكفافٌ يُقنِع بالكَفاف(٤٠٥) ، ويُمسِك بالعَفاف ، ويُري اللئام تيهَ الكرام ، وعَجْرَفيّةَ ذوي الإباء(٤٠٦) ، وخُنْزُوانةَ المتقنّعين(٤٠٧) ، وبَذَخَ الصّعاليك(٤٠٨) ، وتكبُّرَ الآيِسينَ .

ثمّ لهم ، بعدُ ، منّي قوارصُ تُنسيهم لَسْبَ العقارب(٤٠٩) ، ومُشاحنةَ الأقارب ، ونَكَدَ المُعاند ، ومُراوَغةَ الحاسد ، وكيدَ الحاقــد ، وإن كانوا منسلخين عن أهليّة الذّمّ ، عارِينَ عن مرتبة العَتْب ، متقاصرين عن منزلــة الإزراء، متضائلين عن سِمَةِ الهِجاء ، واقفين لكلّ رذيلة بالعَراء، لا يَسْتَجِنّون

(٣٩٩) وارت : الأصل « ورمت » .

(٤٠٠) زَمَّتِ النفس : كفّتها ومنعتها ، من زمّ الشيء : شدّه بالزِمام .

(٤٠١) استشرف له : تطلّع إليه ، وتعرض له ، ولم تذكر دواوين اللغــة تعديتــه بـ « إلى » . النائل : العطاء .

(٤٠٢) الأصل : « وكنحت » .

(٤٠٣) الكافة : الجماعة .

(٤٠٤) يَرُمُّ : يصلح .

(٤٠٥) الانكفاف : الانصراف ، والكفاف من الرزق : ما كان مقدار الحاجة من غــير زيادة ولا نقصان .

(٤٠٦) العجرفية : العجرفة ، وهي جفوة في الكلام وخرق في العمل . الأصل «عجزفية» بالزاي ، وهي تصحيف .

(٤٠٧) الخنزوانة : الكِبْر ، الأصل « ختروانه » .

(٤٠٨) البَذَخ : الكِبْر ، و ـ تطاول الرجل بكلامه وافتخاره . الأصــل « بزخ» بالزاي .

(٤٠٩) القوارص : جمع القارصة ، وهي الكلمة تنغّص وتؤلم . الأصل « قوارض» بالضاد ، وهو تصحيف . لَسْب العقارب ونحوها : لسعها .

من مَنْقَصَة[410] ، ولا ينكبُون عن غَضَاضة[411] ، ولا يتبغَّضُون لتقريع ، ولا يستنكفون من توبيخ ، كأنّما تواصَوْا بالوَقاحة ، وترامَوْا بالخَسَاسة .

مَنْ تَلْقَ منهم ، فقُلْ : لاقيت أرذلَهُمْ
مثلَ التّيُوس التي يَسْرِي بها الساري[412]

والكلام فيهم طويل الذَّيْل .

وصَلْتُ ــ واصَلَ الله سعادات ذلك المجلس ــ إلى « أصفهانَ »[413] ، جُملة خطوط على «العامل» بها .. لم يُرْجَ منها إلا المُدافعة ، ولم يُتَحصَّلْ لا المُماطلة . وهي ملقاة في عَرَض المنزل[414] ، مضمومة إلى ما عداها من المُسَوَّدات[415] .. لا يُرجى لها نَفاذ ، ولا يُنتظَر عندَها نجاح .

ومن عجيب الأمر استدعاءٌ[416] واختصاص ، ومعرفة وتقريب ، وابتهاج وترحيب ، وطليقة تتجاوز الحدود ، ومَعَزَّة تُرْبِي على الوصف ، وتقريع في التَّأَخُّر ، وتوبيخ على التَّثاقُل ، ومخاطَبةٌ بـ : « هل يحسُنُ الانقباض » ؟ وأَنّى اعتمدتَ هذا الإعراضَ والدَّولةُ تفتقر إلى مثلك ، وتحتاج إلى نظيرك ؟! وهَلا أهديتَ لنا الكتاب الفُلانيّ ، وخَصَصْتَنا[417] من مكتوباتك بكذا ، فنُنافسَ[418] بمواقعِ قلمِك ، ونرتاحَ بمطالعة مُنْتَسَخِك ، ونعتقدَ فيما يصدُر عنك ، ونعتدَّ بذلك مِنَّةً لك !؟

---

(410) لا يستجنّون : لا يستَخْفُون .

(411) الغضاضة : الذلة والمنقصة ، و ــ العيب .

(412) تَلْقَ : الأصل « تلقى » . والبيت ، أصله للعرندس أحد بني بكر بن كلاب ، من شعراء « حماسة أبي تمّام »،من ستة أبياتــ في باب الأضياف والمديح، وهو قوله :

من تَلْقَ منهم ، تَقُلْ : لاقيتُ سيّدهم
مثلَ النجوم التي يسري بها الساري

(413) أصفهان : (المقدمة ، و 14/1) .

(414) عرض المنزل : جانبه ، وفي الأصل « عرص .. » ، وهو تصحيف .

(415) مضمومة : في الأصل « مضمونة » .

(416) الأصل « يسترعا » .

(417) الأصل : « واخصصتنا » .

(418) الأصل : « فأنافس » .

فإذا آلَ الأمر إلى الحُسنَى ، ورَقّت الحال عن صَبُوح الإنعام[419] ، أعارُوا أُذُناً صَمّاءَ[420] ، وعيناً عمياءَ ، ومَجْمَجُوا القول[421] ، وغاض الكلام[422] ، وعلَتِ الرُّحَضاءُ[423] ،وذَبَلت الشّفاه ، ومات المرتجى ، وخاب الرَّجاء ، واضمحلّ الأمل ، ووقعت المُلاجّة[424] ، فاستُعمِلت المُراطَنة[425] .

فبقِيت مدّةً بالوطن في خُمار تلك المكافحة[426] ،وغَمْرَة تلك المطاولة[427] : طوراً يُدارُ بي ، وتارةً يُطار . أُخاطب نفسي بما رأت ، وأعاودها ما شاهدت ، وأتفكّر [هل][428] كان ما عاينتُه ؟ وهل حقيقة ما عاينتُه؟ وهــل أنا قطَعْتُ المراحل ، وطويت المنازل ، وحَمَلْتُ الشّدائد ، وشاهدت العجائب ، وخــاطبت ملِك الزّمان شِفاهاً ، ورأيت وزير العصر عِياناً ، وملأت سمعي ترحيباً ،واقتطعت من الصّدر مجلساً رحيباً ؟ فما لي صِفْرَ العِياب[429] ،مع تَراخِي الإياب؟ وأنّى يتناسب تقريب وتجنيب ؟

وامتدّ بي هذا الوَسْواس إلى حدٍّ قَطَعني ، يعلَمُ الله ، عن المُهِمّــات ، وصَدّني عن المفترضات ، وأجلّها : مكاتبةُ سيّدنا ، حرس الله ظلّه ، فــإنّي توخّيت لها ذَرْعاً فَسيحاً[430] ، ورأيت الإقدام عليها مع تكدّر القريحة قبيحاً.

---

(٤١٩) رقت : الأصل « رققت » . الصبوح : ما يشرب ويؤكل في الصباح ، استعاره للتبكير بالإنعام .

(٤٢٠) أعاروا : الأصل « أعادوا » .

(٤٢١) لم يبيّنوه .

(٤٢٢) غاض : احتبس ، من قولهم : غاضت الدُّرّة ، اذا احتبس لبنها وقلّ .

(٤٢٣) الرُّحَضاء : العَرَق الكثير يغسل الجلد ، وفي حديث الوحي : « فمسح عنه الرحضاء . و ـ العَرَق إثرَ الحمّى ، و ـ الحمى بعرق .

(٤٢٤) المُلاجّة : التمادي في الخصومة ، الأصل « الملاحة » بالحــاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٤٢٥) المراطنة : التخاطب بالرّطانة ، وهي الكلام بالأعجمية ، أو الكلام الذي لا يفهم .

(٤٢٦) الخُمار : ما يصيب شارب الخمر من ألما وصداعها .

(٤٢٧) الغمرة : الشدّة .

(٤٢٨) موضع « هل » بياض في الأصل .

(٤٢٩) خالي الأوعية .

(٤٣٠) توخيت : تحريت . ذرعاً : في الأصل « درعا » . يقال: « هو واسع الذُّرع»، أي : واسع الخلق .

ولمّا لم يَصفُ الخاطر ، ولم يساعد [الجَدّ العاثر][431] ، وأنكرت[432] ، الإخلال بالخدمة ــ أصدرت هذه الجملة إلى ذلك المجلس[433] ، وإلى تمهيد العذر فيما يُعَدّ[434] من الإخلال .

ووصلت رُقعته الكريمة ، فجدّدَتْ من مَبارّه ما لم تَزَلْ لَدَيّ سوالفه متأكّدة[435] ، ولواحقه متناصرة .

وقد كنتُ على أن أَخدِمَ الأجلّ محموداً ، وأصحبه مكاتبة إلى تلك الجهة المحروسة ، فاقتطعني بعض العوائق ، وكَفّني عن المبادرة ما كنت فيه . والمقترَحُ من معاليه ، الإجراءُ على المعهود من كرمه في تحسين الخدمة ، وإنهاءُ الخدمة إلى المجلس الفلاني ــ زاده الله رفعة ، وإهداءُ الخدمة إلى فلان ، وإيصالُ رُقعته إليه ، فقد ضمّنتها هذه الخدمةَ . ويعلَمُ الله ، لقد توصّلتُ بكلّ ما أستطيعه إلى أن أكتب على ظهرها ما سيقرؤه ، وأرجو أن يبلغ المقصود . وما كلّف الله نفساً فوقَ طاقتِها ، وهو أهل لأن يقبَلَ عُذري .

والأجلّ فلانٌ العجميّ ، زاده الله سَواداً[436] ، مخدوم بأوفر التحيّات ، وكذلك الصّدور والأكابر ، والسّادة المتّصلون بتلك الحضرة .

ولولا التّصديع لقد كان الخادم جعل « قاشان »[437] قِبلتَهُ عند العود من « خُراسان »[438] . ولكن ، قد تقدّم من الإبرام[439] ما لا تحسُن معه المُعاوَدة، والله الموفّق للنّهوض بالشّكر بمنّه وكرمه .

---

(431) في موضعهما في الأصل : « الافراق » ؟
(432) في الأصل : « وانكرة » .
(433) في الأصل : « وذلك المجلس » .
(434) والى : في الأصل « ولي » . يعد : في الأصل « يعنّ » .
(435) المَبارّ : جمع المبرّة ، مصدر ميمي ، وهي الخير . سوالفه : ما تقدم من إنعامه .
(436) السواد : الأتباع والحاشية والأمتعة وغيرها ، و ــ المال الكثير .
(437) قاشان : (ح 179) .
(438) خراسان : (1/296) .
(439) الإبرام : الإضجار والإملال .

الخادِم .. يقترح من المكارم[٤٤٠] إنفاذَ « كتاب المعجم الصَّغير » ، فعليه سَماعُ جماعةٍ .. لولاه لما اقترح إعادته ، ولا يشكّ أنّ الاستغناء عنه حصل ، ويستدعي تشريفه بما يَعِنّ من خدمة[٤٤١] . ولله الحمد ، وصلاته على سيّدنا (محمّد) نبيّه ، وآلِه ، وسلامُه .

⁂

ومن مدائحه في رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم :

ألا ، يا رسولَ الله ، يا خيرَ مَنْ مشى
على الأرض ، ما مقدارُ مدحي ولا حمدي ؟

إذا قابلتك الشّمس أخْفَتْ ضياءَها
حياءً،وأغْضَتْ وَهْيَ تختال في السَّعْدِ[٤٤٢]

تداركَ رَبُّ النّاس أمرَ عبادِه
بيُمْنِك ، والشِّركُ الشّنيع لهم مُرْدِ[٤٤٣]

وأبعدهم من حرِّ نارٍ .. عذابُها
أليمٌ ، ففازُوا بالنَّعيم وبالخُلْدِ

فِداؤك نفسي ! إن نطقتُ ، فما انطوى
عليه ضميري منك أضعافُ ما أُبدِي

---

(٤٤٠) يقترح الشيء : يختاره ، وقد استعمله بمعنى يرجو ، أو يطلب ، ولا يعرف هذا في اللغة .

(٤٤١) يعنّ : يعرض .

(٤٤٢) اغضت جفونها : قاربت بينها من الحياء . تختال : تتبختر . السعد : واحد السعود ، وهي عشرة كواكب ، يقال لكل واحد منها سعد : أربعة منها منازل ينزل بها القمر ، منها « سعد السعود » وهي من نجوم الصيف تطلع في آخر الربيع وقد سكنت رياح الشتاء ولم يأت سلطان رياح الصيف ، فأحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم في أيامها ،لأنها لا يرى فيها غُبْرة، وقد ذكرها النابغة الذُبياني فقال :

قامت تَراءَى بين سِجْفَيْ كِلَّةٍ
كالشمس يومَ طلوعِها بالأسعد

(٤٤٣) مُرْدٍ : مهلك .

أَشَعْتَ الهُدى ، فاستنكر النّاس بعدَه
(يَغُوثَ)،ومالُوا عن(يَعُوقَ) وعن(وَدّ)[٤٤٤]

ودانُوا بدينِ الحقّ لمّا أتيتَهم
بمعجزة •• غَضَّتْ من الأَلْسُنِ اللُّدِّ[٤٤٥]

عليك سلامُ الله ما لاحَ بارقٌ ،
وما هتَفَتْ قُمريّةٌ في ذُرا رَنْدِ[٤٤٦]

⁂

وقال :

سُبْحانَ مَنْ جعل الكواكبَ زينةً
وبهِنَّ في ظُلَمِ الليالي يُهتَدَى

سُبْحانَ مَنْ رفع السّماواتِ العُلَى
والأرضَ مهَّدَها لأصنافِ الورى

سُبْحانَ مَنْ شَقَّ البحار بقدرة
سُبْحانَ من أرسى الجبال على الثَّرَى

سُبْحانَ مَنْ خلَقَ العِباد ، فمَنْ رَضِي
عنه استقلّ ، ومن تسخَّطَهُ هَوَى

بعث النَّبيّين الهُداةَ ، فمهَّدُوا
سُبُلَ اليقين ، وأوضحوا طُرُقَ الهُدَى

واختار مِلَّتَنا ، وشرَّفَ دِينَنَا
بعُلَى (محمّدٍ) النَّبيّ المصطفى

---

(٤٤٤) يغوث ، ويعوق ، ووَدّ : أسماء أصنام كانت لبعض قبائل العرب في الجاهلية: الأول لمذحج ، والثاني لكنانة ، والثالث لقريش . وفي القرآن الكريم « ٢٣/نوح » : (وقالوا : لا تَذَرُنّ آلِهتكم ، ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ، ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً) .

(٤٤٥) غَضّت من الألسن : كَفَّتْها وخفضتها . اللد : الشديدة الخصام .

(٤٤٦) الرَّنْد : شجر طيب الرائحة ، و ـ العود ، والآس .

خـــير البريّــــة مَحْتِـــداً وأجلّهم
نفساً،وأقصى الخَلْق في التّقْوَى مَدَى[٤٤٧]

ختَمَ النّبُوّةَ ، واســـتقام لِدينِـــه ،
وعلى أوامـــره الّتي أوحى جَـــرَى

ما هــــانَ قَطّ ، ولا صبـــا لنقيصـــةٍ
كلا ، ولا وَعَــدَ النّــدَى إلا وَفَى[٤٤٨]

آثـــارُه مشـــــهورةٌ ، وخِلالُـــــه
مشـــكورةٌ ، وصفاتُــه تُعْيِي الثّنا[٤٤٩]

شَـــهِد الخلائـــق كلّهم بكمـــاله ،
وعَنَــا لرتبتِــه الفَرَاقِـدُ والسّها[٤٥٠]

ودعـــا إلى التّوحيــد ، فانقـــادت لــه
أُسدُ الشّرَى طوعاً وفُرسانُ الوَغَى[٤٥١]

لمّـــا أتى بالبيّنـــــات ، تواضعـــوا
قصــداً ، وحَلّوا في المتابعــة الحُبـا[٤٥٢]

ما قال شــعراً منــــذُ كان ، ولا روى
يومــاً أقاصيصَ القرون ، ولا تــــلا

---

(٤٤٧) المحتِد ، بكسر التاء : الأصل ، و ــ الطبع . المدى : الغاية .
(٤٤٨) صبا : مال .
(٤٤٩) الثّنا : الثناء ، قصره للرَّوِيّ .
(٤٥٠) الفراقد : جمع الفَرْقَد ، وهو نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريباً ، ولذا يهتدى به ، وهو النجم القطبي ، وبقربه نجم آخر مماثل لــه وأصغر منه ، وهما فرقدان لا غير . والسُّها : كوكب صغير ، خفي الضوء ، في بنات نعش الكبرى أو الصغرى ، وفي المثــل « أُرِيها السُّها ، وتُرِيني القمر » يضرب للمدهوش الذي يسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً .
(٤٥١) الشَّرى : (ح٣٢٥) . الوغى : الحرب .
(٤٥٢) الحُبا : جمع الحبوة ، وهي ما يحتبى به ــ اي يشتمل به ــ من ثوب وغيرها. وحلوا الحبا : كناية عن النهوض للمشاركة في الأسر .

صلّى عليـــه الله ماهَبَّتْ صَبـا ،
أو جَنَّ ليل" ، أو بدا وَضَحُ الضُّحَى[٤٥٣]

هـــذا ثنـائي ، وَهْوَ دونَ محلّـــه
مَنْ ذا ينـــال بكفّــه بدرَ الدُّجَى ؟

⁂

وقال :

يا مـادِحَ النّاس إن جـادُوا ، وجُودُهُمُ
يَفْنَى،وإحسانُهُمْ يُفْضِي إلى العَدَمِ[٤٥٤]

إمدَحْ نبيّـاً وَقَى اللهُ العبـادَ بـه
مُرَّ العِقـاب ، وناراً جَحْمَةَ الضَّرَمِ[٤٥٥]

أوحى إليـه ، وبحـرُ الجاهليّـة مـن
ريح الضَّـــلال بمـوجٍ منـه مُلتطِمِ

أدّى الأمانـــة ، واسـتوفى الرّسالة ، إذْ
تراجعت عن هُداهـا سـائرُ الأُمـمِ

وجَـــدَّ في الله ، حتّى عـاد عن كَثَب
وجـهُ الهُدى مُبدِياً عن ثغر مُبتسمِ[٤٥٦]

وذَلَّ في عِـــزّة ، واللهُ ناصــــره
لمّـا دعاهم ملوك (العُربِ) و (العجمِ)

(جبريلُ) يقدُمُه ، والسَّعدُ يَخْدِمُـه ،
واللهُ يَعصِمُه عن زلّــة القــدمِ

---

(٤٥٣) جن الليل : أظلم .
(٤٥٤) يفضي : يوصل .
(٤٥٥) الجحمة : النار الشديدة التأجج . الضَّرَم : لهب النار .
(٤٥٦) عن كَثَب : عن قرب .

فالحمــــدُ لله ربّ العـــالمين على
توفيقنـــا ، إذْ هدانـــا منــه للنـِّعَمِ

**

وقال :

يا خاتمَ الرُّسْــل ، يا أعلى الورى خُلُقاً ،
وأكـرمَ الخَلْــق من مـاضٍ ومن آتِ

في بعض أمـــرك ، للمستبصـــرين بـــه
مـــن صدقِ ما قُلْتَه ، أوْفَى الدّلالاتِ

ثَنَيْتَ بالمعجزات النّاسَ ، إذْ لَهِجُوا
في الجاهليـــة بـ (العُزّى) وبـِ (اللاتِ)[٤٥٧]

**

ثمّ سافر مع ولده إلى (شيراز)[٤٥٨] .

وعاد ولده ، وأخبر بموته ــ رحمه الله ــ بها ، وذلك في ليلـــة الاثنين ثالث عشَرَ شعبان سنةَ ثمان وأربعين وخمس مئة.

**

وطالعت بعدَ ذلك « تاريخ السّمعانيّ »[٤٥٩] : « المُذَيّل » بخطّـــه ، فقرأت منه :

« أنشدني (أبو الفضل عبدالرّحيم بن الأخوة) لنفسه[٤٦٠] :

ولمّـــا الْتَقى للبَيْن خَدّي وخدُّهـا ،
تَـــلاقَى بَهارٌ ذابلٌ وجَنَى وَرْدِ[٤٦١]

---

(٤٥٧) العُزّى : صنم كان لقريش وبني كِنانة ، واللات : صنم كان لثَقِيف . وفي القرآن الكريم «١٩/النجم» : (أفرأيتم اللاتَ والعُزّى ومَناةَ الثّالِثَةَ الأُخرى) ؟

(٤٥٨) شيراز ٢/٤ .

(٤٥٩) السمعاني : (ص ٣٧/ح٦) .

(٤٦٠) الأبيات في فوات الوفيات ٥٥٨/١ .

(٤٦١) البَهار : جنس من الزهر طيب الريح ، له فَقّاحة صفراء ، ينبت أيام الربيع، يقال له العَرارة .

ولفَّتْ يدُ التّوديع عِطفي بعِطفها
كما لفَّتِ النّكباءُ مائِستَيْ رَنْدِ[٤٦٢]

وأذرى النَّوَى دمعي خِلالَ دُموعها
كما نُظِم الياقوت والدُّرّ في العِقْدِ[٤٦٣]

وولّتْ ، وبي من لوعة الشّوق ما بها ،
كما عندَها من حُرقة البَيْن ما عندي »[٤٦٤] .

⁂

قال : « وأنشدني لنفسه :

خليليَّ ! إنّي كلّما لاحَ بارقٌ
من الأُفُق الغربيّ ، جدَّدَ لي وَجْدا

وإن قابلَتْني نفحةٌ بابِليَّةٌ ،
وَجَدْتُ لمسراها على كبِدي بردا[٤٦٥]

وليس ارتياحي للرّياح ، وإنّما ار..
تِياحي لقوم أعقبوا وصلَهم صَدّا

أُدانِيهِمُ بالقلب في كلِّ لحظة ،
وتزداد داري من ديارِهمُ بُعدا

فإن يسمَحِ الدّهرُ الضَّنِينُ بقربهمْ
وعيشِكما ما عِشتُ كنت له عبدا»[٤٦٦]

إلى ها هنا ، [ما] ذكره (السَّمْعانيّ) .

⁂

(٤٦٢) العطف : جانب الإنسان من لدن رأسه الى وَرِكه . النكباء : ريح انحرفت ووقعت بين ريحين كالصَّبا والشَّمال . الرند : (ح٤٤٦) .
(٤٦٣) النوى : (ح٢١٦) . العِقد : القلادة .
(٤٦٤) الشوق : في فوات الوفيات « الوجد » . البين : الفراق .
(٤٦٥) النفحة البابلية : النسمة الرقيقة المسكرة . وقد نسب إلى « بابل » السحر والخمر . والكلام في « بابل » يطول ، وقد كانت أعجوبة في المدن القديمة بالعراق .
(٤٦٦) الضنين : البخيل أشدَّ البخل .

وأقول أنا:

من جملة ما أنشدنيه من شعره ، بـ « أصفهانَ » (٤٦٧) :

كِــلِ الأمــرَ إلى اللّــهِ ، فنِعْمَ الكالِىء اللهُ(٤٦٨)
ومـا يكشِف مـــا را ... نَ على قلبك إلا هُــو(٤٦٩)

***

وأنشدني بيتين لنفسه ، نظمهما في المنام ليلةَ الجُمُعة ثالث شوّال سنةَ سبع وأربعين [وخمس مئة](٤٧٠) ، وهما :

كُن قَنُوعاً ، ولا تَسَلْ واحْمِلِ الفقرَ تَحْتمِلْ(٤٧١)
فعَسى اللهُ أَنْ يَمُنّ ، فيُغْنِي عن السِّفَلْ

***

وأنشدني لنفسه :

لا تخضعَنّ لدهر أَنْحَتْ عليك صُروفُه(٤٧٢)
فالبدرُ بدرٌ ، وإنْ بَزّ ه الضِّياءَ كُسوفُه(٤٧٣)

***

(٤٦٧) اصفهان : المقدمة ، و ١٤/١ .

(٤٦٨) الكالىء : الحافظ ، و ــ الراعي ، وفي القرآن الكريم : (قُلْ : مَنْ يكلؤكم بالليلِ والنهار من الرحمٰن ؟) .

(٤٦٩) ران عليه رَيْناً : غلبه وغطّاه ، وفي القرآن الكريم : (كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسِبون) .

(٤٧٠) زيادة مني .

(٤٧١) احتمل الشيء : حمله وصابر عليه .

(٤٧٢) أنحت عليه : أقبلت . صروفه : حدثانه ، واحدها صَرْف بفتح فسكون .

(٤٧٣) بَزّه : سلبه .

وأنشدني لنفسه :

ومُعتَــدٍ .. حَمَّلَني ظُلمَــهُ ، فوقَ الّذي يَخْطِـرُ في وَهْمي
إنصافُـــه أبعـدُ من هِمَّتي ، وجورُه أقــرب من هَمّي[474]

---

(474) ومن شعر ابن الأخوة ، قوله ، وقد رواه ابن شاكر في فوات الوفيات ١/٥٥٨ :

ما النـــاس ناس ، فسرِّح إن خلوتَ بهم
فأنت ، مـا حضـروا ، في خلوة أبـــدا

ولا يَغُرَّنْــك أثـواب لهم حَسُـنت
فليس مَنْ تحتَهـــا في حسنِها حُمِدا

القــردُ قـردٌ ولو حلّيتـه ذهبــاً
والـكلبُ كلبٌ ولو ســميتَه أســدا

*

وقوله :

انفقت شَـرْخَ شـــبابي في ديـــاركمُ
فمـا حَظِيتُ ولا انفـــدت إنفـــاقي

وخيرُ عمـري ، الّذي ولى ، وقـد ولعـت
بـــه الهموم . فكيف الظـنُّ بالبـاقي ؟

أبو محمّد بن عَبِيدَة المُقْرِئ النَّحْوِيّ (١)

من أهل « بغدادَ » .

علاّمة في النّحو والقراءة .

⁂

وله في مدح (المستضيء)(٢) هذه الأبيات(٣) :

هــذه دولــةٌ .. تخيَّرها اللـ .... ـهُ ، فدامت لنا سَجِيسَ الليالي(٤)

دولــةٌ .. روّضَت رُباها ، وجادت مــن لُهاهــا بوابلٍ مُتَوالِ(٥)

---

(١) هو الحسن ، بن عليّ ، بن بَرَكة ، بن عَبِيدَةَ « بفتح العين » ، أبو محمّد ، الكرخي ، النحويّ ، المقرىء ، الفَرَضِيّ . من أهل الجانب الغربيّ من بغداد. كان يسكن بالكَرْخ في « درب رباح » . قرأ القرآن الكريم بالقراءات ، ببغداد وبالكوفة ، وبرع في فنه وفي النحو واللغة والأدب والفرائض وقسمة التركات ، وسمع الحديث ، وتصدّر مدة طويلة لإقراء القرآن والنحو واللغة والفرائض. وكان صدوقاً ، ديّناً ، حسن الطريق . توفي يوم الخميس خامس عشرين شوال سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة . له ترجمة في : مرآة الزمان ٨/٢٤٩ ، وغاية النهاية ١/٢٤٤ ، ومعجم الأدباء ٩/٤٠ ، وبغية الوعاة ٢٢٣ ، وإنبــاه الرواة ١/٣١٦ ، وتاريخ الإسلام للذهبي «وفيات٥٨٢ » ، وطبقات ابن قاضي شـهبة ١/٣٠١ ، وتلخيص ابن مكتوم ٥٩ ، ومختصـر تاريخ ابن الدّبيثي ١/٢٨٥ ، والنجوم الزاهرة ٦/١٠٤ ، ونسبه « الكوفي » ، والمشهور « الكرخي » ، ولعله أضافه إلى الكوفة لأنه أخذ فيها القراءات كما أسلفت .

(٢) المستضىء : ١/٩ ــ ١٨ .

(٣) نقل ياقوت هذه المقطوعة في كتابه معجم الأدباء ٩/٤١ ــ ٤٢ عن هذا الكتاب .

(٤) سجيس الليالي والأيام : أي أبداً ، قال الشَّنْفَرَى :

هنالك لا أرجو حياةً تســرّني سَجِيسَ الليالي مُبْسَلاً بالجرائر

(٥) روّضت : كثرت رياضها . في معجم الأدباء : « روضة » ، وهو خطأ . اللُّها : العطايا ، أو أفضل العطايا وأجزلها . الواحدة لُهْوة بضم اللام . الوابل : المطر الشديد الضخم القطر .

واستقادت صعبَ المَقادة بالعَدْ ل ، ودانت لها قلوبُ الرِّجالِ[٦]

وأضاءت بـ (المُستضيء بأمر الـ .....له) .. لا زال ملكه في اتّصالِ

ملِكٌ .. عَمَّ بِرُّهُ كل بَرٍّ ، وأباحَ الآمالَ في الأموالِ[٧]

وأغاثَ الأنامَ منه سِجالٌ ، بعدَ إمحالِهم ، عَقيبَ سِجالِ[٨]

طبَّقَ الأرضَ منه عدل وفضل[٩] ، وكفاها بَوائِقَ الزّلزالِ[١٠]

جعل الله وُدَّكم ـ يا (بني العَبّـ ..... ـاسِ) فرضاً من أشرف الأعمالِ

وعليكم صلاتُنا في التَّحِيّا ت تَوالى ، لأنّكم خيرُ آلِ

يا بني عمّ (أحمد) .. طابَ مَجْنا ـ
كُمْ ، ومن قبلُ طِبتُمُ في الظِّلالِ[١١]

**

أي : في ظلال « الجنّة » ، لقول (العبّاس)[١٢] في مدح النّبيّ ، عليه [الصَّلاةُ و][١٣] السّلام :

---

(٦) المقادة : القياد ، مصدر ميمي . دانت : خضعت .

(٧) البِر ، بالكسر : الخير ، وبالفتح : البارّ ، الصالح . الأموال : في معجم الأدباء « الأحوال » وهو تصحيف .

(٨) السِجال : جمع سَجْل ، بفتح فسكون ، وهو الدلو العظيمة المملوءة ماءً . الإمحال : احتباس المطر ، والإجداب .

(٩) في معجم الأدباء : « طبق الأرض منهم فضلُ عدل » ، وهو تحريف . وطَبَّقها : عَمَّها .

(١٠) البوائق : الدواهي والبلايا تنزل بالقوم ، واحدها بائقة .

(١١) مَجْناكم : في معجم الأدباء « محياكم » . والمجنى : اسم لما يجنى من الثمر .

(١٢) العباس : (ص ١٢/ح٤٨) .

(١٣) الزيادة منّي ، لأن الأمر الإلهي هو بالصلاة والسلام معاً : (يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً) .

مـــن   قبلِها •• طِبْتَ في الظِّـلال ، وفي
مُسْتَوْدَعٍ حيثُ يُخْصِبُ الورَقُ[14]

⁂

وقال يمدحه[15] :

يا خيرَ مستخلَفٍ •• عمَّتْ نَوافِلــهُ ،
وطبَّـــقَ الأرضَ بعدَ المَحْلِ نائلُهُ[16]

أحيَتْ لنا سيرةَ (المَهْدِيّ) سـيرتُهُ
عـــدلاً وبذلاً ، فما تُحصَى فواضلُهُ[17]

إمـــامُ حَــقٍّ ، بِعـــدل الله محتفظٌ
وكـــلُّ شيءٍ حواه فَهْوَ باذِلـــهُ

خيرُ الخـــلائف •• أضحى لا يُنـــازعــه
منهم إمـــامٌ ، وإن جَلَّتْ أوائلُـــهُ[18]

كـ (المصطفى) •• جاءَ بعدَ الأنبيـــاء ، ومـــا
فيهم ، على فضلهم ، خَلْـــــقٌ يُعادِلُهُ

لن يقبَلَ الله من عـــاصٍ لـــه عمـــلاً ،
ومَنْ أطـــاع فـــإنّ الله قابلُـــهُ .

---

(١٤) يخصب : ويروى « يخصف» . أي كنت طيباً في صلب « آدم » حيث كان في الجنة ، ومن قبلها : أي من قبل نزولك إلى الأرض ، فكنى عن الجنة وأعاد إليها الضمير ، ولم يتقدم ذكرها ، لبيان المعنى ، وهو كقوله تعالى : (إنا انزلناه في ليلة القَدْر) ، أي : أنزلنا القرآن ، ولم يتقدم ذكره . والبيت ، من أبيات للعباس ابن عبدالمطلب يمدح بها النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله :
وأنت لمّا وُلِدتَ أشـــرقتِ الـْ   أرضُ ، وضاءت بنورك الأفـــقُ
انّث الأفق ذهاباً إلى الناحية ، ويجوز أن يكون الأفق واحداً وجمعاً كالفُلْك ، كما في لسان العرب ، وضاءت : لغة في أضاءت .

(١٥) رواها ياقوت في معجم الأدباء ٤١/٩ نقلاً عن هذا الكتاب ، ما عدا البيت الأخير .

(١٦) النوافل : جمع نافلة ، وهي العطية ، و ــ ما يفعله المرء ممـــا لا يجب عليه . المَحْل : الجَدْب والقحط . النائل : العطاء .

(١٧) المهدي : هنا الخليفة المهديّ بالله محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي ابن العباس ، أبو عبدالله (١٢٧ـ١٦٩) . (ص١٥/ح٦٠) . الفواضل : النعم .

(١٨) الخلائف : الخلفاء ، وفي معجم الأدباء : « الخلائق » ، وهو تصحيف .

(١٩) كالمصطفى : في معجم الأدباء « فالمصطفى » .

تاج الدين أبو اليُمْن زيدُ بنُ الحسن الكِنْديّ [1]

من أهل « بغدادَ »[2] .

عالم ، شاعر ، نحويّ ، لُغَوِيّ ، عَرُوضيّ ، متفنّن ، مُتقن للأدب محسن ، خبير بالنّقد والتّزييف ، مدقّق في التّقوية والتّضعيف .

لم يزَل مُقرّباً[3] عندَ الملوك ، متاجراً في سوق الفضل من غُرَره بالتّبر المسبوك ، والوَشْي المَحُوك .

ما يكاد يسلَمُ ذو أدب من محاككته ومحاققته ، ومُضايقته في الطّرُق ومُداققته[4] .

---

(1) له ترجمة في : وفيات الأعيان ١٩٦/١ ، ومعجم الأدباء ١٧١/١١ ، وإنباه الرواة ١٠/٢ ، وبغية الوعاة ٢٤٩ ، وغاية النهاية ٢٩٧/١ ، والعبر ٤٤/٥ ، والجواهر المضية ٢٤٦/١ ، ومرآة الزمان ٥٧٥/٨ ، وذيل الروضتين ٩٥ ، والبداية والنهاية ٧١/١٣ ، وتاريخ ابن الأثير ٣١٢/٩ ، والنجوم الزاهرة ٢١٦/٦ ، وتاريخ أبي الفداء ١١٧/٣ ، وشذرات الذهب ٥٤/٥ وروضات الجنات ٣٠٠ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٣٤١/١ ، ومرآة الجنان ٢٥/٤ ، وإشارة التعيين – الورقة ١٩ ، وكشف الظنون ١٠٧٠ ، ١٩٢٥ ، وتلخيص ابن مكتوم ٧١ ، ومختصر تاريخ ابن الدبيثي ٧١/٢ ، والتكملة للمنذري « وفيات ٦١٣ » . ومجلة المجمع العلمي العربي ٢٤٨/٢١–٢٥٥ ، وغيرها ، وفي ترجمة ابن عمه : (علي بن ثروان) في إنباه الرواة ٢٣٥/٢ شيء يتصل به .

(2) ولد ببغداد سنة عشرين وخمس مئة ، وتوفي بدمشق سنة ثلاث عشرة وست مئة ، ودفن بجبل قاسيون . قال قبل وفاته بسنتين في مقطوعة جميلة :

وها أنا في إحدى وتسعين حجةً ... لها فيَّ ارعادٌ مَخُوفٌ وإبراقُ

يقولون : تِرياق لمثلك نافع ، ... وما ليَ إلا رحمةَ الله تِرياقُ

رحمه الله .

(3) في إنباه الرواة ١٢/٢ – وقد نقل نص « الخريدة » هذا : « ولم يزل متقرباً » .

(4) في إنباه الرواة : « في الطرق الخفية ومدافعته » .

وعندَ تعليقي هذا الفصل ، كان مقيماً بـ « القاهرة » ، في خـــدمة الملك (عِزّالدّين فَرُّخْشاه)[٥] ، ابن أخي (صلاحالدّين الملك النّاصر)[٦] ، رحمهم الله تعالى ، له متوزّراً ، وبرداء جاهه متأزّراً ، وذلك في سنة اثنتين وسبعين [وخمس مئة] .

وهو من أقراني وخُلْصاني وخُلاّني ورُفقائي بـ « مدينة السلام »[٧] ، إبّانَ صَبا الصِّبا تَهُبّ من نَشْره برِيّا[٨] ، وروضةُ الرِّضا من مــاء الشّباب خَضِلة ريّا .

***

ومما أنشدني له في الأمير (عزّالدّين فرخشاه) من قصيدة له فيه ، أوّلها يفتخر عند قدومه إلى « مِصْرَ » :

قـدمت ،فلم أترُكْ لذي قدم حُكمـا
كذلك عادِي في العِدا والنَّدَى قِدْما[٩]

---

(٥) هو المنصور الأيوبي ، فَرُخشاه ــ أو : فَرّوخ شاه ــ ، بن شاهنشاه ، بن نجمالدين أيوب ، أبو سعد ، عزالدين : من أعاظم الأيوبيين ، وأماثل عظماء الإسلام وأجلة المجاهدين . استخلفه عمه السلطان صلاحالدين على دمشق وأعمالها ، لما عاد من الشام إلى الديار المصرية ، وشهد مؤرخوه بأنه قام بضبط أمورها وإصلاح أحوالها أحسن قيام . وكان سرياً نبيلاً جليلاً ، متواضعاً ، جواداً صاحب برّ ومعروف ، وشجاعاً مقداماً أبلى بلاءً حسناً في جهاد الفرنج في ساحل الشام ، والتقاهم في سنة ٥٧٤ هـ فهزمهم ، وقتل مقدمهم « هنفري» الذي كان يضرب به المثل في الشجاعة . وتوفي بدمشق في آخر جمادى الأولى ٥٧٨ هـ ، ودفن بقبّته بمدرسته : « المدرسة الفَرُخْشاهية » على الشرف الشمالي . وكان عالماً ، وأديباً فصيحاً مطبوع الشعر والنثر . وقد ترجمه المؤلف في قسم شعراء الشام من هذا الكتاب : (بداية قسم شعراء الشام ١١٣ــ١٣٣)،وأثبت أمثلة من أشعاره،وترجمه أيضاً في « البرق الشامي ــخ» ، ولقبه فيه « الملك المنصور معزالدين » ، وأخباره في : تاريخ ابن الأثير١١/١٨٥ ، ومرآة الزمان ٨/٣٧٢ ، والعبر ٤/٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، والروضتين ٢/١٩،٣٣، وتاريخ أبي الفداء ٣/٦٤ ، والدارس ١/١٦٩ ، ٥٦١ ، وشذرات الذهب٤/٢٦٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/٩٢ ، والنجوم الزاهرة ٦/٩٣ ، وغيرها .

(٦) صلاحالدين : (١/١١) .

(٧) اسم أطلقه المنصور العباسي على مدينته المدورة « بغداد » .

(٨) النشر : الرائحة الطيبة . الرّيّا : الريح الطيبة .

(٩) عادي : عاداتي .

إذا وَطِىءَ الضّرغام أرضـــاً ، تضايقت
خُطـا وحشِها عنه ، فيُوسِعُها هَزْمـا

كمـا مَرَّ بـازٍ في الفَضـاء محلّـِق
رأتـه بُغاثُ الطّير حَتْفاً له حَتْمـا[١٠]

فإن أكُ في صدرٍ من [العمر] شـارِخاً ،
فكم يَفَنٍ •• عن همّتي لَقِيَ الهَمّا[١١]

سـبَقتُ إلى غاياتِ كلِّ فضيلـةٍ ـ
تَعِزُّ على طلابها ـ (العُرْبَ) و (العُجْما)

وملّـكني رِقّ القـوافي بأنّنـي
أحَطْتُ بآداب الورى كلّـِها علمـا !!

فما مُنصِفٌ ممّن ترقّتْ بـه العُـلَى
يَرى فَرْقَه من أخْمَصِي فوقه وَصْما[١٢]

أبى ليَ مجـدي أن يـرانيَ شـاعراً
تُريه مُنـاه أخذَ جـائزةٍ غُنمـا

ولكنّني أُهـدِي الثّنـاءَ لأهلـه
وأُكبِرُه عـن أَنْ أُملّـِكَهُ فَدْما[١٣]

---

(١٠) الباز : لغة في البازي مخففة الياء ، ويقال أيضاً البازيّ بالتشديد والثانيـة افصح لغاته ، ويقال في التثنية : بازيان ، وفي الجمع : بُزاة . وهو ضرب من الصقور التي تصيد ، مشهور . محلق : في الأصل « محلقاً » . البغـاث : (ص ١٧٨/ح٢٦٢) . الحتف : الهلاك . حَمٌّ : قَدَرٌ .

(١١) العمر : سقطت من الأصل . الشارخ : الشاب في أول شبابه ، اليَفَن : الشيخ الكبير أو الفاني .

(١٢) الفَرْق ، من الرأس : الفاصل بين صفين من شعره . الأخمص : باطن القدم الذي لا يمس الأرض . الوصم : العيب ، و ـ العار .

(١٣) الفَدْم : الثقيل الفهم العَيِيُّ .

فآونــةً نثراً تُحَلُّ لــه الحُبـــا ،
وآونــةً تُسبَى العقولُ به نظمــا(١٤)
قــريضٌ هو السِّحرُ الحــلالُ بيـــانُه
تروق معانيــهِ ولو ضُمِّنت شـــتما

**

ومنهــا في مدحه :

بقيت على الأيّـــام في ظـلّ دولـــة
بها البُؤسُ للطّاغي ، وللطّائع النُّعْمَى
مَراضِيك تُستَدعَى ، وراجيك يُرتَجى ،
وغوثُك يُستَرعَى ،وغيثُك يُسْتَهْمَى(١٥)

**

وله من قصيدة ، كتبها إلى (يحيى بن نِزارٍ البَيّع)(١٦) ، ببغدادَ ، مجيباً ومُجيزاً لقصيدة كتبها إليه ، أوّلُها :

ســرى ، وذيولُ الدُّجَى مُرْجَحِنَّه ،
لـ (ظَمْياءَ) طيفٌ .. أضاءَ الدُّجُنَّه(١٨)

---

(١٤) الحبا : (ص ٢٠٨/ح٤٥٢) .
(١٥) يستهمى : يستنزل ماؤه .
(١٦) هو أبو الفضل يحيى بن نِزار بن سعيد المَنْبِجيُّ . شاعر مطبوع ، من أهل « مَنْبِج » من أعمال « حلب » ، ولد بها في المحرم سنة ٤٨٦ هـ . وانتقل إلى دمشق ، فاتصل بالملك العادل نورالدين محمود بن زنكي ، ومدحه بقصائد أجاد فيها . ثم رحل إلى « بغداد » ، فتوطنها ، وتوفي ليلة سادس ذي الحجة سـنة ٥٥٤ هـ ، ودفن بمقبرة « الوردية » ـ وهي المقبرة المعروفة في زماننا بمقبرة الشيخ عمر السهروردي . ولهترجمة في « الذيل » على تاريخ الخطيب البغدادي للسمعاني ، والذيل على « خريدة القصر » للمؤلف نفسه ، ووفيـات الأعيـان ٢/٢٥٤ ، ومعجم الأدباء ٣٦/٢٠ .
(١٧) ألوَيْنَ بالوعد : جحدنه ، أو خالفنه .
(١٨) مُرْجَحِنَّة : متثاقلة ومائلة ومهتزة . الدُّجُنّة : الظلمة .

عَجِبتُ لِمَسْراه .. كيف اهتدى !؟
وأنّى ثناه إلى الوصل حَنَّه ؟

وعهدي بـ (ظَمْياءَ) لا ترتدي
ـ لوعد الوصال ـ سوى الخُلْف جُنَّه[19]

تَبيت ـ على شَغَفي والغرام
وطول انزعاجي بها مُطْمَئِنَّه

إلى أن تصرَّمَ ذاك الغَرامُ
وهانت صبابته المُسْتَكِنَّه[20]

فها أَمَلي .. لا يَمَلُّ الفِراقَ ،
ولا عَنَّ لي مُسْتَهامٌ بدِمْنَه[21]

ولا تستثير دُموعي الطُّلولُ
فتسأل سائله : أين هُنَّه ؟[22]

وكم أحدثَ الغدرُ من سَلْوَةٍ
لذي صَبْوَةٍ .. عندَهُ الوَجْدُ فِطْنَه[23]

**

ومنها :
أغَنُّ .. تَغانَجُ ألحاظُه ،
ومن أين للظَّبي غُنْجٌ وغُنَّه ؟[24]

---

(١٩) الخُلْف : اسم من الإخلاف ، وهو التغيُّر . الجُنّة ، بضم الجيم : كلّ ما وَقَى من سلاح وغيره .

(٢٠) تصرّم : تقضى . المستكنة : الخافية .

(٢١) عَنّ : عرض . المستهام : العاشق المشغوف حباً . الدِّمنة : آثار الدار .

(٢٢) الطلول : جمع الطَّلَل ، وهو الشاخص من آثار الديار .

(٢٣) الصبوة : الميل الى اللهو ، و ـ الحنين والتشوق . الوجد : الحب .

(٢٤) الأغن : من كان في صوته غُنَّة ، وهي صوت يخرج من الخيشوم . تغانَجُ : تتغانَجُ ، حذف تاؤه تخفيفاً ، وهو قياسي في المضارع ، ومعناها تظهر الدلال، يقال : غنِجت المرأة ، وتغنّجت ، فهي مِغناج وغَنِجَة ، ولم تدون دواوين اللغة تغانَجت . والغُنج في الجارية : تكسر وتدلل . وقيل الغُنج ، ملاحة العينين .

من (التُّرْك) يُنكِر حَلْبَ النّيـاق

إذا (العُرْبُ) أَنكَرْنَ جذبَ الأَعِنّه[٢٥]

أُعاطيـه كلَّ مُـدامٍ •• يَخِـرُّ

لِأَكْؤسِـها كلُّ عُسّ وجَفْنَـه[٢٦]

رُوَيْدَكَ ــ يا (ابنَ نِزارٍ) ــ فمـا

لشكري بحمـل أياديـك مُنَّـه[٢٧]

فضحتَ جهـاتِ ثنـائي عليـك

بمـا قـد فضحت بـه كلَّ مُزْنَه[٢٨]

أتتني القـوافي الّتي زانَهـا

لفضلـك مـن كـلّ معنىً مَئِنَّـه[٢٩]

وهـذا الجـواب • فسَتْراً علـى

ظهـور قَبيحَيْهِ : عيبٍ وهُجْنَـه[٣٠]

فأنت الّذي لـم يَخِبْ سـائلٌ

لَدَيْهِ ، إذا قال : هل ؟ قلتَ : إنّـه[٣١]

***

قال (ابن نِزار) :

وممّا كتب (التاج أبو اليمن الكِنْديّ) إلى والدِي[٣٢] :

هـذه •• مبـدأ الرّسـائلِ ، بـل أوّلُ الخِـدَمْ

---

(٢٥) الأعنة : جمع العنان ، بكسر العين ، وهو سير اللجام الذي تمسك به الخيل والدواب .

(٢٦) العُسّ : القدح الكبير . الجَفْنَة : القَصْعَة ، وهي وعاء يؤكل فيه ويثرد . وكان يتخذ من الخشب غالباً .

(٢٧) رُوَيْدَك أخاك : أمهله . المُنّة ، بضم أوله : القوة .

(٢٨) المُزنة : السحابة ، و ــ المطرة .

(٢٩) المَئِنّة : علامة الشيء ، يقال : إن قِصَرَ الخطبة مَئِنّة من فقه الرجل . وكل شيء دلّ على شيء فهو مَئِنّة له .

(٣٠) الهُجنة : العيب والقبح .

(٣١) إنّه : نعم ، والهاء للسكت ، انظر (ص ٦٣ / ح ٣٧) .

(٣٢) هذه الأبيات ، في ترجمته في « إنباه الرواة » ١٣/٢ ، وقد علق عليها محققه بقوله : إنها « ليست في نسخة الخريدة التي بين أيدينا » .

ليس إلا التــــزامُ مـــــا	كان مولايَ قـــد رَسَــمْ
أيّهـــا العـــالم الّــذي	شـــيّد المجـــد بالكَرَمْ[٣٣]
والّــذي فضلُـــه أقـــــا	مَ مـــديحي على قَــدَمْ
قـــد رُزِئْنـــا وِصـالَكم ،	والرّزايـــا لهـــا قِيَمْ[٣٤]
فلهــــذا دُموعُنــــــا	بعـــدَكم فيضُهُــــنَّ دَمْ

⁂

وكان بِـ « حلب » قبلَ مسيره إلى « مِصْـــرَ » ، متخصّصـــاً بالأمير (بدرالدّين حسن)[٣٥] ،][٣٦] أخي (مجدالدّين بن الدّاية) ، ثم كتب إليه بعد مفارقته ، يُعرب عن معاتبته :

---

(٣٣) في إنباه الرواة : « والكرم » .

(٣٤) رُزِئنا وصالكم : اُصِبنا بنقصه أو انقطاعه ، يقال : رزَأه مالَه : صاب منه شيئاً فنقصه . وقوله « قِيَمْ » : لعل صوابه « قِسَمْ » .

(٣٥) هو من أمراء الدولة النّورية ، من بني الداية التركمانيين . وهو بدرالدين حسن بن محمد بن نوشتكين ، وأمه داية الملك العادل نورالدين محمود بن زنكي ، ومعنى الداية المرضعة ، وكان هو وأخواه شمس‌الدين علي بن الداية ، ومجدالدين أبو بكر محمد بن محمد ، بحلب ، استنابهم نورالدين فيها ، وسلم امورها اليهم ، فأحسنوا الولاية فيها والتدبير ، وأبلوا معه في جهاد الصليبيين الغزاة بلاءً حسناً ، وكانوا من أعظم أعوانه في حروبه . وذكر المؤرخون (ابن العديم وابن الاثير والذهبي وغيرهم) : أن مجدالدين أسر أميرين من أمراء الفرنج ، وقادهما ذليلين صاغرين إلى قلعة حلب : أسر جوسلين بن جوسلين Jocelline II وكان شديداً على المسلمين منكراً خبيثاً فعظمت على الفرنج المصيبة بأسره ، وكان ذلك في سنة ٥٤٦هـ ، وأسر البرنس الثاني في موقعـــة عظيمة حين أغار الفرنج على بلد « عين تاب » ، وأخذوا التركمان ونهبوا أغنامهم ، فخرج اليهم مجدالدين ، ولقيهم بـ « الجومة » ، وقتل منهم خلقاً عظيماً ، وأسر البرنس الثاني وخلقاً من الفرنج معه دخل بهم الى « حلب » والقاهم في القلعة ، وكان‌ذلك في مستهلّ ذي الحجة من سنة ست وخمسين وخمس مئة للهجرة . وقد وهن شأن بني الداية ، وذهبت دولتهم بعد وفاة نورالدين ، على يد سعدالدين الذي استبدّ بتدبير امر الملك الصالح ، فقبض على شمس الدين بن الداية وأخويه وغيرهم ، ولولا مرض شمس‌الدين لم يتمكن منه ، ولا جرى مـن ذلك الوهن شيء كما قال ابن الأثير في « التاريخ الباهر » ، وكان أمر الله قدراً مقدورا .

(٣٦) هنا في الأصل المصوَّر صفحتان بيضاوان ، وبعدهما في أول الصفحة الثانيـــة من اللوح ٢٠٨ : « كانت عوادة محسنة .. »، وهو كلام غير مرتبط بالترجمة .

بنفسيَ من أعلقتُ كفّي بحبله ... فأصبح لي في ذِرْوَة المجد غاربُ[37]
وَجَدْتُ به مولىً مَرِيعاً جَنابُه ... منيعاً، تُرَجَّى من يديه المواهبُ[38]
تعمَّدَ إيناسي إلى أن لَقِيتُه ... كأنّي له من ضَجْعَةَ المهد صاحب
وأدنى سِراري من سرائر قلبه ... فلم يبقَ من دون الضّميرين حاجب[39]
وكان عصا (موسى) لديَّ وِدادُه ... أَظَلُّ وليِ، ماعِشتُ، فيه مآرِبُ[40]
فصار يَرى بالظّنّ فِيَّ معايباً ... تَوَهَّمُها في وُدِّ مثلي مَعايبُ
ولا عجَبٌ إنْ غيَّرَ الدّهرُ صاحباً، ... فكل تصاريف الزّمان عجائبُ!
رماني بأمرٍ .. لا أبوح بذكره، ... وأَقْبَل بالإعراض عنّي يُعاقبُ
وأظهر لي حسنَ اللقاء تكلّفاً ... ومن تحتِ إحسان اللقاء عقاربُ
وإنّي، على عَتْبِي عليه، لَشَيِّقٌ ... وإنّي، على شوقي إليه، لَعاتِبُ[41]
ولا ذنبَ منّي، غيرَ أَنّي ذَخَرْتُه ... لدهري، ألا إنّي إلى الدّهر تائبُ
سيعلَمُ ـــ والأيّام فيها كفايةٌ، ... إذا ملْتُ عنه ـ قدرَ مَنْ هو ذاهبُ

وقد كتب خلف اللوح ٢٠٧ ما يأتي: « من ٢٠٧ الى ٢٠٩ بياض ». وقد أفدت ما ذهب من الترجمة، من كتاب « إنباه الرواة » ٢/١٣–١٤، الذي نقل كلام العماد من «الخريدة» الى آخر الأبيات. والظاهر أن بعدها شعراً آخر للكندي، أسقطه مؤلف الإنباه، بدلالة البيتين اللذين ألحقتهما بهذه القصيدة، وقد وجدتهما في النسخة الباريسية المختصرة من « الخريدة »، وبهما ختمت فيها ترجمة الكندي.

(٣٧) الغارب، من كل شيء: أعلاه.

(٣٨) مَرِيع الجناب: خصيب الناحية، وهو كناية عن السخاء.

(٣٩) السِرار: المناجاة والإعلام بالسّرّ. السرائر: جمع السريرة، وهي ما يُكتَم ويُسَرّ.

(٤٠) تلميح إلى الآية الكريمة « ٨/طه »: (قال: هي عَصايَ أتوكّأ عليها وأهُشُّ بها على غنمي ولِيَ فيها مآربُ أُخْرَى) أي: حاجات أخرى مهمة، كأنْ يتقي بها ضرراً، أو يبسط عليها ثوباً ويستظل.

(٤١) شيِّق: مشتاق. وضعاف الكتاب في زمانا يستعملونه بمعنى « شائق » خطأً.

وإن هو بعـــدي جَرَّبَ النّـــاسَ كلَّهم
ليَحْظَى بمثلي ، نَدَّمَتْـــهُ التّجارِبُ][42]

**

[وله :
إنّي كتبتُ إلى الحبيب رســـالةً عن مُهْجَةٍ لم يبقَ غيرُ ذَمائِها[43]
من فـرط شـــوقي إن أردت طَمَسْتُها
من مُقْلَتي بسَوادها، لا مائهـــا][44](*) .

---

(٤٢) آخر المنقول من « إنباه الرواة » .
(٤٣) المهجة : دم القلب ، و ـ الروح . الذَّماء : بقية الروح في المذبوح وغيره .
(٤٤) الفرط : الزيادة .
(*) البيتان ، من ب . وللكندي ، شعر غير قليل .. متوزع في ترجماته ، ومنه قصيدة هائية « ٤٨ بيتاً » في مدح الأمير عزالدين فَروّخ شاه الأيوبي، بارى بها قصيدة للعماد الكاتب ، وأثبتها المؤلف في ترجمته في قسم شعراء الشام : « بداية قسم شعراء الشام ١٢٩ ــ ١٣٣ » ، وفي كتابه « البرق الشامي » ، واختار منها أبو شامة في « الروضتين » ٣٤/٢ خمسة عشر بيتاً ، وهي من جيد الشعر .

[الشَّيخ الإمام فخر الرُّؤساء [1]

أبو العِزّ[2] محمّد بن محمّد بن مواهب الكاتبُ المعروفُ بابن الخُراساني

علاّمة الزّمان في الأدب والنّحو .

متبحّر في علوم الشعر ، « قادر على نظمه »[3] .

له خاطر كالماء الجاري .

ينظم ما[4] شاء في ساعة واحدة .

ديوانه خمسة عشرَ مجلّداً[5] .

غزير العلم ، ذكيّ الفهم[6]] .

***

---

(١) ما بين المعكوفين ، سقط من الأصل المصوّر . والمثبت ، من النسخة الباريسية المختصرة ـ اللوح ٤٢ ص ١ ـ ، وقد نقله القفطي في إنبـــاه الرواة ٣/٢١٤ ، والسيوطي في بغية الوعاة ١٠١ ببعض زيادات واختلاف كما سأنبّه على ذلك في مواضعه . وترجمة أبي العزّ ، في : فوات الوفيات ٢/١٤٥ ، والوافي بالوفيات ١/١٥٠ ، ومعجم الأدباء ١٩/٤٦ ، وبغية الوعاة ١٠١ ، وتلخيص ابن مكتوم ٢٣١ ، وتلخيص مجمع الآداب ج٤/ق٣/٣٧٣ ، وإنباه الرواة ٣/٢١٣ ، ومختصر تاريخ ابن الدبيثي ١/١١٩ ، ولسان الميزان ٥/٣٧٠ ، وشذرات الذهب ٥/٢٧٥ ، وروضات الجنات ١/١١٤ ، والعسجد المسبوك ـ خ ، الورقة ٩١ في مكتبـــة المجمع العلمي العراقي .

(٢) في فوات الوفيات : « أبو العزيز » ، وهو تحريف .

(٣) هذه الفقرة ، من إنباه الرواة ، وبغية الوعاة .

(٤) الأصل : « مهما » ، ووقع مثلها في تلخيص مجمع الآداب ، وكذا في بغية الوعاة ، والعبارة في إنباه الرواة : « يقدر على نظم ما شاء في ساعة واحدة » ، ومثلها في بغية الوعاة باستثناء « ما » التي رسمت فيها « مهما » .

(٥) عبارة الإنباه : « ديوانه يشتمل [البغية : مشتمل] على خمسة عشـــر مجلدا » . وقال ياقوت في معجم الأدباء : « ديوانه .. كبير ، يدخل في عشر مجلدات لطيفة » .

(٦) في الإنباه والبغية : « وهو واسع العبارة ، كثير النظم ، غزير العلم ، ذكي الفهم » ، وفي البغية : « زكي الفهم » بالزاي ، وهو تصحيف .

[(٧) مدح الخلفاء ، والوزراء .

وله مصنّفات أدبيّة(٨) .

وتغيَّرَ ذهنه في آخر عمره .

وتـُوُفّي سنةَ ستَ وسبعين وخمس مئة(٩) ، وله اثنتان وثمانون سنة] .

***

[قال يمدح (المستضيء بالله)(١٠)] :

تَهْمِي أناملـُه الشّريفة بالحَيَـــا فكأنّمـــا هيَ دِيمةٌ وَطْفاءُ(١١)

(المستضيءُ) المستضاءُ برأيــــه والنّاسُ .. ليلةُ شكّـِهم لَيْلاءُ(١٢)

***

(٧) هذه الزيادة ، من فوات الوفيات ٢/٣٠٠ . وهي نص كلام العماد الكاتب ، نقله ابن شاكر الكتبي الى كتابه .

(٨) ذكر ياقوت في معجم الأدباء من مصنّفاته : كتاب « العروض » وقد كان شديد العناية به ، وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات معه كتاب « النوادر المنسوبة إلى حدّة الخاطر » . وقد كان ابو العز ــ كما قال القفطي ــ : « ذا بادرة حسنةَ في جواباته وابتداءاته ، يتذاكرها العلماء ببغداد » .

(٩) قال ياقوت : « ولد سنة أربع وتسعين واربع مئة، ومات يوم الأحدمستهلّ [شهر] رمضان سنة ست وسبعين وخمس مئة » . وقال القفطي : « مولده في سنة اربع وتسعين واربع مئة ، والأظهر انه قبل ذلك ، والله أعلم . وتوفي في يوم الاثنين مستهلّ شهر رمضان من سنة ست وسبعين وخمس مئة ، ودفن بالوردية » . قلت : والوردية ، هي « مقبرة الشيخ عمر السهروردي » الحالية ببغداد ، وقد زال عنها اسم الوردية ، فلا يعرف اليوم . وورد تاريخ وفاته في فوات الوفيات ٢/١٤٥ سنة ست وتسعين وخمس مئة ، وهو من خطأ الناسخ .

(١٠) شعره يبدأ من أول اللوح ١٢٣ رأس صفحته الثانية . وقد أفدت هذه الزيادة من مضمون البيت الثاني ، والمستضيء بالله من الخلفاء العباسيين ، ترجمته في ١/٩ . وقد تفردت « الخريدة » ، من بين تراجم أبي العز ، بايراد أشعاره هذه في المستضيء بالله . وقال ابن الدبيثي في « المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد » ١/١١٩ : « مدح [أبوالعز] الإمام المسترشد ومن بعده من الخلفاء والوزراء » ، وأورد أربعة أبيات له في مدح المسترشد بالله .

(١١) تهمي : تسيل ، الحيا : المطر . الديمة : السحابة . الوطفاء : المتدلية الذيول . يصف المستضيء بالجود الفياض ، وقد ذكر مؤرخوه من جوده الشيء العجب .

(١٢) ليلة ليلاء : طويلة شديدة صعبة ، أو الليلاء : ليلة الثلاثين ، وهذا هو الملائم هنا .

وله فيه :

صرَفْتَ صُروفَ الدّهر عنّا ، فَولَّتِ
وأزعجتَها بالخوف ، حتّى استقلَّتِ [13]

فيا للعَطايا منك قد عَمَّتِ الورى ،
فقد نقَعَتْ صدري الأماني وبَلَّتِ

بقِيتَ ، أميرَ المؤمنين ، لأُمَّة
بطِبِّك من أمراضها قد أَبَلَّتِ [14]

أَسَمْنا المُنَى في روضك الوَحْف نَبْتُهُ ،
فقد أَحْمَضَتْ مرعيّةً ، وأخَلَّتِ [15]

وقمتَ بأعباء الخِلافة ناهضاً ،
ولو حَمَلَتْهَا الرّاسيات ، لَزَلَّتِ [16]

رعيتَ الرَّعايا رِعْيَةً نَبَوِيّةً
فعزّت ، ولولا أنت .. هانت وذَلَّتِ

إليكم – (بني العبّاس) – تنتسب العُلَى ،
وتُفْضِي . ولولا أنتمُ ، لاضْمحلَّتِ [17]

---

(13) استقلت : مضت وارتحلت .

(14) أبلّت : برَأت .

(15) أسمنا المنى : أرعيناها حيث شاءت ، انظر (ص ١٦٨/ح١٩٧) . الوحف : الغزير الأثيث . أَحْمَضَت : أصابت الحَمْض ، وهو من النّبات كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له . الأصل: « أخمصت »، وهو تحريف . أخلّت رعت الخُلّة ، والخُلّة من النبات : ما كان حلواً ، والعرب تقول : « الخُلّة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها » ، ويقال : لحمها. والكلام هنا على سبيل الاستعارة .

(16) الأعباء : جمع العِبْء ، وهو الحمل ، و – الثقل من أي شيء كان . الراسيات : الثابتات الراسخات ، صفة للجبال .

(17) بنو العباس : (ص ١٢ / ح ٤٨) . تفضي : تنتهي .

منـــاقبُكم ، ترْبي على الرَّمْل والحصى ،
وأنتم نجومٌ .. في السَّـــماء تَعَلَّتِ[18]

إذا جُرِّدَتْ يوماً ظُبَـــا عَزَماتــه ،
فقُلْ في سُيوفٍ..في الهَزاهِزِ سُلَّتِ ![19]

عليـه ســلامُ الله ما هبَّتِ الصَّبَـــا ،
وما وُبِلَتْ مَيْثاءُ أرضٍ وطُلَّتِ[20]

فكم من دمــاء للأعادي هَراقَهـــــا
بأســـــيافه يومَ الجِــلاد ، فطُلَّتِ[21]

⁂

وله في مدحه :

ســماؤكَ ثَـــرَّةٌ ، وحَيَـــاك غائِثْ
وأنت لميِّتِ الآمـــــــال باعثْ[22]

إمامَ العصــرِ .. دُمْ ما شــئتَ حَيّــاً ،
فإنّـــــك للعُلى والمجـــــدِ وارثْ

---

(١٨) ترْبي : تَزِيد .
(١٩) الظُبا : جمع الظُبَة ، وهي حدّ السيف والسنان والخِنْجَر وما أشبهها. استعارها للعزمات .
(٢٠) وُبِلت : مُطِرت وابلاً ، وهو المطر الشديد الضخم القطر . ويقـــال : وَبَلَتِ السماء ، تَبِلُ ، وَبْلاً ، ووبولاً ، ووبلت السماءُ الأرضَ . طُلّت : أصابها الطَلّ ، وهو المطر الضعيف يكون له أثر قليـل ، وفي القرآن الكريم : (إن لم يُصِبْها وابلٌ فطَلٌ) . الميثاء : الأرض اللينة السهلة .
(٢١) هَراقَ ، وأَهْراقَ : سفك . طُلَّ دم القتيل : أُهدِر وأُبطِل ولم يُثأر به ولم تؤخذ دِيَتُه .
(٢٢) ثرة : غزيرة الماء . الحيا : المطر .

بَقيت ، (أبــا محمّــــدٍ) ، المُرَجّى
لِتــــدفَعَ عن رعـــاياك الـــكوارثْ

تَدِينُ لك الملوك الصّيـــــدُ طُرّاً ،
وتَفْرَقُــك المُلِمّـــات العوابثْ[٢٣]

حَنــانُك مُســــرعٌ ، ورِضــاك دانٍ ،
وسُخطُك .. عن ذوي الإجرام رائِثْ[٢٤]

وجـــــارُك آمِنٌ نُوَبَ الليـــالي ،
يَحِلُّ بنَجْوَةَ عن [كلِّ] حـادثْ[٢٥]

ولا بَــرِحَتْ عهودُك مُحْصَــداتٍ ،
مَــرائِرُهُنَّ ليســـــت بالرَّثائثْ[٢٦]

تُناجيــــك الظّنــون بــكلّ غيب ،
كأنّــك للغيوب .. بها مُحــــادِثْ

لك الهِمَمُ العُلَى الشُّمُّ ، اللــواتي
غدَوْنَ على النَّدَى الهـامي بواعثْ[٢٧]

---

(٢٣) الصِّيد : جمع الأصيد ، وهو ذو الحَوْل والطَّوْل من كل ذي ســـلطان . تفرقك : تخافك ، يقال : فرِق منه فَرَقاً : جزع ، وحكى سيبويه : فرِقه ، على حذف « مِنْ » . الملمات : شدائد الدهر .

(٢٤) رائث : مبطىء ، يقال : راث يَرِيث رَيْثاً ، وفي المثل : « رُبَّ عجلـــة تَهَبُ رَيْثاً » .

(٢٥) النُّوَب : النوازل والمصائب . النَّجْوَة : المرتفع من الأرض ، ويقال : هو بنجوة من كذا : بعيد عنه ، بريء ، سالم . كلّ : سقطت من الأصل .

(٢٦) المرائر : العزائم . محصدات : قويّات شـــديدات . الرثائث : البوالي الضِعاف .

(٢٧) الشم : جمع الأشم ، وهو المترفّع . الندى : المطر ، و ـ الجود ، وهو نديّ الكفّ : جواد . الهامي : السائل .

لك النَّبَـــأُ الذي حسُنت ، وطـــابت
به عنــك الأقــاوِلُ والأحــادِث°[٢٨]

فدُمْ ــ يا ابنَ الأئمّة من (قُرَيْش) ــ
فلولا أنت ، أعْوَزَتِ المَغــــاوِث°[٢٩]

إذا أقســـمتُ إنّك خيرُ خَلْـــقٍ
تَولّى المســلمين ، فلستُ حـانث°[٣٠]

بذَلْتَ الـــزّادَ بَذْلَ فتىً جــوادٍ ،
فأقلعتِ المَخـــــامِصُ والمَغارِث°[٣١]

وجُـــدْتَ بما لَدَيْك بـلا حســاب ،
فأغصــــانُ المُنَى خُضْرٌ أثائِث°[٣٢]

وأجفلتِ المَفـــاقِرُ مُســـــرعاتٍ ،
وقـــد كانت مُقيمـــاتٍ لَوابِث°[٣٣]

خَسَأْتَ صُروفَ هـذا الدّهر عنّـــا ،
وكُنَّ بنـــا مَخَالِبُهـا ضَوابث°[٣٤]

---

(٢٨) أي الأقاويل والأحاديث ، ولأهل اللغة في حذف الياء من أمثالهما كـــلام لا يحتمله الموضع .

(٢٩) المَغاوِث : جمع المَغُوثة ، وهي المعونة والنصر .

(٣٠) الحانث : الذي لم يبرّ في يمينه ، الآثم .

(٣١) المخامص : المجاعات ، جمع مخمصة ، ومثلها المغارث ، وهي في الأصـــل « المقاوث » .

(٣٢) الأثائث : جمع أثيثة ، وهي من النّبات الكثير الملتفّ .

(٣٣) اجفلت : مضت وأسرعت . المفاقر : وجوه الفقر ، يقال : سد الله مفاقره . أي : اغناه . لوابث : مقيمات ، جمع لابثة . في الأصل « كواكث » .

(٣٤) خَسَأْتَ : طردت وأبعدت . الصروف : جمع الصَّرْف ، بفتح فسكون ، وهو حدثان الدهر . الضوابث : جمع ضابثة ، وهي القابضة بكفها على الشيء .

ووَرَدْتَ المُنَى جُمّاتِ نيلٍ ،
فأرويتَ العِطاشَ بها اللواهثْ[35]

فلا عَدِمتْ إمامَتَك الرّعايا ،
ولا مَرّتْ بساحتك الكوارثْ

ونِلْتَ السُّؤْلَ .. ما اتّفق الأغاني ،
وما اختلف المَثانِي والمَثالِثْ[36]

⁂

وقال يمدحه ، ويذكُر ورود الخبر بفتح « مِصْرَ » ، والخُطبةِ له بها[37] :

جاء البشيرُ ، فسُرّ النّاسُ وابتهجوا ،
فما على ذي سرورٍ بعدَها حَرَجُ

أُقيمت الدّعوة الغَرّاء معلِنةً
(للمستضيء) بـ « مِصْرٍ » ، واستوى العَرَجُ

هو المُطاع الّذي قامت دلائلُه ،
وكلُّ ذي لَسَنٍ .. بشكره لَهِجُ

لذكره عَبَقٌ في كلّ ناحية ،
فالكونُ أجمعُ من أنبائه أَرِجُ[38]

وأذعن الخَلْقُ باديهم وحاضرُهم
لمالك الأمر ، واستعلت به الدّرَجُ

---

(35) الجُمَّة : معظم الماء .
(36) السُّؤل : ما سألته . المثاني والمثالث : من أوتار العود : (ص ١٠٤/ح١٠٠).
(37) انظر : (ص ٩/ح٢٧) ، و (ج١/ص١٣) .
(38) العبق : لزوق الطيب وانتشار رائحته . أرج : منتشر به الطيب .

بـ (المستضيء) أضاءت كلُّ داجيــــة ،
كأنّمــا أُوقدت بينَ الورى سُــرُجُ،[39]

أعطى من المـال ما لم يُعطِـه أحـــــد
لله منـــه خِضَمٌّ كلُّـــه لُجَجُ،[40]

يا أهلَ « مِصْرَ » ! لقد جاءت سعادتكم ،
واستوضحت سُبُلُ الطّاعاتِ ، فابْتَهِجُوا

صِــرتُم رعيّــة خير الخلق كلّهِمُ ،
مَـــنْ حبُّــه بدماء الخلق ممتــزجُ

اليومَ أصبحتُمُ ــ يا أهلَ « مِصرَ » ــ لكم
راعٍ ، وعهدي بـــكم وأنتُمُ هَمَجُ،[41]

فالحمــد لله حمــداً لا انقضــاءَ لـــه
ما حنّتِ النّيبُ ، أو ما مَدّتِ الخُلُجُ،[42]

⁂

وقال يمدحه :

حلومُكَ أرسى من « شَمامٍ » وأرســخُ
ومجدُكَ أعلى من « ألالٍ » وأشــمخُ،[43]

---

(39) الداجية : الظلمة .

(40) الخضم : البحر الواسع . اللجج : جمع اللُجّة ، وهي معظم البحر وتردد أمواجه .

(41) الهمج : ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الغنم والحمير ، و ــ الرّعاع من الناس لا نظام لهم ، و ــ الحمقى .

(42) النّيب : النياق المسنة ، الواحدة ناب . الخُلُج : جمع خليج .

(43) شَمام : اسم جبل لباهلة مبني على الكسر ، وله رأسان يسميان « ابنيْ شمام » . ألال : جبل بعرفات ، عليه يقوم الإمام ، وقيل : جبل عن يمين الإمام ، وقيل : ألال جبل عرفة نفسه .

وذكرُكَ مـــا بينَ الأنام كأنّـــــــــه
ـــوقد ضاعَ بالمسك السَّحيق مُضَمَّخُ[٤٤]

بقيتَ ، أمـــــيرَ المؤمنين ، مُخلَّـــــداً
فإنّك مهمـا دُمتَ ، فالرُّوعُ مُفْرِخُ[٤٥]

اذا ذُكِـــرتْ أنبـــــاء فضلك في الورى
لدى معشـــر ، أثْنَوْا عليك ، وبَخْبَخُوا[٤٦]

حَمى الملكَ ، ابنُ الخلائف ، ماجـــــدٌ
هُمـامٌ شديدُ البأس ، أَصيَـدُ ، أبلخ[٤٧]

فضائلــــه تُربِي على الرَّمـل كَثـرةً ،
على أنّها تُرْوَى ، وتُتْلَى ، وتُنْسَخُ[٤٨]

عُقودُ عُهودِ (المستضيء) وكَيــدَةٌ
أبَتْ أنهـــا ، ما دامتِ الأرضُ ، تُفْسَخُ

مهابتُـــــه ، دِرعٌ عليــه حصينـــــةٌ ،
وبــينَ حِمـــــاه والحوادثِ بَـرْزَخُ

إذا الحربُ حَشَّتْها الكُمـــــاة ، كأنّهـــا
طُهـاةُ قُدَيْـرٍ في الشّتاء وطُبَّخُ ،[٤٩]

---

(٤٤) ضاع المسك يضوع ضوعاً : انتشرت رائحته . السحيق : المسحوق . مضمّخ : ملطّخ .

(٤٥) الرُوع : القلب . مُفْرِخ : منكشف عنه الفزع خال من الهم ّ .

(٤٦) بخبخوا : قالوا بَخٍ بَخٍ ، وبَخْ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء ، أو المدح ، أو الفخر . تقول : بَخْ ، وبَخٍ . وتقول مكرراً : بَخْ بَخْ ، وبَخٍ بَخٍ .

(٤٧) أصيد : (ح٢٣) . أبلخ : بيّن البَلَخ ، وهو التكبّر .

(٤٨) تربي : تزيد .

(٤٩) حشتها : أضرمت نارها . الكماة : لابسو السلاح ، و ـ الشـــجعان المقاديم الأجرياء كان عليهم سلاح أو لم يكن . الواحد كميّ . الطهـــاة : الطباخون ، الواحد طاهٍ . القدير : تصغير القدر ، قال الأزهري : « القدر مؤنثة عنـــــد جميع العربِ ، بلا هاء ، فاذا صغرت قلت لها : قديرة وقدير ، بالهـاء وغـير الهاء » ، وقدير ، بلا هاء ، على غير قياس .

عـــدا مَطفئــاً نيرانَهـــا بعزائم
تفلّـــق هامـــاتِ الكُمـــاة وتَشْدَخُ[٥٠]

لمجـد أميرِ المؤمنـــين مُحَلّـــق،
يطول دراريَّ النّجـوم، ومَرْسَـــخُ[٥١]

أُقيمت لــه في «مِصْرَ» أيّــةُ دعوة
ســتُثْبَتُ في أيّامـــه وتُؤَرَّخُ

وكم أَرْؤُسٍ للأدعيـــاء عُداتِـــه
تُــرَضّ بمِـــرداة الهوان وتُرضَخُ[٥٢]

يجـود بمـا تحوي يـداه تبرّعـــاً
ويُجزِل ما يُعطيـــه طوراً ويَرْضَخُ[٥٣]

كمـا ســحَّتِ الأَنواء طَلاً ووابـــلاً
وجـادت بما يُروِي البلادَ وينضَخُ[٥٤]

يُـلام على بـــذل المواهب والنّـدَى
ويُلْحَى على إحســانه ويُوَبَّـخُ![٥٥]

فيُعـرض إعـراضَ الـكريم بســمعه
ويثبُتُ كالطّوْد الأشـــمّ ويرسَـــخُ

---

(٥٠) شدخ رأسه: شجّه، أي شق جلده. وشدخ دمه: أهدره وأبطله.
(٥١) مرسخ: في الأصل «مرشخ»، وهو تصحيف.
(٥٢) المِرداة: صخرة تكسر بها الحجارة. تُرضَخ: تُرَضّ وتكسر.
(٥٣) يجزل العطاء: يوسعه ويكثره. يرضخ: يعطي قليلاً من كثير.
(٥٤) سحّت: صبت صبّاً كثيراً متتابعاً. الأصل «سمحت». الأنواء: الأمطار. الطَلّ والوابل: (ح ٢٠). نضخ الماءُ: اشتد فورانه من ينبوعه، ونضخ الشيءَ: بلله ورشّه.
(٥٥) يلحى: يلام ويعذل. وهذا البيت من أن أشنع ما يقال في مـدح إنسان عادي، بَلْهَ الخليفة.

فيا حُسنَها من سيرة (عُمَرِيّة)!
ومِلَّةِ عدلٍ .. دِينُها ليس يُنْسَخُ![٥٦]

رعاها الإمام (المستضيء) بنفسه
وقام بها يَزْهَى كريساً ويشمَخُ.[٥٧]

⁂

وقال يمدحه، ويهنّئه بـ [شهر] رَجَب سنةَ ستٍّ وستّين وخمس مئة:

مُلكُ الإمام (أبي مُحَمَّدْ) — وبقاءُ دولتِه مؤبَّدْ
مَلَكَ القلوب، مَحبّةً — منه، عظيم القدر أوحَدْ
(المُستضيءُ) المُستَضا — ءُ بنوره، والخَطْبُ أسوَدْ
العادلُ السَّمْحُ، الجوا — دُ بماله، والعام أجْرَدْ
يا ابنَ الخلائف من (قُرَيْـ — شٍ) والمُمَلَّكُ والمُمَجَّدْ[*]
إسعَدْ بذا الشّهر الحرا — م، فملكك الباقي المُخَلَّدْ
وتَمَلَّ أعوامَ السِّنيـ — ـن برُغمِ أعداءٍ وحُسَّدْ[٥٨]
واخلُدْ طَوالَ الدّهر، ما — غنّى الحمام به وغَرَّدْ
فلأَنت أَولى مَنْ تُنا — طُ به عُرا أملٍ وتُعْقَدْ

---

(٥٦) سيرة عمرية: أي عادلة في حكم الرعيّة كسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، المضروب بها المثل على مدى الزمان. الملة: الشريعة أو الدين كملّة الإسلام والنصرانية.
(٥٧) زُهي بالشيء زهواً: أعجب به، فهو مزهوٌّ، وهي مزهوّة. وزها يزهو زَهْواً وزُهُوّاً: تاه وتعاظم وافتخر.
(*) الأصل: «الملك المجد».
(٥٨) رعاها: الأصل «دعاها». تملى عمره: استمتع فيه، وتملى العيش: أُمهل له فيه وطُوّل.

حتّى تُجـــــاوزَ في السُّمُـ ••••ـوّ بأُفْقها نَسْراً وفَرْقَدْ[٥٩]

أرعيتَ آمـــــالَ الأنـــــا م رياضَ وَحْفِ النّبتِ أغيَدْ[٦٠]

أنت الّذي أنشـــــرتَ آ مالَ الورى من قعرِ مُلْحَدْ[٦١]

فاسلَمْ لهـــا ولأهلهـــا وللملكك العالي المُوَطَّـــدْ[٦٢]

في دولـــة •• تَرِثُ النّشـــو رَ ، وتستقلُّ عُلىً ، وتصعَـــدْ

⁂

وقال أيضاً يمدحه ، ويهنّئه بعيد الفِطْر :

إسعَدْ ، إمامَ الهدى ، بعيـــدِ وافـاك بالطّـالع السَّـــعيدِ

وابْقَ لدُنيـا معـاً ودِيـــنٍ وبسطِ عـــدلٍ وبذلِ جـودِ

في دولة •• عمرُهـــا طويـــلٌ ، أمـــدَّهُ اللهُ بالخـــلودِ

فقـد نعَشْـتَ الأنـام طُرّاً يا مُنشِرَ الخلق من لُحُودِ!![٦٣]

ويا ابنَ عـــمِّ النَّبيِّ حقّـــاً فخـــراً على الخلق بالجُـــدودِ

وَرِثْتَهم ، يا ابنَهم ، مزايـــا تُربي على الحصـــر والعـديد[٦٤]

يا مَنْ •• ملوك الأنـام طُـــرّاً — إذا تراءتـــه — كالعبيـــدِ

---

(٥٩) النَّسْر الطائر ، والنسر الواقع : مجموعتان من النجوم ، في النصف الشمالي من القبة السماوية ، سميا بمشابهتهما للنسر ، والنجم ذو القـــدر الأول من المجموعة الأولى يسمى الطائر ، والنجم ذو القدر الأول في المجموعة الثانية التي تسمّى « الشِّلْياق » يسمى النسر الواقع . الفرقد : نجم قريب من القطب الشماليّ ، ثابت الموقع تقريباً ، ولذا يهتدى به ، وهو المسمى«النجم القطبي»، وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه ، وهما فرقدان .

(٦٠) الوحف ، من النبات : الكثير الملتفّ الأصول . الأغيد : الناعم المتثني المتمايل.

(٦١) انشر الأرض : أحياها بالماء . المُلْحَد : اللَّحْد ، وهو الشق يكون في جـــانب القبر للميت .

(٦٢) الموطَّد : المثبَّت .

(٦٣) منشر الخلق : باعثهم من الموت ومُحييهم ، ومثلُ هذا الكلام لا يخاطب به إلا خالق الخلق سبحانه . عفا الله عن الشاعر وغفر له ! وعن الخليفة إذا قبله منه.

(٦٤) تُربي : تزيد .

إذا رأتــــه على ســــرير ، خرّتْ على [الأرض]للسُّجُودِ[٦٥]

***

وقال يمدح الإمام (المستضيء بأمر الله) ، ويشكر إحسانه إليه :

أنت من حـادث الزّمـان مَلاذِي
وبك الدّهْرَ ، ما بَقِيتَ ، مَعَاذِي[٦٦]

يا إمـامَ الهـدى الّذي طبّقَ الأر
ضَ بوبـل من النّـدَى ورَذاذِ[٦٧]

كَرَعَتْ في جِمـامه هِيمُ آمـا
لِ البرايـا كزاخـرٍ ذي أَواذي[٦٨]

أنـا ـ لولا إنعـامُه ـ مِتّ جوعـاً
وعيـالي ـ ما دُمتُ ـ في « بغـداذِ »[٦٩]

ما أُبـالي في عصـره ، فَلْيَدُمْ لي :
خَفَّ او لم يَخِفَّ ، ما عِشتُ ، حاذي[٧٠]

إنّمـا (المستضيء بالله) مـولىً
عزمُـه مـا يَنِي من الإنفـاذِ[٧١]

---

(٦٥) الأرض : سقطت من الأصل .
(٦٦) المَلاذ : الملجأ . المَعاذ : المعتصَم ، ولا عاصم يعاذ به إلا الله .
(٦٧) طبق : عَمَّ . الوبل : (ح ٢٠) . الرَّذاذ : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغير القطر كأنه غبار .
(٦٨) الجِمام : جمع الجُمَّة ، وهي معظم الماء . الهيم : العطاش الشديدات العطش. الأواذي بتشديد الياء ، خففها للقافية : الأمواج ، واحدها آذِيّ .
(٦٩) بغداذ : لغة في بغداد .
(٧٠) الحاذ : الظهر ، ويقال « هو خفيف الحاذ » : قليل المال والعيال .
(٧١) ما يني : ما يفتر . الإنفاذ : الإرسال .

آخِـــذٌ بالصّـواب في الأمر والنَّهْـ
ـيِ ، فيا حُسْنَ ذلك التَّـأْخاذِ ! [72]

درعــه ، في الوَغَى ، المهـابةُ والبـأ
سُ ، إذا اسـتظهر الكُماةُ بِــآذِ [73]

جلَّ قـدراً .. فما لـه من مُـوازٍ ،
وتَسامَى .. فما لـه مـن مُحـاذِ

فليَدُمْ ، ما سـعى على الأرض سـاعٍ
ناعـلٌ من بني الزَّمـان وحـاذِ [74]

❀

وقالَ يمدحه :

جـارُ الإمامِ (المستضيء) عزيزُ … وجَنابُه أبَـدَ الزَّمان حَرِيزُ [75]

ملَكَ القلوبَ بعدله وبذلـه … حُبّـاً ، فهـا هو للثّناء يحـوزُ

لولاه ، أعوزتِ المُنَى طُلابَهـا … بـينَ الورى ، وتعذَّرَ الإبْرِيزُ [76]

لكنّه أعطى السَّماحةَ حَقَّهـا … فتوَزَّع المـذخُورُ والمكنُوزُ

ملِكٌ .. تهزُّ الأرْيَحِيَّةُ عِطْفَه ، … ما كلُّ مَرْجُوٍّ النَّدَى مهزوز [77]

بَزَّ الكُماةَ الدّارعين لَدى الوَغَى ، … لكنّـه ــ يومَ النَّدَى ــ مبزوز [78]

---

(72) التَّأْخاذ : أحد مصادر « أخَذَ » .

(73) الكماة : (ح ٤٩) . استظهر : استعان . الآذي : وصف لموصوف محذوف ، أراد المؤذي ، والعرب إنما تقول : أذِيت بالشيء أذىً فأنا آذٍ ، بغير مد ، وآذاه فهو مُؤْذٍ ، وذاك مُؤْذىً .

(74) الناعل : ذو النعل ، على النسب ، مثل تامر ولابن . الحاذي : لابس الحذاء.

(75) الجناب : الناحية ، وفناء الدار أو المحلة . الحريز : الحصين .

(76) الإبريز : الذهب الخالص .

(77) الأريحية : الارتياح للندى والنشاط الى المعروف . العطف ، من الإنسان : جانبه من لَدُنْ رأسه إلى وَرِكه .

(78) بَزَّ : غلب . الكماة : (ح ٤٩) . الدارعون : ذوو الدروع . الوغى : الحرب .

وإذا الوَغَى احتدّت وشَبَّ ضِرامُها   وغـدت مَراجِلُها لهنّ أَزِيزُ ،[79]
غَشِيَ الهَزاهزَ ، غيرَ لابسِ جُنّة ،   إلا اليقـينَ ، وإنّه لَحَرِيزُ[80]

سـمعُ الإمـام ، عن المـلام على النّـدَى ،
سـمعٌ ــ كما اقترح السَّماحُ ــ نَشُوزُ[81]

لا أمــرُه متجاوَزٌ ، كـلا ! ولا
نائي مَـداه ، مَـدَى الزّمـان ــ يجوزُ[81آ]

فعَدُوّه ، تحتَ الثَّرَى من ذِلّة ،   ولواؤُه فوقَ السَّما مـركوزُ
فَلْيَبْقَ غـيرَ مُنـازَع في ملـكه   ما نارَ من حـذَر الضّراء نَفُوزُ

(نار ، نَفَرَ . والضّراء : ضدُّ البَراح من الأرض ، والضّراء : مشيٌ فيما يواري من شجر وغيره . والنّفوز : الوثوب) .

*

وقال يمدحه :

سِـرُّ النّـدَى ، مُـذْ وليتَنا ، فاشٍ
والخَلْـقُ ممشى وأمرُهم مـاشٍ

وكـلُّ سـارٍ ، في جُنح داجيـة ،
إلى سَـنا ضـوءِ نـارِه عاشٍ[82]

---

(79) المراجل : جمع المِرْجَل، وهو القدر من الطين المطبوخ أو النحاس . ومراجل الحرب : اشتداد القتال فيها ، ويقال : جاشت مراجله : اشتد غضبه . الأزيز: الصوت من شدة الحركة أو الغليان .

(80) الهزاهز : الشدائد ، لا واحدَ لها . الجُنّة : كل ما وقى من سلاح وغيره.

(81) نَشُوز ، بفتح النون : كثير النشوز ، وهو الاستعصاء على الشيء .

(81آ) يجوز : في الأصل « يحوز » .

(82) الداجية : الظلمة .عاشٍ : قاصد، يقال : عشا النار يعشوها عَشْواً وعُشُواً: رآها ليلاً ، فقصدها مستضيئاً بها .

فابْـقَ ، إمـامَ الهـدى لِتَرْوِيَنــا

بعــدَ صَــدىً بالـغٍ وإعطـاش[٨٣]

أنت الّذي اختـاره الإلــه لنـــا

ثَبْتَ المَقـامات رابطَ الجــاش[٨٤]

موردُنــا مــن نَـدَى يديـه ، على

بحـرٍ من المَكْرُمــات جيّــاشٍ[٨٥]

فاتـحُ أقفــالِ كلِّ مَكْرُمـــة

أعيت على فاتــح وفنّـــاشٍ[٨٦]

عَـمَّ نَــداه الورى بأســرِهِمُ

عُمومَ هـامٍ بالغيث رشّـــاشٍ[٨٧]

رائشُ مـا حصَّ من قوادِمنـا ،

مُهْـدِي رِياشٍ لنـا وأرياشٍ[٨٨]

محـدِّق الفكر في الأمور ، وقـد

أعيت على كـلِّ ناظــرٍ عاشٍ[٨٩]

---

(٨٣) الصدى : العطش .

(٨٤) ثَبْت المَقَام : ثابتُ موضع القدمين . رابط الجاش ، سهل هزة الجأش مراعاةً لاطّراد التأسيس قبل الرَّوِيّ : ثابت عند الشدائد ، والجأش النفس أو القلب .

(٨٥) جيّاش : متدفق .

(٨٦) فناش : مُسْتَرْخٍ ، قال بعض رواة اللغة : سمعت القيسيين يقولون : فنش الرجل عن الأمر ، وفَيّش : إذا خام [جبن] عنه » . وفي لغة عامة البغداديين اليوم : « فَنّش » و « هو مُفَنِّش » أي كلَّ وعجز .

(٨٧) هام : سائل منصبّ . بالغيث رشاش : في الأصل « بالغيب برشاش » .

(٨٨) الرائش : مركّب الريش ، ويقال : راشه ، إذا قوّاه وأعانه وأصلح حالـه . حَصَّ : تساقط ، في الأصـل : « خصّ » . القوادم : (١٦٥/ح١٧٤) . الرياش : اللباس الفاخر ، و ــ الأثاث ، و ــ المال ، و ــ الخصب والحالة الجميلة . الأرياش : جمع الريش ، وهو بمعنى سابقه .

(٨٩) عاش : كليل النظر ، يسوء بصره ليلاً .

ما غَشَّـه عقلـه وجـاشَ لـه
من عقـلٍ واهي العَـزيمِ غَشّاشِ[٩٠]

إن شِيكَ حَظٌ ، فجـودُ راحتِـه
ينقُشُـه عامـداً بنقـاشِ[٩١]

لم يُمْـنَ وجـهُ المُنَى ، وقد سـفرت ،
بمانـعٍ مـن نَـداه خَدّاشِ[٩٢]

أَمَّنَ ذا الخَلْقَ في سُرُوبِهِمُ ،
فليس فيهم من واحـدٍ خـاشِ[٩٣]

تَحِـلُّ مـن رَبْعِـه الوفود على
بابِ طليـقِ اليدين بَهّـاشِ[٩٤]

(البهش : الفرح بالإنسان ، والضَّحِك له ، يقال[*] : رآني فبهش) .

لا مُنِيَ الدَّهـر مـن فضائلـه
وحُسْـنِ أفعـالِه بإيحـاشِ

**

وقال يمدحه :

(للمُسـتضيء) أيـادٍ إلى الـورى ليـس تُحصَى

---

(٩٠) جاش : تحرك . واهي العزيم : ضعيف العَزْم . وفي الأصل : « واهي الغريم عشاش » .

(٩١) شيك : ألحق به أذى ، يقال : شاكته الشوكة : أصابته ، وشاك فلان فلاناً : أصابه بالشوكة ، و ـ آذاه . ينقشه : ينقش الشوكة بالمنقاش ، أي يستخرجها .

(٩٢) لم يُمْنَ : لم يَبْتَلِ .

(٩٣) السروب : جمع سِرْب ، يقال : هو آمن السِّرْب ، وآمن في سربه : آمن النفس والقلب ، أو آمن على مالَه من أهل ومال . خاش : خائف . في الأصل « خارش » .

(٩٤) بَهّاش : طَلْق الوجه .

(*) يقال : الأصل « يقول » .

كم عَمَّ بالنَّيْل طوراً ! وكم بذلك خَصّا !

وكم من الخير أدنى ! وكم عن الشَّرّ أقصى !

إمامُ عدل .. تناهى في جوده ، وتقصَّى

زادت أمانِيَّ هذا الـ ـورَى على المال حرصا

أضحت بِطاناً لديه ، وكُنَّ من قبلُ خُمْصا[95]

ما زال يفحَصُ عن مُبْـ .... ـتَغَى الرَّعيّة فحصا

زادت لُهاه ، فما إنْ يرى لها الخلقُ نقصا[96]

لا يستطيع كَفُور - يوماً - لنُعماه غَمْصا[97]

أغلى المديحَ ، وكائنْ شكا إلى الخَلْق رُخصا[98]

لو رامَ عَدَّ لُهاهُ مُفَذْلِك ، ما أحصى ![99]

**

وقال يمدحه ، ويهنّئه بشهر رَمَضانَ سنة سبع وستّين وخمس مئة :

ليَهْنِ الرَّعايا مُقسِطٌ غيرُ قاسطٍ

يجود بما يرضَى به كلُّ ساخطِ[100]

له عَزَمات ماضيات ، كأنّها

صوارمُ بِيضٌ .. تُنْتَضَى في المآقِطِ[101]

---

(٩٥) بِطان : شِباع ممتلئات البطون . خُمْص : جِياع ضوامر البطون. وفي الحديث: « لو توكلتم على الله حق توكله - أي في السعي - ، لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خِماصاً ، وتروح بطاناً » .

(٩٦) اللُّها : (ص ٢١٤/ح٥) .

(٩٧) غَمَصه غَمْصاً : حَقَره واستصغره ولم يره شيئاً . وغمص النعمة : لم يشكرها .

(٩٨) كائن : (ص ١٦٨/ح١٩٣) .

(٩٩) المُفَذْلِك : مُجْمِل الحساب ، يقال : فذلك الحساب : أنهاه وفرغ منه ، منحوتَ من قول الحَسابي إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا ، والفذلكة : مجمل ما فُصِّل وخلاصته . استعمال مولّد .

(١٠٠) المقسط : العادل . القاسط : الجائر .

(١٠١) تنتضى : تُسَلّ من الأغماد . المآقط : المضايق في الحروب، واحدها مَأْقِط .

إمامَ الهدى .. اسْعَدْ بالصّيام وشهره
سُعودَ كريمٍ للخِلافة حائطِ[١٠٢]

وكم لأمير المؤمنين ، وقد علا
على الخلفاء ، من حسود وغابطِ[١٠٣]

فتىً .. أورد الآمالَ من بحر جُودِهِ
على زاخر بالمَكْرُمات غُطامِطِ[١٠٤]

دعا الجودُ أربابَ الثَّراء إلى النَّدَى ،
فكان إمامُ الجود أوَّلَ فارِطِ[١٠٥]

وما زال يَحمي حَوْزَةَ الدّين بالقَنا
حِمايةَ مُغْرًى بالجهاد مُرابِطِ[١٠٦]

⁂

وقال يمدحه :

أَحْفَظْتَ مالَكَ أَيَّما إحفاظِ
فغنيتَ بالجَدْوَى عن الحُفّاظِ[١٠٧]

---

(١٠٢) حائط : حافظ .

(١٠٣) غابط : متمنٍّ مثل نعمته من غير ان يريد زوالها عنه .

(١٠٤) بحر غُطامط : عظيم كثير الأمواج . الأصل « عطامط » . ومن طريف ما يروى هنا ، والشيء بالشيء يذكر : أن أبا العز هذا ، مدح شخصاً بقصيدة طائية ، اشتملت على بعض غريب اللغة ، منها :

إذا عجفت آمالنا عند معشر   غدا نجمُها عند الزعيم خَطائِطا

فبلغت « الحيص بيص» الشاعر (المترجم في الجزء الأول ٢٠٢ ــ ٣٦٦) ، فقال : «كلّ كلامٍ في الدّنيا يزداد لحناً . تكلّمت بصادَيْنِ ، فانقلبت الدنيا! وهٰذا ، ما يقول له أحدٌ شيئاً ! »

(١٠٥) الفارط: السابق .

(١٠٦) حوزة الدّين : حدوده ونواحيه . القنا : الرّماح . مغرى : مولع . مرابط: ملازم الثغر وموضع المخافة تهيّؤاً لدرء عوادي العدوّ عن الوطن .

(١٠٧) احفظت : اغضبت . الجدوى : العطية .

أَنْهَبْتَـهُ الآمـالَ ، فَهْيَ عوابثٌ
فيـه ، فهـا هُوَ دائمُ الإلْظاظِ[108]

غادَرْتَـهُ مُلْقىً على طُرُق المُنَى
ما إنْ لَدَيْك له مـن اسـتحفاظِ[109]

فاسـلَمْ لجُودك ، يا ابنَ عمّ (محمّد)
مـا دامتِ الأجبـال ذات شـناظي[110]

واسـلَمْ لعدلك في الرّعايـا ، إنّـه
نـاهٍ لـكلّ مُغَمّزٍ جنعـاظِ[111]

يا أيّهـا المـولى الّذي عَجَزَ الورى
عن وصفـه من ضيقـة الألفـاظِ

أنت الّذي فضَلَ الملوك بأسـرهم
بالسّـيرة الحُسْنَى والاسـتيقاظِ

أعملتَ رأيـك في الأمور وسُسْتَها
فجمعتَ بـينَ اللـين والإغـلاظِ

وغَنِيت بالطّبـع الـكريم وبالنُّهَى
والعلمِ والتَّقْوَى عـن الوُعّـاظِ

ولأَنْتَ أفصحُ مـن مُفَوَّهِ (وائل) ،
وأسَـدُّ لفظـاً من خطيب « عُكاظ »[112]

---

(١٠٨) الإلظاظ بالشيء : لزومه والمواظبة عليه .

(١٠٩) غادرته : تركته . الاستحفاظ : الائتمان على الشيء ، ومنه قوله تعالى :(بما استحفظوا من كتاب الله) .

(١١٠) الأجبال : في الأصل « الأحبال » ، وهو تصحيف ، وشناظي الجِبال :أعاليها وأطرافها ونواحيها ، واحدتها شُنْظُوَة .

(١١١) المغمّز : الجاهل . الجِنعاظ : الأحمق ، وقيل : العسر الأخلاق ، ، وقيل : الجاني الغليظ .

(١١٢) المفوّه : القوّال ، ومفوّهُ وائل : هو خطيب العرب المشهور سحبان وائل ، تقدم في (ص ١٣٧ / ح٩) . عكاظ : نخل في واد ، بينـه وبين « الطائف » ليلة ، وبينه وبين « مكة » ثلاث ليال ، وبه كانت تقام في الجاهلية سـوق بموضع منه يقال له « الأثيداء » ، تجتمع فيها قبائل العرب في كل سـنة ، ويتفاخرون فيها ، ويحضرها شعراؤهم ، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر . وفي كتاب « ما رأيت وما سمعت » ٧٩ ــ ٨٠ للاستاذ خيرالدين الزركلي بحث في تعيين مكان هذه السوق . وخطيب عكاظ : هو قس بن ساعدة الإيـادي . تقدم في (١/٩) .

في السِّلْمِ منك لِمَنْ أطاعك جَنَّـــــةٌ
ولِمَنْ عصـاك النّارُ ذاتَ شُواظِ(١١٣)

لولا نَدَى يـدِكَ الشّريفة ، لم يـــكن
لي مـن ذَواقٍ ، في الورى ، ولمَاظِ(١١٤)

أيقظتَ حظّي بعـــدَ طولِ رُقـــادِهِ
بنَدَى يـــدٍ متتابـعِ الإيقـــــاظِ

ســـرَّتْ مواهبُك الأنـــامَ ، وإنّمـا
شُـــرِّقوا بسُخطِ ثَرائك المُغتـــاظِ

⁂

وقال يمدحه :

أعجزَ مـدحُ الخليفة البُلَغـــا ... وما شكَوْا فَهَةً ولا لَثَغا(١١٥)

لـكنّهم أعظموا مكانتــــــه ... حتّى رأوا كـلّ ما يقال لَغـا(١١٦)

في جنبِ ما يســـتحقّ من مِـدَحٍ ... يُحسِنُ في القول من له فَرَغـــا

كأنّمـــا المُحسن المُجيـد إذا ... بالَغَ في مدحـــه هفا ولغـا(١١٧)

لِعُظمِ قـدرٍ ســما به وعـــلا ... ما ناله ذو عُلىً ولا بَلَغـــــا

أولـغ يـومَ الجِـلاد صارمــــه ... دمَ الأعادي ، وطالما وَلَغـا(١١٨)

---

(١١٣) الشُّواظ ، بضم أوّله وكسره : اللهب لا دخان له ، وفي القرآن الـكريم : (يُرْسَلُ عليكما شُواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) .

(١١٤) الذّواق : المأكول والمشروب ، وفي الحديث : « لم يكن يذم ذَواقاً » فَعال بمعنى مفعول من الذّوْق ، ويقع على المصدر والاسم ، وما ذقت ذَواقاً : أي شيئاً . اللَّماظ : الطعام يُتَلَمَّظ ، أي يتذوّق ، يقال : ليس لنا لَماظٌ ، أي ما نذوقه فنتلمّظ به .

(١١٥) البلغا : البلغاء ، قصره للقافية . الفَهّة : العيّ ، كالفهاهة . اللَّثَغ : تحوّل اللسان من حرف إلى حرف ، كقلب السين ثاءً ، أو الراء غيناً .

(١١٦) لَغا : خطأ وباطل ، مصدر لغا في القول .

(١١٧) هفا : زلّ وأخطأ .

(١١٨) ولغ في الإناء ، ومنه ، وبه : يَلَغُ ويالَغُ وَلْغاً ووُلوغاً ووَلَغاناً : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل فيه لسانه فحرّكه . وأولغه : سقاه .

حتّى انتهى عن خلافِ طاعتِــــهِ   مَــنْ صَــدَّ عنهـا سفاهةً وطغى
ولــم يزَلْ ، والإله يكلؤُهُ ،   ذا نَقِمـاتٍ ممّن طغى وبغى[119]
ما خاب ســاعٍ سعى إليه ، ولا   باغٍ لِمـا شــاءَ من يديه بَغَى
فَلْيَبْقَ ما زان مَبْسِماً فَلَجٌ ،   أو شانَهُ عنــد ناظرٍ وشَــغا[120]

⁂

وقال يمدحه :

مــا للأمــانيّ عنــك مُنْحَرَفُ
ولا لهـا عن ذَراكَ مُنْصَــرَفُ[121]
أنصفتَ أهــل الزّمــان كُلَّهُمُ
منــه ، ولــولا نَـداك ما انتصفُوا
إنّي بإنعـامك ، الّذي امتــلأتْ
بــه مُنــايَ الغَـداةَ ، معتـرفُ
لذاك شــكري الّذي غَرِيتُ بــه
دَأْبي ، فماضٍ منــه ، ومُؤْتَنَفُ[122]
ضــاقت عن المدح والثنــاءِ على
أيّامك ــ ابنَ الخــلائفِ ــ الصُّحُفُ
يا طـالبي العــارفاتِ .. دونَكُمُ
نَــدى إمــامِ الأنـام ، فاغترِفُوا .

---

(۱۱۹) يكلؤه : يحفظه .

(۱۲۰) الفَلَج : تباعد ما بين الأسنان خلقة. شانه : عابه . الشغا: اختلاف الأسنان، وقيل اختلاف نِبْتَة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج .

(۱۲۱) الذَّرا ، بالفتح : ما استتِر به ، ويقال : انا في ذَرا فلان : في كَنَفه ، ورعايته.

(۱۲۲) غَرِيت به : تعلق قلبي به ولزمه ، كأنه أُلصق به بالغــراء . دأبي : عادتي وشأني . مؤتَنف : مستقبَل .

فمـــا الخِـضَمُّ الطّـــامي غَـوارِبُـــه
ولا الغُـيوثُ الهَـواطِلُ الوُطُفُ،[١٢٣]

يومـــاً بأنـدى من سَيْبِ راحتِـــه
إذا اسْـتَهَلَّتْ بَنـانُـه الوُكُفُ[١٢٤]

عليكُمُ منـه بابْنِ مَكْرُمَـــةٍ
تُنْزَحُ أموالُـــه وتُغْتَرَفُ[١٢٥]

ما دُونَهـــا ذائـــدٌ ولا حَرَسٌ
إلـــى حِمـــاها الآمـــالُ تختلفُ

(المستضيء) الـــذي خِلافتُـــه
جَنَّـــةُ عَـــدْنٍ، فيها لنـا غُرَفُ

مشـــحونةٌ بالنّعيـم، ضافيـــةٌ
ظِلالُهـــا، بالخـــلود تتّصِفُ[١٢٦]

أبقى على الدّهر مـن حوادثـــه
محوطـــةٌ لا ينالُهـــا الوَكَفُ[١٢٧]

لهـــا مـــن (المستضيء) ما بقِيت
حـــامٍ كريمٌ .. سُيُوفُه رُعُفُ[١٢٨]

***

---

(١٢٣) الخضم : البحر الواسع . الطامي : المرتفع ماؤه . غواربه : أعالي أمواجه . الهواطل : السواكب . الوُطُف : المتدلّيات الذيول .

(١٢٤) السيب : العطاء . استهلّت : اشتدّ انصبابها . البنان : الأصابع، الواحدة بنانة، الوُكُف : المنهّلات المنصبّات .

(١٢٥) بابن مكرمة تنزح : الأصل « يا بن مكرمة تندح »، والنزح : تفريغ البئر ونحوها حتى يقلّ ماؤها أو ينفَد .

(١٢٦) ضافية : سابغة تامّة . الأصل « صافية » وهي تصحيف.

(١٢٧) محوطة : محفوظة ومتعهدة بجلب ما ينفعها ودفع ما يضرّها . الأصل « نحوطة »، وهي تحريف . الوَكَف : الجَوْر .

(١٢٨) رُعُف : قاطرات دماً .

وقال يمدحه :

أيّهـــا (المستضيءُ [بالله]) لا زِلْـ .... تَ تُطيع المُهَيْمِنَ الخلاقا[١٢٩]

وتُقيمُ الحـدود في كـلّ طـاغٍ مُمْسِـكاً من عبيـدك الأرماقا[١٣٠]

قد أقامت يداك للمدح سـوقاً يا مُقيمـاً لمدحـه الأسـواقا

يا ابنَ عمّ النّبيّ ذي النّبأ الأعـ ـظم .. لا زِلتَ مُنعماً مِطْلاقـا

تتلقّى العُفـاةَ بالنّائـل الجَمّ ـ الّذي آدَ حَمْلُه الأعنـاقا[١٣١]

لاعَدَتْك الأفراح طَرْفَـةَ عـين ما شـدا صادحُ الحمام فشـاقا

❀

وله فيه :

إمامَ الهُدَى ! دُمْ للخِلافـة والمُلكِ
على رُغم آناف (الأعاجم) و (التُرْكِ)
بقيت لهـا حتّى المعـادِ خِلافـةً
لها نَبَـأٌ بينَ الخلائق كالمِسـك
وما (الحَسَنُ) الوَضّـاحُ ، لله دَرُّهُ !
سِـوى رحمةٍ لله من غيرِ ما شَـكٍّ[١٣٢]
عليك سـلامُ الله ما ذَرَّ شـارقٌ
ومـا نحرت في البحـر جاريةُ الفُلْكِ[١٣٣]

❀

---

(١٢٩) المهيمن : من أسماء الله الحسنى ، بمعنى الرقيب على عباده الحافظ لهم ، وفي القرآن الكريم : (الملك القُدُوس السلام المؤمن المهيمن) .

(١٣٠) الأرماق : جمع الرَّمَق ، وهو بقية الروح .

(١٣١) العفاة والعافون : طلاب الفضل والمعروف ، الواحد عافٍ . النائل الجم : العطاء الكثير . آدَ : أثقل وأجهد .

(١٣٢) الحسن : اسم المستضيء بالله العباسيّ . الوضّاح : الحسن الوجه البسام ، ورجل وضاح الحسب : طاهره ، نقيّه ، مبيضه . ما ، بعد «غير» : زائدة .

(١٣٣) ذرّت الشمس ذُروراً : ظهرت أوّلَ شـروقها . الشارق : الشمس . الفلك : السفينة ، للمذكر والمؤنث والواحد والجمع . نحرت : استقبلت وواجهت .

وله فيه :

قَـد ملأتَ الأرضَ نُبْـــلا وأَسَلْتَ الخيرَ سَـــيلا
هِلْتَ أمـوالَك بالجـو دِ على العـافين هَيْـلا[134]
لـم يكـن ذلك وزنـاً ـ حـاشَ لله ـ وكَيْـلا[135]
وكـم استبعدتَ مَلْكـاً من بني الدُّنيا ، وقَيْـلا[136]
فاسْحَبِ ـ الدَّهْرَ ـ على العَيُّوقِ والنَّسْرَيْنِ ذَيْلا[137]

***

ومن مقطّعات (ابن الخُراساني) :

أنشدني لنفسه ، بـ « بغدادَ » فيما يكتب على كمران[138] ، في جُمادَى الآخِرة سنة إحدى وستّين [وخمس مئة] :

---

(١٣٤) هال الرمل ونحوه يَهِيله هيلاً : دفعه وارسله دون أن يرفع يده عنه . العافون : (ح ١٣١) .

(١٣٥) حاشَ لله : يقال « حاشَ لله » تنزيهاً له سبحانه ، ولا يقال « حاشَ لك » قياساً عليه ، وإنما يقال : حاشاك ، وحاشى لك .

(١٣٦) القَيْل : المشهور انه الملك من ملوك « حِمْيَر » ، يتقيّل من قبله من ملوكهم يشبهه ،جمعه اقيال . وقال ثعلب : الأقيال الملوك من غير ان يخص بها ملوك « حِمْيَر » .

(١٣٧) العَيُّوق : نجم أحمر مضيء في طرف « المَجَرَّة » الأيمن ، يتلو « الثريّا » لا يتقدمها . النسران : (ح ٥٩) .

(١٣٨) ب : كمر ، وفي فوات الوفيات ٢/٣٠٠ : كران . ولكلٍ معنى . والبيت الثاني يفيد إرادة الأول . والكَمَر ، بفتحتين : واحد الكُمْران ، بضم فسكون ، يطاقه البغداديون على نوع من الحُزُم ، بداخله كيس يضع فيه المسافر نقوده ويشدّ وسطه به . ويسمي به الخياطون الجزءَ الأعلى من السروال المعروف بـ « البنطلون » ، ووسط ثوب المرأة ، على التشبيه به . أهملته كتب اللغة. وهو فارسي معرب .

وشبيه بهذا البيت قول أبي الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب الشاعر في « تِكّة » وهو في تاريخ ابن الأثير ٩/٩٣ :

لِمَ لا أتيـه ومضجعي بـين الروادف والخصورِ ؟!
وإذا نُسِـجت ، فانني بـين الترائب والنُّحورِ
ولقـد نشأت صغـيرة بأكفّ ربّات الخُـدورِ

أما الكران ، فهو العود أو الصنج ، ويجمع اكرنةَ . ولم يُردِ الشاعر هذا .

أنا محسودٌ من النّاس على أمرٍ عجيبِ
أنا ما بينَ قضيب يَتَثَنَّى وكَثيبِ

***

وأنشدني أيضاً فيما[139] يكتب على طِراز[140] :

لو لم يكن حُسني البديعَ الوافي ما كنتُ محمولاً على الأكتافِ
فَلْيَعْتَرِفْ بالفضل لي ، ففضيلتي مشهورةٌ ، مَنْ كان ذا إنصاف

***

وأنشدني أيضاً في المعنى :

زينةُ الثَوب ، فاعلموه ، طِرازُهُ فجديرٌ بربّه إعزازُهُ
وإذا ما خلا لباسٌ من التَّطْريز ، أضحى مُعَنَّفاً بَزّازُهُ[141]

***

وأنشدني أيضاً في المعنى :

أنا زينُ الخَلْق طُرّاً من رجال ونِساءِ
ليس يخلو الدّهرَ منّي غيرُ أثوابِ العزاءِ

***

وأنشدني أيضاً فيما يكتب على سستجة[142] :

أنا محسودةٌ علَى شرف القدر والعُلَى

---

(١٣٩) الأصل : « مما » ، وسيتكرر مثله .
(١٤٠) الطّراز ، هنا : علم الثوب ، وله معان اُخرى في كتب اللغة .
(١٤١) المعنّف : الملوم بشدّة .
(١٤٢) اسلفت الكلام عليها في ٢٢٠/٢ ، واضيف ها هنا انني وجدت هذا اللفظ في ديوان سبط ابن التعاويذي أيضاً (ص ٢٢٠) ، ولفظه : « قال ما يكتب على سستجة » :

انا في كفّ مَنْ به تفخر الأر
ضُ ، وتسمو على السماوات قدرا
انا من وجهه أقابل شمساً
انا من ثغره أقبّل درّا

في يَدَيْ سَبْطَةِ الأنا مِلِ مَوْمُوقَةِ الحلَى[١٤٣]

**

وأنشدني أُخرى في المعنى لنفسه :

بلغتُ من المُنَى أقصى التَّشَهِّي
يُماطُ بيَ الأذى عن كلّ وجهِ[١٤٤]
وتحمِلُني الأكُفّ كما تراني
أروح كما غدوتُ بغيرِ شِبْهِ

**

وأنشدني أيضاً فيها :

أنا في كفِّ فتاةٍ طَفْلَةِ الأطرافِ طفْلَهْ[١٤٥]
تتمنَّى كلُّ نفسٍ في مكاني الدَّهرَ قُبْلَهْ

**

وأنشدني لنفسه في اللُّغْز[١٤٦] :

خالٌ لغيرِ ابنِ أُختِ يجود لا كُلَّ وقتِ[١٤٧]

أنا من نشره وطيب سجايا
هُ أفوت العبير طيباً ونشرا
وكأني من بأسه وعطايا
راحتيه جاورت ليثاً وبحرا
زدت تيهاً به على كل ملبو
سٍ ، وفخراً ، فزاد والله فخرا

(١٤٣) سبطة الأنامل : لينة الأصابع . مومُوقة الحِلَى : محبوبة الزينة من مصوغ الذهب ونحوه أو الحجارة الكريمة .

(١٤٤) ماط الأذى ، وأماطه : نحّاه وابعده .

(١٤٥) الطّفْلة ، بفتح فسكون : الناعمة .

(١٤٦) اللّغز : (ص ٨/ح ٢٢) .

(١٤٧) الخال هنا الغَيْم ، وهو يجود أي يكثر ، أو يصيب الأرض ، في أوقات معلومة من السنة ثم ينقطع .

يُحبُّ طوراً ، وطوراً يُلقى ببغض ومَقْتِ[148]
بَيِّنْ لنا ما عَنَيْتَ إمّا تكُنْ ذا تأتِّ[149]*

---

(148) يلقى : في الأصل « يرقى » ، ولست أرى له وجهاً مقبولا . المقت : أشدّ البغض .

(149) التأتي للأمر : الرفق له ، وإتيانه من وجهه .

(*) هذه الطائفة من شعر ابن الخراساني ، قد انفرد المؤلف بتدوينها في كتابه هذا ، وأخلّ مترجموه بذلك ، فلم يدون بعضهم له شيئاً ، واقتصر آخرون على رواية مقطوعة أو مقاطيع قليلة منه . ومن خير ما فات المؤلف تدوينه من شعره وأرقه :

(١)

أنا راضٍ منكم بأيسرِ شيءٍ
يرتضيه لعاشقٍ معشوقُ
بسلام من السَّلام ، إذا ما
جمعتنا بالاتّفاق طريقُ

(٢)

قد قلتُ ، إذْ لَحَظَتْه عيني مرّةً
فاحمرّ من خجل وفَرْطِ تَصَلُّفِ :
عيني التي غرست بخدّك وردةً
مَنْ ذا يقول لغارسٍ : لا تقطفِ ؟
يا سافكاً دميَ الحرامَ بطرفه
أوَ ما تخافُ اللهَ يومَ الموقفِ ؟
أرَوَيْتَهُ عن عالم ؟ أوَجَدْتَهُ
في مُسْنَدٍ ؟ أقراتَهُ في مُصْحَفِ ؟

الصَّدرُ بنُ الزّاهد

ابو العبّاس احمدُ بنُ العلاءِ البغداديُّ

من الفقهاء بـ « النِّظاميّة »[1] .

له الخاطر الجواد ، والقَريحة والانتقاد .

وله يدٌ في العربيّة والنَّحْو .

قرأ على شيخنا (أبي محمّد بن الخَشّاب)[2] .

*

أنشدني لنفسه :

ومُهَفْهَفٍ .. يَسْبِيك خَطُّ عِذارِهِ ،
ويُريك ضوءَ البــدرِ في أزرارِهِ[3]

حسدتْ شَمائلَه الشَّمُولُ ، وهَجَّنَتْ
لطفَ النَّسيم يَهُبُّ في أســحارِهِ[4]

وإذا أردتُ هــواه ، قال ليَ الهوى :
هــو في الفــؤاد ، فَــدارِهِ في دارِهِ

لم أُضمِرِ السُّلْوانَ عنــه لحظــةً
إلا استَـعَذْتُ ، وتُبْتُ من إضمارِهِ

---

(١) المدرسة النِّظاميّة ببغداد . اسسها الوزير نظام الملك الطوسي (٤٥٧ـ٤٥٩هـ) . انظر : « تهذيب تاريخ مساجد بغداد وآثارها » ١٠٢ ـ ١٠٦ .

(٢) ترجمته في أول هٰذا الجزء .

(٣) المهفهف : الرشيق . يسبيك : يستميلك ويأسر لُبّك . العِذار : جانب لحية الغلام .

(٤) الشَّمُول : الخمر . هجّنت : عابت .

دَقَّتْ مَعاقِدُ خَصْرِه ، فكأنّها الـ
ـمعنى الخفيُّ يجول في أفكارِهِ

وكأنّ وَجْنَتَهُ وحمرةَ خدِّهِ
وردٌ .. غذاه الطَّلُّ في أشجاره[5]

**

وأنشدني لنفسه :

بينَ الظّلام وثغرِكَ البَسّامِ
ما بينَ سمعِ مُتَيَّمٍ وملامِ[6]

**

وأنشدني لنفسه :

في الكلب ما ليس فيه من مُحافَظةٍ
وليس في الكلب ما فيه من البَخَلِ

**

و (للصّدر ، أبي العبّاس ، أحمد ، بن الزّاهد أبي المعالي العلاء) من [رسالة][7] كتبها إلى (الملك النّاصر)[8] ، أبيات ضمنها ، منها قوله :

إنّ (الأكاسرةَ) الأُلَى شادُوا العلى
بينَ الأنام فمُفْضِلٌ أو مُنْعِمٌ[9]

---

(٥) الطّلّ : المطر الخفيف يكون له أثر قليل .
(٦) متيم : عاشق استعبده الحب وذهب بعقله .
(٧) زيادة يقتضيها السياق .
(٨) هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قاهر الفرنج الصليبيين ومحرر الشرق الأوسط ، رحمه الله . ترجمته في (١/١١) .
(٩) الأكاسرة : لقب ملوك الفرس القدماء ، الواحد كسرى ، وقد اشتهر بعضهم بالعدل ، فهو يوازن بينهم وبين السلطان صلاح الدين ، ويفضله عليهم .

يَشْكُون أَنّك قد نَسَخْتَ فعالهم

حتّى تُنُوسِيَ ما تقدَّمَ منهمُ ،(١٠)

وسَنَنْتَ في شرع المكارم [ما] عَمُوا

عن بعضه ، وفَهِمتَ ما لم يَفْهَمُوا(١١)

***

وقوله :

وكأنّ (آدَمَ) حينَ حانَ مَماتُهُ

أوصاك ، وَهْوَ يجودُ بالحَوْباءِ ،(١٢)

بِبَنِيهِ أن ترعاهُمُ ، فرعيتَهم

وكَفَيْتَ (آدَمَ) عَيْلَةَ الأبناءِ(١٣)

***

وقوله :

ماذا يقول لك الرّاجي ، وقد نَفِدَتْ

فيك المعاني ، وبحرُ القولِ قد نَزَفا ؟(١٤)

وما له حيلةٌ إلا الدُّعاءُ ، فإنْ

يُسْمَعْ يَظَلّ عليه الدَّهْرَ مُعتكِفا(١٥)

---

(١٠) يشكون : الأصل « يسلون » .

(١١) ما : زيادة يقتضيها المعنى والوزن .

(١٢) الحَوْباء : النفس .

(١٣) العَيْلَة : الفقر والحاجة .

(١٤) نفدت : فنيت وذهبت . نَزَف : نفد وفني .

(١٥) فان : في الأصل : « فلن » .

أخوه :

العالم الحسين بن العلاء الزاهد

لَقيتُه شابّاً بـ « بغدادَ » ، يقرأ الأدب على (ابن الخشّاب)[1] .

أرسل إلى (الملك النّاصر)[2] قصيدةً من « بغدادَ » ، أوّلها :

ألا ، حَيِّيا بـ « الرَّقْمَتَيْنِ » المَعالِما
وإن كُنَّ قد أصبحنَ دُرْساً طَواسِما[3]

إذا أنكر الأعداءُ فعلاً مُضارِعاً ،
أصار مَواضيه الحروفَ الجوازِما[4]

---

(١) ترجمته في أول هذا الجزء .

(٢) هو السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبيّ قاهر الصليبيين الغزاة ، ترجمته في (١١/١) .

(٣) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنّباج ، بعد حفر أبي موسى ، على شفير الوادي ، وهما منزل مالك بن الريب المازني ، وفيهما يقول في يائيته التي يرثي بها نفسه :

فللّه درّي يومَ أترُك طائعاً بَنيّ بأعلى « الرَّقْمَتَيْن » وماليا

والرقمتان أيضاً : احداهما قرب المدينة ، والأخرى قرب البصرة ، وإياهما عنى زهير بن أبي سُلْمَى في معلقته :

ودارٌ لها « بالرقمتين » كأنها مراجيع وشم في نواشر مِعْصَمِ

وهناك في بلاد العرب غيرهما أيضاً ، أنظر : معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان ، وصحيح الأخبار ١١٣/١ . المعالما : في الأصل « المعاليا » . الطواسم : هي الطوامس ، على القلب ، وطريق طاسمة : طامسة ، تحتاج الى التفتيش والتوسُّم ، ومنه قولُ المتنبي يمدح سيف الدولة :

وفاؤكما كالرَّبْع أشجاه طاسِمُهْ
بأنْ تسعدا ، والدمع أشفاه ساجِمُهْ

(٤) هذا ، من قول أبي الطيب المتنبي في سيف الدولة :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبلَ أن تُلْقَى عليه الجوازمُ

ابو الفرج بن الجوزي الواعظ البغدادي (١)

---

(١) هو الشيخ الإمام الحافظ احد مفاخر الملة وأساطين الإسلام عبدالرحمان بن علي ابن محمد القرشي التيْمِيّ البكري البغدادي ، من سلالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أبو الفرج ، جمال الدين ، عرف احد اجداده بالجوزي ، نسبة الى « مشرعة الجوز » من محالّ بغداد ، وقيل : كانت في داره بواسط جوزة لم يكن فيها جوزة سواها ، وقيل نسب الى جوزة فرضة من فرض البصرة ، وفرضة النهر ثلمته التي يستقى منها . ولد ببغداد سنة ٥٠٨ هـ أو ٥١٠ هـ بدرب حبيب . وكان أبوه يعمل الصفر بنهر القلائين ببغداد ، واهله تجار في النحاس ، ولهذا ورد اسمه في بعض السماعات : « عبدالرحمان بن علي الصفار » ، توفي أبوه وله ثلاث سنين ، فنشأ يتيماً على العفاف والصلاح . فلما ترعرع ، حملته أمه إلى مسجد الحافظ محمد بن ناصر السلامي محدث العراق ، فاعتنى به ، وأسمعه الحديث . وحفظ القرآن . ولازم من الشيوخ أعلمهم ، ومن ارباب النقل أفهمهم ، وخرج لنفسه مشيخة عن سبعة وثمانين عالماً . ووعظ وهو صغير جداً ، فأدهش الناس ، وما زال شأنه يعظم وشهرته تذيع حتى صار الخلفاء والسلاطين والوزراء والعلماء يحضرون مجالس وعظه ، وحزر الموفق عبداللطيف البغدادي حاضري مجلسه مئة ألف أو يزيدون ، وقال : « كان لطيف الصوت ، حلو الشمائل ، رخيم النغمة ، موزون الحركات والنغمات ، لذيذ المفاكهة » ، وشهد ابن جبير الرحالة الأندلسي بعض مجالسه ، ففتنته بلاغته ، ودهش من عدد الحاضرين ومن افتنانه بوعظه وتصرفه في الكلام ، فأبلغ في اطرائه والثناء عليه . وقد تاب على يده وأسلم في هذه المجالس خلق كثير . وكان لا يضيع من وقته شيئاً ، يكتب في اليوم أربع كراريس ، وشارك في كل علم ، وألف في التفسير وعلوم القرآن ، وفي الحديث ورجاله وفنونه ، وفي المذاهب والأصول ، وفي الفقه والعقائد والوعظ والأخلاق والرياضيات ، وفي الطب ، وفي الشعر ، وفي اللغة ، وفي التاريخ والجغرافيا والتراجم العامة والتراجم الخاصة . قال شيخ الإسلام الإمام تقي الدين بن تيمية ، في أجوبته المصرية : « كان الشيخ أبو الفرج كثير التصنيف والتأليف ، وله مصنفات في امور كثيرة ، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف ، ورأيت بعد ذلك ما لم أره » . ومن هذه المصنفات كتب كبار في أجزاء كالتفسير والتاريخ . وقد تبدد هذا التراث العظيم ، وضاع منه الكثير ، وحفظت الخزائن الشرقية والغربية منه ما حفظت ، وبدأت العناية به في هذا العصر تعظم يوما بعد يوم ، فنشر منه أكثر من ثلاثين كتابا في بغداد وبيروت ودمشق والقاهرة وبومبي وحيدر اباد والأستانة وليدن وليبزك ، وما برح

من (الحنابلة)[٢] .

واعظ . صَنيعُ العبارة ، بديعُ الإشارة ، مُولَع بالتجنيس في لفظه ، والتأنيس في وعظه .

وله من القلوب قبولُها ، حَسَن الشمائل ، قد مُزِجت من اللطافة والكِياسة شَمُولُها .

***

فمن شعره[٣] :

يَوَدّ حسودي لو يرى ليَ زَلّةً ،
فإنْ لم يَرَ الزّلات ، جاءت أكاذيبُ

الباحثون ينقبون عنه ، ويخرجونه من مكامنه إلى عالم النور . وفضل ابن الجوزي وعلمه ومواهبه أكبر من أن يُذكر هنا ، وإنما قصدت المَنْبَهَة عليه ، حين وجدت المؤلف ، ضاءل من شأنه العظيم في تعريفه ، وقد ذهبا الى رحمة ربهما في وقت جد متقارب من سنة ٥٩٧ هـ فمات العماد الكاتب بدمشق في يوم الاثنين غرة شهر رمضان ، ولحقه الإمام ابن الجوزي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان في داره بقَطُفْتا ببغداد ، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب حيث يرقد إمامه العظيم أحمد بن محمد بن حنبل ، وكانت جنازته مشهودة ، وكثر أسف الناس عليه ، وغلّقت الأسواق ، وبات كثيرون عند قبره طوال الشهر يختمون الختمات . وترجمته في : مرآة الزمان لسبطه أبي المظفر قزأوغلي ٤٨١/٨ ، وذيل طبقات الحنابلة ٣٩٩/١ ط .مصر ، وتذكرة الحفاظ ١٣٥/٤ ، ومفتاح السعادة ٢٠٧/١ ، وذيل الروضتين ٢١ ، والجامع المختصر ٦٥/٩ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ـ خ ، والتكملة للمنذري ـ خ ، والعبر ٢٩٧/٤ ، ومختصر تاريخ الدبيثي ٢٠٥/٢ ، والنجوم الزاهرة ١٧٤/٦ ، ووفيات الأعيان ٢٧٩/١ ، وشذرات الذهب ٣٢٩/٤ ، والبداية والنهاية ٢٨/١٣ ، ورحلة ابن جبير ٢٢٠ ط ـ أوربة ، وعقد الجمان للعيني ـ خ ، وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات ـ خ ، والكامل ٢٢٨/١٠ ، ومرآة الجنان ٢٨٩/٣ ، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ٢٥، ٧٧ ، وتذكرة الخواص « مواضع متعددة منه » ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ « مواضع متعددة منه » ، وكشف الظنون ١ و ٢ ، وإيضاح المكنون ١ و ٢ ، وروضات الجنات ٤٢٧/٣ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٦٦١/١ والذيل ٩١٤/١ ، وآداب اللغة العربية ٩١/٣ ، والتاج المكلل ٣٢ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١٢٥/١ ، والأعلام ٨٩/٤ ، ومعجم المؤلفين ١٥٧/٥ ، ولعبدالحميد العلوجي ، « مؤلفات ابن الجوزي » ، ولهلال ناجي مستدركات عليه في مجلة « المورد » .

(٢) الحنابلة (ص ٢٧ / ح ٢) .

(٣) وصف مترجموه اشعاره باللطف والكثرة ، وقال أبو شامة : « قيل ان أشعاره عشر مجلدات » .

أَرُدُّ على خصمي ، وليس بقادر
على ردِّ قولي ، فَهْوَ موتٌ وتعذيب

ترى أوجُهَ الحُسّاد صُفْراً لرؤيتي ،
فإن فُهْتُ ، عادت وَهْيَ سُودٌ غَرابيبُ[(٤)]

إذا فُهْتُ ، لم ينطِق عدوّي بلفظة ،
إذا ورد الضّرغامُ لم يَلَغِ الذّيبُ[(٥)]

⁂

وله مضمّن في الإمام (المستضيء)[(٦)] ، وقد أنشده في مجلس وعظه بسَحْضَره:

أُعيذُكَ بالكلمات التّي أُعيذُ بها كلَّ مَنْ يكمُلُ
فما وَسِعَ البَرُّ ما قد وَسِعْتَ ولا حمل الطَّوْدُ ما تحمِلُ

⁂

[وله][(٧)] :

الماءُ عندي قد طما وأنا الّذي أشكو الظّما[(٨)]
جسمي معي ، لكنّ قلـ ـبي عندَ سُكّان الحِمَى
يا بانةَ الوادي ! ارحمي مَنْ لا يزال مُتَيَّما[(٩)]

---

(٤) غرابيب : جمع غِربيب ، وهو الشديد السواد ، وكثيراً ما يجيء تأكيداً فيقال « أسودُ غربيبٌ » . وفي القرآن الكريم : (ومن الجبال جُدُدٌ بِيض وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها وغَرابيبُ سُودٌ) .

(٥) يَلَغ : في الأصل « يبلغ » ، ب : « يتلع » ، والصواب ما أثبتّه . يقال : وَلَغَ الكلب وغيره من السباع في الإناء ، وبه ، ومنه ، يَلَغ ويالَغُ وَلْغاً ووُلوغاً ووَلغاناً : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل فيه لسانه فحرّكه . وفلان يأكل لحوم الناس ويَلَغ في دمائهم : يغتابهم .

(٦) ترجمته في (١/٩) .

(٧) زيادة لازمة .

(٨) طما الماء : ارتفع وملأ النهر . الظما : الظمأ ، حذف همزته للقافية .

(٩) البانة : (ص ٩٣ / ح ٣٧) . المتيّم : العاشق الذي استعبده الحب وذهب بعقله .

يا نفحـــةَ الـــرّيحِ الشـَّــما ل ِ ! ألا اخبِـــريهم بعضَ مــا[10]
أَلْقَى بحَـــرِّ سَـــمائمِ الـْ أشـــواق تُشجي مُغْرَمـا[11]

⁂

ومن شعره ـ ويُذكَر أنه لغيره ، والأصلح أَنّه له :

صَبٌّ .. قـد هـام بكم وصَبـا أضحى من حُبّكُمُ وَصِبـا[12]
يهتـــزّ لذكـــركُمُ طَــرَباً ويـرى إعـراضَكُمُ عَطَبـا[13]
فدَعِ الدُّنيـا . فلكم سـلبت وَلَداً بَرّاً أُمّـاً وأبـــــا
وبنَتْ قصـراً يحوي نصـــراً وقُصـــاراه أَنْ قـــد خَرِبا[14]
كم خَدَّت خَــــدّاً في الأُخْـــ ـدُود ، وقَدَّت قَدّاً منتصِبا[15]
ولَرُبَّ جـــوادٍ ، أعجبــــه جريٌ في موكبــــه ، فكبـا[16]
بَيْنـا ما المرء يُرَى رأســـاً ، فهوَى فيها ، فغــدا ذَنَبـا[17]
يَنْســاك الأهــل إذا رَجَعُــوا عن قبرك ، لا تسمَعْ كذِبـــا

---

(10) اخبريهم : همزته قطع ، وجعلها همزة وصل لضرورة الوزن .
(11) السمائم : جمع السَّموم ، بفتح السين ، وهي الريح الحارّة ، والحر الشديد النافذ في المسامّ ، وفي القرآن الكريم : (وأصحابُ الشِـمال ما أصحـابُ الشِمال . في سَمُومٍ وحَميم) . تُشجي : تهيّج ، يقال : شجاه يشجوه شجواً ، وأشجاه .
(12) الصب : المحب . صبا : مال . وَصب المريض : وجد وجعاً ، وهو وَصِبٌ .
(13) العطب : الهلاك .
(14) يحوي : في الأصل « تحوي » . قُصاراه : غايته .
(15) خدت : حفرت . الأُخدود : الشقّ المستطيل في الأرض . قدّت : قطعت طولاً .
(16) كبا : عثـر .
(17) بيناما المرء : كذا رسم في الأصل بفصل « ما » ، على أنها زائدة . وزيادة « ما » بعد « بينا » غير مسموعة من كلام الفصحاء ، وإنما تزيد العرب « مـــا » على « بينَ » ، وهي ظرف مبهم ، تزاد عليها الألف ، أو « ما » فتصير « بينـــا » و « بينَما » ، وتكون ظرف زمان على المفاجأة. فغدا ذنبا : الأصل «فعد دنبا».

تركوك رهينــــــاً في جَدَث ، وبقِيتَ بإثمــك مُحتقِبـا[18]
وترى أعمالك قــد حضــــرت ، فتَنَكّس رأســاً مكتئبــــا
يا عاشقَها .. كــم قــد قتلت أمثـــالك ، فالهَرَبَ الهَرَبا ![19]

---

(18) احتقب الإثم : ارتكبه .

(19) ومن شعره :

(1)

ما رواه ابن خلكان في وفيات الأعيان ، وهو مما يردده الناس ببغداد ولا يعرفون قائله ، قال : « أنشدني له بعض الفضلاء يخاطب أهل بغداد :

عـذيريَ من فتيـة بالعِراق قلوبُهــم بالجفـا قُلَّبُ
يرون العجيب كـلام الغريب ، وقول القــريب فلا يعجبُ
مَيازِيبُهم إن تندّت بخــير إلى غــير جــيرانهم تقلبُ
وعــذرهُمُ عندَ توبيخِهم : مغنّيةُ الحيّ لا تُطْرِبُ ! » .

أقول : وهذا المعنى سبق إليه الشريف الرضيّ . قال :

أيا للمجـد من قوم لئــام الا حـرٌّ على عرض يَغـَار
فأشجعهم إذا فزعوا جبـان وأذكاهم اذا نطقوا حمـار
لَبُونُكمُ تــدرّ لأبْعَدِيكم وعندي الذّينُ منها والنفـار[1]
لغيري ضوء نارِكُمُ ، وعندي دواخِنُهــا السواطع والأُوار

وقبل الشريف الرضيّ ، قال أبو الطيب المتنبي معاتباً سيف الدولة :

ليت الغمام الّذي عندي صواعقه يزيلهن إلى مَنْ عنـده الدِّيَمُ

(2)

ونسب إليه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة هذين البيتين المشهورين :

رأيت خيـال الظّلّ أعظم عبرة لمن كان في أوج الحقيقــة راقِ
شخوص وأشكال تمرّ وتنقضي وتفنَى جميعـاً والمحرّك بـاقِ

---

(1) الذّينُ : العيب .

(٣)

ومن لطيف شعره ، ما رواه أبو شامة عنه ، قال : وانشدنا لنفسه :

سلام على الدار التي لا نزورها ... على أن هذا القلب فيها أسيرُها
إذا ما ذكرنا طِيبَ أيامنا بها ... توقد في نفس الذكور سعيرُها
رحلنا ، وفي سر الفؤاد ضمائر ... إذا هَبَّ نجديّ الصَّبا يستثيرها
محت بعدكم تلك العيون دموعها ... فهل من عيون بعدها نستعيرها ؟
اتنسى رياض الروض بعدَ فراقها ... وقد أخذ الميثاق منك غديرُها ؟
يجعّده مَرُّ الشمال ، وتارةً ... يغازله كرُّ الصَّبا ومرورُها
الا هل إلى شم الخزامى وعرعر ... وشيحٍ بوادي الأَثْل أرض نزورها
الا أيّها الرَّكبُ العراقي بلّغوا ... رسالةَ محزون حوته سطورُها
إذا كتبت انفاسُه بعضَ وجدها ... على صفحة الذكرى محاه زفيرُها
ترفق رفيقي هل بدت نارُ أرضهم ... أم الوجد يذكي ناره ويثيرها
أَعِدْ ذكرهم فهو الشفاء ، وربما ... شفى النفس أمر، ثم عاد يَضيرها
سقى الله أياماً مضت ولياليا ... تضوَّعَ ريّاها وفاح عبيرُها

زين الدين ابو المظفر محمد بن اسعد العراقي المعروف بابن حكيم [1]

الواعظ ، الفقيه ، الحَنَفيّ .

من أهل « بغداد » .

سكن « دِمَشْقَ » ، واستوطنها .

من ظُرَفاء العلماء ، وعلماء الظُّرَفاء .

شاخ ، وجمرُ طربِه ما باخ[2] ، واستوفى من عمره الصَّفْوَةَ والنُّقاخ[3] .

لقِيته ، عند وصولي إليها ، في شهر رَمَضانَ سنةَ اثنتين[4] وستّين [وخمس مئة][5] .

---

(1) في الأصل ، هنا وفي موضع آخر من الترجمة : « ابن حليم » ، وتصحيحه من ترجماته في الأصول ، وقد ورد في بعضها معرفاً « ابن الحكيم » ، وفي بعض آخر « الحكيمي » . ولد ببغداد في سنة ٤٨٤ هـ ، وتأدب بها ، وتفقه بالفقه الحنفي ، وسمع الحديث ، وروي عنه . وسمع «مقامات» الحريري من منشئها الحريري البصري ، ووضع لها شرحاً ، والّف تفسيراً ، وشرح الشهاب في الحديث للقضاعي ، ورحل إلى دمشق وتوطنها ، ووعظ فكان له القبول التام في الوعظ فيها ، ودرس بالمدرسة الطّرخانية وبالمدرسة الصادرية ، وبنى له الأمير معين الدين أُنُر مدرسة ، وهي المدرسة المعينية ، واقبل عليه الناس ، وذكر مترجموه وفاته في دمشق سنة ٥٦٧ هـ ، وقال المؤلف ٥٦٦ هـ . وترجمته في الدارس في تاريخ المدارس ٥٣٨/١ ــ ٥٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٨٩ ، وشذرات الذهب ٢١٨/٤ ، والجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣٢/٢ ، والعبر ١٩٩/٤ ، والوافي بالوفيات ٢١٨/٢ ، ومختصر تاريخ ابن الدبيثي ٢٥/١ ، والمحمدون من الشعراء ١٤٨ ــ وفيه : « محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحليمي العراقي ، ابو المظفر ، المعروف بابن حليم الحنفي » . وتاريخ مدينة دمشق ١٧٥/٢ ، وفيه قصيدة طويلة له ، ومرآة الجنان ٣٨٢/٣ .

(2) باخ الجمر : سكن وفتر .

(3) استوفى : في الأصل « استولى » . النُّقاخ ، هنا : الخالص من كلّ شيء .

(4) في الأصل « اثنين » بالتذكير .

(5) زيادة منّي .

وتُوُفّي بها في سنة ستّ وستّين وخمس مئة(٦) .

***

فممّا أنشدنيه لنفسه ، ما قاله جواباً عن شعر كتبه إليه الخطيب (يحيى بن سلامة الحَصْكَفِيّ)(٧) لما كان بـ « آمِد »(٨) ، ووعظ ، وهو :

يا عالماً في كلّ فنّ ، حَظّه
أوفَى وأوفرُ ، والعلومُ أحاطَ(٩)

قيّدتَ بالكَلِم الكلامَ ، وقبلَها
أضحى جمالك عُقْلَةَ الألحاظِ(١٠)

---

(٦) في الأصل : « من سنة ستة وستين وخمسمائة » .

(٧) ترجمه المؤلف في قسم شعراء الشام ٤٧١/٢ ـ ٥٤٠ وأورد طائفة كبيرة من خطبه ، ورسائله ، وأشعاره . وله ترجمة أيضاً في وفيات الأعيان ٢٣٧/٢ ، والمنتظم ١٨٣/١٠ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣٠/٧ ، والطبقات الوسطى للسبكي أيضاً ـ خ ، وطبقات الإسنوي ٤٣٨/١ ، واللباب ٩٠/٢ ، ومعجم البلدان (طنزة) ، والأنساب ٣٧٢ أ ، والنجوم الزاهرة ٣٢٨/٥ ، وشذرات الذهب ١٦٨/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٢ الورقة ٢١٨ ، والبداية والنهاية ٢٣٨/١٢ ، ومعجم الأدباء ١٨/٢٠ ، والفهرس التمهيدي ٢٧٩ ، وبروكلمان ٧٢٣/١ ، وفهرس دار الكتب ٢٥/٢ ، و ١٦٠/٣ ، والإعلام لابن قاضي شهبة ، والأعلام للزركلي .

(٨) آمِد ، بكسر الميم : مدينة قديمة مشهورة من مدن « ديار بكر » ، على غربي « دِجلة » ، كثيرة البساتين والشجر والزرع . فتحها عياض بن غنم في سنة عشرين من الهجرة ، وخرج منها في الإسلام خلق من العلماء في كل فنّ ، منهم أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي الأديب الشاعر الناقد اللغوي مؤلف « المؤتلف والمختلف » و « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » و « معاني شعر البحتري » وغيرها ، وأبو المكارم محمد بن الحسين الآمدي البغدادي الشاعر ، وستأتي ترجمته في هذا الجزء ، وسيف الدين علي بن محمد الآمدي مؤلف « الاحكام في أصول الأحكام » وغيره ، وباقعة عصره زين الدين علي بن أحمد الحنبلي الآمدي الضرير ، الناشىء ببغداد ، المتوفى سنة ٧١٤هـ (١٣١٤ م) وكان آية في قوة الفراسة وحدة الذهن وتعبير الرؤيا ، عارفاً بالفارسية والتركية والمغولية والرومية وغيرها ، إبتكر صنع الحروف البارزة ، وقد سبق بذلك (برايل الفرنسي) Louis Braille المتوفى سنة ١٨٥٢م بنحو ست مئة سنة .

(٩) الأحاظي : جمع الحظ ، وجمع جمعه أيضاً .

(١٠) العُقلة : ما يعقل به كالقيد او العِقال ، يعني أن جماله من روعته يستوقف النظر ، ويقيّده ، فلا يتركه .

كنتَ الأحقَّ بها ، وقد أحييتَهـــــا
يا مُحْيِياً (قُسّاً) بـ « سُوقِ عُكاظِ »[11]
ولَتَتْ شياطين النّفوس ، وحولَهـــا
حِكَمٌ .. تَحَرّتْها ، بغيرِ شُواظِ[12]
وكأنما الكرسيُّ تحتَكَ سابقاً
طِرْفٌ يُهَجّنُ ذا البَضيعِ الخاظي[13]
قد كنتُ سهواً في الرُّقود وغفلـــةٍ
فجعَلْتَني في زُمرة الأَيقـــاظِ
ونظمت تِقْصاراً من الدُّرَر التي
أرسلتَها ، وتُعَدُّ في الأَلفـــاظِ[14]
وظفِرتُ منك برَبِّ حفظٍ نـــافع
فلَتَظْفَرَنْ منّي بـرَبِّ حِفاظِ[15]
وأرى سِواكَ مُضِلَّ ما أوجدتَني
فَلأَهْجُرَنَّ مَجالِسَ الوُعّاظِ

***

والجواب الّذي كتبه :

وافَى ثنـــاؤك مُؤْذِناً بحِفـــاظِ
حُلْوَ المعاني ، رَيِّقَ الألفـــاظِ[16]

---

(١١) قس ، وسوق عكاظ : (ص ٢٤٥/١١٢) .
(١٢) الشُّواظ : (ص ٢٤٦ / ح١١٣) .
(١٣) الطِّرف ، بكسر أوّله : الكريم من الخيل . يهجن : يقبّح ويعيب . البضيع : اللحم ، و ــ ما انماز من لحم الفَخِذ ، الواحد بضيعة . الخاظي : المكتنز ، في الأصل « الحاظي » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .
(١٤) التّقصار ، والتِقصارة ــ بكسر التاء فيهما : قلادة شبيهة بالمخنقة ، والجمع التقاصير . قال عَدِيّ بن زيد العِبادِيّ :
ولها ظبيٌ يؤرّثهـــا عاقِدٌ في الجِيد تِقْصـــارا
(١٥) الحِفاظ : الرعاية للشيء والذّبّ عنه ، وهو ذو حِفاظ : له أَنَفَة .
(١٦) ريّق الألفاظ : أفضلها .

يُنبي بأنّــك ذو إخـــاءٍ خـالصٍ ،
لا بالوَشيظِ ، ولا بذي إحفـاظِ [17]

يـا مَنْ غـدا في العـلم فَـذّاً أوحـداً
متمكّنـاً ، كالنَّصْـل في الأَرْعاظِ [18]

ما إنْ غـدا الكرسيُّ تحتي سـابقاً
إلّا لأنّـك كنتَ نُصْبَ لِحـاظي

يـرنو إليـك بـزفرةٍ وتحَيُّـرٍ
وتحـرُّقٍ يبـدو بغيرِ شُـواظِ [19]

وتقول : دُونَك ذا الإمـامَ ، فإنّـه
أربى على العلمـاءِ والحُفّـاظِ [20]

مَنْ رامَ يُدرِك شَأْوَ علمِـك حاسـداً
أضحى عـديمَ العقـلِ كالجِنْعـاظِ [21]

فاسـتُرْ عَواري ، إن بدا لك ، ناصراً
يا سـيّدَ العلمـاءِ والحُفّاظِ [22]

***

(17) خالص : في الأصل «لص » . الوشيظ : واحد الوشائظ ، وهم السِفْلة من الناس . بذي : الأصل « بذا » . الإحفاظ : الإغضاب .
(18) النصل : حديدة الرمح والسهم والسكين . الأَرعاظ : جمع الرُعْظ ـ بضم فسكون ، وهو مدخل أصل النصل ، أو الثقب في السهم الذي يدخل فيه أصل النصل . وفي المثل : « إنّه ليكسّر عليك أرعاظ النَّبْل غَضَباً » يضرب للرجل الذي يشتد غضبه .
(19) تحيّر : لعل الأولى « تَحَسّر » . الشواظ : (ص ٢٤٦/ح١١٣) .
(20) دُونك ذا الإمام : عليك به ، إلزمه . أربى : زادَ .
(21) الشأو : الشوط ، و ـ الأمد والغاية . الجِنعاظ : (ص ٢٤٥/ح١١١) .
(22) إن بدا لك : في الأصل « إذ بذلك » .

وأنشدَني (ابن حكيم)[٢٣] لنفسه ، بِـ « دِمَشْقَ » :

أعظمُ النّـــاس حســرةً آســفاً عنــدَ موتِــه ،
غــافلٌ •• لم يُبــادِرِ الْـ ـوقتَ من [قبــلِ] فوتِــهِ[٢٤]

***

وأنشدني لنفسه ، بها :

ما للشّـــباب •• تَوَلَّى ؟ ومــالَ عنّي ومَـــلّا ؟
وسلَّطَ الشّـيبَ ، حتّى علـيَّ للضَّعْف وَلّى
أَمَــرَّ ما كــان دهــراً من عيشــةٍ ليَ أحــلى
كـأنَّ شــيبي غـُــراب للبَيْنِ نــاحَ فأجلى[٢٥]
وما عَهِــدتُ غُرابــاً لِلبَيْــن أبيضَ يُقْلَى[٢٦]

***

وأنشدني لنفسه ، بها :

يا نفسُ •• قد فَرَّطْتِ فيما مضى فاستدرِكي الفائتَ في الباقي[٢٧]
فمــا لِبــاقي العمر من قيمــة معلومــة تُلْفى بأســواقِ

***

وأنشدني أيضاً له :

يــا غافــلاً •• ليس يــدري متــى يمــوتُ ويُقْبَــرْ
لا تغفلَــنَّ ، فــإنّ الـ ـحياةَ مــن ذاك أقصــرْ

***

(٢٣) في الأصل : « ابن حليم » ، أنظر (ص ٢٦٤/ج١) .
(٢٤) قبل : سقطت من الأصل .
(٢٥) البَيْن : الفراق .
(٢٦) يقلى : يُبْغَض أشدّ البُغض .
(٢٧) فَرَّط الشيء ، وفيه : قصّر فيه وضيّعه حتى فات ، وفي القرآن الكريم : (أَنْ تقولَ نفسٌ : يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله) .

وأنشدني لنفسه ، بها :

يا نَدِيمي .. قَدِّمِ الرّا ... حَ ، فقد آنَ الرَّواحُ[٢٩]

واسْقِنيها في دُجَى الليـ ... ـلِ ، فقد جَدَّ الصَّباحُ

إنّ خمراً .. مُزِجت بالـ ... ـدَّمْعِ ، ما فيها جُناحُ ![٣٠]

***

وأنشدني لنفسه :

يا مَليحاً .. كمَّلَ اللّـ ... ـهُ لـه الحُسنَ وأبْدَعْ

هل لصَبٍّ مُسْتَهامٍ ... بك ، في وصلك مَطْمَعْ ؟[٣١]

إن يكن ذاك ، فإنّي ... في رياض الحسن أرتع

أو ، فإنّي ـ إن تَمَتَّعْـ ... ـتُ بوعدٍ منك ـ أقنَعْ

أو أَبَيْتَ الوصلَ والوَعْـ ... ـدَ ، فقلْ لي : كيف أصنَعْ !؟

***

ولـه :

ألا ، هل لِصَبٍّ بـ « الشَّآم » مُتَيَّمٍ

بحُبّكُمُ ، بينَ الأنام ، بلاغُ ؟[٣٢]

له شُغُلٌ بالحبّ عن كلِّ عاذلٍ ،

وليس لـه عمّا عراه فَراغُ

تجَرَّع يومَ البَيْنِ كأسَ فراقِكم ،

وليس لكأس الصَّبْرِ فيه مَساغُ

***

---

(٢٩) الراح : الخمر .

(٣٠) الجُناح : الذنب .

(٣١) صب مستهام : عاشق مشغوف حباً . مطمع : في الأصل « مقطع » .

(٣٢) متيّم : عاشق ، استعبده العشق وذهب بعقله .

ولـه :

الدّهـــــرُ يَخفِضُ عـــامداً فيـلاً ، ويرفَعُ قـــدرَ نَمْلَه
وإذا تنبّـــــهَ لِلـئـــــام ، وقام للنّـــوّام ، نَمْ لَه[٣٣]

**

ولـه :

تقـدّمْتُمُ بالحظّ ، حتّى سـبقتُمُ
جيـاد المَذاكي بالحمير الأظالـعِ[٣٤]
كأنّـكم الأعـدادُ ، لا يبتـدا بهـا
لدى عَقْدِهـا إلا بصُغْرَى الأصابع ![٣٥]

**

ولِـ (مُؤَيّد الدّولة أُسامة بن مُنقذ)[٣٦] في المعنى ، بيتانِ ، وهما أحسن :

---

(٣٣) في الجواهر المضية : « ونام نوام فنم له » ، وقد حير محشى « تكملة إكمال الإكمال » (ص ١١٥) وقال يصححه : « ولعلّ الأصل : وقام نوام فنم له »، بل صحيحه هو هذا : « وقام للنّوّام نَمْ لَهْ » .

(٣٤) المذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، الواحد مُذَكٍّ . الأظالع : جمع الظالع ، وهو الأعرج الذي يغمز في مشيه ، وفي المثل : «لايدرك الظالع شأوَ الضليع » . في الأصل : « الأضالع » .

(٣٥) يبتدا : يبتدأ ، سهل همزته للوزن . وفي « المحمدون من الشعراء » : « ... لا يبتدى ... بصغر ... » وكلاهما خطأ .

(٣٦) هو الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني : من أكابر بني منقذ أصحاب « قلعة شَيْزَر » بقرب « حماة » ، بل من أكابر رجال عصره علماً وأدباً وشعراً وفروسية وجهاداً . ولد سنة ٤٨٨هـ قبل أن يهب إعصار الغزو الأوربي الصليبي على الشرق العربي الإسلامي بعامين ، وتأدب وحذق العربية وحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من الشعر العربي الرفيع ،وخاض نيران الحروب الصليبية يافعاً ولما يتجاوز الخمس عشرة سنة . وقاد عدة حملات على

مـا إن عَدَدْتُكَ للمُلِمِّ ، وقــد أرى
ما فيـك من خَـــوَرٍ عن الإنجــادِ [37]

إلا كمــا تَعْتَـــدُّ يُمْنَى كـــاتبٍ
صُغْرى البَنــانِ لأوَّل الأعـــدادِ [38]

الصليبيين في فلسطين ، وظل يجالد فرسان الغزاة حتى تجاوز الثمانين ، ولما اقعدته الشيخوخة عن الحرب ، انصرف الى التأليف حتى وفاته سنة ٥٨٤هـ وقد استوفى السادسة والتسعين ، وخلف عشرين كتاباً من روائع الكتب ، مثل : كتاب الاعتبار ، وقد ضمنه سيرته ومشاهداته واحداث عصره السياسية والحربية والاجتماعية ، وقد ترجم الكتاب الى الروسية والفرنسية والالمانية. وديوان شعره وهو قمة في الشاعرية والبيان الرفيع . ولباب الآداب . والمنازل والديار . والبديع . والعصا . وفضائل الخلفاء الراشدين وأخبـــار بني منقذ ، وغيرها . وترجمته في خريدة القصر ـ قسم شعراء الشام ٤٩٧/٢ ـ ٥٤٧ ، وكتاب الروضتين ١/١١١ـ١١٣ و ٢٦٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٠٠/٢ ، والبداية والنهاية ٣٣١/١٢ ، وشذرات الذهب ٢٧٩/٥ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ـ خ ، ووفيات الأعيان ٦٣/١ ، ومعجم الأدباء ١٨٨/٥ـ٢٤٥ ، ومقدمة « الاعتبار » لفيليب حتّي ، ومقدمة « لباب الآداب » لأحمد محمــد شاكر ، ودائرة المعارف الإسلامية ٧٩/٢ ، وغيرها . وللأســتاذ جمال‌الدين الألوسي كتاب « أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية » ط ـ ببغـــداد ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧ م .

(٣٧) المُلِمّ : ما ينزل بالإنسان من الشدائد . خَوَر : ضَعْف وانكسار ، في الأصل « جود » ، وتصويبه من « المحمدون من الشعراء » . الإنجاد : الإعانة والنصر.

(٣٨) صغرى : في « المحمدون » : صغر ، وهو خطأ . البنان : الأصـــابع ، وقيل : اطرافها ، واحدها بنانة .

أبو نزار بن المحدري الشيباني (1)
محمد بن حماد بن المبارك بن حبان (2)

من أهل « بغدادَ » ، من « باب الأَزَج »(3) بـ « بغدادَ » .

أديب ، فاضل ، من أهل الأدب والعلم .

متظرّف في كلّ فنّ .

وكان مشغوفاً بالجمع والتّصنيف .

تُوُفّي في سنة ستّين وخمس مئة .

ونقلت ما أثبتُّ من شعره بخطّه ، من كراريسَ .. وجدتُها تباع في السّوق . وكانت أَحضرَتْها امرأة ، تبيعها بعدَ موته ، عند دُكّان (الشّيخ أبي المَعالي)(4) ، فوجدت له في كلّ فن تصنيفاً ، يشتمل عليه كُرّاسة أو كُرّاستان .

⁂

---

(1) لم أجد له ترجمة أو خبراً في المراجع المتداولة المشهورة . و « المحدري » لم أجده في الأنساب العربية ، وقد يكون « المُجَدّر »، يقال لمن به أثر الجُدَري، قال ابن الأثير : « وعرف به نصر بن زيد المُجَدّر ، يروي عن مالك وشريك وغيرهما » ، والشيبانيّ : نسبة إلى « شيبان » ، وبنو شيبان : بطن من بكر ابن وائل من العدنانية ، وبطن من حمير من القحطانية .

(2) حِبّان ، أو حَيّان : كلاهما سمّت به العرب ، ومن الأول : حِبّان ــ بكسر الحاء وتشديد الباء الموحدة ــ والد أبي حاتم محمد بن حِبّان بن أحمد بن حِبّان بن أحمد بن حِبّان التميميّ البُستي الحِبّاني المحدث المشهور ، وبالفتح : والد واسع بن حَبّان بن منقذ ، وهو حَبانيّ من التابعين ، وبالضم : وهو والد محمد بن حُبّان بن بكر بن عمرو البصري من المحدّثين ، ومن الثاني ــ وهو بفتح الحاء وتشديد الياء المثناة : الحَيّاني جماعة من رواة الحديث ، وأبو حيّان التوحيدي الكاتب الأديب المشهور ، وأبو حَيّان النحوي ، وأبو مروان حَيّان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء ، القرطبي ، المؤرخ، مؤلف « المقتبس في تاريخ الأندلس » ، وغيرهم .

(3) باب الأزج : (ص ٣٦ ح ٢) .

(4) ترجمته ، في (ج ٢٨/٤ ــ ١٢٢) من هذا الكتاب .

وقد جمع من شـــعره ما انتخبت منه قوله في (جمال الدّين الجواد)[٥] ، بـ « المَوْصِل »[٦] ، على لسانه ، يخاطب راجيَهُ :

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ! لا تعجَلْ ، فإنّ لنـــا
جُوداً .. نـال به قومـاً ، وإن بَعُدُوا

وإن أتانـا بفضـل منهُمُ أحَــدٌ ،
فقـد حباه بفضلٍ عنـدَنا الأحَـدُ[٧]

فطِبْ بذلك نفساً ، واغْدُ في دَعَـةٍ ،
فقـد أتاك بجُودٍ عنـدَنا الصَّفَدُ[٨]

*

وقوله :

فَتَنَتْني فتّانــةُ الألْحاظِ صعبةُ الطّوع سهلةُ الألفاظِ
خَدْلَةٌ،عَبْلَةٌ،كَعُوبٌ،لَعُوبٌ بعقـول النُّسّـاك والوُعّاظ[٩]
ريقُها يُبْرِد الغليل ، ويَشــفي سَقَمَ القلب من لهيب الشُّواظ[١٠]
غلظت في عتابهـا لي ، وقـالت : مُتْ بأدواك يا شَبِيهَ الشِّظاظِ[١١]
لستُ آسى عليك وصلاً ، ولكنْ لذّةُ الحبّ بعدَ لَوْكِ المِظاظِ[١٢]

*

---

(٥) أسلفت ترجمته في (٣٠١/١) .
(٦) الموصل : ٣٠٢/١ .
(٧) حباه العطاء ، وحباه به : أعطاه .
(٨) الدعة : الخفض والسعة في العيش ، يقال : وَدَع يَوْدَع ويَدَع وَدْعاً : صار الى الدّعة والسكون ، و ـ سكن واستقرّ ، فهو وديـع ووادع . الصَّفَد : العطاء .
(٩) الخَدْلة : الممتلئة التامّة . العَبْلَة : التّامة الخلق . الكعوب : الجارية التي نهد ثَدْياها ، وهي كعاب وكاعب ، ولم يسمع « كَعُوب » .
(١٠) الغليل : شدة العطش وحرارته . الشواظ : (ص ٢٤٦ ح١٤٣) .
(١١) بأدواك : بأدوائك ، قصر للوزن ، وهو جمع الداء . الشِّظاظ : العود الذي يُدخَل في عُرْوة الجُوالق ، وفي حديث أمّ زرع : « مِرْفَقُه كالشِّظاظ » .
(١٢) آسى : أحزن . المِظاظ : المخاصمة والمُشارّة وشدة المنازعة مع طول اللزوم. اللوك : إدارة الشيء في الفم ، ومضغه .

وقوله[١٣] ، يهجو امرأة :

أُختَ الأَجَمّ الرَّقيعِ ، كان وقد صاغت له شاختَيْن من صَخْرِ[١٤]

واحدة يبلغُ السَّماءَ بها طُولاً ، وترْبي الأُخرى على الحَشْرِ[١٥]

⁂

وقوله في الخمريّات :

قُمْ ، يا نَديمي ، إلى اللذّات نَنْهَبُها ما بينَ نايٍ وبينَ البَمّ والزّيرِ[١٦]

ونَسْتَبي الخمرَ من حاناتها بَطَراً ، ونجتليها على آسٍ ومنثورِ[١٧]

من قَهْوَةٍ •• يتركُ الأذهانَ حائرةً شُعاعُها ، ويُقَوّي الشَّمسَ بالنّورِ[١٨]

⁂

وقوله :

قُمْ ، يا نَديمي ، بلا خِلافِ نكرَعْ جِهاراً من السُّلافِ[١٩]

من قَهْوَةٍ مُزَّةٍ شَمُولٍ تذكُرُ حقّاً بناءَ « قاف »[٢٠]

---

(١٣) الأصل : « وقال » .

(١٤) الأجمّ : الكبش الذي ليس له قَرْن . الشاخة : عنى بها القَرْن ، فارسيّة ، أصل معناها الغصن ، ثم نقلت الى الجدول الذي يتفرع من النهر من باب المشابهة في التفرع والامتداد ، ثم الى القرن ، وهما شائعان في العامية العراقية بمعنَيَيْهما هذين .

(١٥) تربي : تزيد .

(١٦) النـاي : (ص ٨٠/ح١٤٦) . البم والزير : (ص ١٠٤ ح ١٠٠) .

(١٧) استبى الخمر : حملها من بلد الى بلد . اجتلاها : نظر إليها . الآس : شجر دائم الخضرة ، بيضي الورق ، أبيض الزهر أو ورديه ، عطريّ . المنثور : نبات ذو رائحة ذكية ، واحدته منثورة

(١٨) القهوة : الخمر . وقوله « الشمس » ، أرى صوابه « النفس » .

(١٩) السلاف : الخمر .

(٢٠) المُزّة : الخمر فيها حموضة . الشمول : الخمر . قاف : جبل ، زُعم أنه يحيط بالأرض .

بــــــلا فتـــور ، ولا قصــور ، واعلَمْ بأنَّ الزَّمـــان جافِ[٢١]
يسعى بهـــــا في الحَجِيج قــوم" في ظُلمــــــــة الليــل للطَّوافِ
في فِتْيَــة •• جَدُّهُمْ رفيــع" ، وجودُهُمْ للعــــديم كـــافِ
ما بــينَ عَـودٍ وبينَ نـــايٍ ، وذِكرِ حِبٍّ ، وعهـدِ وافِ[٢٢]

**

وقوله في الهجو :

فمــن وجهــه يبــدو الكسوفُ إذا بــدا ،
ومن ظلمه يَغْشَى الوجودَ ظــــــلامُ
إذا عُـــــدَّ في الدُّنيــا اللئـــام ، فإنّـــه
تمـــام" لهم في اللؤم وَهْوَ خِتـــــامُ

**

وقوله في مدح (أهل البيت) — عليهم السَّلام — :

وَلاءُ (أهــلِ البيت) فخري ، إذا تصـــدَّرَ الأقـــوامُ للفخـــرِ
(محمــد")و (المُرْتَضَى حيدر) ، هما عَتَـــادي وهما ذُخْرِ [ي][٢٣]
و (فاطِم") ذاتُ التُّقَى ، حُبُّهـا ينفَعُني في اللَحْـــد والقبـــرِ

---

(٢١) جافٍ : سيء غليظ .
(٢٢) الناي : (ص ٨٠ ح١٤٦) . الحِب . بكسر الحاء : الحبيب .
(٢٣) المرتضى حيدر : علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وأمه فاطمة بنت أسد ، ولدته وأبوه غائب ، فسمته « أسدا » باسم أبيها ، فلما قدم أبو طالب سماه (علياً) ، والأسد يقال له حيدر والحيدر والحيدرة ، وينسب إلى علي رضي الله عنه أنه قال هذا الرجز يصف نفسه :

أنـــا الّذي ســمتني أمي حَيْـدَرَهْ
كليث غابـــات غليظ القَصَـــرَهْ
اكيلـكم بالسـيف كيـــل السـنْدَرَهْ
أضــــرب بالسّيف رقــابَ الكَفَرَهْ

ذخري : في الأصل « ذخر » .

و (الحَسَنان) السّابقانِ الورى إلى المعـالي وإلى القَـدْرِ (٢٤)

والرّاهبُ (السَّجّاد) خيرُ الورى طُرّاً ، وربُّ النّائل الغَمْرِ (٢٥)

و (باقـرُ) العلمِ (أبو جعفر) نِعمَ الإمامُ الخالصُ النَّجْرِ (٢٦)

و (جعفـرٌ) والد (موسى) الّذي له (الرِّضَا) يقفو على الإِثْرِ (٢٧)

---

(٢٤) الحَسَنان : الحسن والحسين ، من باب التغليب ، كالعمرين أي أبي بكر وعمر ، والقَمَرين : الشمس والقمر . وهمـا السبطان الكريمان رضي الله عنهما .

(٢٥) الراهب السجّاد : عنى به زين العابدين أبا الحسن عليّ الأصغر بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع وكثرة العبادة ، توفي سنة ٩٤هـ بالمدينة . وليس للحسين السبط عقب إلا منه . النائل الغمر : العطاء الكثير .

(٢٦) الباقر : هو أبو جعفر ، محمد بن زين العابدين علي الأصغر ، خامس الأئمة الاثني عشر عند الامامية . قال ابن خلكان : « وإنما قيل له « الباقر » ، لأنه تبقّر في العلم أي توسع » . ولد بالمدينة سنة ٥٧ هـ ، وتوفي بالحميمة سنة ١١٣ هـ ، أو ١١٤ ، أو ١١٧ ، أو ١١٨ ، ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيـع . النجر : الأصل .

(٢٧) جعفر : هو جعفر الصادق بن محمد البـاقر ، أبو عبدالله ، سـادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية . كان من أجلاء التابعين ، ومن سادات أهل البيت ، لقب بالصادق لصدقه في مقالته . ولد سنة ٨٠هـ أو ٨٣هـ ، وأمّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق . قال ابن خلكان : « وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصوفي الطَّرسوسيّ قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة ، تتضمن رسائل جعفر الصادق ، وهي خمس مئة رسالة». توفي بالمدينة سنة ١٤٨ هـ ، ودفن بالبقيع . و (موسى) : هو أبنه موسى الكاظم ، أبوالحسن سابع الأئمة الاثني عشر . قال الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » : كان يدعى «العبدالصالح » من عبادته وأجتهاده . ولد سنة ١٢٨ بالأبواء قرب المدينة ، وسكن المدينة ، فأقدمه المهدي العباسي الى بغداد ، ثم ردّه الى المدينة . وبلغ الرشيد أن الناس يبايعون للكاظم فيها، فلما حج مَرّ بها سنة ١٧٩هـ ،فاحتمله معه الى البصرة وحبسه عند واليها عيسى بن جعفر سنة واحدة،ثم نقله الى بغداد فتوفي فيها سجيناً ، وقيل قُتِل سنة ١٨٣ هـ . و (الرضا) : هو أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم ، ثامن الأئمة الاثني عشر . ولد في المدينة سنة ١٥٣هـ . وأحبه المأمون،وزوجه ابنته أم حبيب،وجعله ولي عهده،وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، وغير من أجله الزّيّ العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر ، وكان هذا شعار أهل البيت ، فثار أهل بغداد ، فخلعوا المأمون ، وهو في « طوس » ، وبايعوا لعمه ابراهيم بن المهدي ، وكان من الأمر ما كان ،وتوفي علي الرضا سنة ٢٠٣هـ في طوس ، فدفنه إلى جانب أبيه الرشـيد ، ولم تتم له الخلافة ، وعاد المأمون الى السواد شعار العباسيين ، فتألف القلوب ورضي عنه الناس .

وفي (الجواد) السِّرُّ ، لا نفسه مستودَعاً في حُقّةِ الصَّدرِ[٢٨]

والعالم النّقّاب ربُّ النُّهى (عليٌّ) القائمُ بالأمرِ[٢٩]

و (الحَسَنُ) المرتاب في أمره أهلُ العمى والشكِّ والكفرِ[٣٠]

و (القائم المهديُّ) آياتُهُ معلومةٌ في البَرِّ والبحرِ[٣١]

بحُبّهم أرجو خلاصي إذا حضرتُ في الموقف والحَشْرِ

**

(٢٨) الجواد : هو محمد الجواد بن علي الرضا ، أبو جعفر تاسع الأئمة الاثني عشر . ولد في المدينة سنة ١٩٥ هـ ، وانتقل مع أبيه إلى بغداد ، وزوجه المأمون ابنته أم الفضل ، وعاد الى المدينة ، ثم قدم إلى بغداد وافداً على المعتصم ومعه امرأته أم الفضل ، فتوفي بها سنة ٢٢٠ هـ ، وقيل ٢١٩ هـ ودفن عند جده موسى بن جعفر في « مقا بر قريش » ، وصلى عليه الواثق بن المعتصم .

(٢٩) النّقّاب : العلامة البحاثة ، الفطن . علي : هو عليّ الهادي بن محمد الجواد ، أبو الحسن العسكري ، عاشر الأئمة الاثني عشر . ولد في المدينة سنة ٢١٤هـ ، وسعى به الواشون إلى المتوكل العباسي ، فاستقدمه الى بغداد ، وأنزله ب « سُرَّ مَنْ رأى » ، وكانت تسمى « مدينة العسكر » لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره ، فنسب إليها أبو الحسن ، وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، وتوفي بها في سنة ٢٥٤ هـ ، ودفن في داره .

(٣٠) الحسن : هو الحسن الخالص بن علي الهادي ، أبو محمد الإمام الحادي عشر . ولد في المدينة سنة ٢٣٢ هـ ، وانتقل مع أبيه إلى « سُرَّ من رأى » ، ونسب إلى اسمها « العسكر » كأبيه ، وبويع بالإمامة بعد وفاة أبيه ، وأقام بها حتى وافته منيته في سنة ٢٦٠هـ ، ودفن بجنب قبر أبيه .

(٣١) القائم المهدي : هو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي، أبوالقاسم آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وهو المعروف عندهم بالمهدي، وصاحب الزمان، والمنتظر ، والحجة ، وصاحب السرداب ، ولد في « سُرَّ مَنْ رأى » سنة ٢٥٦هـ ، وغاب في سنة ٢٦٥ هـ رحمه الله . ولمؤرخ دمشق شمس الدين محمد ابن طولون الدمشقي (٩٣٥هـ = ١٥٤٦م) ، وهو من كبار علماء السنة في عصره ، كتاب « الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية » ـ ١٤٣ صفحة ، حققه الدكتور صلاح الدين المنجد ، وطبعته « دار صادر وبيروت » في بيروت سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨ م .

وقوله في مَرْثِيَة[٣٢] :

يا عينُ ! سحّي دُموعاً ، فيضُها مَدَدٌ ،
فمُهْجَتي ، من جَوى الأحزان في مَدَدِ[٣٣]

ويا زمـانيَ ! لا تنظـرْ إلى أحـد ،
فما له مُشبِهٌ في النّاس من أحـدِ

ويا حيـاتي ! خلّي الجسم وارتحلي ،
فما أُريـدُ جِوارَ الرّوح في جسـدي

ويا وُجُوديَ ! صِـرْ من بعـده عَدَمـاً
ويا سروريَ ! مُرْ عنّي ، ولا تَعُـدِ

ويا عـدوّي ! تَوقّعْ حادثاً لِـ « حِرا »
إنّ الحوادث للشّمّات بالرّصَـدِ[٣٤]

***

وقوله في النّحو :

النّحـوُ كالملـح في الطّعام ، وهـل
يَلَـذُّ طعمٌ من غـيرِ تمليـح!

لكنّـه الـرّوحُ للـكلام ، وهـل
يـكون جسـمٌ حـيٌّ بـلا رُوح ؟

---

(٣٢) المرثية : بتخفيف الياء .

(٣٣) المهجة : دم القلب ، و ـ الروح .

(٣٤) حرا : هو حِراء ، بكسر الحاء وتخفيف الراء والمد ، قصره للوزن . وهو جبل من جبال مكة ، على ثلاثة أميال منها ، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلّم قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل . وهو يقابل جبل ثبير ، وكلاهما جبل شامخ وحراء أشمخ من ثبير ، وليس بهما نبات ولا في جميع جبال مكة إلا شيء يسير من الضّهياء يكون في الجبل الشامخ ، وليس في شيء منها ماء ، ويليها جبال عَرَفات ، ويتصل بها جبال « الطائف » ، وفيها مياه كثيرة . الشمات : جمع الشامت ، وهو الفرح بالمكروه الذي يصيب عدوه .

مِنْ
شُعَرَاءِ اصحاب الحديث ببغداد والفُقَهاء



الشيخ ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين بن احمد[1] بن جعفر السراج القارئ[2]

كان علامة زمانـه في العلم .

وله التصانيف الحسنة .

⁂

(١) تكرر « ابن احمد » هنا في الأصل ، ولم أجده مكرراً في ترجماته .

(٢) ذكر الشريف أبو المعمر المبارك بن احمد الأنصاري في « كتاب وفيات الشيوخ » أن مولد جعفر السراج سنة ست عشرة وأربع مئة ببغداد » . وقد قرأ القرآن بالروايات ، وأقرأ سنين ، وسمع خلقاً كثيرا من أعيان المحدثين ، وسافر الى مكة وسمع بها ، ودخل الشام وسمع بدمشق وبطرابلس ، وتوجه الى الديار المصرية فسمع بها ، وخرّج له الخطيب خمسة أجـزاء معروفة تسـمى « السراجيات» . قال السِّلفي:«كان ممن يفتخر برويّته وروايته لديانته..»، وقال القاضي أبو بكر بن العربي : هو « ثقة ، عالم ، مقرىء ، له أدب ظاهر واختصاص بالخطب » ، وقال أبو علي بن سكرة : « شيخ ، فاضل ، جميل ، وسيم ، مشهور ، يفهم . عنده لغة وقراءات . وكان الغالب عليه الشعر » . وقد صنف كتباً حسانا ، أشهرها : « كتاب مصارع العشاق ــ ط » ، وقد سمعته منه الكاتبة المحدثة البغدادية المشهورة ، شهدة بنت الإبري ، وقرأه الإمام الكبير أبو الفرج بن الجوزي عليها بسماعها منه . وله «مناقب السودان» و « حكم الصبيان » ، و « السور المتفقات الآي » وهو منظومة في بيان النظائر من سور القرآن الكريم المتفقة في عدد الآيات ، منها نسخة جيدة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وكتاب « مناسك الحج » ، و « كتاب الخرقي » في فقـه الحنابلة ، و « كتاب التنبيه » ، وغيرها . وترجمته ، في ذيل طبقات الحنابلة ١٢٣/١ ط ــ دمشق ، ومعجم الأدباء ١٥٣/٧ ، ووفيات الأعيان ١١٢/١ ، وبغية الوعاة ٢١١ ، والمنتظم ١٥١/٩ ، والبداية والنهاية ١٦٨/١٢ ، وشذرات الذهب ٤١١/٣ ، وسير النبلاء ــ خ ، وتاريخ ابن الأثـير ١٦٥/١ ، والمنهـج الأحمد ــ خ ، والعبر ٣٥٥/٣ ، والمقصد الأرشد ــ خ ، والنجوم الزاهرة ١٩٢/٥ ، والتاج المكلل ١٥ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٨٣/٣ ، والأعـلام ١١٥/٢ .

سمِعت أنّ وفاته كانت ليلةَ الحادي والعشرين من صَفَر[3] سنة خمس مِئة، بـ « بغداد » .

***

أخبرنا الشيّخ الحافظ (محمَّد بن ناصر)[4] إجازةً ، قال : أنشدنا (أبو محمّد السَّرّاج) لنفسه :

حَبَّذا « نَجْدٌ » بلاداً ، لم نجد
راحةً للقلب في أرضٍ سِواها

فإذا ما لاحَ منها بارقٌ ،
هاج أشواقيَ ، أو هَبَّتْ صَباها

لستُ أنسى ، إذْ (سُلَيْمَى) جارةٌ ،
تبذُلُ الوُدَّ ، وتُصْفينا هواها[5]

ثُمَّ لمّا شطَّتِ الدّارُ بها ،
ورماها البَيْنُ من حيث رماها[6] ،

---

(3) قال ابن الجوزي : « .. توفي ليلة الأحد العشرين من صفر سنة خمس مئة ، ودفن بالمقبرة المعروفة بـ « الأجَمة » من « باب أبرز » [في الجانب الشرقي من بغداد ، وهو الباب القديم على سور « المستعين »] ، وقيل : مات ليلة الأحد، حادي عشرين صفر ، كذا قاله ابن ناصر والذهلي » .

(4) هو الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر البغدادي ، محدث العراق في عصره . ولد سنة ٤٦٧ هـ ، برع في اللغة ، وعُني بالحديث . قال ابن النجار : كان ثقة ، ثبتاً ، حسن الطريقة ، متديناً ، فقيراً ، متعففاً ، نظيفاً ،نزهاً ، وَقَف كتبه . وخلف ثياباً خلقه ، وثلاثة دنانير ، ولم يعقب . توفي ببغداد ليلة ١٨ شعبان سنة ٥٥٠هـ . وترجمته في المنتظم ١٦٢/١٠ ، وذيل طبقات الحنابلة ١٢١/١ ، ومناقب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ٥٣٠ ، والعبر ١٤٠/٤ ، والبداية والنهاية ٢٣٣/١٢ ، وكامل التواريخ ٨٢/١١ ، والنجوم الزاهرة ٣٢٠/٥ و ٣٢٢ ، ووفيات الأعيان ٤٨٨/١ ، وتذكرة الحفاظ ٨١/٤ ، ومرآة الزمان ٢٢٥/٨ ، وإنباه الرواة ٣٢٢/٣ ، وشذرات الذهب ١٥٥/٤ ، وتاريخ بغداد للبندراي (نسخة باريس ٦١٥٢ الورقة ٨٤) دونَ الترجمةَ السمعاني، ونقلها البنداري ، ونشرت في التعليقات على « تكملة إكمال الإكمال » ص١٤١.

(5) تُصفينا هواها : تصدقنا حبّها .

(6) شطت : بعدت . البين : الفراق .

أرسلَتْ طَيْفَ كَرىً ، لكنّه
زارَنا والعينُ قد زال كَراها[٧]

**

ووجدت له في المدح مجموعاً من مدائح (عميد الدّولة ابن جَهير)[٨] وزير (المستظهر)* :

قضت وَطَراً من أرض «نَجْد» وأمَّتِ
عقيقَ الحِمى مُرْخىً لها في الأَزِمَّةِ[٩]

وخبَّرَها الرُّوّادُ أنّ بـ «حاجرٍ»
حَياً نوَّرَتْ منه الرِّياض ، فحَنَّتِ[١٠]

ولاح لها برقٌ من الغَوْر مَوْهناً
كشعلةِ نارٍ للطَّوارق شُبَّتِ[١١]

فمدَّتْ له الأعناقَ عندَ وَميضِه
تَراقَصُ في أرسانها ، واستَمرَّتِ[١٢]

وغَنَّى لها الحادي ، فأذكرها الغَضَى
وأيّامَها فيه ، وأيّامَ «وَجْرَةِ»[١٣]

---

(٧) الكرى : النعاس ، و ـ النوم .
(٨) ترجمته في ٨٧/١ .
(*) ترجمته في ٢٦/١ .
(٩) الوطر : الحاجة فيها مأرب وهمّة . امّت : قصدت . العقيق ، هنا : الوادي الذي شقّه السيل قديماً فأنهره . الأزِمّة : جمع الزّمام ، وهو معروف .
(١٠) حاجر : ٢٠٠/١ . نورت : خرج نَوْرها ، بفتح النون ، وهو الزهر الأبيض. الأصل : « لورت » .
(١١) الغَوْر : المنخفض من الأرض ، ويطلق الغور على « تِهامة » وما يلي اليمن ، وعلى غور الأردنّ ، وعلى أماكن اخرى في بلاد العرب . المَوْهِن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . الطوارق : اراد الطُرّاق الذين يأتون ليلاً .
(١٢) تَراقَص : تتراقص ، حدفت تاء المضارع تخفيفاً ، وهو قياسي . الأرسان : جمع الرّسَن ، بفتحتين ، وهو الزمام الذي يوضع على الأنف .
(١٣) الغضى : شجر من الأثل ، خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفيء . وجرة : موضع بين مكة والبصرة (ص ١٢٠/ح١٦٩) .

وقد شَـــــرِكتني في الحنين ركـــائبي ،

فرَدَّتْ عليهـــا رَنَّـــةً بعـــــدَ رَنَّـــةِ

أقول لِرَكْبٍ مُخْمِسِينَ •• تطرَّحُوا ،

وعَزَّ بهم ماءٌ : رِدُ [وا] ماءَ عَبْرَتِي[14]

ألا ، ليت شعري !. هل تعود رواجعـــــاً

ليـــالي الصِّبا ، من بعدِما قـــد تَولَّتِ ؟

⁂

وله أيضـــاً :

حَبَّـــذا طيفُ (سُلَيْمَى) ، إذْ طَوَى

ـحَذَرَ الواشيـالسُّرَى من «ذي طَوَى»[15]

وأبى الحـــيُّ طروقـــاً ، وهُـــــمُ

بينَ أجراعِ « زَرُودٍ » فَـ « اللِوَى »[16]

بِتّ أشــــكو ما أُلاقيـــــهِ إلى

طيفِهـــا الطّارقِ من مَسّ الجَوَى[17]

---

(١٤) الرّكْب : الراكبون ، العشرة فما فوق . المخمسون: الذين ترد إبلهم خِمْساً ، والخِمس ، بكسر الخاء ، من الفلوات : ما بعد ماؤها حتى يكون ورود الإبل في اليوم الخامس ، و ــ أن ترد الإبل الماءَ في اليوم الخامس من ورودها السابق، فيكون بين الوردين ثلاثة أيام . جمعه أَخماس . تطرحوا : مشوا مشيَ ذي الكلال والضعف ، رِدوا : في الأصل « رد » .

(١٥) السُّرَى : سير الليل خاصة . طَوى ، بفتح الطاء والقصر، ومنهم من يضمها، والأول أشهر : وادٍ بمكة ، وعند المستملي « ذو الطَّواء » ، وقال الأصمعي : هو مقصور ، والذي في طريق « الطائف » ممدود .

(١٦) الطروق : المجيء ليلاً . الأجراع : جمع الجَرَع ، بفتحتين ، وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل . زَرُود : رمال بالبادية بطريق الحاجّ من الكوفـة . اللوى : ما التوى من الرمل ، أو منقطع الرمل، وهو هنا موضع بعينه ، قال ياقوت: قد أكثرت الشعراء من ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل ، فعزّ الفصل بينهما . وهو وادٍ من أودية بني سُلَيْم .

(١٧) الجوى : اشتداد الوجد من عشق أو حزن .

أشـــكرُ الأحـــلامَ لمّـــا جَمَعت

بينَنـــا وَهْنـــاً ، على رَغْمِ النَّوَى[18]

أيُّهـــا العـــاذلُ ! دَعْني والهوى ،

ليس مشغولٌ وخـالٍ بالسَّـــوا[19]

*****

ولـه[20]

بـــانَ الخَليطُ ، فـــأدمُعي وجـــداً عليهِم تستهلّ[21]

وحـــدا بهم حـــادي الفِـــرا ق عـن المنـازل ، فاستقلُّوا[22]

قـــلْ للّـــذين تـــرَحَّلُوا عـن ناظـــري ، والقلبَ حَلُّوا

ودمـــي ، بـــلا جُـــرم أَتَيْـــتُ ، غـداةَ بَيْنِهم استحلُّوا[23]

ما ضَـــرَّهم لـو أنهَلُـــوا من مـــاءِ وصلِهِمُ وعَلُّوا ؟[24]

*****

وله أيضـــاً :

حَبَّـــذا ليلتا « مِنَى » وغَـــداةُ الـ

ـنَّحْرِ ، لا حَبَّـــذا غَداةُ النَّفْرِ ![25]

---

(١١٨) الوَهْن : نحو من نصف الليـــل ، أو بعد ساعة منه ، كالموهن . النوى : (ص ١٧١/ح٢١٦) .

(١٩) سوا : مقصور « سواء » ، قال الله تعالى : (ليسوا سَوَاءً) ، أي : ليســـوا متساوين .

(٢٠) هذه الأبيات في المنتظم ، وذيل طبقات الحنابلة ، ووفيات الأعيان .

(٢١) بان : فارق وهجر . الخليط : المخالط ، للواحد والجمع ، ويطلق على الشريك ، والصاحب ، والجار المصافي ، والزوج ، وابن العم . الوجد: الحب و ـ الحزن. تستهلّ : تتساقط .

(٢٢) استقلوا : ارتحلوا ومضوا .

(٢٣) بينهم : فراقهم .

(٢٤) أنهلوا : يريد أنهلونا ، أي سقونا نَهَلاً ، وهو السقية الأولى . علّوا : عَلُّونا ، أي سقونا عَلَلاً ، وهو السقية الثانية .

(٢٥) ليلتا : في الأصل « ليالنا » . مِنَى : في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي الجمار ، من الحَرَم ، وقيل: مِنَى من مهبط العقبة الى محسِّر ، وموقف المزدلفة

إذْ تنـادَى الرِّفـــاق فيهـــا ببَيْن
مُزْعِجٍ ، فالجُفون بالدَّمـع تجـري[٢٦]

فخــــدودٌ مصافحـــاتٌ خــــدوداً
ونُحـــورٌ .. قد لُفَّ نَحْرٌ بنَحْرٍ[٢٧]

وعيـونٌ مَقْـــذِيَّةٌ ، وقــــلوبٌ
قــد حشاها يـومُ الفِـراق بجمر[٢٨]

ليتَ شـعري ! أيَجْمَعُ الشَّـمْلُ للأحـ
ـباب يوماً بعدَ النَّوَى ؟ ليت شــعري !

⁂

من محسر إلى انصباب الحرم ، وموقف عرفة في الحل لا في الحرم . وهو على ثلاثة أميال من مكة ، يعمر أيام الحج ، ويخلو بقية السنة ، ويقع فيـه نحر البُدْن في عاشر ذي الحجة يوم الأضحى . ومبيت الحاج في « مِنَى » ثلاث ليال ، ثم يكون النَّفْر ، أي دفع الحاج من « منى » إلى « مكة » والشاعر في هذا المعنى يجرى بسبيل شعراء العصر الأموي،ومن ذلك قول نُصيب الأسود، وليس هو نصيباً الأسود المروانيّ :

أمـــا والذي حَجَّ المُلَبُّون بيتَــه
وعلّم أيــامَ الذّبائــح والنَّحْـــرِ

لقــد زادني ، « للغَمْر » ، حبّـاً ، وأهلِـه
ليـالٍ أقامتهـنّ (ليـــلى) على « الغَمْــرِ »

وهـــل يأْثَمَنّي الله في أنْ ذكرتُهـــا
وعللت أصحـــابي بها ليلـــة النَّفْــر

وسكّنت ما بي من كَلال ومن كَــــرىً ،
ومـــا بالمطايا من جنوح ومن فتــــر

(٢٦) ببين : في الأصل « بين » . وهو الفراق .

(٢٧) النّحر (ج : نُحُور) : الصدر ، أو أعلاه ، وقيل : هو موضع القلادة منه . بنحر : في الأصل « بنحري » .

(٢٨) مقذية : خالطها القَذَى ، وهو ما يقع في العين وما ترمي به . بجمر : في الأصل « بجمري » .

وله في أصحاب الحديث[٢٩] :

إذا كنتمُ تكتبون الحديـ ـثَ ليلاً ، وفي صبحكم تسمَعُونا
وأفنيتمُ فيه أعمارَكم ، فأيُّ زمانٍ به تَعْمَلُونا ؟[٣٠]

***

وله :

يا ساكني الدَّيْر ! حُلولاً به
تُطربُهم فيه النَّواقيسُ

قِيسُوا لنا القُرْبَ ، وكم بينَهُ
وبين أيامِ النَّوَى ؟ قِيسُوا[٣١] .

---

(٢٩) هذان البيتان في « ذيل طبقات الحنابلة » ١٢٦/١ ، وقافيتاهما فيه مجردتان من الف الإطلاق .

(٣٠) تعملونا : في الأصل « تعلمونا » ، والسياق يأباه ، وهو على الصحة في ذيل طبقات الحنابلة .

(٣١) قال ابن خلكان ، في ترجمة الشاعر ، في وفيات الأعيان ١١٢/١ :
« واورد له العماد الكاتب الأصبهانيّ في « كتاب الخريدة » :
ومُدَّعٍ شَرْخَ شباب ، وقد عمّمه الشيب على وَفْرَتِهْ ،
يَخضب بالوسمة عثنُونَهُ ، يكفيه ان يكذب في لحيتِهْ ! »
ومن عجب ان تخلو نسختنا من هذين البيتين !

عاصم المحدّث الشّاعر [١]

هو أبو الحسين[٢] ، عاصم ، [بن الحسن][٣] ، بن محمّد ، بن عليّ ، بن عاصم ، بن مهران ، البغداديّ ، العاصميّ .

من أهل « بغدادَ » ، السّاكن بـ « باب الشّعير »[٤] .

وكان من مِلاح (البغداديّين) وظِرافهم ، الجامع لألطافهم .

كلماته حُلوة عَذْبَة ، ومعانيه رائقة سهلة .

حلو اللفظ ، قريب المأخذ ، بعيد التكلّف ، مطبوع البادرة[٥] ، مسموع النّادرة .

---

(١) له ترجمة في : المنتظم ٥١/٩ ، والعبر ٣٠٢/٣ ، والنجوم الزاهرة ١٢٨/٥ و١٣١ ، كامل التواريخ ٦٦/١٠ ، اللباب (العاصمي) ١٠٥/٢ ، وفيه : « هذه النسبة الى (عاصم) ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب اليه ، وهو أبو الحسين عاصم بن الحسن .. » ، وشذرات الذهب ٣٦٨/٣ ، والبداية والنهاية والمستفاد – خ ، الورقة ٤٠ ، ودول الإسلام ٨/٢ ، ومختصر تاريخ الإسلام – خ .

(٢) في الأصل : « أبو الحسن » ، وتصويبه من أصول ترجماته في الفقرة الأولى.

(٣) الزيادة من أصول ترجماته .

(٤) قال ياقوت : « باب الشعير محلة ببغداد ، فوق مدينة المنصور ، قالوا : كانت ترفأ إليها سفن الموصل والبصرة . والمحلة التي ببغداد اليوم ، وتعرف بباب الشعير ، هي بعيدة من « دجلة » ، بينها وبين « دجلة » خراب كثير ، و « الحريم » و « سوق المارستان » . وقد نسب إليها بعض الرواة » . قلت : ومنهم الشيخ الصالح عبدالكريم بن الحسن بن علي بن رزمة الشعيري الخباز ، سمع أبا عمر بن مهدي . وعلي بن اسماعيل الشعيري ، شيخ للطبراني » ذكرهما الفيروز ابادي والزبيدي . وذكر ياقوت « باب الشعير » مرةً اخرى في كلامه على « العتيقة » ، وهي قرية « سونايا » القديمة ، وموضع « المنطقة » الحالي ، وقال : باب الشعير هي حدها الشمالي .

(٥) البادرة : ما يسرع من اللسان عند الحدة ، وفي أساس البلاغة : « وهو مخشيّ البادرة .. وتقول : فلان حارّ النوادر ، حادّ البوادر» . الأصل : « النادرة» .

ذكره (السَّمْعاني)[٦] ، وقال : « كان ثِقة ، صَدُوقاً . ورحَل إليه طلبة الحديث من البلدان . وهو صاحب أخبار وأشعار .

وتُوُفي وسنّه تَزيد على ستّ وثمانين سنة .

فإنّ مولده سنةَ سبع وتسعين [وثلاث مئة][٧] ، ووفاته سنةَ ثلاث وثمانين وأربع مئة »[٨] .

***

وروى (السَّمْعانيّ) من أشعار (عاصم) كثيراً ، وقال :

« سمِعت (أبا البركات ، عبدالوهّاب) ، [بن][٩] المبارك ، الحافظ ، (الأنماطيّ)[١٠] يُثني على (عاصم) ، قال : وكان نَزِهَ النَّفْس ، عفيفاً ، وقال: مرِضتُ ، فغَسَلْتُ ديوان شعري . قال : فكان ذلك من المرض . وقال (عبدالوهاب) : أنشدني (عاصم) لنفسه :

فؤادي ، فيك مَتْبُولٌ مُعَنَّى يَهيم بوَجْده سَقَماً ويَضْنَى[١١]

---

(٦) السمعاني : (ص ٣٧ / ح ٦) .

(٧) زيادة منّي .

(٨) ذكره ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » مرتين : في حوادث ٤٨٢ هـ ، وحوادث ٤٨٣ هـ .

(٩) زيادة لازمة من أصول ترجماته .

(١٠) الأنماطي : هذه النسبة الى بيع الأنماط ، وهي الفرش التي تبسط ، وقد اشتهر بهذه النسبة جماعة كثيرة من رواة الحديث والفقهاء وغيرهم . وابو البركات الأنماطي هذا كان محدّث بغداد في زمانه . ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة ، وعني بالحديث ، وسمع الكثير ، قال السمعاني : جمع الفوائد ، وخرج التخاريج لعلمه ، ما بقي جزء مرويّ إلا وقد قراه وحصل نسخته ، ونسخ الكتب الكبار ، مثل : الطبقات لابن سعد ، وتاريخ الخطيب ، وكان متفرغاً للتحديث ، إمّا ان يقرأ عليه، أو ينسخ شيئاً » واثنى هو وغيره عليه ثناء مستطابا. وذكروا انه لم يتزوج قطّ . توفي في المحرم سنة ٥٣٨ هـ ، ودفن بالشونيزية. وهي مقبرة الجنيد غربي بغداد . وترجمته في المنتظم ١٠٨/١٠ ، والبداية والنهاية ٢١٩/١٢ ، وشذرات الذهب ١١٦/٤ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢٤٠/١ ط . دمشق ، والعبر ١٠٤/٤ ، وكامل التواريخ ١٠/١١ ووقعت نسبته فيه محرفةً « الأنباطيّ » ، وتذكرة الحفاظ ٧٥/٤ .

(١١) متبول : عاشق أسقمه الحب وذهب بعقله . معنّى : مهموم بما يشق عليه . يهيم : يذهب في كل وجه لا يدري اين يتوجه . يضنى : يشتدّ مرضه ويَنْحَل جسمه .

وأجفاني ، تَفيض دماً ودمعـــاً وأحشائي ، تذوب جَوىً وحُزنـــا
وكيف يُفيق مــن مرض كئيب" ، إذا [جَنَّ] الظَّلامُ عليه أَنَّا ؟[١٢]
فــوا لهفي على صَلِف مَلُول يَشحُّ بوصله [تيهاً] وضَنَّا ![١٣]
أَهيم إذا تَبدَّى الصُّبح شــوقاً ، وأبكيه إذا ما الليـلُ جَنّـــا
له وجـــهُ الهلال إذا تَبـدَّى ، وقـــدُّ الخَيْزُران إذا تثَنَّى
يلاحظُ جُؤذُراً ، ويلوح بــدراً ، ويَبسِم لؤلؤاً ، ويَميس غُصنا[١٤]
يصُدّ ولا يَمَلُّ من التَّجَنِّي" ، وأحســن ما يكون إذا تجَنَّى[١٥]
علينـا •• منه بدرُ الأفق يُجْلَى ، ومن خدَّيْه••وردُ الرَّوض يُجْنَى
وقـــالوا : قد جُنِنتَ به . ومثلي يحقّ ، إذا رآه ، أن يُجَنّــــا
نأى يومَ الحِمى ، فعَضَضْتُ كفّاً لبُعــد مزاره ، وقرَعْتُ سِنّا[١٦]
فكم أشقى غَــداةَ البَيْن قلبــاً ، وأقرَحَ بُعدُه بالدَّمْعِ جَفْنا[١٧]
ســـقانا من سُلافة مُقلتَيْه بكاسات اللِحاظ ، وقد سكِرنا[١٨]
وأنشـــدَ نصفَ بيت •• قيل قبلي : «مَنِ الجاني،جُعِلتُ فِداك، مِنّا» ؟
فقلت له : « وقيـــلَ له تمـام" : أليسَ هجَرْتَنا ، وصبرتَ عنّا » ؟
رعى اللهُ الدّيار بِدَوِّ « سَلْع » فكم من معهــد فيها ومَغْنَى[١٩]

---

(١٢) جنّ : سقط من الأصل ، ومعناه : اشتدّ سواده .
(١٣) تيهاً : تكبّراً ، سقطت من الأصل ، ولعلها هي الملائمة في موضعها . الضَنّ : أشدّ البخل .
(١٤) الجؤذر : تفتح ذاله وتضم : ولـــد البقرة الوحشـــية . يميس : يتبختر في مشيته .
(١٥) تجنى عليه : ادّعى عليه جناية لم يفعلها .
(١٦) قرع عليه سنّه : ندِم .
(١٧) أقرح : جرح .
(١٨) السلافة : الخمر .
(١٩) الدّوّ : الفلاة الواسعة ، و ــ المستوي من الأرض . ســـلع : جبل متصل بـ «المدينة » ، وجبل في ديار هُذَيْل ، وحصن بوادي موسى . المغنى : المنزل الذي غني فيه أهله ، أي أقاموا .

غَنِينا فيـــه أيّـام التّصابي ، وقد غفلَت صُروف الدّهر عنّا[٢٠]
ولمّــا سار نحوَ « الخَيْف» صَحبي وودّعْنا بـه الرّشأ الأغَنا[٢١]
وقـد كنّــا اعتمرنا بالمُصلّى ، وقَضّيْنا مَناسِـكَنا وعُدْنا[٢٢]
فَضَضْنا خَتْم أَدْمُعِنا بِـ «جَمْع» حِـــذار فِراقِه لمّا أفَضْنا[٢٣]
وكان يَصُـدّ في زمن التّصابي ، فكيف إذا رأى شـيخاً مُسِنّا ؟!

***

وقال :

« وأنشدَنا (أبو البركات عبدالوهّاب) ، قال : أنشدَنا (عاصم العاصمي) نفسه لنفسه ، وهو هذا[٢٤] :

مــاذا على متلوّنِ الأخـــلاق لو زارني ، فأَبُثّهُ أشــــواقي ؟
وأبوحَ بالشّكوى إليــــه تذَلّلاً وأفُضّ ختم الدّمْع من آماقي؟[٢٥]
فعساه يسمَحُ بالوِصــال لمُدْنَفٍ ذي لوعــةٍ وصَبابةٍ ، مشتاقِ[٢٦]

---

(٢٠) صروف الدهر : احداثه ، واحدها صَرْف ــ بفتح فسكون .

(٢١) الخيف : خَيْف مكة ، وهو موضع قريب منها عند « مِنَى » ، وفيه المسجد المشهور الذي يقال له « مسجد الخيف » . وتعرف بهذا الاسم مواضع اخرى في بلاد العرب . الرشأ : ولد الظبية إذا قوي وتحرك ومشى مع امه . الأغن : ذو الغنة ، وهي الصوت يخرج من الخيشوم ، استعاره لمعشوقته .

(٢٢) اعتمرنا : ادينا العمرة ، وهي نسك كالحج ، ليس له وقت معـين ولا وقوف بعرفة . المصلّى : موضع الصلاة ، عنى المسجد الحرام : ويطلق « المصلى » على موضع بعينه في عقيق المدينة المنوّرة . مناسك الحج : اموره ومُتَعَبَّداته ، قال الله تعالى : (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا اسم الله) ، الواحد : مَنْسِك بوزن مجلِس .

(٢٣) فض الختم عن الكتاب : كسره وفكه ، استعاره للدمع . جمع : هو المزدلفة ، وهو المشعر ، سمي جمعاً لاجتماع الحجاج به . الإفاضة : انصراف الحاج عن الموقف في « عَرَفة » الى « مِنَى » بعد انقضائه . وطواف الإفاضـة : طواف يوم النحر ، ينصرف الحاج من « مِنَى » الى « مـكة » فيطوف ويعـود إلى « مِنَى » .

(٢٤) هذه القصيدة ، اختار ابن الجوزي منها في « المنتظم » ثمانية أبيات ، ومنهـــا بيتان غير موجودين في « الخريدة » . واختار ابن الاثير منها في « كامل التواريخ» خمسة أبيات .

(٢٥) افض : (ح ٢٣) .

(٢٦) المدنف : المريض الذي ادنفه المرض اي اشتد به واشفى على الموت .

لهفي علــــى صَلِفٍ ملول مُعرِضٍ رَثِّ الحبائل غادر مَــذّاقِ !(٢٧)

ســلَّتْ لواحظه عليَّ صوارمــاً طُبِعت مَضاربُها من الأحـــداقِ

وترى ـ إذا ما لاح يَخْطِرُ مائساً ـ غُصناً،وبدرَ دُجىً بغيرِ مَحاقِ(٢٨)

لمّا حَذِرتُ عليه يــومَ فِراقِه ، لم يُغْنِني حَذَري ولا إشفاقي(٢٩)

أسَرَ الفؤاد ، ولم يَرِقَّ لمُوثَقٍ ، ما ضَــرَّه لو جـــاد بالإطلاق ؟

إن كان قد لَسَبَتْ عقاربُ صُدغِه قلبي ، فــإنّ رُضابَه دِرياقي(٣٠)

ما مَذهبي شُرب السُّلاف ، وإنّني لأُحِبُّ شُرب سُلافَةِ الأرياقِ(٣١)

ولقد خُلِقتُ من العَفاف ، وإنّــه مُذْ كنتُ من شِيَمِي ومن أخلاقي»

***

قال : « وأنشدَنا (أبو عبدالله ، محمّد ، بن محمّـــد ، بن السَّلاّل ، الورّاق)(٣٢) ، أنشدُنا (عاصم) لنفسه :

---

(٢٧) رث الحبائل : بالي الأسباب ، أسباب المودة . المذّاق : الكذوب ، و ـ الملول.

(٢٨) يخطِر في مشيه : يهتــز ويتبختر . المحاق ، مثلّث الميم : ما يرى في القمر من نقص في جِرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله .

(٢٩) الإشفاق : الخوف والحذر ، قال الله تعالى : (وهم من الساعة مشفقون).

(٣٠) لسبته العقرب ونحوها : لسعته . في المنتظم : « لسعت» فيموضع « لسبت » الصُدغ : جانب الوجه من العين إلى الاذن ، و ـ الشعر فوقــه . وعقاربه : الشعر المتدلّي عليه ، وهي أبغض استعارة درج عليها شعراء بعض العصور الذاهبة . الرُضاب ، بضم الراء : الريق ، أو الريق المرشوف . الدِرياق : في « لسان العرب » : « وحكى (ابن خالويه) ، أنه يقال : طرياق ، والدال والتاء والطاء مخرج واحد ، ومثله : مدّه ، ومطّه ، ومدّه ، وكلها معناها واحد » . وهو دواء السُموم . تكلمت به العرب قديماً ، ومنه قول رؤبة(ديوانه ١٤٣/٣): « ريقي ودِرياقي شفاء السم » . وفي « لسان العرب » : إنه فارسي معرب ، وقال غيره : يوناني معرب Thiryakos . وبعد هذا البيت في « المنتظم » :

يا قاتلي ظلمــاً بسيف صدوده حاشاك تقتلني بلا اســـتحقاقِ

(٣١) السلاف : الخمر . الأرياق : جمع الريق وبعد هذا البيت في « المنتظم» :

وسقيتني دمعي ، وما يروى' به ظَمَئي ، ولــكن لاعدمت الساقي

(٣٢) محدث مشهور ، توفي سنة ٥٤١ هـ . ذكره ابن الجوزي في المنتظم ١٢٣/١٠ ، والعيني في عقد الجمان ١٦ الورقة ١٦٥ ، والذهبي في تاريخ الإسلام « وفيات

أنـّـةُ الدّولابِ في السّـــحَرِ واصطخـــابُ النّاي والوَتَرِ[٣٣]

والميـــادينُ الّتي ابتســـمت عن ثُغور النّوْر والزّهَـــرِ ،(★)

تركَتْني جـــارَ مَعْصَـــرَةٍ لا أُفيق الدّهْرَ مـــن سُكُرِي

وكـــذا دَأْبي أُواصِلُـــه ما أمَـــدّ الله في عُمُري »[٣٤]

***

قال :

« كان له شعر رقيق في الغَزَل ، ووصف الخمر . وما عُرف له اشـــتغال قَطّ بذلك » .

***

قال[٣٥] :

« وسمِعت (أبا عبدالله السّلاّل) يقول : اجتاز (عاصم)[٣٦] بِـ « قطيعة اللحم »[٣٧] بـ « الكَرْخ » ، فشاهد غُلاماً خبّازاً مستحسَناً ، فوقف بإزائه ينظر إليه ، ويتعجّب من خلقته الحَسَنة ، فقال بَدِيهَةً :

---

٥٤١ هـ ، وعندهم زيادة « ابن أحمد » في نسبه بعد « محمد » الثاني . و «ابن السلال » في تاريخ الإسلام « ابن العسال » وهو تحريف من الناسخ ،بآية مانقله ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢٨٠/٥ عن الذهبي وفاقاً للمشهور « ابن السلال » . وقد اشتهر بهذه النسبة سبطه الشيخ أبو محمد المبارك بن أبي الفتح أحمد الدينوريّ الأصل البغدادي المولد والدار،وكان من المحدثين أيضاً . توفي في السادس عشر من ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ .

(٣٣) السّحَر : آخر الليل قبيل الفجر . الناي : (ص ٨٠/ح١٤٦) .

(*) النّوْر ، بفتح فسكون : الزهر الأبيض .

(٣٤) الدأب : العادة والشأن .

(٣٥) الأصل : « يقال» .

(٣٦) الأصل : « معصم » .

(٣٧) القطيعة : واحدة القطائع ، وهي أرض محدودة يملكها السلطان لأعوانـــه أو غيرهم ، وهي إنما تجوز في عفو البلاد التي لا ملك لأحد عليها ولا عمارة توجب ملكاً لأحد ، فيقطع الإمام المستقطع له منها قَدْرَ ما يتهيأ له عمارته بإجراءالماء إليه ، أو باستخراج عين فيه ، او بتحجير عليه ببناء أو حائط يحرزه . ومـــن الإقطاع إقطاع إرفاق لا اقطاع تمليك ، ومنه اقطاع السكنى ، وقد أقطع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الدور وغيرها ، وللفقهاء وشراح الحديث كـلام مستفيض في ذلك . ولما عمر أبو جعفر المنصور العباسي « بغداد » أقطع قوّاده ومواليه قطائع عمروها وسكنوها ، وكذلك فعل غيره من الخلفاء من بعده . وقد

فَـــدَيْتُ خبّازاً .. إذا ما بدا ، يخجَلُ بدرُ التّـِمِّ من نُورِهِ[٣٨]
في كبِدي ، من طولِ هِجرانِــه ، مثلُ الّذي في وَسْــطِ تَنّورِهِ »

***

قال :

« وأنشدَني (أحمد بن عليّ الحلاويّ) ، قال : أنشدنا (عاصم) لنفسه ، في الحمّام :

ومجلسِ أقوامٍ .. إذا ما تقـــــابلـُوا ،
تشابَهَ فيــــه وَغْــدُهُ ورَئيسُهُ
إذا ما أعَرْتَ الجوَّ طَرْفــاً ، تكاثــرت
على ما بـــه أقمــارُه وشُموسُهُ »[٣٩]

***

قال :

« أنشدني (أبو بكر ، محمّد ، بن عبدالباقي ، بن محمّد) ، أنشـــدني (عاصم) لنفسه :

وحَرَّمَ غمضي ، والحَجِيجُ على « مِنـَى »
غزالٌ .. رأيناه بـ « مَكّةَ » مُحْرِما[٤٠]

اضيفت كل قطيعة إلى واحد من رجل أو امرأة ، وهي عشرات سردها ابن واضح اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ في كتاب البلدان ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان ثلاث عشرة قطيعة لا غير ، ولم يرد فيما ذكراه من قطائع الجانب الغربي والكرخ « قطيعة اللحم » . وقال اليعقوبي : « وفي هذه الأرباض والقطائع [في الجانب الغربيّ] ما لم نذكره ، لأن كافة الناس بنوا القطائع وغير القطـــائع وتوارثوا » . و « قطيعة اللحم » ، إمّا أن تكون مما اغفــلاه ، وإما أن تكــون محرفة عن « قطيعة أبي النجم » التي وردت عند ياقوت وحــده . وقد قــال يعرفها : « قطيعة أبي النجم : ببغداد بالجانب الغربيّ ، أحد قوّاد المنصور ، خراساني . وكانت أم سلمة بنت أبي النجم هذا عند أبي مسلم الخراســاني . وهذه القطيعة متصلة « بقطيعة زهير » ، قرب « الحريم الطاهري » ، وهي الآن خراب » .

(٣٨) التمّ ، بكسر التاء : التّمام ، وهو ليلة اربع عشرة من الشهر القمري حـــين يستوي القمر فيصير بدراً .

(٣٩) الطرف : العين .

(٤٠) مِنَى : (ص ٢٨٥ / ح ٢٥) .

رمى ، وَهْوَ يسعى ، بالجِمار ، وإنّمـــا
رمى جمرةَ القلب المُعَـذَّب إذْ رمى[٤١]

ولمّــا تفرّقْنـا بمُنْعَرَج اللِـوى ،
وأَنْجَدْتُ .. لا أرجو لقاءً ، وأَتْهَما[٤٢]

ـ بكَيْتُ على وادي الأَراك ، ومـاؤه
مَعِـينٌ ، فصار الماء من عَبْرَتي دما »[٤٣]

**

إلى ها هُنا ، [ما] أورده (السَّمْعانيّ)[٤٤] .

وأعارني (أبو المعالي الكُتُبيّ)[٤٥] ، بـ « بغدادَ » ، مجموعاً بخطّـه ، فكتبت منه من شعر (عاصم) المُحَدِّث ـ قولَهُ :

عَرِّجْ على دَيْر بـ « قُطْرَبُّلٍ » وانـزِل بقِسّيس وشَمّاسِ[٤٦]

---

(٤١) الجِمار ، والجمرات : الحصيات التي يرمى بها في « مِنَى » ، واحدتها جمرة ، والمُجَمَّر : موضع رميها هنالك .

(٤٢) المُنْعَرَج : المنعطف . اللوى : منقطع الرمل ، وهو أيضاً موضع بعينه ، قد اكثرت الشعراء من ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل ، فعزّ الفصل بينهما ، وهو وادٍ من أودية سليم كما في معجم البلدان . انجدت : اتيت « نجداً » ، اتهم : اتى « تهامة » ، يريد التفرق .

(٤٣) الأراك : موضع بعَرَفة ، وهو من مواقفها من ناحية الشام وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تنزل بعرفة بنَمِرَة ، ثم تحوّلت إلى الأراك . قاله البكري في معجم ما استعجم . ماء مَعِين : جار على وجه الأرض . وفي حاشية الأصل : « ولقد أحسن القائل ، وزاد عليه :

بكيت على الوادي ، فحرمت ماءه وكيف يـلذ المـاء أكثـره دم
أظنه مهيار » .

(٤٤) السمعاني : (ص ٣٧ / ح ٦) .

(٤٥) ترجمته في ج٤ م١ من هذا الكتاب .

(٤٦) قُطْرَبُّل : بالضم أو بالفتح ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام : قرية كانت بين بغداد وعُكْبَراء ، كانت بها معاصر للخمور ، كما كانت متنزّهاً للبطالين وحانة للخمارين ، وقد أكثر الشـعراء العباسيون من ذكرها . وقيل : هو اسم لكورة من كور بغداد الشمالية . وقد أطال ياقوت الكلام عليها في معجم البلدان ، واختصره البكري في معجم ما استعجم .

واشرَبْ على الآس ، ووجهِ الّذي عِـــذارُه في خُضرة الآسِ[٤٧]
وأَسْـــقِنِي حتّى تَـراني لَقىً ما بَــينَ نَدمــاني وجَلاســي[٤٨]
ودَعْدِعِ الكأس ، فإنّي امرُؤٌ تُعجبني دعدعــــةُ الكاسِ ![٤٩]

***

وقوله في غلام متشيّع :

وشادِنٍ .. دِينُه التَّشيُّعُ ، بـ « الكَرْ
خِ » ، يُضـاهِي الغُصونَ بالمَيَلِ[٥٠]

واصَلَني ، ثُمَّ صَـــدَّ عن ملـــل ،
فليتَـهُ قبلَ ذاك لم يَصِـــلِ

فـكلَّ يوم ، قلبي ـ لفُرقتـــه
وفَرْطِ هِجرانـــه ـ على وَجَلِ[٥١]

تَصيـــح ألحاظُـــه ، إذا فتَنَت
بسِـحرها العاشـقِين : يا لَ (عليّ) !

***

(٤٧) الآس : شجر دائم الخضرة ، بيضي الورق ، أبيض الزهر أو ورديّه ، عطري . وجه : في الأصل « وجهه » . العِذار : جانب لحية الغلام .

(٤٨) أسقاه : مثل سقاه ، وفي القرآن الكريم : (وأسقيناكم ماءً فُراتاً) . اللقى : المطروح .

(٤٩) دعدع الكأس دعدعة : ملأَها . ب : « دغدغ .. دغدغة » ، وهما مصحفان .

(٥٠) الشادن : الظبي المترعرع المستغني عن أمه ، ويقال لغيره أيضاً . يضاهي : يضاهىء بالهمز ، أي : يشابه ، قال الله تعالى : (يُضاهِؤون قول الذين كفروا من قبل) . الكرخ : (ص ٣٧/ح٥) .

(٥١) الفرط : الزيادة . الوَجَل : الخوف .

وقوله :

لهفي على قوم بـ « كاظمة » ! ... وَدَّعْتُهُمْ ، والرَّكْبُ معترضُ[٥٢]
لم تترُكِ العَبَرَاتِ ، مُذْ بَعُدوا ، ... لي مُقلة ترنو وتغتمضُ[٥٣]
رحَلُوا .. فطَرْفي بَعدهم هَطِلٌ ... جارٍ ، وقلبي حَشْوُهُ مرضُ[٥٤]
وتعوّضُوا ـ لاذُقتُ فَقْدَهُمُ ـ ... عنّي ، وما لي عنهمُ عِوَضُ
[أقرضتُهم قلبي ، على ثِقة ... بِهِمُ ، فما ردُّوا الّذي اقترضُوا][٥٥]
أَوَ ما كفاهم أنّني رجل ... في العيش ما لي بعدَهم غَرَضُ ؟
إن أبرمُوا أمراً ، فإنَّهُمُ ... ـ بصُدودهم ـ للعهد قد نقضُوا

---

(٥٢) كاظمة : ١/٤٩ من هذا الكتاب . وليعقوب يوسف غنيم كتاب « كاظمة في الأدب والتاريخ » ، وفي كتاب « دراسات كويتية » لفاضل خلف بحث في كاظمة ١٣١ ـ ١٣٥ . الركب : الراكبون ، العشرة فما فوق .

(٥٣) ترنو : تديم النظر في سكون طَرْف .

(٥٤) فطرفي : من « المنتظم » ، الأصل « وطرفي » .

(٥٥) هذا البيت من « المنتظم » .

(٥٦) أبرموا : أحكموا . نقضوا العهد : نكثوه ونبذوه .

(*) ومن شعر العاصمي ، هذه الأبيات الثلاثة .. اختارها ابن الأثير في كامل التواريخ ١٠/٦٧ :

فديتُ مَنْ ذُبتُ شوقاً من محبته ... وصِرت من هجره فوق الفراش لَقىً
سمعته يتغنّى وَهْوَ مصطبحٌ ... أفديه مصطبحاً منه ومغتبقا
واخلفتك ابنة البكريّ ما وعدت ... وأصبح الحبل منها واهياً خَلَقا

الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله العراقي (١)

(١) ترجم السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٢ و ١٥٣ اثنين تشابها تشابهاً يكاد يكون قريباً من التمام في الاسم والكنية والمشيخة وبعض ملامح الحياة . فأما الأول ، فهو : « محمد بن علي بن عبدالله بن احمد بن حمدان ، أبو سعيد ، الجاواني ، الحلوّي [كذا وصوابه « الحلّي » كما نسبه ابن المستوفي في « تاريخ إربل »] ، العراقي » ، قال السبكي : « وقد كني بأبي عبدالله أيضاً »، و « جاوان : قبيلة من الأكراد ، سكنوا الحلة » ، « تفقه ببغداد على الغزالي والشاشي وإلكيا [الهراسي] ، وبرع وتميز . وسمع من .. وأبي بكر الشامي القاضي ، وقرأ « المقامات » على مؤلفها الحريري . وله : « شرح المقامات » ، و « عيوب الشعر » [وسيأتي عند غير السبكي : « عيون الشعر »] ، و«الفرق بين الراء والعين » [وسيأتي عند غير السبكي : « الفرق بين الراء والغين »] . وحدث بكتاب « إلجام العوام » للغزالي ، عنه » . ثم قال — بعد إيراده ثلاثة أبيات ميمية من شعره — : « قال ابن النجار : بلغني أن مولده في سنة ثمان وستين واربع مئة ، ولم يؤرخ وفاته » . وأما المترجَم الآخر ، فهو : « محمد ابن علي بن عبدالله ، أبو عبدالله ، العراقيّ ، البغدادي » « من تلامذة الغزالي والشاشي ، وإلكيا [الهراسي] ، وأبي بكر الشاميّ » ، قال السبكي : « ذكر شيخنا الذهبي أنه بقي إلى بعد الأربعين وخمس مئة » ، ثم سلّط عليه شكّه فقال : « فلا أدري ، هل هو هذا ، أو غيره ؟ » ، وأنهى بذلك ترجمته غير ذاكر له تأليفاً وشعراً ، ولا مشير إلى شيء منهما . وهو في الترجمتين معاً ، لم يعرض لبغداديته التي نصّ عليها العماد الكاتب ، ولا لسكناه « البوازيج » . وترجم السيوطيّ الأولَ في بغية الوعاة (ص ٧٧) ، واقتصر في تكنيته على « أبي سعيد » ، ولم ينقل ما قاله السبكي من انه « يكنى بأبي عبدالله أيضاً » ، ولهذا — إذا صحّ — دلالته على التفريق بين الرجلين . ثم نقل عن ابن المستوفي صاحب « تاريخ إربل » انه « أقام بإربل ، ورحل إلى بلاد العجم ، ومات في خُفْتيان ، وحمل فدفن بالبوازيج » [وخُفْتيان قلعتان عظيمتان من أعمال إربل : إحداهما خفتيان الزّرزاري ، والأخرى خُفْتيان سُرْخاب بن بدر في طريق شهرزور من إربل . والبوازيج تأتي في ح٤] . وإلى هنا من ترجمته في بغية الوعاة نستطيع أن نقطع انه غير الثاني الذي ترجمه السبكي بعده . ولكننا لانلبث أن نجد السيوطي يقول : « وقال الصلاح الصفدي نقلاً عن ابن النجار : قدم بغدادَ صبياً ، وتفقه على الغزالي ، وإلكيا [الهراسي] ، وبرع وتميز ، وقرأ « المقامات » على الحريري ، وشرحها . وكان اماماً مناظراً . وله : كتاب«عيون الشعر » ، و « الفرق بين الراء والغين » . مات سنة إحدى وستين وخمسين»، ثم يذكر من شعره بيتين من هذه الأبيات النونية الأربعة التي أوردها العماد

من أهل « بغداد » .

كان قد تفقّه على (الغزّاليّ)[2] ، و (الهرّاسيّ)[3] .

الكاتب . ولا جرم ان في هذا النص ما يصادم قول المؤلف العماد إنه « من أهل بغداد » ، وما يوافقه في غيره ، وفيه أيضاً ما يصادم بعض أقوال ابن المستوفي وما يوافقها. ويبدو ان هنالك تداخلاً بين الترجمتين، وليس من السهل ان نقول إنهما لرجل واحد ، وهو هذا الذي ترجمه المؤلف في خريدته ، والإسنوي في طبقاته ٢/٢١٤ ، والصفدي في الوافي بالوفيات ٤/١٥٥ ، والسيوطي في بغية الوعاة ٧٧ .

(٢) هو أبو حامد ، محمد بن محمد بن محمد ، الطوسي ، الغزالي ، الفقيه الأصولي الفيلسوف النظار الطائر الصيت ، الملقب « حجة الإسلام » . ولد سنة ٤٥٠هـ في «الطابران» إحدى قصبتي «طوس» ب « خراسان» ،وأخذ العلم عن أقطاب عصره في جرجان ونيسابور ، وبرع وتميز ، وأقبل على التأليف والتدريس والعبادة ، ورحل إلى بغداد ودرّس في « المدرسة النظامية » ، وطاف في الحجاز وبلاد الشام ومصر ، ثم عاد إلى بلده ، وختم حياته بالنظر في صحيحي البخاري ومسلم ، وتوفي في طوس سنة ٥٠٥ هـ ، وترك بعده أثراً عميقاً في الفكر الإسلامي ما برح موضع اهتمام الباحثين من مفكرين ومؤرخين، ومؤلفاته كثيرة أحصاها عبدالرحمن بدوي في كتابه « مؤلفات الغزالي » وقد نشره « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة » في سنة ١٩٦١ م ، واشهرها : « إحياء علوم الدين » و « المستصفى من الأصول » و « مقاصد الفلاسفة » و « فضائح الباطنية » و « تهافت الفلاسفة » و « المنقذ من الضلال » و « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » وغيرها . وترجمته في كتب لا تحصى ، منها : إتحاف السادة المتقين ١/٦ – ٥٣ ، وطبقات السبكي ٦/١٩١ – ٣٨٩ ،ووفيات الأعيان ١/٤٦٣ ، وغيرها كثير جداً . وللمعاصرين بحوث ودراسات في سيرته وعلمه وفلسفته ، مذكورة في « معجم المؤلفين » ١١/٢٦٦ والأعلام ٧/٢٤٧ ،ومن اجمعها « أبو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده » وهو يتضمن مجموعة الكلمات والبحوث التي القيت في موسم احياء ذكراه الذي أقامه «المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » في مدينة دمشق من ١١ الى ١٥ شوال سنة ١٣٨٠ هـ (٢٧ – ٣١ مارس ١٩٦١ م) .

(٣) هو علي بن محمد بن علي الطبري ، أبو الحسن ، عماد الدين ، المعروف ب « إلكيا الهرّاسي » وهمزة إلكيا أصلية مكسورة : فقيه شافعي ، مفسر. أسلفت موجز ترجمته في ١/٤٠ ، واضيف هنا إلى مصادر ترجمته : تبيين كذب المفتري ٢٨٨ ، ومرآة الزمان ٨/٣٧ ، وشذرات الذهب ٤/٨،والمنتظم ٩/١٦٧، وطبقات السبكي ٧/٢٣١ ، والبداية والنهاية ١٢/١٧٢، والعبر ٤/٨ ،وطبقات ابن هداية الله ٦٨ ، والنجوم الزاهرة ٥/٢٠١ ، والكامل ١٠/٢٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ، وطبقات الإسنوي ٢/٥٢٠ ، والاعلام ٥/١٤٩ وفيه : « في الرسالة ١٥ : ٤٨٠ ، و ٥٠٨ترجمة واسعة له من إنشاء برهان الدين محمد الداغستاني»، يريد بالرسالة « مجلة الرسالة » المصرية للزيات .

وسكَن « البوازيج »[٤] .

وانتفع بعلمه .

***

طالعت مصنّفاً له في التّوحيد ، على أسلوب تصانيف (الغزّاليّ) ، وفي خُطبته هذانِ البيتان قد نسبهما إلى نفسه :

أفديك بالعين الصّحيح .. حةِ ، فالمريضةُ لاتساوِي
إنّي أقِيكم بالمحاسِنِ ، لا أقِيكم بالمَساوِي

***

ووجدت له ، في بعض الكتب ، هذه الأبيات ، وهي قريبة[٥] :

دَعاني من ملامكما دَعاني ،
فداعِي الحبّ للبلوى دَعاني
أجاب له الفؤاد ونومُ عيني
وسارا في الرّفاق وودّعاني
فطَرْفي .. ساهرٌ في طول ليلي ،
وقلبي .. في يد الأشواق عانِ[٦]
فكيف يُصيخ للعذّال سمعي ،
ولا عقلي لَدَيَّ ولا جَناني ؟

(٤) البوازيج : علم على موضعين : الأول « بوازيج الأنبار » ، وهو مغمور الذكر ، والثاني « بوازيج الملك » ، وهو بلد قرب « تكريت » على فم « الزاب الأسفل » من غربيّه ، وكان في شرق « السِّنّ » : سنٌ بارِمَّى') ، وبينهما اثنا عشرميلا . وقد ظل قائماً حتى المئة الثامنة الهجرية « ١٤م » ، فقد ذكر المستوفي أنه كان يؤدّي إلى بيت مال الايلخانيين ١٤٫٠٠٠ دينار . وقد خرج من البوازيج جماعة من العلماء قديماً . ولا أثر له اليوم . والبوازيج لفظ سرياني مركب ، وهو « بيث وازيك » اي بيت عمال المكوس ، قاله هرزفلد E. Herzfeld

(٥) كذا ، ولعلها « غريبة » .

(٦) عانٍ : مأخوذ قسراً ، أسير .

(٧) الجَنان ، بفتح الجيم : القلب .

أبو القاسم الرَّبَعيُّ البغداديُّ [1]

هو أبو القاسم ، عليّ ، بن الحسين ، بن عبدالله ، بن عَرَيْبَةَ .

كان قد تفقّه على أقضى القُضاة (أبي الحسن ، علي بن محمد ، بن حبيب ، الماوَرْدِيّ)[2] ، والقاضي (أبي الطَّيِّب الطَّبَريّ)[3] ـ على مذهب (الشّافعيّ)[4] ، رضي الله عنه .

---

(1) له ترجمة في طبقات السبكي ٢٢٣/٧ ، وطبقات الإسْنَوِي ٢١١/٢ ، والعبر للذهبي ٥/٤ ، ومرآة الزمان ١٨/٨ ، والنجوم الزاهرة ٩٩/٥ ، وشذرات الذهب ٤/٤ ، وفيه : « الرّيفيّ » في موضع « الربعي » ، وهو تحريف من الناسخ ، والمشتبه ٣٦٠ .

(2) من وجوه الفقهاء الشافعية وكبارهم ، واقضي قضاة عصره ، والماوردي : نسبة الى بيع ماء الورد . ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ ، واستوطن بغداد في « درب الزعفران » ، وأخذ عن علمائها ، وتبحّر ، وولي القضاء في بلدان كثيرة ، ثم جعل « أقضى القضاة » في أيام القائم بأمر الله العباسي ، وكانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء ، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ . من مصنفاته : « أعلام النبوة » و « وأدب الدنيا والدين » ، و « الأحكام السلطانية » ، و « قانون الوزارة » و « سياسة الملك » و « أدب القاضي » ، وغير ذلك . وترجمته في : وفيات الأعيان ٣٢٦/١ ، وطبقات السبكي ٢٦٧/٥ ، وشذرات الذهب ٢٨٥/٣ ، وتاريخ بغداد ١٠٢/١٢ ، والمنتظم ١٩٩/٨ ، ومعجم الأدباء ٥٢/١٥ وطبقات الإسنوي ٣٨٧/٢ ، وطبقات الشيرازي ١٣١ ، والبداية والنهاية ٨٠/١٢ ، وطبقات ابن الصلاح ، الورقة ٧٠ ، ولسان الميزان ٢٦٠/٤ ، وميزان الاعتدال ١٥٥/٣ ، واللباب ٩٠/٣ ، وطبقات المفسرين ٢٥ ، والنجوم الزاهرة ٦٤/٥ ، وطبقات ابن هداية الله ٥١ ، والعبر للذهبي ٢٢٣/٣ ، ومفتاح السعادة ١٩٠/٢ ، وآداب اللغة ٣٣٣/٢ ، وبروكلمان ٤٨٣/١ (٣٨٦) و ٦٦٨/١ وغير ذلك .

(3) من حملة فقه الإمام الشافعي الكبار ، وهو طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عمر ، القاضي ، أبو الطيب الطبري . ولد بآمُل طبرستان سنة ٣٤٨ هـ ، واستوطن بغداد ، وولي القضاء بربع الكرخ ، وتوفي ببغداد سنة ٤٥٠ هـ . شرح مختصر المزني في أحد عشر جزءاً في الفقه ، وصنف في الخلاف والمذهب والأصول والجدل كتباً كثيرة ، قال السبكي : « ليس لأحد مثلُها » ، ولما يطبع من كتبه شيء . وترجمته في : تاريخ بغداد ٣٥٨/٩ ، والمنتظم ١٩٨/٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢٤٧/٢ ، وشذرات الذهب ٢٨٤/٣ ، ووفيات الأعيان ١٩٥/٢ ، والبداية والنهاية ٧٩/١٢ ، والعبر ٢٢٢/٣ ، والنجوم الزاهرة ٦٣/٥ وطبقات الشيرازي ١٠٦ ، وطبقات ابن هداية الله ٥١ ، وطبقات السبكي ١٢/٥ ، وطبقات الإسنوي ١٥٧/٢ ، وغير ذلك .

(4) الشافعي : ١٤٤/١ .

ثُمَّ صَحِبَ (أبا عليّ ، بن الوليد)[٥] ، وغيرَه من شيوخ (المعتزلة) ، وقرأ عليهم ، ورُمِيَ بالاعتزال[٦] .

ذكر الشّيخ (عليّ ، بن أحمد ، اليَزْدِيّ)[٧] أَنّه قال له (أبو القاسم الرَّبَعِيّ) : مولدي سنةَ أربع عشرة وأربع مئة .

وتُوُفّيَ سنة اثنتين وخمسِ مئة ، يومَ الجمعة الثّالث والعشرين من رَجَب .

***

أنشدنا (أبو الحسن ، عليّ ، اليَزْدِيّ) إجازةً ، قال : أنشدني (عليّ الرَّبَعِيّ) لنفسه :

إن كنتَ نِلتَ من الحياة وطِيبِها
مَعْ حُسن وجهك عِفّةً وشبابا ،
فاحذَرْ لنفسك أن ترَى مُتَمَنّياً
يومَ القيامة أن تكون ترابا

***

(٥) الأصل : « ابن الوليدة » . وهو محمد بن احمد بن عبدالله بن احمد بن الوليد، ابو عليّ ، متكلم ، من اشياخ المعتزلة وائمتهم . من اهل بغداد . اخذ الكلام عن ابي الحسين البصري ، وعبدالجبار الهمذاني القاضي ، وكان يدرّس الفلسفة والمنطق ، ويذيع مذهب المعتزلة . قال ابن الجوزي : « واضطره اهل السنّة الى أن لزم بيته خمسين سنة لم يجسر على الخروج منه » وتوفي في ذي الحجة سنة ٤٧٨هـ . وترجمته في المنتظم ٢٠/٩ ، وكامل التواريخ ٥٣/١٠ ، ولسان الميزان ٥٦/٥ .

(٦) قال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٤/٧ :« وحُكي انه رجع عن الاعتزال، واشهد على نفسه بالرجوع » .

(٧) في الأصل ، هنا وفي الموضع الآتي : « الردي » ، وإنما هو اليَزْدِيّ نسبة الى « يَزْدَ » ، بلد من أعمال إصطخر في فارس ، بين أصفهان وكرمان ، ينسب إليه جماعة كثيرة من أهل العلم . وهو علي بن أحمد ، أبو الحسن ، المشهور بابن محمويه المقرىء الفقيه الشافعي . وقد أسلفت ترجمته في ١٩٦/٢ .

وذكره (السَّمعانيّ)[٨] في تاريخه ، وقال :

« قرأت بخطّ (أبي الوفاء ، أحمد ، بن محمّد ، بن الحُصَيْن)[٩] :
أنشدَنا (أبو القاسم الرّبعيّ) لنفسه :

لا تُنكِرَنَّ قضاءَ الله والقَدَرا
ولا تَسُبَّ (أبا بكر) ولا (عُمَرا)

ولا تقُلْ ، إن عصيتَ الله : ذا قَدَرٌ
جرى . فَتُبْ منه ، يا هذا ، وكن حَذِرا

واستغفرِ اللهَ من ذنب .. عصيتَ به
ربَّ العباد ، وقِف بالباب معتذرا » .

***

وأنا أقول :

قال الشّيخ (عبدالرّحيم ، بن الأخوة ، البغداديّ)[١٠] : إنّه كان شيخاً مُسنّاً ،من معاصري الشيخ (أبي إسحاقَ الشّيرازِي)[١١] . قال : أنشدني (أبو القاسم الرَّبَعيّ) لنفسه :

زايلتُ موضعَ مرقدي ليلاً ، فزايلَني السُّكونُ[١٢]
أتَراكَ أوّلَ ليلة في القبر ، كيف ترى أكون ؟[١٣]

---

(٨) السمعاني : (ص ٣٧ / ح ٦) .
(٩) تقدم ذكره في ٢٤٨/٢ . واظنه اخا شمس الرؤساء ابي الحسن علي بن محمد الحصين ، وهما خالا مجد الدولة أبي غالب بن الحصين ، (انظر الجزء الثاني ٢٣٣/ و ٢٨٩) .
(١٠) تقدمت ترجمته في هذا الجزء (٢١٣/١٣٦) .
(١١) هو ابراهيم بن علي ، العلامة الشافعي المناظر المشهور . اسلفت ترجمته في ١٢٤/٢ .
(١٢) زايل : فارق .
(١٣) يخاطب ثرى قبره . الأصل « اترايَ » بالتاء .

أبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى السَّقَطي [1]

من أهل « بغدادَ » ، وأصحاب الحديث[2] .

أورده (السَّمْعاني)[3] في تاريخه ، وذكر : أَنَّه تُوُفِّيَ في ربيع الأوّل سنة تسع وخمس مِئة[4] . وذكر أنّه سمع (أبا القاسم اسماعيل بن أحمد بن عُمَرَ)[5] ، قال : أنشدَنا البيتين اللذين لِـ (محمّد بن إسماعيلَ الصّائغ)[6] ، وهما :

---

(١) محدث ، حنبلي ، رحّالة . والسَّقَطي ، بفتح السين المهملة والقاف : نسبة إلى بيع السَّقَط ، وهو رديء المتاع ، وسقط البيت : خُرثيّه ، لأنه ساقط عن رفيع المتاع ، وجمعه أسقاط ، وبائعه السَّقّاط والسَّقَطي ، وقد نسبت إليهما جماعة . ولد سنة خمس واربعين وأربع مئة ، وسمع الحديث ببغداد من جماعة . ورحل الى واسط ، والبصرة ، والكوفة ، والموصل ، وأصبهان ، والجبال ، وغيرها . وبالغ في الطلب ، وتعب في جمع الحديث وكتابته . وكان له فضل ومعرفة بالحديث واللغة . وجمع الشيوخ ، وخرج التخاريج . جمع لنفسه معجماً لشيوخه في نحو ثمانية أجزاء ضخمة ، وجمع تأريخاً لبغداد ذيّل به على تاريخ الخطيب البغدادي . وكان له نظم حسن ، ومعرفة بالأدب . ترجمته في : المنتظم ١٨٣/٩ ، وشذرات الذهب ٢٦/٤ ، والعبر ١٩/٤ ، وذيل طبقات الحنابلة ١٤٠/١ ، وكامل التواريخ ١٩٤/١٠ ووقع فيه اسمه « عبدالله » . وعبدالله هو أخوه كما سيأتي في الفقرة الخامسة .

(٢) في الأصل : « وأصاب الحديث » .

(٣) السمعاني : (ص ٣٧ / ح ٦) .

(٤) في شذرات الذهب : توفي سنة ٥١٠ هـ .

(٥) اسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث، أبو القاسم بن السمرقندي الحافظ . ولد بدمشق سنة أربع وخمسين وأربع مئة ، وسمع بها من الخطيب وعبدالدائم الهلالي وغيرهما ، وببغداد من الصَّرِيفِينِيّ فمن بعده . وروى عنه كثيرون . قال أبو العلاء الهمذاني : ما أعدل به أحداً من شيوخ العراق . توفي في ذي القعدة ٥٣٦ هـ . ترجمته في العبر ٩٩/٤ ، وشذرات الذهب ١١٤/٤ ،

فمـــا تنفعُ الآدابُ والعلمُ والحِجـا ،

وصاحبُها عنـــدَ الـــكمال يموت ؟

كمـا مـات (لُقمـانُ الحكيم) وغـيرُه ،

وكلُّهُـمُ تحتَ التّـــرابِ صُموتُ

وكان (هبة الله السَّقَطِي) ، حاضـــراً ، فأجازهما ببيتين ، وأنشـــدهما لنفسه[7] :

بَلى .. أثَـرٌ يبقى لـــه بعـدَ موتـِه ،

وذُخـرٌ له في الحشـــر ليـــس يفوتُ

وما يستوي المِنطيقُ ذو العلم والحِجـــا

وأخـــرسُ بـينَ النّاطقـــين صَمُوتُ

والطبقات الوسطى للسبكي ، وغير ذلك . وكان له أخ اسمه عبدالله ،وهو محدث أيضاً . ولد بدمشق . وسمع بها وببغداد ، ورحل الى نيسابور وأصبهان ، وخرج لنفسه معجماً ، وعاش أثنين وسبعين عاماً ، وتوفي سنة ٥١٦ هـ ، وهو مترجم في العبر ٣٧/٤ ، وغيره .

(٦) صيغة الخبر في ذيل طبقات الحنابلة ١٤١/١ :« قال أبو القاسم بن السمرقندي: كنا في مجلس (أبي محمد رزق الله التميمي) [« وفي نسخة : محمد بن رزق»] فأنشدنا : » الى آخر الخبر .

(٧) في ذيل طبقات الحنابلة : « وانشدَناهما من لفظه لنفسه » .

أبو الفتوح البغدادي المولد التنوخي الجماهري [١]

من أهل التَّصَرُّف في التَّصَوُّف ، والتَّفَرُّع من أصل التَّعَرُّف .

كان والده[٢] من « دِمَشْقَ » صوفيّاً ، مُحَدِّثاً ، فقيهاً ، نبيلاً ، نبيهاً ، وجيهاً ، نزيهاً .

ونشأ هذا والده على طريقته ، متخلّقاً بخليقته . غير أنّه أكسبته « البغداديّة » رِقّةً ، وصحِب من ظُرَفائها رفقة .

يحكي خُلُقه في الصَّفاء ماءَ الغَمام ، وفي الاستنشاءِ رائق المُدام[٣] .

وله طبع قابل ، لقنائص المعاني الوحشيّة حابل[٤] .

---

(١) هو عبدالسلام بن يوسف بن محمد بن مقلّد ، أبو الفتوح ، البغدادي ، التَّنُوخِيّ الجُماهِرِيّ . وتَنُوخ ، بوزن صَبُور ، ومن شدّد النون فقد أخطأ : حيّ من اليمن ، من القحطانية . والجُماهر ، بضم الجيم وتخفيف الميم وألف وهاء مكسورة وراء : هو ابن الأشعر ، من القحطانية . وقد جاء في طبقات الإسنوي ٣٦٦/١ بزيادة ياء تحتية مثناة بين الهاء والراء ، وتحيّر محققه في تفسيره وتوجيهه ، وصوابه هو هذا كما في تاج العروس ، وكتب الأنساب . وهو مترجم في النجوم الزاهرة ٩٩/٦ ، والروضتين ج١/ق٦٦٧/٢ ، والمختصر المحتاج اليه من اخبار بغداد . وقد سمي به أبو الأزهر جماهر بن محمد الزَّمْلَكاني الدمشقي ، من المحدثين .

(٢) ترجمه الإسنوي في طبقات الشافعية ٣٦٦/١ ، قال : « يوسف بن الجماهري [في المطبوع : الجماهيري] يوسف بن محمد .. من أهل دمشق . كان فقيهاً ، محدثاً ، صوفياً . تفقه ببغداد على أبي المنصور الرزاز . ثم انقطع برباط أبي النجيب السهروردي ، وادخله الخلوة ، وصنف كتاباً في أسماء الرجال سماه : « الارتجال » ، وسمع من جماعة كثيرين ، وحدث . ثم رجع في آخر عمره إلى دمشق ، وهو مريض بعلّة الاستسقاء ، ومات بها سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ، ودفن بقاسيون . ذكره ابن عساكر في تاريخه » . ثم ختم ترجمته بأربعة أبيات من شعره ، ورد فيها أول البيت الثاني : « فهٰذا » محرفاً إلى « فمازا » .

(٣) الاستنشاء : التعرّف ، يقال : انظر لنا الخبر ، واستنشِ ، واستوشِ ، أي : تَعَرَّفْه ، ومن أين نشيت هذا الخبر ، أي : من أين علمته . المدام : الخمر .

(٤) حابل : صائد .

وبيني وبينه صداقة مبكرة صَداقُها الصِّدق[٥] ، ومُماحَضَة خالصة حلوة لا يُمِرُّ مَذاقَها المَذْق[٦] .

وهو من المشغوفين بإثبات شعري ، وجمع نظمي ونثري .

وفد[٧] إليَّ بـ « دمَشْقَ » سنةَ إحدى وسبعين [وخمس مئة] ، مجدِّداً عهده بلقائي ، ومؤكِّداً بالزِّيارة أَواخِيَ إخائي[٨] .

ولقي (صلاح الدِّين)[٩] ، فتلقَّاه بالتَّوْقير والتَّوفير ، وقرَنَ التَّكريم له بالتَّكرير ، وأجلسه على منبر الوَعْظ بمَحْضَره ، وآنسه بقبوله في مَوْرِده ومَصْدَره ، وأحبَّهُ وحَباه[١٠] ، وعقَدَ لسَماع كَلِمِه حُباه[١١] .

وعاد إلى « بغدادَ » مُحْبُوَّ المَطالب بالنُّجْح ، مَمْلُوَّ الحقائب بالمَنْح .

وقدَّمَ إليَّ ، قبلَ وصوله ، كتاباً ، مهَّدَ له بالتَّرحيب[١٢] به جَناباً ، أوَّلُه[١٣] :

---

(٥) مبكرة : الأصل « مبتكرة » . الصَّداق : مهر الزوجة ، جمعه أَصْدِقة ، وصُدُق ـ بضم الصاد والدال .

(٦) الماحضة : لم تذكر معاجم اللغة ماحض مماحضة ، وانما ذكرت : مَحَضَ ، وامحض ، قال الجوهري : محضنه الودّ ، وأمحضته ، وقال غيره : امحضه الودَّ وامحضه له : أخلصه ، وأمحضه الحديث والنصيحة إمحاضاً : صدقه ، وهو من الإخلاص ، وكل شيء امحضته فقد أخلصته . المَذْق : الكذب ، والملل ، يقال : مذقه الوُدَّ ، أي شابَهُ ولم يخلصه ، وهو ماذق ومذاق .

(٧) الأصل : « ووفد » .

(٨) أواخي الإخاء : حرماته التي ترعى .

(٩) صلاح الدين : ١/١١ .

(١٠) حباه : أعطاه العطايا ، وأكرمه . يقال : حباه العطاءَ ، وبالعطاء . وهو مكرم محبوّ .

(١١) الحُبا : جمع الحبوة ، وهي ما يشتمل به من ثوب وغيره . وعقدها : شدُّها ، يريد جلوسه في مجلسه واهتمامه بسماع ما يقوله . وفي أساس البلاغة : «وبنو فلان إذا عقدوا الحُبا أطلقوا الحِبا ، أي : العطايا » .

(١٢) في الأصل : « بالترحّب » .

(١٣) في الأصل: « أولها » .

لو ساعد المِقدارُ في أحكامــــه أو طاوَعَتْنِي فيكم الأيّــامُ ،
لقضيتُهــا بالأُنس في مَغْناكُمُ ، ولَمــا عداني عنكم الإقدامُ[١٤]
إن غبتُمُ عن ناظــري في يقظتي ، فالوصــلُ مَوْعِدُنا به الأحلامُ !
أو تَدْخَرُوا عنّا نفائسَ فضلِكم، فنسيمُ أنفاسِ الصَّبا نَمّــامُ

***

وكتب أيضاً كتابا إلى القاضي (عيسى الكُرديّ الأسديّ)[١٥] :

لقد أضحى على الدُّنيا رئيســـا (ضياءُ الدّين) فخرُ العصر (عيسى)
جديدُ العِرض ، معسولُ السَّجايا إذا عِرضُ اللئيمِ غدا لَبيســـا
وصــدر ضاق لُوحُ الجوّ عنه ، ونفسٌ تبــذُلُ المال النَّفيسا[١٦]
فيُولي المجتــدي أدباً ومــالاً ليجمَعَ عندَه كَيْساً وكِيسا[١٧]

***

(١٤) المَغْنَى : المنزل يغنى به أهله ، أي يقيمون .

(١٥) هو الفقيه الوزير ، أبو محمد ، ضياء الدين ، الهكاري ، عيسى بن محمد بن عيسى الحسني الطالبيّ . تفقه بجزيرة ابن عمر ، ثم انتقل الى حلب ، وسمع الحديث من السلفي وابن عساكر ، وحدّث. واتصل بالأمير أسدالدين شيركوه، عمّ السلطان صلاحالدين ، وصار إمامه يصلي به الفرائض الخمس ، وصحبه لما توجه الى الديار المصرية لتولي الوزارة بها . ولما توفي أسدالدين ، سعى مع بهاءالدين قراقوش في إقامة صلاحالدين موضعه في الوزارة حتى بلغا المقصود ، فعرف صلاحالدين سابقته ورفع منزلته ، واعتمد عليه فلم يكن يخرج عنرأيه. وأسر مرةً وخلص بستين الف دينار . وكان واسطة خير للناس ، نفع بجاهه خلقاً كثيراً ، قال ابن تغري بردي : « وكأن الله قد اقامه لقضاء حوائج الناس، والتفريج عن المكروبين ، مع الورع والعفة والدين » .ولم يزل على مكانته وتوفر حرمته إلى أن توفي في التاسع من ذي القعدة سنة ٥٨٥ هـ بالمخيم على حصار « عكّا » وهو مجاهد للفرنج ، ثم نقل الى « القدس » ودفن بظاهرها . وترجمته في وفيات الأعيان ٣٩٧/١ ، والنجوم الزاهرة ١١٠/٦ ، وطبقات الشافعيــة الكبرى ٢٥٥/٧ ، والبداية والنهاية ٣٣٤/١٢ ، وكامل التواريخ ٢٠/١٢ .

(١٦) اللّوح ، بالضم : الهواء بين السماء والأرض .

(١٧) المجتــدي : طالب الجَدا ، وهو الغَنــاء والنفــع . الكَيْس « الأول » ، بفتح الكاف : الجود والظرف ، و ــ العقل .

فقلتُ له ، لما لقيتُه :

ما كنتُ أشعُر بأنّك تشعُر[١٨] ، ولا علِمت أنّك تنظِم وتنثُــر . فأَنشِدْني شعرك ، لِأُدَوّن في كتابي ذِكرك . فلِلّه دَرُّك ! أينَ دُرُّك ؟

فأبى أن يُقِرّ ، ونبا عن أن يُفَرّ[١٩] . فافتضضتُ عُذْرَةَ عُذْرِه[٢٠] ، واقتنصتُ الخِطْبَةَ لبِكر فِكره[٢١] ،واقتضيت بدَيْنِه - مع دعوى الإعسار- علماً بيَساره ويُسره[٢٢] .

فأنشدني لنفسه :

بعثتُمُ مَــعْ نسيم الرّيح نَشْــرَكُمُ
أكان قصداً لقلب الصَّبّ ، أم عَبَثا ؟[٢٣]

فجــاء يُهــدِي عبيراً من شــمائلكم ،
أهلاً به ، وبمَنْ أهدى ، ومَنْ بَعَثــا

فآهِ ! هل تَرْجِعُ الأيّام .. تجمَعُنــا ؟
وآهِ ! نفثــةَ مصــدورٍ بكم نَفَثــا

فقلت له :

ما هذا إلا من بِضاعة ، غير جديرة بإضاعة . والمسك ، لا يترُكُه العَرْف الضّائع ضائعا[٢٤] ، والرَّوض المؤنِق ما يزال بالوشائع شائعا[٢٥] .

***

(١٨) تشعر : تقول الشعر .
(١٩) أي لم ينقد لكشف حاله . يقال : نبا السهم عن الهدف : لم يصبه ، ونبا عليه صاحبه : إذا لم ينقد له . وفَرّ الأمر ، وعنه : بحثه ليكشفه ، وفُرّ فلان : جُرِّب واختبر ، قال الحجاج : « ولقد فُرِرت عن ذكاء ، وفُتِّشــت عن تجربة » .
(٢٠) العُذرة : البكارة ، استعارها للعُذر ، وافتضاضها : خرقها .
(٢١) الخِطْبة ، بكسر الخاء ، والعامة تضمها ، وتقول أيضاً « الخُطوبة » .
(٢٢) اقتضيت : طلبت .
(٢٣) النشر : الرائحة الطيبة . الصب : العاشق .
(٢٤) العَرف : الرائحة مطلقاً ، وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها . الضائع : الفائح .
(٢٥) المؤنق : المعجب بنضرته . الوشائع : جمع الوشيعة ، وهي كل لفيفة من القطن الموشع ، استعارها لزهر الروض .

وكتب إليّ شاكراً رِفْدي[٢٦] ، ناشراً حمدي :

لو قِيل : مَنْ في الأَرض يَهْدي الورى
بعلمه سُبْلَ الهُدى والرَّشادْ ؟

ويُخصب الأرضَ إذا أمحلت
بنائلٍ .. إن ضَنَّتِ السُّحْبُ ، جادْ ؟[٢٧]

ويلتقي أضيافَ إنعامه
بأَنْعُمٍ فوقَ المُنَى والمرادْ ؟

ويَهْدِمِ الوَفْرَ ، ويَبْنِي العلى ؟
ـ قلت : نَعَمْ ، هذي صفاتُ (العِمادْ)؟[٢٨]

لولاه ـ في « جِلِّقَ » ـ ما كان لي
صديقُ صدقٍ صادقٌ في الوِدادْ[٢٩]

كم جاد بالمال بلا مِنَّةٍ !
وكمْ على الآمل بالجود عادْ !

زاد على الآمال في بذله ،
وبعدَ أَنْ لِيمَ على البذل زادْ

أبقاه ربُّ الخلق في نعمة
مُبَلَّغاً من دهره ما أرادْ .

⁂

(٢٦) الرِفد : العطاء والصلة .

(٢٧) ضنّت السحب : بخلت بمائها أشدّ البخل.

(٢٨) الوفر : الغِنى .

(٢٩) جلّق : دمشق .

وكتب إليّ جزءاً من نظمه بخطه ، ووَرَى زَنْدُه بسِقْطِه[٣٠] ، وقال : « لي من أبيات :

قد نبَّهَ الشّوقَ برقٌ بالغَضَى ومَضَا
أذكى على القلب نيرانَ الغَضَى وَمَضَى[٣١]

أهدى إلى الرُّوح رَوْحاً ، والحشا حُرَقاً ،
والجسمَ سُقْماً ، وأنفاسَ الصَّبا مَرضا »[٣٢]

⁂

وقال أيضاً : « ممّا نظمته :

لقد نفحَتْ عن يمين الحِمى
نسائمُ .. فيهِنّ نَشْقٌ وورد[٣٣]

فقد مالَ غُصن ، وقد ماسَ قَدٌّ ،
وقد ناح صَبٌّ ، وقد فاح رَنْدٌ[٣٤]

وقد طرب الكُلّ من عَرْفها
فللرَّكْب وجدٌ وللعِيس وَخْدٌ[٣٥] »

⁂

---

(٣٠) وَرَى الزند يَرِي وَرْياً ووُرِيّاً ورِيَةً ، ووَرِيَ يَوْرى .. : خرجت ناره. السقط ، مثلث الأول : الشرارة تتطاير من قدح الزندين ، ومنه ديوان « سقط الزند » لأبي العلاء المعري .

(٣١) الغَضَى : (ص ٤٦/٦٤) . ومَضَ البرق يَمِضُ ومضا ، واومض إيماضاً : لمع خفيفاً وظهر .

(٣٢) الرَّوْح ، بفتح الراء : الراحة ، ونسيم الرِّيح .

(٣٣) النّسائم : أراد بها « الأنسام » جمع النسيم ، ولا يعرف هذا الجمع في اللغة.

(٣٤) الرَّنْد : شجر طيب الرائحة ، و ــ الآس .

(٣٥) الكل : في جواز تعريف « كل » بأل ومنعه كلام كثير لا موضع له هنا . العرف: (ح٢٤) . الركب : الراكبون ، العشرة فما فوق . العِيس : كرام الإبل ، أو التي يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء . الوخد : مصدر وخد البعير ، اذا أسرع ووسع الخطو .

قال : « وأيضاً ممّا قلتُه :

وعلى الكَثِيب دُوَيْنَ « بُرْقَةِ ثَهْمَدٍ »

عِينٌ •• يُعِين السُّقْمَ سُقْمُ جُفونِها[٣٦]

سُمْرُ القَنا الخَطّيِّ دُونَ قُدودِهـا

وجُفونُ بِيضِ «الهند» دُونَ جُفونِها[٣٧]

جمعَتْ لِحاظ عيونِها يومَ النَّقـا

للصَّبِّ بينَ فُتورِهـا وفُتونهـا »[٣٨] .

**

قال : « وأيضاً ممّا نظمتُه عندَ وَداع بعض الأصدقاء :

وَدَّعْتُهم ، فاستهلَّتْ أدمُعي جَزَعـاً

لمّـا استقلّوا قُبَيْلَ الصُّبحِ وانطلقوا[٣٩]

كنّا نُجومـاً ، دليلُ الوصل يجمَعُنـا ،

كـذا النُّجومُ مع الإصبـاح تفترقُ » .

**

قال : « وأيضاً مما نظمته في كتاب إلى بعض الأصدقاء :

يا ســادَتِي ! ما راقَ بعـدَ فِراقكم

في مِسْمَعِي حُسنٌ ، ولا في ناظـري

---

(٣٦) بُرقة ثَهْمَد : موضع في جزيرة العرب لبني دارم ، قال طَرَفة بن العبد :
لخولةَ أطلال ببرقـة ثَهْمَدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليَدِ
عِين : جمع عيناء ، وهي الواسعة العينين . يعين : في الأصل « تعين » .

(٣٧) القنا السمر : الرماح . الخَطّي : نسبة الى « الخَطّ » وهو موضع ببلاد « البحرين » كانت تباع فيه الرماح . جفون بيض الهند : غمود السيوف المطبوعة في « الهند » .

(٣٨) النقا : الكثيب من الرمل ، و ـ القطعة من الرمل تنقاد محدودبة .

(٣٩) استهلّت : تساقطت . استقلّوا : ارتحلوا ومضوا .

إن بِنْتُمُ ـ لا بِنتُمُ ـ عن ناظـــري ،
فلقــد حضَرْتُم في سُوَيْدا خاطري[40]

فالوجـــدُ مِلءُ جَوانِحي ، والدَّمعُ مِلْ
ءُ مَحاجِري ، والذِّكرُ مِلءُ سَرائِري»[41] .

*
**

قال : « وأيضاً مما نظمته في الحقائق من أحوال (الصُّوفيّة)(*) :

يا قِبلةَ القلب! يا مَنْ حلَّ في فِكَرِي ،
وجَـــلَّ عن أن يَحِلَّ الرَّبُّ في الفِكَرِ !

خلقتَني مــن تـُـراب .. أنت خالقُـــهُ
حتّى إذا صرتُ تِمثـــالاً من الصُّوَرِ ،

أجــريتَ في قالَبي رُوحـــاً منوّرةً
تَمُرُّ فيــه كجَرْيِ المــاء في الشَّجَرِ

جمعت بــينَ صفــــــا روح منوّرة
وهيكلٍ صُغْتَهُ من مَعْــدِنٍ كَــدِرِ(**)

يا مالكــاً مُهْجتي ! يــا منتهى أملي !
يا حاضراً بيَ في بَدْوِي وفي حَضَري ! (***)

إن غِبتُ فيك فيا فخري ويا شَـــرَفي !
وإن حضرت فيا ســـمعي ويا بصـــري !

---

(٤٠) بنتم : فارقتم وبعدتم . السويداء ، من القلب : سواده ، قصــرها للوزن . خاطري : في الأصل « الخاطري » .

(٤١) الجوانح : الأضلاع القصيرة مما يلي الصدر ، الواحدة جانحة . المحاجر : ما أحاط بالعيون ، الواحد مَحْجِر . السرائر : جمع السريرة ، وهي ما يكتم ويُسَرّ .

(*) أورد أبو شامة في « الروضتين » (١/ق٢/٦٦٨) سبعة أبيات من هذه القصيدة.

(**) وهيكل : الأصل « وهكذا » ، وتصويبه من « الروضتين » .

(***) في « الروضتين » : « .. يا حاضراً شاهداً في القلب والفكر » .

إنْ احتجبتَ فسِرّي منك في وَلَهٍ ،
وإن ظهرتَ فقلبي منك في خطرِ[٤٢]

تبدو فتمحو رُسومي ، ثمّ تُثبِتُها .
فإن تغيّبتَ عني عِشتُ بالأَثَرِ

يلوح شاهدُ وِجدانٍ ، فيُنعشُني
نسيمُ رَوْح على روض من السَّحَرِ[٤٣]

أكاد أَنطِق لولا الخوفُ يمنَعني ،
ما أطيبَ الحالَ ! لولا موقفُ الحَذَرِ .

إذا وَقَفْتُ على أطلال معرفتي
أكاد أَهتِف ، لولا أنت ، بالبشرِ[٤٤]

يقول قلبي لعقلي ، حين تشهَدُه :
يا صاحياً ! صحِ ْ، فإنّي الآنَ في سُكُرِي[٤٥]

عَرْبِدْ ، لتشكُرَ أصناماً مُمَثَّلَةً ،
من توبة النّفس ، أو من توبة الصُّوَرِ

أنا الأمير ، وشكري الآن يَشغَلُني ،
فقِفْ على الباب كي تُحمَى من الغِيَرِ » .[٤٦]

*
**

قال : « وأيضاً ممّا نظمته :

حنَّتْ إلى الغَوْر ، فأذكت لوعةً
فآهِ من ذاك الحنين آها ![٤٧]

---

(٤٢) إن : في الروضتين « أو » . الوَلَه : اشتداد الحزن ، و ـ التحيّر من شدة الوجد . ظهرت : في الروضتين « خطرت » .
(٤٣) الرَّوْح ، بفتح الراء : نسيم الريح .
(٤٤) الأطلال : جمع الطَّلَل ، وهو الشاخص من آثار الديار .
(٤٥) صحِ : فعل أمر ، من « يصيح » .
(٤٦) الغِيَرُ : غِيَرُ الدهر ، وهي أحداثه وأحواله المتغيرة .
(٤٧) الى : في الأصل « على » . الغور : (ص ٧ / ح ١٧) . آهٍ : كلمة معناها التحزُّن ،وقال الأزهري : آه هو حكاية المُتأَهِّهِ [المتوجع] في صوته ، وقد يفعله الإنسان شفقةً وجزعاً ، وانشد :
آهِ من تَيّاكِ آها ! تركتْ قلبي مُتاها

لا تَمْطُلاهـا بـدُيون « لَعْلَـعٍ » ،
فقد كفاها الجَـدْبُ مـا لواها[٤٨]

وغنّيِاهـا بأحـاديث الغَضَى
فإنّهـا تُعجِبهـا ذكراهـا[٤٩]

لولا عَشِيّـاتُ الحِمى ، لَمـا انبـرت
تمـرَحُ في جِلالِهـا ، لولاهـا[٥٠]

كأنّمـا نحن على أكوارهـا
سِـهامُ رامٍ في الفَـلا رماهـا » .[٥١]

**

قال : « وممّا نظمت ، من قصيـدة :

حَيِّ الخِيـامَ على الحِمى بالأَجْرَعِ
فمَنازِلاً بين « العَقيق » و « لَعْلَعِ »[٥٢]

هطَلَتْ عليهـا المُزْنُ ، وَهْيَ حوافلٌ ،
فكأنّمـا ينثُرْنَ لؤلؤَ أدْمُعي[٥٣]

---

(٤٨) المَطْل : تأجيل موعد الوفاء بالحق مرةً بعد مرة . لعلع : جبل في جزيرة العرب ، كانت به وقعة لهم ، قال أبو نصر : لعلع ماء في البادية ، وقد وردته . وقيل : لعلع منزل بين البصرة والكوفة ، وفيه تفصيل ينظر في « معجم البلـدان » و « معجم ما استعجم » . وهو هنا عند الشاعر رمز . لواها : جَحَد حقَّهـا .

(٤٩) الغضى : (ص ٦٤ / ح ٤٦) . فانها تعجبها : الأصل « فانه يعجبه » .

(٥٠) انبرت : عرضت . تمرح : تختال من النشاط والعُجب . الجِلال ، بكسر الجيم : جمع الجَلّ ، بفتحها ، وهو ما تغطّى به الدابة لتصان .

(٥١) الأكوار : جمع الكور ، بضم الكاف ، وهو الرَّحْل . الفلا : جمع الفلاة ، وهي الأرض الواسعة المقفرة .

(٥٢) الأجرع : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل . العقيق : (ص ٩١ / ح ٣٠) . لعلع : (ح ٤٨) .

(٥٣) المزن : السحب ، و ـ الأمطار . هطلت : صبت ماءَها .

ومشت عليها الرِّيحُ ، وَهْيَ مريضةٌ

فتطبَّبَتْ بعبير ذاكَ المَرْبَعِ[٥٤]

وجَرَتْ على غُدرانها ، فتزرَّدَتْ

كجَوَاشِنٍ مزرورةٍ للأدرُعِ[٥٥]

يا ليلةً .. بِتْنا نَلَذُّ بِطيبها !

أنراكِ من بعد التَّفَرُّقِ ترجعي ؟[٥٦]

لهفي على ذاكَ الزَّمانِ وظِلِّه ،

إذْ نحن نَرْبَعُ بالأمانِ ونَرْتَعِي !

وغصونُ أيّامِ الوِصالِ رطيبةٌ

تختالُ في وَرَقِ النَّعيم المُمْرِعِ[٥٨]

ومهفهف .. يستلُّ سيفَ لحاظِه ،

فيقُدُّ قابَ الصَّبِّ قبلَ الأضلُعِ[٥٩]

ثَمِلِ القوامِ .. إذا تثَنَّى قَدُّه ،

قالَ النَّسيمُ لِبانِه : يا مُدَّعٍ ![٦٠]

ومُعَنِّفي في حبِّه كي أَرْعَوِي

ما العَذْلُ في أُذُنِ المحبِّ بمنجعِ[٦١]

---

(٥٤) المربع : الموضع يقام فيه زمنَ الربيع ، و ـ المطر في الربيع .

(٥٥) تزردت : فعل اشتقه من الزَّرَد ، وهو حَلَق الدرع والمِغْفَر . الجواشن : جمع الجَوْشَن ، وهو الدرع .

(٥٦) ترجعي : أراد « ترجعين » ، فحذف من غير جازم، وهو خطأ ، وليس ضرورة.

(٥٧) نربع : نُخْصِب ، و ـ نتحكّم كيف نشاء . الأصل « نرتع » ، وهو تصحيف. نرتعي : نَرْعَى . في الأصل « ونرتع » .

(٥٨) المرع : المخصب .

(٥٩) المهفهف : الضامر البطن ، الدقيق الخَصْر .

(٦٠) البان : (ص ٩٣ / ح ٣٧) .

(٦١) أرعوي : أكف وأرتدع . منجع : ناجع ، يقال : نجع الدواء في العليل ، وأنجع: إذا نفع وظهر أثره .

هـذا . وكم هِمَمٍ أَشَبْنَ مَفـارِقي ،
وعـزائمٍ ما إنْ تفارقُ مضجَعِي[٦٢]

كم مِنّـةٍ .. قـد عِفْتُهـا بتعَفّفٍ ،
وعطيّـةٍ .. قابلتُهـا بتمنّـعِ

أَظْمـا ، ودونَ الوِرد نوعُ مَذَلّـةٍ ،
فأعود ظمـآناً ولمّـا أَشْـرَعِ[٦٣]

أعفو عن الجـاني وإن قال الخَنـا ،
وأصُـدُّ عنـه كأنّني لم أسـمَعِ

وأصونُ عِرضي بالنّوال تبَرّعـاً ،
خـيرُ المـكارم ما أتى بتبَرّعِ[٦٤]

خُلُقٌ ، على مَـرّ الزّمـان ، لقِيتُـه
من شـيمة الملك الـكريم الأروعِ »[٦٥]

**

قال : « وكنّـا في جمع من (الصّوفيّة)[٦٦] ، فمات واحـد من الجمع ، فقلتُ بَدِيهـاً :

تقضّى العمرُ .. لا وصـلٌ فيُرجَى ،
ولا هجـرٌ مـريحٌ بالإِيـاسِ

تجلّى الأمـر للأبصـار . لـكنْ
تغطّى الحـقُّ عنّـا بالتِبـاسِ

---

(٦٢) المَفارِق : جمع المَفْرِق ، وهو من الراس حيث يُفرَق الشعر .
(٦٣) اظما : اظمأ ، سهل همزته للوزن . أشرع : أدنو من الماء .
(٦٤) النّوال : العطاء .
(٦٥) الأروع : الذكي الفؤاد .
(٦٦) هنا عبارة غير واضحة ، أسقطتها . وهي : « فقال شيا » .

فكم من موقظٍ .. والدّهرُ لاهٍ ،

وكم من مُذْكِرٍ .. والقلبُ ناسٍ ! » .

***

قال : « وألغَزْتُ البِطّيخ[67] ، وكتبت به إلى بعض الأصدقاء :

يا حائزاً أفخرَ المعالي ، وجامعاً أشرفَ المَناقِبْ ،

ويا جواداً يجود حتّى يغمُرَ بالجود كلَّ راغِبْ !

علامةٌ أنت في المعاني ، وفي المعالي ، وفي المذاهِبْ

فاشرَحْ – هُدِيتَ الصّواب : ما ذُو

جَماجمٍ .. كلُّها عجائبْ ؟ [68]

تسكُنُها ألسُنٌ صِحاحٌ ، وهُنَّ لُكْنٌ عن المُخاطبْ [69]

تُرَى بدوراً إذا تَبدَّتْ ، وَهْيَ إذا هلّلت غواربْ [70]

يوصَفُ بينَ الأنام وصفاً ، وَهْوَ بحُسْنِ النّضار عائب» . [71]

***

وكتب تحتَ الكرّاسة :

« علّقتُ هذه اللمحة ، امتثالاً لأمر السيّد المنعم (عِمادالدّين) عزّ الإسلام – أدام الله له السّعادة ، وأجراه على أجمل عادة ، وإن كانت مما يُستَر ، ولا يشهر . وإن ندر فيها معنى يستملح ، أو بيت [يفصح][72] . فهو نتيجة للاستفادة من أنفاسه ، والاقتباس من نِبْراسه[73] . والحمدُ لله على نِعَمه ، وصلّى الله على سيّدنا (محمّد) وآله وصحبه الطّيّبين الطّاهرين » .

***

---

(٦٧) الغز كلامه ، وفيه : (ص ٨/ح٢٢) .

(٦٨) في الأصل : « فاشرح هدية الصواب مادا جماجما .. » .

(٦٩) لكن : جمع الكن ولكناء ، أعجميّو اللسان ، يصعب عليهم الافصاح من العيّ .

(٧٠) الفوارب : جمع الفارب ، وهو من كل شيء أعلاه .

(٧١) النضار : الذهب .

(٧٢) موضعه بياض في الأصل .

(٧٣) النبراس : المصباح .

وممّا نظم في الملك (الناصـــــر)[٧٤] ، وقد أمر له بدنانيرَ بِيضٍ ، نقرِ « دِمَشْقَ » ، وطلب أن تكون حُمْراً ، فأُعطي بِيضاً[٧٥] :

كانت دنانيرُ مَنْ تُوليــه مَكْرُمَــةً
حُمــراً ، فتُغْنيــه تصريحاً وتعريضــا

واســودٌ بَخْتي وأوقاتُ الرَّجـاء معـاً
فعاد أحمرُهـا ــ يومَ النَّوى ــ بِيضا[٧٦]

فاجْبُـرْ جَنـاحَ رجـاءٍ .. كان أنهضني
للقصد نحوَك ، وَهْوَ الآن قد هِيضـا[٧٧]

بقيت ، ما استنشق المشتاقُ ريحَ صَبـا ،
فـزاد مُعْتَلُّهـا في الجـوّ تمريضـــا

كم رُضْتُ جـامح أمرٍ .. لانَ أصعبُه ،
لولا شـهامةُ عـزم منـك ما رِيضـــا

هو الّذي فــرّقَ الأموالَ قاطِبــةً ،
فكلّمـــا ازددتَ بذلاً زاد تحريضـــا

---

(٧٤) في الأصل : « الناظر » ، وهو تحريف . والناصر لقب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قاهر الفرنج الصليبيين ، رحمه الله . ترجمته في (١/ ١١) .

(٧٥) في الأصل : « حمراً » .

(٧٦) النوى : (ص ١٧١/ح٢١٦) .

(٧٧) هِيض : كُسِر بعدما كاد ينجبر .

لا شَتَّتَ اللهُ شَمْلاً أنت جامعُه ،

وزاد شملَ العِدا شَتّاً وتقويضا(٧٨)

---

(٧٨) الشَتّ : التفريق . التقويض : الهدم .

واضيف إلى ما اورده المؤلف من شعر عبدالسلام بن يوسف الجُماهِرِي هذه المقطوعة ، وهي في المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد ، والنجوم الزاهرة :

على ساكني بطن « العَقِيق » سلامُ
وإن أسهروني بالفراق وناموا

حَظَرْتُم عليَّ النَّوْمَ وَهْوَ مُحَلَّلٌ
وحَلَّلْتُم التعذيبَ وَهْوَ حرامُ

الا يا حماماتِ الأَراكِ إليكُمُ
فما لي في تفريدكُنَّ مَرامُ

فوَجْدِي وشوقي مُسْعِدٌ ومُؤانِسٌ
ونَوْحِي ودمعي مُطْرِب ومُدامُ

باب
في
ذكر فضائل بعض أَهل العصر والأَعيان
وجماعة من أماثل أهل العلم والقُرآن



ابو العباس احمد بن المؤمّل البغداديّ [1]

من أهل « بغدادَ » .

وفيه فضل .

***

له يمدح الإمام (المستضيء)[2] ، ويهنّئه بفتح « مِصْرَ »[3] :

قـــد جـــاء فتحُ الله والنَّصْــرُ ... واعتــذرت ممّا جنَتْ « مِصْرُ »

وأرســلَتْ تسأل صَفْحــاً لها ، ... فاغفِـــرْ ، فمن عادتك الغَفْـــرُ

كانت على منبرهـــا ظلمـــــةٌ ، ... إذْ لم يكن في أُفْقهـــا بـــــدرُ

---

(١) العَدْواني ، بفتح العين وسكون الدال : نسبة الى عَدْوان ، بطن من قيس عيلان ، من القبائل العدنانية . وهم بنو عدوان ــ واسمه الحارث ــ بن عمرو ابن قيس عيلان. سمي «عدواناً»، لأنه عدا على أخيه «فَهْم» فقتله . وهم بطن متّسع . وكانت منازلهم بالطائف ، نزلوها بعد زوال العمالقة ، ثم غلبتهم عليها ثَقِيف ، فخرجوا إلى تهامة . وكان منهم عامر بن الظَّرِب العَدْواني المُعَمَّر من حكّام العرب وحكمائهم وخطبائهم وفرسانهم في الجاهلية ، وكان ممن حرم الخمر ، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً ، وذو الإصبع العَدْواني ، واسمه حُرْثان بن الحارث ، وكان شجاعاً مشهوراً له حروب ووقائع وأخبار ، وشاعراً حكيماً ، قليل الغزل والمديح ، وهو القائل في قومه « عدوان » (وهي الأصمعية ١٨) :

عَـــذِيرَ الحيِّ من « عَـــدْوا ... نَ » كانوا حَيَّــــــةَ الأرضِ

بغَـــى بعضُهـــمُ بعضـــاً ... فلم يُـــرْعُوا عـــلى بعضِ

ومنهـــم كـــانت السّـــادا ... تُ ، والمُوفُون بالقـــرضِ

ومنهـــم حكَـــمٌ يَقْضِـــى ... فـــلا يُنْقَضُ ما يَقْضـــي

إذا مـــا ولدوا أَشْـــبَوْا ... بسِـــرِّ الحسب المَحْضِ

(٢) المستضيء بالله : (١/٩) .

(٣) ١/١٠ .

فمُذْ أضاء (المستضي) ، أشــرقت   وابتهـج المنبــرُ والقصـــرُ
فأصبحتْ « قاهـــرةُ » المُـدَّعي   مقهورةً •• قــد زانهـا القهرُ •
يا مَنْ به عاشـــت أماني الورى   مــن بعــدِما قد ضَمَّهـا القبرُ
شــاعت عطاياك ، وذاع الّذي   أوليتَـهُ ، وانتشــر الذِّكـرُ
كم كُربةٍ فَرَّجْتَهـا عن فَتىً ،   قصـدُك في تفريجهــا الأسـرُ
وكم كسيرٍ مُبْلِسٍ ، آيسٍ ••   أطلقتْــه ، فانطلـق الشُّكرُ[٤]

***

وله من قصيدة :

عِشْ هكذا أبــداً في العزّ والـكرمِ
يا جُملـةً •• خُلِقت من أطهر النَّسَمِ[٥]
كشَفْتَ لأْواءَ قومٍ •• طال بُؤسُهُمُ ،
بعـدَ الإياسِ ، وكانوا في يـد العَدَمِ[٦]
رأوا بـك النَّشـأة الأُخرى معاينــةً
من بعــدِ أن حَصَلوا في ظلمة الرَّحِمِ
وافتَرَّ ثغــرُ الرُّبا ، واخضرّ أغبـرُه ،
وراح في غُنْيَـــة عن مِنَّـة الدِّيَمِ[٧]
بُشــراكمُ – يا بني الآمال – جــاءكمُ
مُحيي الرَّمِيم ، ومُنْشِي مُزنة الكرمِ !![٨]

---

(٤) مُبْلِس : ساكت ، لحيرة ، أو انقطاع حجة .
(٥) النَّسَم : نَفَس الرُّوح .
(٦) اللأواء : ضيق المعيشة .
(٧) افترّ : ابتسم . الدِّيَم : جمع الدِّيمة ، وهي المطر الذي ليس فيه رعـد ولا برق .
(٨) الرَّميم : البالي من كل شيء ، والفتات من الخشب والتِّبن ، وفي القرآن الكريم : (يُحيي العِظام وهي رَمِيم") ، وعجيب من الشاعر أن ينعت المخلوق بصفة الخالق ، ومن الخليفة أن يقبل منه هذا الغلوّ المخرج إلى الكفر ! المزنة : السحابة ، و – المطر .

من معشر .. وَطَّدُوا الدّنيا وقد نشَزَتْ ،

فهم أحقُّ بهـــا من ســـائر الأممِ[9]

الأَغْزَرِينَ لُهـــا ، الأكثرين نُهىً ،

الأَنْوَرِين بَهـاً في حِنْدِسِ الظُّلَمِ[10]

بـ (المستضيء) أضـــاء الحـقّ ، وارتفعت

صُواه ، فَهْوَ رفيـعُ البيت والعَلَمِ[11]

مولىً .. إذا أمَّـــهُ عافٍ ، فنائلُـــه

ضـافٍ ، وإحسانه صافٍ من التُّهَمِ[12]

---

(9) وطّدوا : ثبّتوا وقووا . نشزت : استعصت . في الأصل « نشرت » وهو تصحيف .

(10) اللُّها : جمع اللُّهْوَة ، وهي العطية ، أو افضل العطايا وأجزلها . بَهاً : بهاءً ، قصره للوزن .

(11) الصُّوَى : ما نُصِب من الحجارة ليستدلّ به على الطريق ، وفي الحديث : « إن للدين صُوًى ومناراً كمنار الطريق » .

(12) أَمَّ : قصد . العافي : طالب الفضل والمعروف . النائل : العطاء . الضافي : السابغ التام . وفي الأصل : « .. إذا مه عاف فيايله » .

سعيد بن الصُّوفيّ

من أهل « بغدادَ » .

وصلت له إلى الملك (النّاصر)[1] قصيدة مع الرّسُول ، فيها :

ملكٌ .. إذا جادت يداه بنائل ،
أربى على صَوْب الغَمام الماطرِ[2]

وإذا فتىً .. جعل الصَّنيعةَ دَأْبَهُ ،
لم يَخْلُ ـ طولَ زمانه ـ من شاكرِ[3]

---

(١) لقب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قاهر الفرنج الصليبيين ١/١١ .
(٢) النائل : العطاء . أربى : زاد . صوب الغمام : انصبابه وجوده .
(٣) الصنيعة : كل ما عمل من خير أو إحسان . الداب : الشأن والعادة .

الأخذب المعلّم

من أهل « بغـداد » .

أبو الحسن، عليّ، بن أحمدَ ، بن محمّد ، بن محمّد، المُقْرِيءِ ، المؤدِّب ، معلّم الصّبيان بـ « المقصرة »[1] من « المقتديّة »[2] .

رأيته في جواري على مكتبه .

له قبول حَسَن ، وأولاد المحتشمين عندَه .

وتوُفِّيَ تاسعَ عَشْرَ [شهرِ][3] رَمَضانَ سنةَ خمس وأربعين وخمس مئة .

***

حكى عنه (السَّمْعانيّ)[4] : « أنّه سمِعه يقول : رأيت في المنام عجوزاً صفراءَ زرقاء مُعَرَّقَةً[5] ، تقول : أنشدني أبي المختار ، قال : كتب جدّي (الأشرف بن فخر الملك) الى أخيه (الأعزّ) بـ « أصفهانَ » ــ كتاباً ، فيه هذه الأبيات :

إنَّ الّذي قسَمَ الوِراثةَ بيننـا
جعـل الحـلاوةَ والمرارةَ فينـا

لكنْ .. أراك وردْتَ ماءك صافيـاً
ووَرَدْتُ من جور الحوادث طينـا

---

(١) لم أجد خبرها في تواريخ بغداد الميسورة لنا ، وهي لغةً موضع قَصْر الثياب. وفي لسان العرب : قَصَرَ الثوبَ قصارةً ــ عن سيبويه ، وقَصَّرَه،كلاهما: حَوَّرَه ودَقَّه ، ومنه سُمّي القَصّار .. والقَصّار والمقصِّر : المحوِّر للثياب ، لأنه يدقّها بالقَصَرة التي هي القطعة من الخشب ، وحرفته القِصارة . والمِقْصَرَة : خشبة القصار » . ولم يذكر المَقْصَرة بفتح الميم للموضع ، وهي قياسيّة .

(٢) المقتدية : (ص ١٧ / ح ٦) .

(٣) زيادة منّي .

(٤) السمعاني : (ص ٣٧ / ح ٦) .

(٥) مُعَرَّقة : قليلة اللحم مهزولة .

إن كنتَ أنت أخي ، فقُل لي : يا أخي !
لِمْ بِتَّ جَذْلاناً ، وبِتُّ حزيناً ؟
أَلاَّ قَسَمْنا بيننا الفرح الذي
كنّا قسَمْنا في حياة أبينا ؟ »[6] .

***

قال : « سمعته يقول : أُنشِدت بيتاً :

كأنْ لم يكن بيني وبينكُمُ هَوًى ،
ولم يكُ موصولاً بحبلِكُمُ حَبْلِي !

قال : فأَجَزْتُه[7] :

ولم يجتمعْ في الدّهر يوماً وليلةً
بشملِكُمُ ـ يا (بَثْنَ) ـ في مجمعٍ شَمْلِي! »[8]

***

قال : « وأنشدني لنفسه ، يَرْثي بنتاً له :

ولستُ براضٍ بالبكاء ـ بُنَيَّتي ـ عليكِ ، إلى أن أمزُجَ الدَّمْعَ بالدَّمِ
فلو أنَّ جَفْنِي دائماً ببكائه على قَدْرِ حزنٍ تستحِقّينه ، عَمِي
وإنّي بمثل الكأس بَعدَكِ شاربٌ كما شرِب الماضُون مِنْ لَدُ (آدمِ)[9]
فلا بَلِيَتْ تلك العِظامُ ، فإنّها بقيّةُ جسمي ، لم تَدَنَّسْ بمأْثَمِ

(٦) الا ، مفتوحة الهمزة مشددة اللام : للتحضيض ، مثل « هَلا » ، يقال : هَلا فعلت كذا ، والا فعلت كذا ، ومعناه : لِمَ لَمْ تفعل ؟
(٧) الإجازة في الشعر أن يتم الشاعر بيتاً أتى مطارحه بضدّه .
(٨) بَثْن : ترخيم « بثينة » .
(٩) لَدُ : في الأصل « لَدُنْ » ، ولا يستقيم بها الوزن . ولَدُ : لغة في « لدن » ، وهي ظرف زماني ومكانيّ غير متمكن ، بمنزلة « عند » ، إلا انه أقرب مكاناً من «عند » وأخصّ منه ، فان « عند » تقع على المكان وغيره ، تقول : لي عند فلان مال : أي في ذمته ، ولا يقال ذلك في « لدن » . ولا يستعمل إلا في الحاضر ، بخلاف « عند » ، يقال : لديّ مال ، إذا كان حاضراً . وفي لسان العرب وغيره تمام الكلام عليها .

الأستاذ نصر الله بن أبي العز بن نجم الكاتب

من أهل « بغداد » .

له في مدح أمير المؤمنين (المستضيء بأمر الله)[1] :

مَلِكُ الأرضِ الّذي أنعُمُه
بالنُّهى تشمَلُ مَنْ تحتَ السَّما[2]

واستنارت بالإمام (المستضي)
ظُلمةُ الأحوالِ من بعدِ الخَفا[3]

يا (بني العبّاس) ! طِبْتُمْ دَوْحَةً ،
وعلوتُم عن مديحِ الشُّعَرا[4]

يا أميرَ المؤمنين ! ابْقَ لنا
دائمَ المجدِ ، بجَدٍّ ذي اعْتِلا

وافِرَ الإنعامِ ، مَوْمُوقَ الحيا
قد أجبنا فيك مرفوعَ الدُّعا[5]

---

(١) (١/٩) .

(٢) النُّها : (ص ٣٢٥ / ح ١٠) . السما : السماء ، قصره للقافية ، وكذلك فعل في قوافي المقطوعة كلها .

(٣) المستضي : المستضيء ، سهل همزته للوزن .

(٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة ، ويقال : هو من دوحة المجد .

(٥) موموق الحيا : محبوب الخِصب والنفع . الدُّعا : الدُّعاء . قصره للقافية .

هـذه مِدحةُ عبدٍ ، ناطقٍ
عن ضميرٍ ، زانَهُ صدقُ الوَلا

*

وله فيه :

وخِلافةٍ .. لبِسَتْ جلابيبَ التُّقَى
بـ (المستضيء) ، وزانَها الإنعامُ

هَدْيُ النُّبُوَّةِ هَدْيُهُ ، وعطاؤه
سَحٌّ ، وكِلتا راحتَيْهِ غَمامُ[6]

أعطى ، فطُوفانُ العطاءِ مُسَلَّطٌ
وسَطا ، فجيشُ الانتقامِ لُهامُ[7] .

شكَرَ الإلهُ له مقاصدَ بِرِّهِ ،
والمسلمون كذاك ، والإسلامُ .

---

(٦) السَّحّ : أن يصب الماء صباً متتابعاً كثيراً .
(٧) سطا : بطش وقهر . جيش لُهام : عظيم ، كأنه يلتهم كل شيء .

الأستاذ الأديب أبو البركات يحيى بن نجاح[1]

كان شيخاً أديباً ، مؤدِّباً في « درب الدوّاب »[2] بـ « بغداد » ، ثمّ عرف. وكان يتردّد إلى أولاد الوزراء والأعيان .

وله شعر كثير ، فيه روح ، وصدر للنّظم مشروح.

تُوُفِّيَ بعد ولاية (المستضيء بأمر الله) بسنتين[3] .

⁂

---

(١) ذكره العلامة ابن الجوزي ، بإيجاز شديد ، في المنتظم ، في وفيات سنة ٥٦٩هـ . وهو يحيى بن نجاح بن مسعود بن عبدالله اليوسفي البغدادي . كان ابوه نجاح ، فيما ذكر ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٨٤٢/٤/٤ ، مولى للشيخ الأجل السري الثري المحسن عبدالملك بن محمد بن يوسف،أبي منصور، متولّي المارستان العضدي ببغداد ، المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، فنسب اليه .وهو واخواه عليّ ومحمّد جميعاً من رواة الحديث . وقد ترجمهم ابن الدبيثيّ في تاريخه ، وتخطّى الذهبيّ في تلخيصه له « يحيى » و « علياً » دون محمد ، فانه اثبته ، ولكن بايجاز شديد ، في ١٥٢/١ . وجاء في تلخيص مجمع الآداب ٨٤٢/٤/٤ قوله : « وهو ــ اي محمد بن نجاح ــ أخو أبي الحسن عليّ بن أبي البركات يحيى » .

(٢) سماه (سهراب) في كلامه على انهار بغداد في الجانب الشرقي، في (عجائب الأقاليم السبعة ١٢٩) « سوق الدوابّ » ، قال : « ويحمل منه « من النهروان » ايضاً النهر المعروف بنهر موسى ، واوله في الموضع الذي تقدم ذكره ، يمر فيدخل قصر الثريا ويدور فيه ويخرج منه ، ثم يصير الى موضع يقال له « مقسم الماء » ، فينقسم هناك ثلاثةَ اقسام ، فيمر الأول منها الى باب « سوق الدواب » ، ويجتاز بباب عمار ، ويحمل منه هناك نهر يمر الى دار البانوجة ويفنى هناك ، ويمر نهر موسى فيدخل من باب « سوق الدواب» ويمر الى باب مُقَيَّر الكبير .. » . وكذلك ورد ذكره في غيره عند الكلام على سور الجانب الشرقيّ الذي اقامه المستعين بالله العباسي حول بغداد في اثناء حصار سنة ٢٥١هـ = ٨٦٥م ، وكان باب « سوق الدواب » يقع في هذا السور ، بين باب ابرز وباب خراسان . وورد « سوق الدواب » في ترجمة ابي بكر المؤدب ، المتوفى سنة ٥١٤هـ ، في فوات الوفيات ٤٧٦/٢ .

(٣) ولي المستضيء بالله الحسن بن يوسف الخلافة بعهد من ابيه المستنجد بالله يوم الأربعاء العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمس مئة للهجرة .

وله فيه يهنئه بالخلافة ، من قصيدة :

خليفـــــــــــــةَ الله ! إنّـــي ســَــجدْتُ لله شــــــكرا
عـــلـــى البقـــاء إلى أن رأيت عـــدلاً وبـــرا
أحسنتَ ما شئت ــ [يا] أَطْ •••• ـيبَ الخلائق نشْــرا[٤] ،
وأشــرفَ النّاس بيتـــاً ، وأكــرمَ الخلْق نَجْـــرا[٥]
عــــادت بأيّــامك البيــ •••• ـض أوجُــهُ النّاس غُــرّا
رفعتَ ــ يا مالـــكَ الأمـ •••• ـر ! ــ للمكارم ذِكــــرا
أطلعتَ في ظُلَــم المَنْـ •••• ـع من عطاياك بـــدرا
سَهَّلْتَ من سُــبُل المَكْـ •••• ـرُمات ما كان وعـــرا

**

وله فيه ، من قصيدة :

أَخَيــالٌ لطَيْف (سُعْدَى) يزورُ ؟
أم كذا في الظّلام تَســـري البدورُ ؟
طَرَق الرَّكْب مَوْهِنـاً ، فاهتدى مَنْ
كان عن منهـــج السَّــبيل يجورُ[٦]
عَبِقت نفحـــةُ النَّســيم بِرَيّــا ــ
هُ ، ففــاحت كمـــا يفوح العبيرُ[٧]
مَنْ عَذِيري مـن لائم في هـــواه ؟
وَهْوَ في تـركِ لَوْمِـــه معذورُ[٨]

---

(٤) يا : سقطت من الأصل . النشر : الريح الطيبة .
(٥) النَّجْر : الأصل .
(٦) الركب : الراكبون ، العشرة فما فوق . الموهن : نحو من منتصف الليل ، أو بعد ساعة منه .
(٧) عبقت : طابت . الرَّيّا : الرائحة الطيبة .
(٨) العذير : العاذر ، و ــ الناصر .

أنا عبدٌ لضَرّةِ الشمس في الحُسْـ
ـنِ ، وفي رِبْقَةِ الغَرام أَسيرُ[٩]

تتَجنّى تِيهاً عليَّ ، ولم أَجْـ
ـنِ ، وتَجْنِي .. وذنبُها مغفورُ[١٠]

وعذابُ المُحِبِّ يعذُبُ في الحُـ
ـبِّ ، ويلتذُّ بالهوى المهجورُ

يا له من هَوىً مقيمٍ ! له ما
بينَ جنبيَّ منزلٌ معمورُ

ما لعانيه من فِداء ، ولا يُعْـ
ـدي عليه عندَ الشَّكاة نصيرُ[١١]

ما على اللائم المُعَنِّف ، لو أَقْـ
ـصَرَ عنّي ؟ والعاذلون كثيرُ[١٢]

سوف أَثني عِنانَه عن ملامي
بمقالٍ حقٍّ .. إليه يَصُورُ[١٣]

بمديحِ المولى الإمامَ الّذي قد
ملأ الأرضَ عدلُه المأثورُ

لم يَزَلْ مُنْذُ حَلَّ في المهد يَعْلُو
هُ إلى اليوم للخِلافة نورُ

ثمّ وافته تنجلي ، فتلقّا
ها بوجهٍ .. هو الصَّباحُ المنيرُ

---

(٩) الرِبقة : الحبل .
(١٠) تتجنّى عليّ : تدّعي على جناية لم أرتكبها . التِيه : التكبر .
(١١) العاني : الأسير .
(١٢) أقصر : كَفَّ .
(١٣) يصور : يميل .

فأضـــــاءت بـ (المستضيء) نَواحي الـْـ
أرض ، إذْ قـــام ، وانجلى الدَّيْجُورُ[14]

أنت ـ يا ابنَ القُرُوم من (آلِ عَبّـــا
سٍ) ـ أمـــينٌ ، للمؤمنـين أمـــيرُ[15]

*

وله فيه :

الله جـارُكَ مـن إمـامٍ عـــادلٍ
أضحى بأمـــر الله فينـــا يصـدَعُ

قــد كانتِ الأيّـــام أبـدت جَفْوَةً
عُرِفت ، وشـاب بهـا الوليـد المُرْضَعُ

فردَدْتَهـــا (عُمْرِيّـةً) مَهْـدِيّة ،
أنوارُهــا بضيـــاءِ عدلِك تلمَـــعُ

ورَدَ الرَّعيّــــةُ من نَوالك مَنْهَـــلاً
عَـــذْباً ، ولَذَّ لهم لَدَيْك المَشْـــرَعُ

إيـهٍ ـ أمـــيرَ المؤمنين ـ فإنّـــــه
إرثُ النّبُوَّة ، والمَحِــــلُّ الأرفــعُ

إنّ الخِلافــة لم تزَلْ من خدرِهـــا
ـ شـوقاً الى (الحَسَن) الإمام ـ تَطَلَّعُ

نورٌ .. أضــاءَ لنـــا ، فأبصرنا الهـُـدى
مـذ قام فينـــا (المستضيء) الأَرْوَعُ[16]

---

(١٤) الديجور : الظلام .
(١٥) القروم : السادة المعظّمون ، الواحد قَرْم .
(١٦) مذ قام : الأصل « قد قام » . الأروع : الذكي الفؤاد .

مَلِكٌ .. إذا ضَنَّ السَّحابُ بنَوْئِهِ ،
جادت سحائبُ من نَداه هُمَّعُ[17]

وَسِعَ البَرِيَّةَ عدلُه ونَوالُه ،
ولقد يضيق بها الفضاءُ الأوسعُ[18]

أحللتُ آمالي بساحةِ فضلِه ،
ورَتَعْتُ في حيث الأماني رُتَّعُ[19]

يا ابنَ الخلائف من سُلالةِ (هاشم) !
ما خاب راجٍ ، في نَوالك يطمَعُ[20]

رضِيَ الإله بما صنعتَ ، وإنّما
للمرء في أيّامه ما يصنَعُ

تَرِبَتْ يدا مَنْ أبصرتْ عيناه ما
تُعطِي ، وبالحِرمان يوماً يقنَعُ[21]

حُلَلٌ .. يَمِيس بها أُناس شُرِّفوا ،
ومواهبٌ بينَ الأنام تُوَزَّعُ[22]

*****

(١٧) ضن : بخل اشد البخل . النوء : المطر ، الأصل « بنوره » . الهمع : المواطر السوائل ، يقال : همع الماء ، أو الدمع ونحوهما : سال ، وسحاب هامع وهَمِع ، وهَمُوع : ماطر سيّال .

(١٨) نواله : عطاؤه .

(١٩) ورتعت : الأصل « ورفعت » .

(٢٠) هاشم : (ص ١٢ / ح ٤٧) .

(٢١) تربت يداه : هو في الأصل على الدعاء ، اي لا أصاب خيراً . وقال بعض اللغويين : إن قولهم « تربت يداك » يريد به استغنت يداك ، قال : وهذا خطأ لا يجوز في الكلام ، ولو كان كما قال ، لقال : اتربت يداك ، يقال : أترب الرجل ، فهو مترب ، إذا كثر ماله ، فاذا أرادوا الفقر قالوا : تَرِب يَتْرَب ، ورجل ترب : فقير .

(٢٢) يميس : يتبختر ويختال .

وقال يمدحه في قصيدة :

أقِلىً منكِ ذا الجفا ، أم دلالُ ؟
كلَّ يوم يَرُوعُني منكِ حالُ[23]

أعَذُول يُغريك ، أم عِزَّةُ المحـ
ـبوب ، أم هكذا يَتيهُ الجمالُ ؟

أنا عَرَّضتُ مُهْجَتي يومَ « سَلْع »
للهوى ، والغرامُ داءٌ عُضالُ[24]

نظرةً كنت يومَ ذاك ، فأنَّى
صِرت في الحُبّ عثرةً لا تُقالُ ؟[25]

ما لطَرْفي يَجْني ، فيُؤْخَذُ قلبي ؟
إنّ حكم الهوى إذَنْ لَضَلالُ

أنا لم أنسَ عهد (لَمْيَاءَ) ، إذْ نَحْـ
ـنُ جميعاً بالجِزْع حَيٌّ حِلالُ[26]

مَرْبَعٌ .. كان للهوى فيه أوْطا
رٌ ، قضاها للعاشِقين الوِصالُ[27]

منزل .. يأرَجُ النَّسيم إذا هَبَّ
ـ على تُرْبِه ـ الصَّبا والشَّمالُ[28]

هل إلى وقفة لنا نشتكي الوَجْـ
ـدَ بذي الأَثْل ـ عودةٌ ومآلُ ؟[29]

---

(٢٣) القِلى : البغض والهجر . الجفا : الجفاء ، قصره للضرورة .
(٢٤) سلع : (ص ٢٩٠ / ح ١٩) . داء عضال : لا طبَّ له .
(٢٥) أقال عثرته : صفح عنه وتجاوز .
(٢٦) الجِزْع : منعطف الوادي ووسطه .
(٢٧) الأوطار : جمع الوطر ، وهو الحاجة فيها مأرب وهمة .
(٢٨) يأرج : يفوح طيبه . الأصل « تارح » .
(٢٩) الأثل : صنف من الطرفاء كبير ، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان : ذات الأثل في بلاد تيم الله بن ثعلبة ، كانت لهم بها وقعة مع بني أسد .

وبنفسي رامٍ بأسهُمِ ألْحا
ظٍ .. لها في قلوبنا إيغالُ[٣٠]

لم يَرِشْها بارٍ، ولا رُكّبت فيـ
ـها ـ لقتل النفوسِ عمداً ـ نِصالُ[٣١]

وعجيبٌ أنْ لا يَطِيشَ لـه [سَهْـ
ـمٌ]، ولم يَدْرِ قطّ كيف النِّضالُ![٣٢]

عامداً يقتُلُ النفوس، ولا يَحْـ
ـسَبُ إلا أنّ الدِّماءَ حَلالُ[٣٣]

ليَ قلبٌ .. قد استراح من العَذْ
لِ، وسمعٌ .. تكُدُّه العُذّالُ

قد أطال اللُّوّام فيها، وأين الـ
ـلَوْمُ منّي إن أكثروا أو أطالوا؟

كيف يَثنِي عِنانَ قلبيَ عَذْلٌ،
ولـه عنه بالهوى أشغالُ؟

ليتَ أيّامَنا تعود بِـ « سَلْعٍ »،
والأَماني ضَلّةٌ ومُحالُ

ما تعدّت خليفةَ الله مَنْ لم
تَخِبِ الدَّهْرَ عنده الآمالُ

---

(٣٠) الإيغال: الإمعان والإبعاد.

(٣١) النصال: جمع النَّصْل، وهو هنا حديدة السهم.

(٣٢) يطيش: ينحرف ويخطيء الهدف. سهم: سقط من الأصل. البيت في (ب): « وعجيب أن لا يطيش لهم سهم ... ».

(٣٣) عامداً: من ب، الأصل « عشا ».

ملِك .. همَّــه ابتنــــاءُ المعـــالي ،
أَرْيَحِيٌّ عنــدَ النَّـدَى مِفضـــالُ

فـــــإذا خَيَّمَتْ بساحتــــــــه الآ
مـــــالُ ، فالضّـــامنُ النَّجاحَ النَّوالُ

مَعْقِلٌ .. فيه يُعقَلُ الشُّـكر بالإحـ
ـسانِ ، والجـودُ للثَّنـا عَقّـــــالُ

شــرفٌ باذخٌ ، ومجـــدٌ أَثِيــــلٌ
نَبَوِيٌّ ، وهِمَّـــةٌ لا تُنـــالُ ،[34]

وإمـــامٌ عَــدْلٌ ، وعِــزٌّ مَصُونٌ ،
وأيـادٍ غُــرٌّ ، ومـــالٌ مُـــذالُ ،[35]

وقـــديمٌ مـــن الممـــالك إنْ عُـدَّ
ـ قـديمٌ ، ومعشـــرٌ أقيـــالُ ،[36]

دولــةٌ ، (هاشــميّة) الأصل .. فيهـــا
للمُوَلَّى أحـلى جنـــىً وظِـــلالُ

ليـس في عدلـــه ، ولا في سَـــجايا
هُ ، ولا حُســنِ سَمْتِهِ ، إخـــلالُ

يمتطي مُصْعَبَ الأمـــور بعـــــزمٍ
عَقَــــدُه لا تَحُلُّــه الأهــوالُ

لِينُ عِطْفٍ في شِـــدَّةٍ ، كالرُّدَيْنِيّ
ـ ، صَلِيبٌ .. لكنّـه عَسّـــالُ ،[37]

**

(٣٤) باذخ : عالٍ بائن العلوّ . اثيل : أصيل .
(٣٥) مذال : مبتذل بالإنفاق .
(٣٦) الأقيال : (ص ٢٥٠/ح١٣٦) .
(٣٧) الرُّدَيْنِيّ : الرمح ، نسبة إلى « رُدَيْنَة » : امرأة كانت تقوّم الرماح .
عسال : ليّن يضطرب ويهتزّ .

ومنهـا :

قد بسَطْتَ المُنَى لمَنْ يسأل العُرْ
فَ ، ولاذت بعطفك السُّؤَّالُ

واشتريت الحمدَ المخلَّدَ بالأمـ
ـوال ، والمالُ في التأمُّل آلُ[38]

أقسم الجود من يديه بجَدْوا
هُ عليه أن لا يُرَدَّ سؤالُ[39]

⁂

ومنهـا :

ما حَبِيٌّ .. تَمْرِي الجَنُوبُ رُخاءً
خِلْفَهُ ، فَهْوَ مُسبِلٌ هَطّالُ[40]

جلَّلَ الأُفْقَ .. يستطيرُ به البَرْ
قُ وَميضاً ، للجوّ منه اشتعالُ ،

بمُضاهٍ حَيا يَدِ (الحَسَنِ) المُحْـ
ـيي ، ومن أين للإمام مِثالُ ؟[41]

⁂

وقولـه :

شكراً لمَنْ أولى الرَّعِيَّـةَ مـا
أولى ، وشكرُ اللهِ يُغْتَنَمُ

---

(38) الآل : السَّراب وهو ما يرى في نصف النهار من اشتداد الحر كالماء في الصحارى يلتصق بالأرض ، أو هو خاص بما في أول النهار وآخره .

(39) الجدوى : العطية .

(40) الحَبِيّ : السحاب الذي يُشرف من الأفق على الأرض ، وقيل : هو السحاب الذي بعضه فوق بعض . تمري : تنزل ، يقال : مَرَت الريح السحاب ، إذا انزلت منه المطر . الخِلْف : ضرع الناقة ، استعاره للسحاب .

(41) المضاهي : المشابه . في الأصل « بمعناه » . الحسن : اسم الخليفة المستضيء بالله .

قــام الإمــــام (المستضـــيء بأمْـ

ــرِ الله) لا ظُلْـــــم" ولا ظُلَــــمُ

عــينُ الإلــــه •• إليـــه ناظـــــرةٌ

ترضَى ، وثغــرُ الدّينِ مبتســـــمُ

ملِك •• نَــدَى كفَّيْـــهِ تغـرَقُ في

تَيّـــــاره الأَنــوْاءُ والدّيَــمُ(٤٢)

ما زال يُبـري سَــيْبُ نائلِـــــه

مَنْ مَسَّـــــهُ مــن فقـره سَقَمُ(٤٣)

حتّى وَجَــدْنا الوُجْــدَ ، وانعــدم الـ

إمــــلال بــينَ النّــاس والعَدَمُ(٤٤)

قَسَـــماً بنيَّتِــك ، التّي خَلَصَتْ

للعــــالمينَ ، وإنَّـــهُ قَسَــــمُ

هي نِيّــــةٌ للعـــــدل صادقــةٌ

دانت لهـــــا وانقــــادت الأُمَمُ

إنّ الإمامـــــةَ رُتبــــةٌ شَــرُفَتْ

وجرى بفضل وَلِيّهــــا القــــــلمُ

ويَــــزِيدُها شــــرفاً إفاضتُــك الـ

إنعـــــامَ ، والإحســـانُ ، والــكَرَمُ

---

(٤٢) تياره : في الأصل « ثباره » . الأنواء : الامطار . الديم (ص١١/ح٣٧) .

(٤٣) يبري : يبرىء ، أي يشفي . السيب : العطاء .

(٤٤) الوجد ، بضم الواو : اليسار والسَّعَة ، وفي القرآن الكريم : (اسكنوهنّ من حيث سكنتم من وُجْدِكم) . والإملال : في الأصل « الإملاك » .

الشَّيخ أبو عامر الفضل بن اسماعيل التَّميمي [1]

قرأت في مجموع له من أبكار المعاني [2] :

عَلِقْتُها بيضاءَ ظامئةَ الحشا
تَسبِي العقولَ بحُسنها وبطيبها [3]

---

(1) نسبه ياقوت وغيره جرجانياً ، ولم ينسبوه بغدادياً، قال ياقوت : « الفضل ابن اسماعيل التميميّ ، أبو عامر ، الجرجاني : أديب أريب ، فاضل لبيب ، أحد أصحاب عبدالقاهر الجرجانيّ النحويّ . وكان مليح الخطّ ، صحيح الضبط ، رائق النظم ، فصيح النثر ، جيّد التصنيف ، حسن التأليف ، ذكره محمد بن محمود في كتاب « سرّ السرور » .. » ، وساق ثناء عبدالغافر ابن إسماعيل الفارسي النيسابوريّ عليه ، في كتابه « السياق » في تاريخ نيسابور – وقد بلغ به سنة ٥١٨ هـ ، قال : « الفضل بن إسماعيل التميمي الشيخ أبو عامر الجرجاني ، النحوي ، الكاتب ، الأديب ، الشاعر : من أفاضل عصره ، وأفراد دهره ، حسن النظم والنثر ، متين في الفضل » ، وذكر أنه كتب مدة لبعض الرؤساء ، وصحب الكتاب والمشايخ . سمع الحديث من المشايخ الذين سمع منهم ، وسمع من المشايخ الإسماعيلية وغيرهم في شبابه . ثم قال: « ولم يذكر وفاته ، لكنه كان قد مات في حياة عبدالغافر » ، و « كان قد ورد نيسابور في شعبان سنة ثمان وخمسين وأربع مئة » وشكا حاله واعتلاله الى الشيخ الرئيس الشهيد أبي المحاسن سَعْد » . وعبدالغافر مؤلف تاريخ نيسابور ولد سنة ٤٥١ هـ ومات سنة ٥٢٩ هـ كما في وفيات الأعيان . وقد صنف أبوعامر التميميّ مصنّفات باسم «الشيخ الأجل عبدالحميد» أهداها إليه بـ « غَزْنة » ، قال صاحب « سر السرور» : « فاشرقت بها أرجاؤها ،وأغدقت أنواؤها ، منها : كتاب البيان في علم القرآن ، وكتاب عروق الذهب من أشعار العرب ، وكتاب سلوة الغرباء ، وغيرها » مثل كتاب قلائد الشرف في الشعر، ذكره ياقوت في ترجمته في « معجم الأدباء » ١٦/١٩٢ – ٢٠٤ ، وقد أورد فيها بعض رسائله ، وجملة حسنة من شعره غير ما أورده العماد منه ها هنا ، إلا أربعة أبيات توافقا فيها ، وسأشير إليها . ولأبي عامر ترجمة في طبقات المفسرين ١٩٨ وأخرى في « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » ٢٧٣ مختصرة جداً اقتضبها السيوطي من كتاب السياق .

(2) هذان البيتان ، في « معجم الأدباء » ١٦/٢٠٣ .

(3) عَلِقْتها : تعلقت بها وأحببتها . ظامئة الحشا : ضامرة البطن مهفهفة . تسبي : تأسر .

مثلَ الشّقائق في احمرارِ خدودِها

للنّاظِرين ، وفي اسوداد قلوبها[4]

⁂

وقال[5] :

وقد يستقيم المرءُ فيما ينوبُهُ

كما يستقيم العُودُ من عَرْكِ أُذْنِهِ[6]

ويَرْجَحُ من فضلِ الكلام إذا مشى

كما يرجَحُ الميزانُ من فضل وزنِهِ[7]

⁂

وقال :

إسترزِقِ اللهَ •• فالأرزاقُ في يده ،

ولا تَمُدَّ إلى غيرِ الالهِ يدا

وحاذِرِ الدَّهْرَ أن يلقاكَ منفرداً

فمُهْرَكُ النَّرْدِ مأخوذٌ إذا انفردا[8]

⁂

---

(٤) الشقائق : شقائق النعمان ، وهو نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود ، وله أنواع وضروب ، بعضها يزرع ، وبعضها ينبت برّيّاً في الربيع . وهو الشُّقَارَى .

(٥) البيتان في معجم الأدباء أيضاً .

(٦) فيما ينوبه : فيما يصيبه من أحداث الدهر . والعُود ، بالضم : الآلةالموسيقية الوترية المعروفة ، وقد ضبطه محقق « معجم الأدباء»بالفتح وفسره بأنه المسن من الإبل ، فأبعد ، وإنما أراد الشاعر المعنى الأول ، ويستقيم الضرب عليه بتعديل أوتاره ودساتينه ، وهذا هو مراده بقوله « من عرك أذنه » . ومن : ورد في موضعها في معجم الأدباء « في » ، و « من » هنا هي الصحيحة .

(٧) يرجح : مثلث العين ، وماضيه بالفتح فقط .

(٨) المهرك : فصّ الخاتم ، استعير لفص النرد ، فارسي ، ويقال فيه « مُهرهْ » أيضاً ، وسيأتي في ترجمة الرئيس أبي غالب نصر بن عيسى الواسطي النصراني في الجزء ٤/٤٩١ .

وقال في وصف الرمّان :

خذوا صفةَ الرمّان منّي ، فإنّ لي
لساناً عن الأوصاف غيرَ قصيرِ

حِقاقٌ كأمثال الكُراتِ ، تضمّنتْ
فصوصَ بلخشٍ في غِشاءِ حريرِ (٩)

***

وقال في النرْجس :

يا نرْجساً .. لم تعْدُ قامتُه
سهمَ الزمرّدِ حينَ ينتسبُ

فرِصافُه عظمٌ ، وقُذّتُه
قِطَعُ اللُجَيْن ، وفَرْقُه ذهبُ (١٠)

***

وقال :

أقول له ، لما تلبّسَ خلعةً
تحَشْرَجَ فيها من أُولي العلم عالِمُ !

رأيتُك مثلَ النَّعْش .. لم يُرَ لابساً
لخِلعته إلا وفي الحيّ ماتمُ (١١)

***

---

(٩) الحِقاق : جمع الحُقّ والحُقّة ، بضم أولهما ، وهو وعاء صغير مستدير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما ، تشبه به الأشياء المستديرة ، كالرمان كما في هذا الوصف ، وكالأثداء كما قال الشاعر القديم وهو من شواهد النحو :

وصدر مشرق اللون كأنْ ثدياه حُقّانِ

البلخش : من الأحجار النفيسة ، مقاوم للياقوت ، عزيز الوجود ، غالي القيمة ، يستخرج من جبال بَذَخْشانَ ، وهو اسم لإقليمٍ في أعلى طخارستان متاخم لبلاد الترك ولمدينة هناك ، والعامّة يسمونه « بلخشان » باللام .

(١٠) الرِّصاف : جمع الرَّصَفة ، بفتحتين ، وهي العَقَبة التي تلوى على رُعْظ ريشة السهم ، جمعها قُذَذ وقذاذ ، وللسهم ثلاث قذذ وهي آذانه . اللجين : الفضة .

(١١) النعش : الأصل « الغش » . لم ير : الأصل « لم يزل » ، وكلا التصحيحين من ب . ماتم : مأتم ، سهل همزته ليطابق ألف التأسيس في البيت الأول .

وقـال :

إنّي بُليت بحاجب •• حجَبَ الورى بمِطـالِه عن نَيْلِـه المطلوبِ
أبتِ المَلاحـةُ أنْ تفتّحَ خَدَّه إلا بقَـدْرِ تَبسّمِ المكروبِ (١٢)

---

(١٢) ومن نادر شعره ، وصفه الهرّة ، نقله ياقوت من « كتاب مَرو » لأبي سعد السمعاني ، وهو قوله :

إنّ لي هِـرّةً ، خضَبْتُ شَـوَاها
ــ دونَ وِلـدانِ منـزلي ــ بالرَّقُونِ

(الشوى : الأطراف . الرقون : الحِناء والزعفران) .

ثمّ قلّدتها ، لخوفي عليهـا ، وَدَعاتٍ تَرُدُّ شَـرَّ العيونِ
كلَّ يومٍ أَعُولها ، قبلَ أهلي، بزُلالٍ صـافٍ ولحمٍ سـمينِ
وَهْيَ تَلْعابـةٌ إذا ما رأتني عابسَ الوجهِ وارمَ العِرنـينِ
فتغنّي طوراً وتـرقُصُ طوراً وتَلَهَّى بـكلّ ما يُلْهِيني
لا أُريدُ الصِّلاءَ إن ضاجعتني عنـدَ برد الشتاء في « كانونِ »

(الصِلاء : الاستدفاء) .

وإذا ما حككتُها ، لَحَسَتْني بلسـانٍ كالمِبْرَدِ المسنونِ
وإذا ما جفوتُهـا ، استعطفتني بأنين من صوتهـا ورنينِ
وإذا ما وَتَرْتُها ، كَشَفَتْ لي عن حِراب ليست مَتَاع العيون

(وترتها : أفزعتها . ويريد بالحراب : شعرات برثنها ، وفي الأصل « جراب» بالجيم ، وهو تصحيف ، وظنه محقق « معجم الأدباء » صحيحاً ، وفسره بأنه « يريد به ما تخرج منه براثنها حين المفاضبة » !) .

أملحُ الخلق حين تلعب بالفـأ ر ، فتلقيه في العذاب المهـينِ
وإذا مات حِسُّهُ ، أنشـرته بشمال مكروبـة أو يمـين
وتُصادِيهِ بالغُفول ، فإنْ را مَ انجحاراً عَلَتْه كالشاهين

(تصاديه : تداريه . الغفول : الترك والنسيان . الانجحار : دخول الجحر . الشاهين : من الطيور الجوارح) .

وإذا ما رجا السلامـة منهـا ، عاجلتـه بنشـطة التِنّـينِ

(أي بسرعة التنين وخفته) .

وكذاك الأقـدار ، تفترس المَرْ ءَ ، وتغتاله بقطـع الوَتـينِ

(الوتين : عرق في القلب ، إذا انقطع مات صاحبه) .

بينمـا كان في نشاط وأُنس إذْ سـقاه ساقٍ بكأس المنونِ

نصر بن الفرج القارئ

من أهل « بغدادَ » .

من المستورين أهلِ القرآن ، والمذكورين بالإحسان .

***

نفّذَ من « بغدادَ » قصيدةً إلى « الشّام » في مدح الملك (النّاصر)[1] ، سنةَ إحدى وسبعين [وخمس مئة][2] ، أوّلُها :

[لألأ] البرقُ .. ومَضُه مُستطيرُ
هَبَّ وَهْناً .. كاد الفؤادُ يطيرُ[3]

عَطَّ ثوبَ الدُّجَى سَناً ... فلمّا
مَلأَ الأُفْقَ ، قلتُ : صبحٌ شهيرُ[4]

أذكَرَ العهدَ من (سُلَيْمى) سُراةٌ ،
وليالٍ .. طويلُهن قصيرُ ،[5]

وزماناً لَدْنَ المَهَزَّةِ رَطْباً
فيه للطَّرْف نضرةٌ وسرورُ[6]

***

---

(١) هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قاهر الفرنج الصليبيين ــ ١/١١ .

(٢) زيادة مني .

(٣) لألأ : موضعها بياض في الاصل . ومضه : الاصل « وميضه » . الوهن : نحو من منتصف الليل أو بعد ساعة منه .

(٤) عَطَّ الثوب : شقّه طولاً أو عرضاً . ثوب : في الأصل « نوب » .

(٥) السُّراة ، بضم أوله : جمع سارٍ ، وهو الماضي والذاهب ليلاً .

(٦) لَدْن المهزة : ليّن مطاوع ، يستجيب لمطالب الإنسان . في الأصل « لــذن » . الطرف : العين .

[و] منها :

حَبَّذاهُ .. لو كان يسمَحُ بالعَوْ
دِ ، ولو في الرُّقاد ـ وَهْناً ـ يزور

أسأرَتْ عندي َ الليالي غراماً ،
كلّما قلتُ : قد تولّى ، يَحُور[7]

ووَلُوعاً .. يهتاجه البارقُ العُلْـ
ـويُّ ، وافَى وبَرْدُهُ مقرورُ .

ونسيم .. يولّعُ الطّلُّ بالرَّوْ
ضِ ، وجَفنُ النّوّار فيه فتور[8]

وحمام .. إذا استقلّ به الدَّوْ
حُ ، تغَنّى ، فَجُنَّ منه الوَقور[9]

وإذا حَرَّكَ الصَّبا خُوطَ بانٍ ،
ماسَ حُسناً ، وريع منه الغدير[10]

ـ ذاك عيشٌ مضَى وخلّفَ وجداً
حينَ أخنت على الشّباب الدّهور[11]

فسَقتْه بواكرُ المُزن طَلاًّ
يتَوَشَّى فيه الرَّبيعُ النَّضيرُ

---

(7) أسأرت : أبقت . يحور : يرجع .

(8) يُوَلّع : يُغري . الطّلّ : المطر الضعيف . النّوّار : الزهر .

(9) الدَّوْح : الأشجار العظام المتشعبة ذوات الفروع الممتدة .

(10) الخوط : الغصن الناعم . الأصل « حوط » . البان : (ص ٩٣/ح٣٧) .

(11) أخنت عليه الدهور : أهلكته وأتت عليه .

(12) بواكر المزن : أوائل الأمطار .

(13) الأضغان : جمع الضغن ، وهو الحقد الشديد . الأصل « الاضعان » .

مُسْتَمِيتُ الأضغان ، حُرُّ المَراضِي

مستجيبٌ عندَ الطِّلاب مُجِيرُ

أَلْمَعِيٌّ .. يكاد يُدرِك بالظّنّ

ـ خَبايا ما ضَمَّنَتْه الصّدورُ[14]

غُرَّةٌ (مُصْعَبِيّةٌ) ، وجبينٌ

(كِسْرَوِيٌّ) ، ومنطِقٌ مأثورُ[15]

---

(١٤) الألمعي : (ص ١٧٠/ح٢٠٧) .

(١٥) مُصْعَبِيّة : نسبة الى « مصعب » ، واغلب الظنّ أنه أراد « مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبدمناف القُرَشِي » ، من بني عبدالدار . وقد كان في الجاهلية فتى مكة شباباً وجمالاً ونعمة . ولما كانت الدعوة المحمدية ، كان من السابقين إلى الإسلام . أسلم في مكة وكتم إسلامه ، ثم هاجر مع من هاجر الى الحبشة . ثم رجع الى مكة . وهاجر الى المدينة ، فكان أول من جمع الجمعة فيها ،وعرف بالمقرىء . وشهد بدراً . وحمل اللواء يوم أُحُد ، فاستشهد . وكان يلقب « مصعب الخير » ، وفيه وفي أصحابه نزلت الآية الكريمة : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) رضي الله عنهم . وترجمته في طبقات ابن سعد ٨٢/٣ ، واسد الغابة ٣٦٨/٤ ، والإصابة : الترجمة ٨٠٠٤ ، وصفوة الصفوة ١٥٢/١ ، وحلية الأولياء ١٠٦/١ . مأثور : الأصل « يوشور » ، وهو تحريف . وصوابه ما أثبتّه ، ومعناه منقول ومرويّ لصدقه وسداده .

ناشب

من أهل « بغـداد » .

من الوُعّاظ الفَصّالين ، والقُصّاص السّالين .

ذو بَدِيهة سَمْحَة ، أسرع من لَمْحَة .

إذا حضر نادياً ، بدأ وبَدَه [2] ، وشدا وشَدَه [3] ، وأطرى [4] فأطرب ، وقرأ فقرّب .

يُمِلّ [5] خاطره ، ولا يَمَلّ ، ويُقِلّ ما لا يُستَقَلّ .

وكان لِ (ناشب) نَشَب [6] ، نَشِبت في نزعه منه مَخالبُ الدّهر ، وبُلِي — بعد الغنى — بالفقر .

فإنّه جمَعَ دنانير في عمره بلغت ألفاً بزعمه ، فاستُلِبت في نكبة له من كَمّه .

وبقِي كالواله الثّاكل [7] ، والسّائل الفقيد الوَسائل [8] . فقَدَه فِقَرَه الفَقْر [9] ، وبَهَظَه من الهمّ الوِقْر [10] ، وعرَته الكآبة ، وقرَته الاسترابة [11] .

---

(1) في النجوم الزاهرة (٦/٧٥) : « ثابت الواعظ » . وهو خلاف المذكور هنا ، وفي شذرات الذهب ، والتكملة لوفيات النقلة ، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد ، وغيرها . وهو الشيخ أبو منصور ناشب بن أبي النجم هلال بن نصير الحرانيّ الأصل ، المُضَري ، الواعظ . نسب « البديهيّ » ، لأنه كان يقول الشعر على البديهة . وقد نسب « البديهي » أيضاً شاعر بغدادي آخر ، وليس بين الاثنين نسب ، وهو علي بن محمد أبو الحسن البديهي المتوفى سنة ٣٨٠هـ . كان سريع البديهة في نظمه ، فنسب إليها ، وهو صاحب البيت المشهور :

أتمنى على الزمـان محـالاً ... أن ترى مقلتاي طلعـةَ حُرٌّ

ومولد ناشب ببغداد سنة ٥١٤ هـ ، ووفاته سنة ٥٩١ هـ ، وهو محدث . سمع من أبي القاسم بن الحصين ، وأبي العزّ بن كادش . وحدّث .

(2) بدهه بالشيء : فجأه .

(3) شده : أدهش .

(4) أطرى : أحسن الثناء وبالغ .

(5) أمَلّ الشيء : قاله وأملاه فكُتب ، وفي القرآن الكريم : (فليكتُبْ وليُمْلِلِ الّذي عليه الحقُّ) .

(6) النشب : المال ، و — العقار .

(7) الواله : المتحير من شدة الوجد . الثاكل : فاقد الحبيب .

شاهدتُه في مجالس الأكابر ، يُورِد الفصول من الحِكَم الزّواخر ، بحالة انكسار ، ودلالة إقتار[١٢] .

ومن عادته أنّه يصبر ، حتّى يكادَ ينتهي المجلس الحَفْل[١٣] ، فينحلّ عن خاطره القُفْل ، ويقوم ويذكر جميع ما جرى منظوماً[١٤] ، ويُطْلِع في سماء الحال من وصفها نُجوماً ، فينظم وصفاً لحاله من أوّله إلى آخره ، ويعجب بل يعجز بديهةً بفوائده وفواقره[١٥] ، وفرائده وزواهره .

وسمعت ـ بعدَ غيبتي بـ « الشّام » ـ أنّه أعدم من الإعدام[١٦] ، وأثرى وجمع ، وقَنَعَ وما اقتنع[١٧] ، وشحذ وأخذ ، ونفث سحرَه وبعث ، وانبسط ـ بعدَ الانقباض ـ وانبعث !

واتّفق[١٨] أنّه حضر يومَ جلوس (زعيم الدّين[١٩] ـ صاحب المَخْزَن ـ يحيى بن جعفر) في نيابة الوزارة عن الإمام (المستضيء)[٢٠] ، وقد احتفل الخاصّ والعامّ بذلك النّدِيّ ، والأمير (جمال الدّين بن الصَّيْفِيّ)[٢١] يُنشِده من مِدحة قالها فيه :

---

(٨) الوسائل : في الأصل « السوائل » .
(٩) قدّ : قطع . الفِقَر : جمع الفِقرة ، بكسر الفاء .
(١٠) بهظه الشيء : شقّ عليه ، وهو بالظاء وبالضاد أيضاً . الوِقر : الحِمل الثقيل .
(١١) قرَته : قصدته .
(١٢) الإقتار : ضيق العيش ، قال الله تعالى : (وعلى المُقْتِرِ قَدَرُه) أي الضيق العيش .
(١٣) الحَفْل : في الأصل « المحفل » .
(١٤) في الأصل : « منضوماً » .
(١٥) فواقره : دواهيه ، جمع فاقرة .
(١٦) يريد منع من الفقر ، أي ذهب عنه الفقر ، يقال : لا اعدمني الله فضلك ، أي : لا أذهب عني فضلك .
(١٧) قَنَع ، بفتح النون : سأل .
(١٨) نقل ابن تغري بردي هذا الخبر في النجوم الزاهرة ٦/٧٤ عن خريدة القصر .
(١٩) هو يحيى بن جعفر ، أبو الفضل ، زعيم الدين ، صاحب مخزن الخلفاء : المقتفي والمستنجد والمستضيء ، ناب في الوزارة ، وتقلب في الأعمال نيفاً وعشرين سنة . وكان حافظاً للقرآن ، فاضلاً ، عارفاً ، منصفاً ، محباً للعلماء والصالحين . مات في شهر الأول سنة ٥٧٠ هـ وكانت جنازته مشهودة . وهو

لـــكلِّ زمـــان من أماثلِ أهلِـــــــه
(برامكة) يمتـــاحهم كلُّ مُعسِــــرِ[22]

(أبو الفضل يحيى) مثلُ (فضل بن خالد)
نَــدىً، وأبوه (جعفرٌ) مثلُ (جعفرِ)

فقام (ناشب) في الوقت، فقال:

وفي الجـانب الشـــرقيّ (يحيى بن جعفر)
وفي الجانب الغربي (موسى بنُ جعفرِ)[23]

فـــذاك إلى الله الـكريم شـــفيعُنا،
وهــذا إلى المولى الإمـام المُطَهَّـرِ[24]

والد الأجلّ صفيّ الدين أبي القاسم عبدالله الشاعر الذي تقدمت ترجمته في ١٩٦/١ - ٢٠١. وترجمة زعيم الدين في زبدة النصرة ٢٢١، وكامل التواريخ ١٤٧/١١، والمنتظم ٢٥٦/١٠، والنجوم الزاهرة ٧٤/٦، وغيرها.

(٢٠) ترجمته في (٩/١).

(٢١) تقدمت ترجمته وطائفة كبيرة من شعره ونثره في ٢٠٢/١ - ٣٦٦.

(٢٢) يمتاحهم: يطلب فضلهم، وفي النجوم الزاهرة وشذرات الذهب: «يمتارهم»، والمناسب ما في الخريدة، فان العرب إنما تقول في هذا: مار عياله وأهله، وامتار لهم، إذا جلب لهم الطعام، ولا تقول: امتارهم بمعنى سأل الميرة وهي جَلَب الطعام. مُعسر: في شذرات الذهب «مَعْشَر». البرامكة: هم أبناء برمك بن جاماس بن يشتاسف، وكان برمك من مجوس بلخ، وقد تمكن أولاده في دولة بني العباس، وذاع صيتهم في الناس بالجود الواسع، وذلك بما كانوا ينثرونه من بيت المال، لتثبيت مراكزهم وضمان بقائهم في دست الحكم. وقد ذكر الشاعر اثنين منهم: الأول الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وهو في رواية النجوم الزاهرة: «يحيى بن خالد»، وهو الملائم لاسم الممدوح هنا: زعيم الدين يحيى بن جعفر. والثاني جعفر بن يحيى. وليس هذا موضع تفصيل أخبارهم. وقوله «ندى»: في النجوم الزاهرة «يداً».

(٢٣) ساكن الجانب الشرقي من بغداد هو زعيم الدين يحيى بن جعفر، وساكن الجانب الغربي موسى بن جعفر الصادق، وترجمته تقدمت في (ص٢٧٦/ح٢٧).

(٢٤) فذاك: كذا هنا وفي النجوم الزاهرة وغيرهما، والسياق - كما قال محقق النجوم الزاهرة يقتضي أن تكون «فهذا» أي موسى بن جعفر الصادق. الإمام المطهر: عنى به الخليفة العباسي، ذلك لأن زعيم الدين كان مقرباً عند خلفاء عصره الذين ذكرتهم في (ح ١٩).

إبراهيم بن محاسن الضرير [1]

من أهل « قَصْرِ قُضَاعَةَ »[2] .

*
**

له في مدح الإمام (المستضيء بأمر الله)[3] :

خليفةَ ربِّ العالمين بأرضه !
إمامَ الهُدى ! للهِ أيامُك الزُّهْرُ !

توَلَّيْتَ في عصرٍ سعيدٍ مُبارَكٍ
أبى حُسْنُه من أن يُقاسَ به عصرُ

تملّكتَ مُلكَ البَرِّ بالعدل طاعةً ،
وعن كَثَبٍ يعنو مُطيعاً لك البحرُ [4]

وتُضْحِي مَقاليدُ الأُمور بأَسْرِها
إليك ، وقد دانت لك البَدْوُ والحَضْرُ [5]

بك العالم استغنى ، ومن قبل جودك الـ
ـعَميم لهم قد كان عضّهم الفقرُ [6]

---

(1) له ترجمة في معجم البلدان ، في (قصر قضاعة) ، وفي نكت الهميان ٨٩ . وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محاسن بن حسان القصر قُضاعيّ ، المقرىء، الشاعر. قدم بغداد ، وقرأ القرآن ، واجتدى بالشعر . وكان جشعاً ، جمّاعاً منّاعاً ، حصل بذاك الحِرص مبلغاً من المال . ومات في شهور سنة ٥٧٥ هـ .

(2) قال ياقوت : « قصر قضاعة : قرية من نواحي بغداد ، قريبة من « شهرابان » ، من نواحي « الخالص » . » ولا تعرف اليوم .

(3) ترجمته في (١/٩) .

(4) عن كَثَب : عن قرب . يعنو : يخضع ويذلّ .

(5) مقاليد الأمور : مفاتيحها ، واحدها مِقْلاد . الحَضْر : سكن الضاد ، للضرورة.

(6) عضهم : في الأصل « عهصم » .

وله فيه ، يسأل أجرة الدّار[٧] :

شكوتُ ـ يا مولى جميعِ الورى ! ـ
إليك جورَ الزّمنِ الجاري

وصَرْفَه الهاجمَ ـ يا مالكَ الـ
ـدّنيا ! ـ هجومَ الأسدِ الضّاري[٨]

وأرتجي من جودك المُرتَجى
بلوغَ آمالي وأوْطاري[٩]

عبدُك .. أعمى العينِ ، ذو عَيْلَةٍ ،
قد قتلته أُجرةُ الدّارِ[١٠]

فامْنُنْ عليه بِشِرا مسكَنٍ
أَمَّنَكَ الله من النّارِ[١١]

قد جُدْتَ للخَلْق بما لو حوى
جاوزَ أَلْفَيْ أَلفِ قِنْطارِ

---

(٧) بل يسأل الخليفة شراء دار له يسكنها ، وإلا خصّه بدينار في كل شهر !!

(٨) صرف الدهر : حدثانه .

(٩) الأوطار : جمع الوطر ، وهو الحاجة فيها مأرب وهمّة .

(١٠) العَيْلَة : الفقر والحاجة . في الأصل « غيلة » بالغين المعجمة .

(١١) شِرا : شراء ، قصره للوزن .

فجُـــدْ لـــه في كـل شـــــهر ــ إذا
لـــم تُعطِـــه داراً ــ بدِينـــارِ[١٢]

---

(١٢) أحسن مما اختاره المؤلف من شعره ، هذه الأبيات ، على انها مصنوعة متكلفة ، وباردة غثة . وقد رواها ياقوت عن عبدالسلام بن يوسف بن محمد الدمشقيُّ الواعظ ، قال إنه انشدها إياه لنفسه :

غـــرامي في محبتكم غَـريمي ... كمــا لفِراقكم نَـدَمي نديمي
صَبـاً هبّت ، فأصبتني إليكم ... صبابات يشـمن من النّسيمِ
الا هـــل مُبلغٌ سَلمى بسلمي ... وذي سَلَم سلاماً من سـليمِ
وهل من كاشـفٍ غَمّاً بغَمٍّ ... عراني بعــدَ سُكّان الغميمِ
رســوم اقفرت من آل ليلى ... وعفّتهـا الرواسم بالرّسيمِ
حماماتُ الحِمىُ هيجن شوقي ... وقد حُمّت مفارقـة الحميمِ
حرامٌ أن يــزور النوم عيني ... وقد حرّمتــه حرمَ الحــريمِ
عدِمت الصبر حينوجدت وجدي ... بكم ، والعُجبُ وجدان العديمِ
وعاصيت اللوائـم في هـــواكم ... لأنّ اللوم من خُلُــق اللئيمِ
اقدّم نحوكم قَـدَم اشـتياقي ... ليقدُمَ غائبُ العهد القــديمِ

الأستاذ ابو الفرج المبارك بن سعيد الحمامي (١)

أولادُ الأكابر والأعيان ، بـ « بغدادَ » ، تأدَّبُوا في مكتبه ، وجروا في الفضل على مذهبه .

*
**

وله شعر ، مشهودٌ له بالجَوْدَة .

---

(١) ترجمه ياقوت في معجم الأدباء ٥٣/١٧ بأكثر من هذه الترجمة ، غير أنه أخلاها من شعره ومن الإشارة إلى قرضه له . وسماه « المبارك بن سعيد بن الحمامي المؤدب » ، بزيادة « ابن » بين « سعيد » و « الحمامي » ، ومثله في « التكملة لوفيات النقلة » في ترجمة ابنه . وقال ياقوت : « كان يسكن « قَراح بني رزين » من بغداد ، وله به مكتب يعلم فيه الصبيان . وكان أديباً فاضلاً ، وشيخاً صالحاً ، تخرّج به خلق كثير . وكان محمود السيرة ، مشكوراً عند الناس . وكان ذا هيبة على الصبيان . وكان أولاد الأكابر يقصدون مكتبه من جميع بغداد ، لما شاع من خيره وصلاحه . أدركت زمانه [ولد ياقوت سنة ٥٧٤هـ ، وتوفي سنة ٦٢٦ هـ] ، ورأيت مكتبه ، وكان مكتباً حفيلاً مزدحماً ، إلا أنني لم ألقه شيئاً . وكان يكتب خطّاً حسناً معروفاً عند الناس ، مرغوبا فيه . مات ـ فيما بلغني ـ سنة ثمانين وخمس مئة للهجرة » . ثم ذكر ابنه ، وقال : « وكان له ابن على سيرته في الصلاح والدين والخير ، قام مقامه في مكتبه ، وخلفه بعده في مكتبه . وكان اسمه أيضاً « المبارك » ، مات سنة ثمان وثمانين وخمس مئة » ، انتهى . وقد ذكر ابنه هذا زكي الدين المنذري في « التكملة لوفيات النقلة » ، وكناه بأبي الكرم ، وقال : « سمع من أبي محمد عبدالله بن أحمد بن الخشاب ، وقرأ عليه شيئاً من الأدب ، وكتب خطاً جيداً . توفي في سنة ٥٨٨هـ ببغداد ، ودفن بباب أبرز » . وقد أحال محقق « معجم الأدباء » في ترجمة أبي الفرج على « بغية الوعاة » ٣٨٤ ، وليس له ذكرٌ ما في هذا الكتاب ، وإنما فيه المبارك بن أحمد الإربلي المعروف بابن المستوفي ، والمبارك بن الفاخر أبو الكرم النحوي ، ثم في (ص ٣٨٥) المبارك بن المبارك بن سعيد بن أبي السعادات الوجيه أبو بكر بن الدهان النحوي الضرير ، ثم المبارك بن محمد الشيباني مجدالدين المشهور بابن الأثير .

قال يمدح الإمام (المستضيء بأمر الله)[2] ، [و] يهنّئه بالخلافة ، من قصيدة:

سلامٌ كنَشر الرّوض .. باكرَهُ الصَّبا ،
على خيرِ مَنْ ولّاهُ ذو العرش واجْتَبى[3]

أجلِّ الورى قدراً ، وأمنعِهم حِمىً ،
وأنجبِهم أُمّاً ، وأشرفِهم أبا

وأعلاهُمُ مجداً ، وأجودِهم يداً ،
وأسعدِهم جَدّاً ، وأمضاهُمُ شَبا[4]

فجدّدَ من شرع المكارم ما عفا ،
وأبدعَ في فعل الجميل ، وأغربا

وردَّ رُسومَ العدل بعدَ دُثورِها ،
وغامرُ سيلِ الجور .. قد بلَغَ الزُّبى[5]

هو (المستضيءُ) البَرُّ أرحمُ مَنْ رعى
إذا ما الحَميمُ استوطأ العُنْفَ مركبا[6]

هنالك غصنُ الجود للوفد مُثمِرٌ ،
وإن عوتب الحظُّ المقصِّر أَعْتَبا[7]

⁂

---

(٢) ترجمته في (١/٩) .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . اجتبى : اختار واصطفى ، وفي القرآن الكريم : (وكذٰلك يجتبيك ربّك) .

(٤) الشبا : جمع شباة ، بفتح الشين ، وهي حدّ طرف السيف .

(٥) العدل : في الأصل « العذل » . الزّبى : الرّوابي لا يعلوها الماء ، الواحدة زُبْيَة ــ بضم فسكون ففتح .. وفي المثل : « بلغ السّيل الزّبى » يضرب للأمر إذا اشتدّ حتّى تجاوز الحدّ .

(٦) رعى : في الأصل « دعا » .

(٧) أعتبه : أرضاه بعد العتاب ، وفي المثل : « ما مسيءٌ من أعتب » .

ومنهـا :

أعاد ظلامَ الظّلْم صُبحاً بعــدلِه ،
وصُبحَ الأيــادي بالقَساطل غَيْهَبا[8]

*

وقال يمدحه ، من أُخرى :

للمجـــد بِشــرٌ ، وللعُلى طَرَبُ ،
والسَّعدُ دانٍ ، والنّصــرُ مقتــربُ
والحــقُّ عالي المنــار مُتّضحٌ
والملــك في قبض مَــنْ لــه يَجِبُ
خيرُ إمــام •• زكت أَرُومتُــه ،
لــه النِّجارُ الصَّميمُ والحَسَبُ[9]

*

ومنها :

(المســتضيء) المضـيء ســيرته
فمـا لـه في سِــوَى التُّقَى أَرَبُ
مولىً •• إذا ما جـرى لـه قـــلم ،
تمنَّتِ القُضْبُ أنَّهــا قَصَبُ[10]
آيُ المَثــانِي عليــه مُثْنِيَــةٌ
والجُمَــعُ الحــافلاتُ والخُطَبُ[11]

---

(8) القساطل : جمع القسطل ، وهو الغبار في الموقعة . الغيهب : الظّلمة .

(9) الأرُومة ، بفتح الهمزة : أصل الشجرة ، واستعملت للحَسَب ، يقال : « هو طيب الأَرُومة » أي كريم الأصل . الصَّميم ، من كل شيء : المحض الخالص ، يستوي فيه المفرد وغيره . النِجار : الأصل ، وهو في الأصل : « الفخار » .

(10) قَصَب : في الأصل « قضب » .

(11) المثاني : الآيات تتلَى وتتكرر ، وفي القرآن الكريم : (والله نَزّل أحسنَ الحديثِ كِتاباً مُتَشابهاً مَثانِيَ تقشعرُ منه جلودُ الّذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) .

تَغْضِي عُيُونُ الورى لهيبته
وَهْوَ بنور الجلال محتجِبُ[12]

**

وقال يمدحه، ويهنّئه بعيد الفِطْر :

ابتهاجٌ كلَّ يوم وحُبورُ وهَناء مُستَجدٌّ وسرورُ
وغنىً .. تُولُونه ذا أملٍ، ونَدىً.. يُنْجِدُ منكم ويغورُ[13]
وجلالٌ .. وَطَّدَ اللهُ لكم أُسَّهُ، وَهْوَ لكم نِعْمَ النَّصيرُ
وإمامٌ .. فَخَرَ الدِّينُ به، واستهلَّ الدَّسْتُ منه والسَّريرُ[14]
أشرق الملك به واستبشرت بِسَنَا أيامِه الغُرِّ الدُّهورُ
يا (بنِي العبّاس) ! لا زال لكم فَلَكُ الأقدارِ بالسَّعد يدورُ
مُلكُكم .. لا يتناهَى طُولُه، ومَدى عُمرِ مُعاديكم قصيرُ
مكّن الله لكم ملكَ هُدىً ناضِراً، ليس لكم فيه نظير[15]
إن أقمتم أو ظعَنْتُم، فلكم مِدَحٌ في باحة الأرض تسيرُ
عاود العيدُ عُلاكم قادماً بعدَما كاد من الشَّوق يطيرُ
مُسْفِرَ الوجه سروراً وسَناً وله طَرْفٌ بلُقياك قَريرُ

---

(١٢) تغضي العيون : تقارب بين أجفانها .
(١٣) ينجد : يأتي « نَجْداً » . يفور : يأتي « الغَوْرَ » ، وهو غور « تهامة » ، وكل منخفض من الأرض غور .
(١٤) استهلّ : تهلل ، يقال : تهلل الوجه واستهلّ . الدست : صدرالبيت ، معرّب . قال الخفاجي في « شفاء الغليل » : واستعمله المتأخرون بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرئاسة ، مستعار من هذه . قال الغَزّي [في المطبوع : المعري ، وهو تحريف] :

من آلة الدَّسْت ما عند الوزير سوى
تحريك لحيته في حال إيماء
فَهْوَ الوزير ، ولا ازْرٌ يُشَدُّ به
مثل العروض له بحر بلا ماءِ

(١٥) نظير : في الأصل « نضير » .

أبو الفتح محمد بن محمد بن عمر بن الأديب الكاتب [1]

لم يكن في عصرنا أكتب منه بـِ « بغدادَ » .

مليح الخطّ ، مُجْمَع على تفرُّده بـه ، وتبحُّرِ [هِ][2] في أدبه ، وتظرُّفه في مذهبه .

وكان له القبول عندَ الصُّدور ، والأكارم الأكابر ، لا سِيَّما عند (عَضُدالدّين[3] بن رئيس الرُّؤَساء) و (بني المُظَفَّر) ذوي المآثر والمفاخر .

وقد كتب الكلّ[4] على خطّه ، ونُسِبُوا في الأدب إلى رَهْطِه[5] .

رأيته كَهْلاً ، لكلّ إحسان ومَكْرُمَة أهلاً .

ذكر (السَّمْعانيّ)[6] : أنّ مولد (ابن الأديب) يوم عاشوراء سنةَ ثمان وتسعين وأربع مئة .

وأنا أظنُّهُ تُوُفّيّ في سنة سبع أو ثمان وخمسين وخمس مئة في الأيّام (المستنجديّة)[7] .

***

---

(١) ترجمة أبيه تلو هذه الترجمة ، وهو « الأديب محمد بن عمر بن محمد » .

(٢) سقط الضمير من الأصل .

(٣) الوزير عضدالدين : قدمت ترجمته في ١٣/١ ، وهنالك أيضاً ترجمة « جماعة أفاضل أماثل من بيت رئيس الرؤساء : آل الرفيل بني المظفر » ١٤٧ ــ ١٧٧ .

(٤) إدخال « ال » على « كل » منعه فريق ، وأجازه فريق .

(٥) الرَّهْط : الجماعة دون العشرة ، ورهط الرجل : قومه وقبيلته الأقربون .

(٦) السمعاني : (ص ٣٧ / ح ٦) .

(٧) ترجمة الخليفة المستنجد بالله العباسيّ في ١٨/١١ ــ ٢٢ .

وله شعر كثير ، وديوان كبير .

وكنت - لاستيطاني بـ « بغدادَ » ومُقامي بها - واثقاً بأنْ أكتُبَ من أشعار مُعاصِرِيَّ ، لقُدرتي على ذلك في كلّ وقت . ولم أَدْرِ أَنَّ الزَّمن مُغْرًى بتشتيت الشَّمْل[8] ، مُضْرًى بتبتيت الحبل[9] ، مُضِرٌّ بتفويت الوصل[10] . فصرتُ الآنَ أطلُبُ ما فات ، وهيهات ! وذكرتُ بالفَلاة « الفُرات » .

ما أغدرَ الليالي ! فلم تَفِ بضَمانها ، وأكذبَ الأماني ! فلم تصدُقْ في أمانها ، وأضعفَ الآمالَ ! فلم تُسنِد إلا الى الغرور أمالِيَها ، وأخلى الأيّامَ ! فلم تَحْكِ في المقدور إلا خَوالِيَها .

لم تخلفِ (ابنَ الأديب) له نظيراً ، وصوَّحَ[11] روض الفضل بموته وكان بزهره نضيراً .

***

وعلى نظمه طلاوةٌ (بغداديّة)، وحلاوةٌ (عِراقيّة) ، وعذوبةٌ (فُراتيّة). فممّا أثبتُّ من شعره ، قولُه :

قام بالعُذر في هواكَ العِذارُ
فسُلُوّي عن حسن وجهكَ عارُ[12]

أدلالٌ هذا التَّعَتُّبُ ، أم أنـ
ـتَ - كما قيل - خائنٌ غدّارُ ؟

لم يغيّر تلك المودَّةَ بُعدٌ
إن تناءت دارٌ وشَطَّ مَزارُ[13]

---

(8) مُغْرًى : مُولَع .
(9) مُضْرًى : ملزم ، أو مولع . يقال : ضَرِيَ : اشتدّ ، وضري به أو عليه : لزمه، أو أولع به . واضراه جعله يَضْرَى . التبتيت : التقطيع .
(10) تفويت : في الأصل « تقويت » ، ولعل ما اثبته هو الصحيح .
(11) صوّح النبت ونحوه : يبس حتى تشقق .
(13) العِذار : جانب لحية الغلام .
(13) شط : بَعُدَ .

ومعيني على فراقك عين

أفنتِ الدَّمعَ ، واصطبار مُعارُ

كلَّ يوم .. لنا عتاب جديد ،

في نواحيه يَخْلَقُ الاعتذارُ [14]

وانتظار لليوم والغد يأتي ،

أَوَكلُّ الزَّمان فيك انتظارُ ؟

إن أبِتْ ساهِرَ الجُفون ، ودمعُ الـ

ـعين في الخدّ واكِف مِدرارُ [15]

فَبِما بتُّ راقداً ، وعلى خدِّ ـ

ي يمين معطوفة ويَسارُ

تتساقَى كأساً من العتب صِرفاً ،

ولخمر العتابِ أيضاً خُمارُ [16]

فاذا بالصَّباح لاحَ كما سُلَّ ـ

من الجَفْن صارم بَتّارُ

وعلى البدر هالة ، هي كالبَدْ

رِ ، وفي أعيُن النُّجوم انكسارُ [17]

ناظرات إليه شَزْراً ، وفيها

حَوَل .. حال دونها ، وازْوِرارُ [18]

---

(١٤) يخلق : يبلى .

(١٥) واكف : منهلّ ، منصبّ . مدرار : كثير الانسكاب .

(١٦) الصِرْف : الخالص لم يمزج بغيره . الخُمار ، من الخمر : ما يصيب شاربهامن المها وصُداعها ، وما خالط الإنسان من سُكر الخمر .

(١٧) البدر : في الأصل « البدور » .

(١٨) نظر إليه شزراً : غاضباً ، أو مستهيناً . الازورار : الميل والانحراف .

صفّقَ الدّيكُ بالجَنـاح سـروراً

حـينَ وافـاه للضِّياء اشـتهارُ[19]

قال : هبّوا لنـا الى الـرَّوْحِ بالـرّا

حِ ، فمـا للهمـوم إلا العُقـارُ[20]

وإذا مـا قتلتمُ بيـد السُّكْـ

ـرِ ، فعندَ الكئوسِ وِتْـرٌ وثـارُ[21]

عَجَبٌ مـن دمٍ .. تحكّمَ فيـه ،

عنـدَ قَرْعِ المـزاج ، مـاءٌ ونـارُ !

يا نـديمي ! لا تندَمَـنّ على مـا

فـات ، فالدّهرُ والهوى أوطـارُ[22]

مُـدّةُ العمر .. في الشَّباب ، وما بَيْـ

ـنَ السّوادَيْن تُدْرَكُ الأوتـارُ[23]

والفتى .. كالهـلال ، يبـدو خفيّـاً

ثمّ يمحوه بعـد تِمٍّ سِـرارُ[24]

فاغتنمْ خُلْسَةَ الزّمـان ، وأيّـا

مَ حيـاةٍ .. طِوالُهُنّ قِصـارُ

---

(١٩) اشتهار : في الأصل « استتار » .

(٢٠) الراح والعقار : كلاهما الخمر .

(٢١) الوتر ، بفتح الواو وكسرها : الثأر ، والظلم فيه . جمعه أوتار .

(٢٢) الأوطار : جمع الوَطَر ، بفتح الواو والطاء ، وهو الحاجة فيها مأرب وهمة .

(٢٣) السَّوادان : لعله عنى بهما : سواد الشعر أي الشباب والقوة ، والمال الكثير الذي يقال له في اللغة « السواد » ، فانه بهما يدرك الانسان أوتاره من الدهر . والأوتار : في (ح ٢١) . وفي الأصل « الاوطار » وقد سبقت في البيت الذي قـبله .

(٢٤) التِمّ ، بكسر التاء : التّمام ، وهو ليلة اربع عشرة من الشهر القمريّ حـين يستوي القمر فيصير بدراً . السِرار ، بكسر السين وفتحه : آخر ليلة في الشهر يستسرّ فيها القمر ، أي يختفي .

قبلَ أن يُشــرِقَ البيــاض بفَوْدَيْــ
ــك ، ويعلــو على السَّواد غُبــارُ [٢٥]

**

وقوله :

خليلُــك •• مَنْ صفا لك منه قلبُ ،
وليــس بمُصلــح للــوُدّ عَتْبُ

وأكثــرُ مَــنْ تراه ، صــديقُ نفــعٍ
يُسالمُ عنـــدَ سِلْمك وَهْوَ حــربُ

ومــا عــاداك غــيرُ أخٍ قــريب ،
ولا يَسْــلُوك إلا مَــنْ تُحِبّ •

فــإن ظفِرت يــداك بذِي إخــاءٍ
يُقيلُك من عِثــارك حــينَ تَكْبُو [٢٦]

يَوَدُّك أن تعيشَ صحيحَ جِلــد
وأَيْنُقُهُ مــن الأدواء جُــرْبُ ، [٢٧]

فــلا تسكُنْ بــكلّ حَصــاةِ قلبٍ
فــإنَّ النّــارَ من حَجَــر تُشَبُّ

ولا تنظُــرْ إلى ثَغْــرٍ ضَحُوكٍ
يُخالفــه بمــا يُبكيــك قلبُ

**

ونقلت من خطّه هذه الأبيات ، وقد لزِم فيها حرف النُّون قبلَ الرَّوِيّ [٢٨] :

مَنْ كــان مســكنه القُلو ب ، فليس يبعُــد إن تنــاءى

---

(٢٥) الفَوْدان : جانبا الرأس مما يلي الرأس ، و ــ الشعر النابت فوقهما .

(٢٦) يقيلك : يصفح عنك ويتجاوز . تكبو : تعثر .

(٢٧) الأَيْنُق : جمع الناقة .

(٢٨) الرويّ : الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، في الأصل : « الرأي » .

بك أستدلُّ على فؤا ... دي مُذْ عَمَرْتَ به فِناءا[٢٩]

كالرّاح فيما جاوَرَتْـ ... ـهُ، ترى بصِبْغَتِهِ الإناءا[٣٠]

ما زلتَ تلطُفُ بي، وتُو ... دِعُني حُنُوّاً واعتناءا

يا واسعَ المعروف! ما ... إنْ زلتُ أُوسِعُكَ الثّناءا

حمداً يُضَوِّعُه نَدا ... كَ، وأنت تَذْخَرُه اقتناءا[٣١]

أوقاتُنا .. لك كلّها، ... إمّا دُعاءٌ، أو هناءا[٣٢]

**

ونقلت من خطّه أبياتاً أيضاً في ولد صغير، تُوُفِّيَ، وهي:

يا هلالاً! كنتُ أرجو ... منه أن يكمُلَ بدرا،

وأرى فيه تماماً ... لسُروري، فاسْتَسَرّا

خانني الصَّبرُ، ومَنْ ذا ... عنك يُعطِي اليومَ صبرا؟

لم أجِدْ بَعدَكَ من شَيْ ... ءٍ يُسَلّي عنك عُذرا

قد شربت الصَّفْوَ رَنْقاً ... وطَعِمتُ الحُلْوَ مُرّا[٣٣]

**

ونقلت من خطّه أيضاً قوله:

ماأوجعَ العتبَ، والموصولُ مهجورُ!

وأقتلَ الحبَّ، والإسعافُ محظورُ![٣٤]

---

(٢٩) الفِناء، بكسر الفاء: الساحة في الدار أو بجانبها، استعاره للفؤاد.

(٣٠) الراح: الخمر.

(٣١) يضوعه: ينشر رائحته الطيبة. نَداك: جودك.

(٣٢) الصواب: إمّا دعاءٌ وإما هناءةٌ، برفعهما وتأنيث الهناءة، والعرب إنّما تقول: هَنِيءَ الطعام، وهَنُؤَ يَهْنَأَ هَناءةً وهَنَاءَةً، وهَنَأني الطّعام، وهَنَأَ لي يَهْنِئُني ويَهْنَؤُني هَنْأً وهِنْأً.

(٣٣) الرَّنْق: الكَدِر.

(٣٤) محظور: ممنوع.

لـكلِّ حُسنٍ .. زكاةٌ ، يُستَدامُ بها
ذاكَ الجمالُ ، وحُسنُ الوجه تصويرُ[٣٥]

كيف السَّبيلُ إلى كِتمانِ لوعتِه ،
وكلُّ طَيِّ هَوىً في القلب منشورُ ؟

ما كان عرَّض بالشَّكوى ، ليَظهرَ ما
تَحنَى الضُّلوعُ عليه ، وهو مستورُ

لكنّها نَفَثاتُ من صَبابتِهِ ،
يُغالِبُ الشّوقَ فيها ، وَهْوَ مصدورُ

علاقةُ الحبِّ .. لا تخفَى أمارَتُها ،
للدَّمع فيضٌ ، وللأنفاس تسعيرُ[٣٦]

مَنْ طالبٌ بدم .. لا يُستثار به ؟
وإنّما سفكَتْه الأعيُنُ الحُورُ[٣٧]

تنكّرتْ شيبةُ الأيّام واختلفت ،
وللحوادث تبديلٌ وتغييرُ

ولاحَ فوقَ سواد الرّأس واضحةٌ
من المشيب ، أضاءت وَهْيَ دَيْجُورُ[٣٨]

*****

ونقلت من خطّه أيضاً قوله في الوزير (ابن هُبَيْرَةَ)[٣٩] :

---

(٣٥) بها : في الأصل « به » .

(٣٦) الأَمارة ، بفتح الهمزة : العلامة .

(٣٧) الحُو ر : جمع الحوراء ، وهي العين البيّنة الحَوَر ــ بفتح الحاء والواو ــ وهو أن يشتد بياض العين وسوادُ سوادِها .

(٣٨) الديجور : الظلمة .

(٣٩) ترجمته في ٩٦/١ .

إنْعَمْ صَبَاحاً ! فللأعداء ما حذِرتْ
من حادثٍ واقعٍ أو فادحٍ فاجي[٤٠]

أقبلتَ ، بعدَ خسوف البدر ، مُجتلياً
بدراً .. أضاء سوادَ المُظلِمِ الدّاجي

أغنى عن الشَّمس والبدر المنير ، فما
تُهدى بغيرِ سراجٍ منه وَهّاجِ

تبيتُ نِيرانُه في الليل مُوقَدةً
تدعو بِراجٍ إلى المعروف ، أو لاجِي[٤١]

وفي العِمامة وَضّاحٌ أسِرَّتُه
طَلْقُ الجبين ، علا عن مَعْقِدِ التّاجِ[٤٢]

ألقتْ عصاها به الآمالُ ، إذْ نزَلَتْ
مريحةً بعدَ إسراءٍ وإدلاجِ[٤٣]

إذا الصَّريخُ دعاه يومَ نُصرته ،
لَبّاه من بعدِ إلْجامٍ وإسراجِ

ما ضَنَّتِ المُزْنُ إلا كان عارِضُه
مَخيلَةً بسَحُوح الوَدْق ثَجّاجِ[٤٤]

---

(٤٠) إنعَمْ صباحاً ، وعِمْ صباحاً : كانت تحيّة أهل الجاهلية ، فأماتها الإسلام بتحية السلام ، وأعظم بها من تحية ! فادح : ثقيل ، يقال : نزل به أمر فادح إذا غاله وبهظه ، والفادحة : النازلة . فاجي : فاجيء ، أي مباغت غير متوقع ، سهل همزته للقافية . يقال : فَجَأه الأمر ، وفاجأه . الأصل : « فادح وهاجي » .

(٤١) لاجي : لاجيء ، سهل همزته للقافية .

(٤٢) الأسرة والأسارير : محاسن الوجه . معقد : في الاصل « مقعد » .

(٤٣) القى عصاه : استقرّ وترك الأسفار . الإسراء : السير في الليل . الإدلاج : السير من أوّل الليل .

(٤٤) ضنّت : بخلت أشدّ البخل . المزن : السحب . العارض : السحاب الذي يعترض في الأفق . المَخِيلة : السحابة التي تخالها ، أي تظنها ، ماطرة لرعدها وبرقها . السحوح : الكثير السَّحّ ، وهو صب الماء صباً متتابعاً كثيراً . الثّجّاج : الشديد الانصباب ، وفي القرآن الكريم : (وأنزلنا من المُعْصِرات ماءً ثَجّاجاً) .

وما تَعَسَّرتْ مَرْجُوّاً أُؤَمِّلُهُ
منذ استعنتُ بـ (عَوْنِ الدِّين) في حاجي!![45]

**

ونسختُ من خطّه أيضاً قوله من قصيدة :

تلوم خليّاً من غرامي ، وما تدري
بأن الّذي عنه نهيت .. به تُغْرِي[46]

وما عَتْبُ مَنْ لا يَرعوي عن صَبابةٍ
ولا يَنْثَنِي يوماً لوعظٍ ولا زَجْرِ[47]

له شاهدٌ ممّا به ، لو عَرَفْتَهُ ،
وهل مِن جفاء بالهوى عنك أو نُكْرِ

لسانٌ على صَمْت ، وقلْب على جَوىً ،
وعينٌ على دمعٍ ، وسمعٌ على وَقْرِ[48]

تناسيتُما عهدي بـ « نَعْمانَ » ، فاذكرا
ــ لقُرب النَّوَى ــ مِيعادَنا ليلةَ النَّفْرِ[49]

بحَيْثُ أفاض المُحرِمونَ ، وقد جَلَتْ
لنا سُدْفَةَ الظَّلماء بارقةُ الثَّغْرِ[50]

---

(٤٥) عون الدين : لقب الممدوح الوزير ابن هبيرة . الحاج : جمع الحاجَة .
(٤٦) تغري به : تولع به .
(٤٧) يرعوي : يكف ويرتدع .
(٤٨) الجوى : اشتداد الوجد من عشق أو حزن . الوَقْر : ثقل السمع .
(٤٩) نعمان ، بفتح النون : علم لمواضع عدة في بلاد العرب ، سردها ياقوت في معجم البلدان ، والبكري في معجم ما استعجم ، وابن منظور في لسان العرب . النوى : (ص ١٧١/ح٢١٦) . النّفر (ص ٢٨٦/ح٢٥) .
(٥٠) المحرمون : الحاجّ ، الإفاضة : (٢٩١ / ح ٢٣) . السّدفة ، بفتح السين وضمها : الظلمة ، و ــ اختلاط الضوء والظلمة معاً ، كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار .

ولم أَنْسَها بـ « البيت » تسعى مُطيفةً
فكم من دمٍ ما بينَ ألحاظِها هَدْرِ (٥١)

تقبّلُ رُكناً .. قلبُها من صَفَاته ،
وقد أثقلتْ ما خَفَّفَتْه من الوِزْرِ (٥٢)

إذا لم تخافي اللهَ في قتلِ مسلمٍ
حرام .. فماذا تبتغين من الهجر ؟(٥٣)

صِلِي مُدَّةً .. لم يبقَ إلا أقلُّها ،
فنحن ـ وإن حلّت بنا الدّارُ ـ كالسَّفْرِ (٥٤)

ولا تقطَعِي الأيّامَ عتباً وهِجرةً ،
فلا بدَّ من يومٍ طويلٍ على الهَجْرِ (٥٥)

لو انَّ الليالي يَسْتَسِرُّ هلالُها
ببِشرك ، لم يطلُع سِوى مَطْلَعِ البدرِ

ولو لبِستْ أخلاقَكَ الغُرُّ زينةً
على الأُفْق ، لاستغنت عن الأنجُم الزُّهرِ

⁂

ومنها [في المدح](٥٦) :

صفاتُك تُملي ما أقول ، فليس لي
سِوى السِّلكِ في عِقد اليتامى من الدُّرِّ

---

(٥١) دم هَدْر : باطل ، ليس فيه قَوَد ولا عَقْل ، ولم يدرك بثأره .
(٥٢) الصَّفاة : الحجر العريض الأملس . الوِزر : الحِمل الثقيل ، والذنب .
(٥٣) الهجر : لعلها « الأجر » ، وستتكرر بعد بيت .
(٥٤) السَّفْر : المسافر ، للواحد والجمع .
(٥٥) كتب في جانب البيت في الأصل : « ومنها في المدح » ، وليس فيه وفي البيتين اللذين يليانه شيء من المدح .
(٥٦) الزيادة مني .

وقـد جاء (ذو القَرْنَيْنِ) عندَ دُخولِه
إلى ظُلُمـات البحر بالجوهر النَّثْرِ[57]

وهـا أناذا ، في كـلِّ يومٍ وليلـة ،
أَجيءُ بدُرِّ اللفظ من ظُلَم الفكـرِ

جواهر .. يَفْنَى كلُّ مـا هو زينـةٌ
سِواها ، ولا يبقى سِوَى حَسَنَ الذِّكرِ

⁂

ونقلت أيضاً من خطّه هذه الأبيات ، من قصيدة له في مدح الخليفة :

مـا لي وللبرق مُجتـازاً على « إضَمِ »
يُبـدي تألُّقَـه عن ثغرِ مبتسِمِ ![58]

سـهرتُ ، والليلُ مكحولُ الجُفون بـه ،
كأنّـه ضَـرَمٌ .. قـد دَبَّ في فَحَمِ

عاقرتُـه الكأسَ من دمعي ، وأَدْمُعُـه
زجاجـةٌ خضبتها عَبْرَتي بـدمِ[59]

أمُخْبِرِي أنت عن « وادي العَقيق » ؟ وهل
حلَّتْ مُجاوِرةً (سلمى)بـ «ذِي سَلَمِ»[60]؟

---

(57) ذو القرنين : اختلف المفسرون والمؤرخون فيه اختلافاً كثيراً ، ولأبي الكلام آزاد بحث نفيس فيه ، نشره في مجلة « ثقافة الهند » .

(58) إضَم : فيه أقوال عدة ، منها أنه وادٍ يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر ، وأعلاه القناة التي تمر دوين « المدينة » . ذكره الشعراء القدامى والمحدثون في أشعارهم كثيراً . تألّقه : في الأصل « تاءَلَقه » .

(59) عاقر الخمر : أدمن شربها وداوم عليها ، ولم تذكر المعاجم « عاقره إيّاها » بمعنى ساقاه إياها .

(60) وادي العقيق : (ص ٩٢/ح٣٠) . ذو سَلَم : وادٍ ينحـدر على الذنائب في أرض بني البكاء على طريق « البصرة » الى « مكة » . لهج شعراء العرب به ، وذاع اسمه في العصور الوسطى حين ذكره البوصيري في قصيدته الشهيرة التي تشرفت وعلت بمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسليم ، فقال في مطلعها :

أمن تذكّر جيران بـ «ذي سَلَمٍ» مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدمِ ؟

حمّلتُك الشّوقَ من شوقي ، لتُبْلِغَـــهُ
رســالةً .. لم تــكن فيهـا بمتَّهَمِ

فمـا لهم علِمُوا ما قـد كتبت بــه
على لسان الهوى عن بانـة « العَلَمِ »[61]

أذعتُ سـرّي ، ولم تنطِق بــه شَفَةٌ ،
ولم يـكن سـرُّ مَنْ يهوى بمُكْتَتَمِ

يا طائـراً .. عَذَباتُ الأيكِ مسكَنُهُ !
أيقظتَ للدّمـع جَفْنـاً عنه لم يَنَمِ[62]

غرّدْ بألحـانك المُستعجِمات . فمـا
أبقيتَ جارحـةً إلا عـلى ألَـمِ

لِيَهْنِكَ الإلفُ والعيشُ الرّغيدُ ، وإن
كان الّذي سَرَّ ، أو ما ساءَ ، كالحلُمِ

تحيّـة من مَشُوق .. طـال موقفـهُ
على الثَّوِيَّة بالوَخّـادة الرُسُـمِ[63]

---

(61) البانة : (ص ٩٣ / ح ٣٧) . العـلم : الجبـل ، واســم لعـدة جبـال منها : جبل فرد شرقيّ « حاجر » يقال له « أبان » وعلم بني الصادر ، وعـلم السعد ودجوج على يومٍ من « دومة » ، وهو الّذي عناه المتنبي بقوله :
طردت من مصر أيديها بأرجلها حتى مرقن بنا من جَوْشَ والعَلَمِ

(62) الايك : الشجر الكثير الملتف ، وعَذَباته : أطرافه .

(63) الثّوية : بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ، ويقال « الثُوَيّة » بالتصغير ، قال ياقوت : هي موضع قريب من « الكوفة » ، وقيل بالكوفة ، وقيل : خُرَيبة إلى جانب « الحيرة » على ساعة منها ، ذكر العلماء انها كانت سجناً للنعمان بن المنذر كان يحبس بها من أراد قتله ، فكان يقال لمن حبس بها : ثوى ، أي أقام ، فسميت « الثوية » بذلك .. وقد دفن بالثوية المغيرة بن شعبة ، وأبو موسى الأشعري ، وزياد بن أبي سفيان . الوخادة : الإبل التي تَخِدُ أي تسرع وتوسع الخطو . الرسم : جمع الرَّسُوم ، وهي الناقة تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

يُشيّع الرَّكْبَ بالأنفاس •• يتْبِعُهــا
علاقةٌ من شَـغاف القلب ، لم يَـرِمِ[٦٤]

يَحِنُّ شـوقاً إلى أرض « الحِجاز » ، ومِن
دونِ الّذي رامَ شـعبٌ غـير مُلتئِمِ

في كلّ عـام لـه وجـدٌ يُقَلْقِلـُه ،
حتّى يُظَـنَّ بـه طَيْفٌ من اللّمَمِ[٦٥]

فقِفْ بحيثُ أفـاض المُحـرِمون على
عارٍ من الثّوب ، مَكْسُوٍّ مـن السَّقَمِ

فنحن مـن حـولِ بيتٍ ،للطّواف بـه ،
ما بـينَ مُلْتَثِمٍ رُكنـاً ومُسْتَلِمِ[٦٦]

بيت لكعبـة (إبراهيمَ) •• حلَّ بـه
يقظـان ، تدعوه عنـدَ الأخذ بالكَظَمِ[٦٧]

تـرى الملوكَ ، إذا ما لاحَ ، سـاجدةً
جباهُهـا لِيَـدٍ فوقَ الثّرَى وفَـمِ

---

(٦٤) الركب : الراكبون ، العشرة فما فوق . شغاف القلب : غلافه ، أو سويداؤه وحبّته .

(٦٥) اللمم : الجنون ، أو طرف منه يُلمّ بالإنسان ويعتريه .

(٦٦) المستلم :الحاجّ الذي يلمس الحجر الأسود بالكعبة باليد أو القبلة . وعامة الكتاب الضعفاء في زماننا يستعملون الاستلام في موضع التّسلّم أي الأخذ والقبض .

(٦٧) الكَظَم : مخرج النَّفَس ، يقال : كَظَمني فلان ، واخذ بكَظَمي . واخذ الأمر بكَظَمي : غَمَّني .

والدُه : الأديبُ محمّدُ بنُ عُمَرَ بنِ محمّد

وجدت من شعره في مجموع مدائح (عميد الدّولة ابنِ جَهِير)[1] قولَه من قصيدة :

بك المُلكُ يُزْهَى والخِلافةُ تفخَرُ
ومثلُكَ ينهَى في البرايا ويأمُرُ[2]

وما نِلتَ من بُحْبُوحَةِ المجد رتبةً ،
تفوق المُنَى ، إلا وقدرُك أكبرُ[3]

لَعَمْرُكَ .. ما زادتك إلا تواضعاً
إذا كلُّ خدٍّ دونَها يتصعَّرُ[4]

أتتك ، ولم تنهَضْ لها ، فتبرَّجَتْ
بلُبْسِكَ إيّاها ، وعادت تَبَخْتَرُ[5]

---

(١) ترجمته في ١/٨٧-٩٣ .
(٢) زُهِيَ بكذا زَهْواً : اعجِب به .
(٣) البُحبوحة ، من كل شيء : وسطه وخياره .
(٤) يتصعر : يميل عُجباً وكبراً .
(٥) تبرجت المرأة : أظهرت زينتها ومحاسنها لغير زوجها ، ويستعمل في غير المرأة كالأرض والروض ، قال ابن الرومي وقد جمع بين الاستعمالين :
تبرجت بعدَ حياءٍ وخَفَرْ تَبَرُّجَ الأُنثى تصدّت للذَّكَرْ
تبختر : تتبختر ، حذفت تاء المضارع منه تخفيفاً ، وحذفها قياسى .

ولم يكُ إلا الحــقّ •• لاقى نِصــابَهُ ،

أو الرَّوضَ ••حيّاه الحَيا وَهْوَ يَزْهرُ،[٦]

فمُلّيتَها •• بل مُلّيتَكَ ، فإنّهـــا

ــ ومجدِكَ ــ أَولى أن تُهَنّا وأجدرُ،[٧]

وعُمِّرْتَ مأهولَ الجَنــاب ، فإنّما

رِباعُ العُلىــما دُمتَ تَعْمُرُــتَعْمُرُ،[٨]

---

(٦) النِصاب : الأصل والمرجع ، يقال : رجع الأمر إلى نِصابه . الحيا : الخصب، و ــ المطر . يزهر : يطلع زهره .

(٧) مُلّيتها : دعاء له بالاستمتاع بالخلافة ، يقال : مَلاه الله العيش ، وأملاه : أي امتعه به وأعاشه معه طويلا . تهنّا : تهنأ ، سهل همزته للوزن .

(٨) عُمِّرت : دعاء له بطول العمر . الجناب : الناحية ، و ــ فِناء الدار أو المحلة ، ويقال : أنا في جناب فلان : كَنَفه ورعايته. تعمُرُ الأولى : تعيش زماناً طويلاً .

الكامل أبو المكارم بن الآمدي [1]

رأيته شيخاً ، قد طعَنَ في السِّنّ ، يتردّد إلى الوزير وأرباب الدّولة ، ويمدحهم . وسمعته ـ كثيراً ـ يُنشد .

وشعره مستقيم اللفظ والمعنى ، سليم من الزّلّة ،مقبول معسول ، حلو حالٍ .

إنحدرتُ إلى « واسط »[2] سـنةَ اثنتين وخمسين [وخمس مئة] وكان يعيش ، وعُدت سنة خمس وخمسين وقد مات[3] .

⁂

فمن قصيدة له في الوزير (ابن هُبَيْرَةَ)[4] :

شكا الهجرَ .. لو كانت شِكايتُه تُجْدِي
وأمسك حتّى ما يُعِيدُ ولا يُبْدي[5]

---

(١) ذكره المؤلف في قسم شعراء الشام (٤٦٣/٢) أيضاً ، وقال : « الكامل أبو المكارم محمد بن الحسين الآمدي » ، وعقب عليه بثلاثة أبيات من شعره. وذكره ياقوت في معجم البلدان ، في « آمِد » ، وقال : هو « شاعر بغدادي ، مكثر مجيد ، مدح جمال الدين الأصبهاني وزير الموصل .. » ، وذكره أيضاً ابن الدبيثي في تاريخ بغداد ، والذهبي في المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد ٢٧١/٢ ، وفيه : « محمد بن الحسين بن الآمدي ، أبو المكارم ، البغدادي ،أحد الشهود . ذكره أبو المعالي سعد بن الحَظِيرِي الكتبي في كتابه الذي سماه«زينة الدهر في ذكر شعراء العصر » ، وأنشد له شيئاً من شعره » . ثم روى له ابن الدبيثي ثلاثة أبيات من تاريخ أبي شجاع محمد بن علي بن الدهان ، وسأوردها في آخر الترجمة . قال ابن الدهان : « وكان قد جاوز الثمانين ، وهو يقول الشعر ، وكان من المكثرين .. » . وترجمه الصفدي في الوافي بالوفيات ١٧/٣ فقال : « من فحول الشعراء ، تأخر حتى مدح ابن هبيرة .. »، وابن الفوطيّ في الجزء الخامس من تلخيص مجمع الآداب .

(٢) واسط : ٣٩/١ .

(٣) أجمع مؤرخوه على أن وفاته في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة ، وأنه كان قد جاوز الثمانين .

(٤) ترجمته في ٩٦/١ .

(٥) نقل محقق « المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد » ٢٧٢/٢ بعض هذه القصيدة وأخلّ بما نقل . والهجر في هذا البيت ، جعله « الوجد » .

وهل تنفعَ الشَّكوى ، وإن طـــال بَثُّهــا ،

إذا كان ســـلطانُ المحبّـــة لا يُعدِي[٦]

يدٌ •• تطلبُ الإنصافَ ، وَهْيَ قصــيرةٌ

مع الضَّعْف ، والإنصافُ منها على بُعـــدِ

وأدنى الورى •• مَنْ لا يؤثّـــر عنـدَه

هَوانٌ ، ولا يأبى الزَّهيدَ من الرِّفْـدِ[٧]

وإنّي لأَختــار المَنيَّــةَ ظامئـــــــاً

إذا ما رأيت الهُونَ في فُرصـــة الوِردِ[٨]

فمَنْ لي ، وقد خانت قُوايَ ، برحلـــة

تطول بها شكوى المَطِيِّ من الوَخْـد ؟[٩]

تغرّب شِـعراً •• طال في الحيّ مكثُــه ،

فللقُربِ أدواءٌ تعــالَجُ بالبُعـــــدِ

فلولا نَدَى (تاجِ الملوك) ، لمَـــا زَكَتْ

عُروسي ، ولا أورى بقافيــــة زَنْدِي[١٠]

---

(٦) بث الشكوى : إفشاؤها وإظهارها . والشـطر من البيت الثـاني في حاشـية « المختصر المحتاج اليه » : « إذا ما رأيت الهون في فرصة الورد » ، وإنّما هو شطر البيت الخامس . ثم عاد محققه ، فنقل البيت الخامس بشطره هـذا ، فتكرر عنده ، ولم يتنبه له .

(٧) الرِّفد : العطاء والصلة .

(٨) الظامىء : العطشان .

(٩) قواي : رواها محقق « المختصر المحتاج إليه » : « فؤادى » ، ولا معنى للفؤاد ها هنا . المطيّ : كل ما يمتطى مَطَاه أي ظهره من الدواب ، وأراد الشاعر الإبل بدلالة الوخد ، وهو سرعة سيرها . الوخد : في الأصل « الوجد » .

(١٠) زكت : نَمَتْ وزادت . أورى الزند : خرجت ناره ، وهو العود الأعلى الذي تقدح به النار ، والأسفل الزندة ، وتقول لمن أعانك وانجدك : ورت بك زِنادي ، وهي « جمع الزَّنْد » .

ولا انعكسَتْ عنّي الليالي ذليلةً

مُرَوَّعَةَ الأحداث مفلولةَ الحدِّ

حَمى .. فشهوري كلُّها رَجَبِيَّةٌ

به ، وزماني كلُّه زَمَنُ الوَرْدِ[11]

***

ومنها :

وزيرٌ .. يضمُّ الدَّستُ منه جَمالَه ،

كما ضمَّتِ الحسناءَ حاشيتا بُرْدِ[12]

تَقَضَّى أحاديثُ الورى ، ولِفعلِه

أحاديثُ تُروَى بينَ غَوْر إلى نَجْدِ[13]

حديثٌ .. كنَشْر الرَّوض ، يجري نسيمُه

على صفحة النّادي بأذكى من الرَّنْدِ[14]

إذا هبَطَت زُهْر النُّجوم ، فنجمُه

مُقيم على الإشراق في مَطْلَع السَّعْدِ[15]

فدُمْ وابْقَ للإسلام والملك ، ما شَدَتْ

مُطَوَّقَةٌ ، واشتاق ظامٍ إلى وِردِ[16]

لك الرُّتبَةُ العلياء في الفخر ، أصبحت

على الأنجم الأَفراد كالعَلَم الفَرْدِ

---

(١١) رجبية : معظّمة كشهر رجب ، يقال رجب فلاناً ، وأرجبه ، ورجّبه : إذا هابه وعظمه ، وسمي شهر « رجب » لتعظيم العرب إياه في الجاهلية وتحريمهم الاقتتال فيه ، ومنه قول الشاعر : « يا ليت عدة حولي كله رجب » .

(١٢) الدست : (ص ٣٥٧/ح١٤) . ضمّت : الأصل « صنت » .

(١٣) تَقَضّى : تتقضى ، حذفت تاء المضارع منه ، وهو حذف قياسي . الغور والنجد (ص ٧/ح١٧) .

(١٤) النشر : الرائحة الطيبة . الرند : شجر طيب الرائحة . اذكى : أكثر سطوعاً وفوحاً .

(١٥) السعد : (ص ٢٠٦/ح٤٤٢) .

(١٦) ظامٍ : ظامىء ، سهل همزته للوزن .

رفَعْتَ بِناهـا حيثُ لم يعلَمِ امرُؤٌ
بخطِّ يَراعٍ ، أو بخَطِّيَّةٍ مُلْدِ[17]

**

وأنشدت له يهجو بعضهم :

قال الوزير (أبو العلاء) لعِرْسِه
يوماً ، وكاشَفَها بما قد أضمرا :[18]
إنّي لأنْكِرُ أنَّ ذا ابْنَكِ (أحمداً)
منّي ، إذا عَرف امرُؤٌ ما أنكرا
وأظُنُّ أنّكِ خُنْتِ ، يا ابنةَ (هَيْثَم)،
وأتيتِ أمراً في الخيانة مُنكَرا
فتحدَّثي بالصّدق ، واقتصري على
زُبَد الحديث ، وعرّفيني ما جرى
وتبرَّئي بِوَلاءِ صدقٍ ، واعلمي
أنَّ الوَلا ما صَحَّ إلّا بالبَرا[19]
قالت : سأُخْبِرُكَ الصَّحيح ، وإنّه
أمرٌ .. لَهِجْتَ به ، وكان مُقدَّرا
أخفيتُه ، وأبى القضاءُ - لشِقْوَتي
في الذّرّ - إلّا أن يَشيعَ ويظهَرا
لمّا رأيتُكَ مُؤْثِراً لقطيعتي
كِبَراً ، وعُودُكَ قد ذوى وتغيَّرا ،

---

(17) اليراع : الأقلام ، الواحد يراعة . الخَطّية : الرماح ، نسبة الى « الخَطّ » موضع ببلاد البحرين ، كانت تباع فيه . المُلْد : النواعم المعتدلات .

(18) العِرس ، بكسر العين : الزوجة ، يقال : هو عِرسها وهي عِرسه ، وهما عِرسان .

(19) الولا : الولاء ، قصره للوزن . وكذلك البرا ، هو البَرَاء .

ورأيتُ أنّي قد كبِرتُ ، ولم أُصِبْ
ولداً •• يحوز تُراثك المُسْتَحْقَرا ،

ـ عَرّضْتُ نفسي للزّناة ، فلم أجد
ما رُمتُه ، فعملت (أحمدَ) من خَرا !

وسقيتُه لبنَ الكِلاب ضرورةً
فنشا على حكم الرّضاع كما ترى !

***

وأنشَدني صديقي (مجد الدّولة[٢٠] ، أبو غالب ، بن الحُصَيْن) ، قال : سمِعت (أبا المكارم الآمِدِيّ) يُنشد الوزير[٢١] من قصيدة ، مطلعها :

لِعُظْمِ قدرِك يعنو كلُّ مقتدرٍ
فافْخَرْ ، فما مُعْسِرٌ فيه بمفتخرِ[٢٢]

ولا عطاؤك محصور ، فيُشبهه
فيضٌ من البحر ، أو سيلٌ من المَطَرِ

***

ومنها :

(أبا المظفّر) ! لا زِلتَ المُقلّدَ في
نصح الأنام بسيف النّصر والظّفَرِ

إذا مدحتُك ، لا أدري : على مَلَك
في الدّسْت أتلو مديحي ، أم على بَشَرِ ؟[٢٣]

---

(٢٠) اسلفت ترجمته في ٢ /٢٣٣ .

(٢١) هو ابو المظفر بن هبيرة . ترجمته في ٩٦/١ .

(٢٢) يعنو : يخضع ويذلّ . معسر : في مقابل « مقتدر » ، والأصل « معمر » ، وليس بشيء .

(٢٣) الدست : (ص ٣٥٧/ح١٤) .

أرنو إليك ، ونورُ البِشْر يحجُبُني ،
كأنّني واقفٌ في دارة القمرِ (٢٤)

**

وأنشدني له من قطعة :

وِصالُك لي ، مثلُ خُبز الوَزِيـ
ـرِ يواصِلُ يوماً ، ويعتاصُ شهرا ! (٢٥)

---

(٢٤) ارنو : اديم النظر في سكون طرف . دارة القمر : هالته التي تحيط به أحياناً .
(٢٥) يعتاص : يلتوي فيخفي ويصعب الظفر به .
ـ واضيف إلى شعره ها هنا :

(١)

أبا حَسَن ! كَفَفْتُ عن التقاضى
بوعدك لاعتصابك بالمِطالِ
ومَنْ ذَمَّ السُّؤال ، فلي لسانٌ
فصيحٌ دَأْبُهُ حَمْدُ السُّؤالِ
جزى اللهُ السؤالَ الخيرَ ، إنّي
عرفت به مقاديرَ الرِّجالِ (١)

(٢)

ورَثَّ قميصُ الليل ، حتّى كأنّه
سليب بأنفاس الصَّبا يَتَوَشَّحُ
ورَفَّعَ منه الذَّيْلَ صبح ، كأنّه
ـ وقد لاح ـ شخصٌ أشقرُ اللون أجلح
ولاحت بطيئات النجوم ، كأنّها
على كبِد الخضراء نَوْرٌ مُفَتَّحُ (٢)

---

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢/٤٦٣ .
(٢) المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد ٢/٢٧٢ ، ومعجم البلدان (آمد) ، والشطر الثاني من البيت الثاني فيه : « وقد لاح مِسْحٌ أسود اللون أجلح » .

أبو البقاء المبارك بن الخلّ [1]

والد الفقيه (أبي الحسن)[2] ، [و][3] الشاعر (أبي الحسين)[4] .

---

(١) هو المبارك بن محمد بن عبدالله بن محمد المعروف بابن الخلّ البغدادي . والخل بفتح الخاء كما في المشتبه للذهبي ١١١ .

(٢) اسمه محمد . وهو من كبار فقهاء الشافعية . ولد سنة ٤٧٥ هـ ، وتفقّه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشيّ ، وسمع الحديث عن جماعة من المحدثين وحدث به ، وروى عنه الحافظ أبو سعد السّمعاني وغيره ، وبرع في العلم . وكان يجلس في مسجده بالرحبة في شرقيّ بغداد ، لا يخرج عنه إلا بقدر الحاجة ، يفتي ويدرس . وكان يكتب خطّاً جيداً منسوباً ، وكان الناس يحتالون على أخذ خطّه في الفتاوى من غير حاجة إليها ، بل لأجل الخطّ لا غير ، فكثرت عليه الفتاوى ، وضيّقت عليه أوقاته ، ففهم ذلك منهم ، فصار يكسر القلم ، ويكتب جواب الفتوى به ، فأقصروا عنه . قال ابن خلكان : « وقيل : صاحب الخطّ المليح هو أخوه » الآتية ترجمته . وصنف كتاب « التوجيه في شرح التنبيه » في الفقه ، وكتاباً في أصول الفقه . وله شعر ، منه قوله من أبيات :

بَلِّغْهُ عنّي بأنّي بعدَ فُرقتِه ماءُ الشؤون شرابي والضَّنَى زادي
يا مُنيةَ النّفس لا تنسَ مَودّةَ مَنْ في قلبه منك همٌّ رائحٌ غادِ

توفي ببغداد في المحرم سنة ٥٥٢هـ او ٥٥٣ هـ . ترجمته في وفيات الأعيان ٤٦٧/١ ، المنتظم ١٧٩/١٠ ، طبقات السبكي ١٧٦/٦ ، طبقات الإسنوي ٤٨٦/١ ، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٨١ ، البداية والنهاية ٢٣٧/١٢ ، شذرات الذهب ١٦٤/٤ ، العبر ١٠٥/٤ ، وكامل التواريخ (حوادث سنة ٥٣٥هـ) ، و (سنة ٥٥١هـ) وهي سنة وفاته عند مؤلفه ابن الأثير ، والنجوم الزاهرة ٣٢٧/٥ (وفيات سنة ٥٥٢هـ) ، وغير ذلك .

(٣) زيادة لازمة .

(٤) في الأصل « أبي الخير » ، وتصحيحه من أصول ترجمته . وترجمته تأتي بعد ترجمة أبيه .

كان له كلام على لسان (الصوفية)[٥] ، وصار يَنظِم بإشاراتهم كلماتٍ عجيبةً ، أكثرُها غير مفهوم !

هذا ، ذكره (السَّمْعانيّ)[٦] . قال :

أنشدني (أبو الحسن ، صافي ، بن عبدالله ، المنادي) ، أنشدَنا (أبو البقاء بن الخَلّ) لنفسه :

وفي تـــأمُّلهِم ، معنـــىً .. يقـــوم بهم ،
وفي تَخيُّلهِــــم .. للعـــين ألـــوانُ
فإن شَخَصْتَ ، فأشخاصٌ معـــذَّرة .
وإن تفكرت .. لا إنْسٌ ولا جــــان ! !

---

(٥) الأصل : « السوفية » .

(٦) السمعاني : (ص ٣٧ / ح ٦) .

شَرَفُ الدِّين أبو الحُسين أحمد بن المبارك بن مُحَمَّد ابنِ عبدالله بن الخَلّ الشّاعر [1]

وهو من الشّعَراء المكثرين[2] .

أخو الفقيه (أبي[3] الحسن بن الخَلّ) تلميذ (الشّاشيّ)[4] .

كان من ظِراف النّاس .

قد اجتمعت فيه الخِصال الحميدة ، والأخلاق الجميلة[5] . فهو مجمع[6] الفضائل : من شرف النّفس ، وكرم الأخلاق ، والفضل الكامل .

---

(١) ابو الحسين : في الأصل « ابو الحسن » ، وأبو الحسن إنما هو كنية أخيه « محمد » الذي أسلفتُ ترجمته في ترجمة أبيه «المبارك» السابقة. ولأبي الحسين ترجمة في وفيات الأعيان ٤٦٧/١ ، وطبقات الإسنوي ٤٨٨/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٢٦/٥ « وفيات سنة ٥٥٢ هـ » .

(٢) قال ابن خلكان : « كان فقيهاً فاضلاً ، شاعراً ماهراً . ذكره العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة ، واثنى عليه ، وأورد له مقاطيع دوبيت » .

(٣) في الأصل : « أبو » .

(٤) هو ـ كما نص عليه السبكي في ترجمته ـ الفقيه الشافعي المشهور أبو بكر محمد ابن احمد الشاشي الفارِقي ، الملقب فخر الإسلام . وجاء نعته في « الأعلام » ٢١٠/٦ « القفّال » ، وهو سهو ، إنما المنعوت بذلك هو أبو بكر محمد بن علي ابن إسماعيل الشاشيّ الفقيه الشافعي المشهور المتوفّى سنة ٣٦٥هـ . ولد فخر الإسلام في « مَيّافارِقين » من نواحي ديار بكر ـ سنة ٤٢٩ هـ وتفقه فيها ، ورحل إلى بغداد وتفقه فيها أيضاً على أبي إسحاق الشيرازي ، ودرس في « النظامية » ، واستمر إلى وفاته في شوال سنة ٥٠٧ هـ ، وقد ألف « حلية العلماء في معرفة مذاهب الخلفاء » للخليفة المستظهر بالله فسمي الكتاب « المستظهريّ » ، و « كتاب المعتمد » وهو كالشرح له ، و « الفتاوى » ، وغير ذلك . وله شعر حسن . ترجمته في طبقات السبكي ٧٠/٦ ، وطبقات الإسنوي ٨٦/٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٤١/٤ ، والبداية والنهاية ١٧٧/١٢ ، وتبيين كذب المفتري ٣٠٦ ، وشذرات الذهب ١٦/٤ ، والعبر ١٣/٤ ، وتاريخ ابن الوردي ٢٢/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٠٦/٥ ، ووفيات الأعيان ٤٦٤/١ ، وغيرها .

(٥) ب : « والخلال الجميلة » ، وهي الخصال .

(٦) في الأصل : « مجموع » ، ومثله في ب .

نظمه حَلْيُ الزَّمان العاطل ، وفيضُ خاطره أغزر من فيض الغمام الهاطل .

لقيته ، واستنشدته ، وسمعته ينشد كثيراً في المواكب الشَّريفة ، وبين يَدَيِ الوزير[7] .

تُوُفِّيَ سنة اثنتين[8] أو ثلاث وخمسين وخمس مئة .

ومولده سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة .

***

وقد سارت له الأوزان الغريبة ، والرُّباعيات البديعة .

أنشدني (مجد الدَّولة[9] ، أبو غالب ، بن الحُصَيْن) ، قال : أنشدني (ابن الخَلّ) لنفسه بيتين .. يكتبان على مِنْطَقَة :

أنا بالخَصْرِ وللرِّدْفِ مُطِيفٌ ، ورَدِيفٌ[10]

مُعْجِزِي أنَّ رَفِيقَيَّ : نَحِيفٌ ، وكَثِيفٌ !

***

وله ، من رُباعيّاته ، قوله :

سارُوا ، وأقام في الفُؤاد الكَمَدُ

لم يَلْقَ ـ كما لَقِيتُ منهم ـ أحَدُ[11]

شوقٌ ، وجَوىً ، ونارُ وَجْدٍ تَقِدُ

ما لي جَلَدٌ .. ضَعُفْتُ ، ما لي جَلَدُ !

***

(7) هو أبو المظفر يحيي بن هبيرة . ترجمته في ٩٦/١ .
(8) في الأصل « اثنين » .
(9) أسلفت ترجمته في ٢٣٣/٢ ح ٥ .
(10) الرِدف : الكَفَل ، و ـ العجز . الرديف : الراكب خلف الراكب .
(11) الفؤاد : في وفيات الأعيان « فؤادي » ، وفي شذرات الذهب « ودادي » وهو تحريف . الكمد : الحزن الشديد المكتوم .

وقولـه :

ما ضَرَّ حُـداةَ عِيسِهِمْ لو رَفَقُوا ؟
لم يبــقَ غَـداةَ بَيْنِهم لي رَمَقُ[١٢]

قلبٌ قلِـقٌ ، وأدمُــعٌ تَستَبِقُ
أوهى جَلَدي من الفِـراقِ ، الفَرَقُ[١٣]

⁂

وقوله :

سَـقْياً لزمانٍ وصلِنـا من زمـنِ
أيّـامَ رتَعْتُ في ريـاضِ الفِتَنِ[١٤]

أضحى وكـأنَّ كَوْنَـهُ لم يَكُـنِ
والصَّبـرُ بنـاؤه على النَّقْضِ بُنِي

⁂

وقوله :

هذا وَلَهِي ، وكم كَتَمْتُ الوَلَهـا
صَوْناً لودادِ مَنْ هَوَى النَّفْسِ لها[١٥]

يا آخِـرَ فتنتي ! ويا أوَّلَهـا !
آياتُ هوايَ فيكِ : مَنْ أوَّلَها ؟[١٦]

⁂

وله، من قصيدة :

يَـدٌ مِـن الغيث أجوَدْ   بيضـاءُ ، والدّاءُ أسوَدْ
يـدٌ ، نِطاقُ المعـالي   بهـا يُحَلُّ ويُعْقَدْ

⁂

---

(١٢) العِيس من الإبل ما يخالط بياضها شقرة ، و ــ الكرام منها ، جمع أعيس وعيساء . البين : الفرقة . الرمق : بقية الروح .

(١٣) الفَرَق : الجزع واشتداد الخوف .

(١٤) أراد بالفتن المحاسن التي يفتتن بها الإنسان ويتولّه .

(١٥) وكم : من وفيات الأعيان ، الأصل : « ولقد » ، ب : « وقد » ، وما في الوفيات هو السديد . هوى : في وفيات الأعيان « هوَ » ، وهو تحريف . النفس : ب « القلب » . الوله : اشتداد الحزن ، و ــ التحير من شدة الوجد .

(١٦) فتنتي وهواي : في وفيات الأعيان ، وشذرات الذهب: «محنتي » و«غرامي».

ومن غَزَلها :

فلاحَ لي وجهُ حِب تحتَ العِذارِ المزَرَّدِ[17]

*
**

وله في واعظ :

ومن الشَّقاوة أنّهم ركَنوا إلى
نَزَغات ذاك الأحمقِ التَّمْتامِ[18]

شيخ يُبَهْرِجُ دينَه بنِفاقه ،
ونَفاقُه منهم على أقوامِ[19]

فإذا رأى الكرسيَّ تاه بأنفه ،
أيْ : إنّ هذا موضعي ومقامي ![20]

ويدُقُّ صدراً .. ما انطوى إلّا على
غِلٍّ ، يُواريه بكَفّ عِظامِ[21]

ويقول : « أيش أقول ؟ » ، من حَصَرٍ به
لا لازدحامِ عبارةٍ وكلام .

---

(١٧) حرب : لعله « حِب » بكسر الحاء ، وهو الحبيب . العذار : جانب لحية الغلام . المزرّد : الشعر الملتف حلقاً كالزَّرَد .

(١٨) ركنوا اليه : مالوا إليه وسكنوا ، و ـ اعتمدوا عليه ، وفي القرآن الكريم : (ولا تركنوا إلى الّذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النّارُ) . الأصل : ركبوا ، وهو تصحيف . النزغات : الوساوس وما يحمل على المعاصي ، الأصل « نزعات » بالعين ، والمثبت من وفيات الأعيان ، وهو هنا أليق وأسدُّ . التمتام : من يرد الكلام إلى التاء والميم ، وقيل : هو من يعجل بكلامه فلا يكاد يفهمك .

(١٩) يبهرج : يزيّف .نَفاقه « الثانية » ، بفتح النون : رواجه .

(٢٠) فإذا : في وفيات الأعيان « وإذا » . موضعي : في شذرات الذهب « منصبي » .

(٢١) الغِلّ ، بكسر الغين : العداوة ، والحقد الكامن . وفي القرآن الكريم : (ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ) . يواريه : يستره ويخفيه .

(٢٢) أيش : مخففة « أيّ شيء » عامية . الحَصَر : العيّ في المنطق وعدم القدرة على الكلام .

ولده[ه] : (١)

فخر الزمان أبو القاسم علي [بن أحمد] ابن المبارك بن الخل الشاعر (٢)

---

(١) سقط الضمير من الأصل ، وذكره متعيّن ، لإزالة اللبس .

(٢) ابن أحمد : زدتهما من الترجمة السابقة ، لتصحيح نسبه . وقد ترجم ابن الفوطي « فخر الزمان » في « تلخيص مجمع الآداب » ج ٤ / ق ٣ ، في موضعين متقاربين ، فقال في الموضع الأول (ص ٢٤٢) : « فخر الزمان أبو القاسم علي ابن الحسن » ، وقال في الموضع الثاني (ص ٢٥٤) : « فخر الزمان علي بن المبارك » ، وكلاهما واحد ،ولكنه خالف في اسم الأب ، وقد أخطأ فيهما معاً كما سأبيّنه . وعلق « محققه » على « فخر الزمان » في (ص ٢٤٢) بقوله : « سيذكره المؤلف ثانية باسم فخرالدين .. » ، غير ان الذي أثبته في(ص٢٥٤) هو « فخر الزمان » أيضاً ! ثم قال في تعليقه : « وبيت الخل صار من البيوت المشهورة بالفقه لمكان محمد بن المبارك » ـــ وهذا صحيح ، « وبالأدب ، لمكان الحسن بن المبارك وابنه أبي القاسم هذا » . و « الحسن » هنا خطأ محض ، تابع فيه ابنَ الفوطي من غير تحقيق،وقد أوجد به معدوماً ، وأعدم موجوداً، ذلك انه ليس في رجال هذا البيت ـــ وقد اشتهر أربعة منهم في الفقه وفي الشعر ـــ مَنْ كان اسمه « الحسن » . و « فخر الزمان » هذا ابن ثالث رجل منهم ، وهو « أبو الحسين أحمد بن المبارك » صاحب الترجمة السابقة . هذا هو التحقيق . ولفخر الزمان ترجمة في « التاريخ المجدد لمدينة السلام » للحافظ محب الدين محمد بن النَّجّار البغدادي ، وهو في « المكتبة الظاهرية » بدمشق . أما الترجمتان اللتان في « تلخيص مجمع الآداب » ، فأولاهما منقولة من تاريخ الحافظ ابن النّجّار ، وفيها : « وهو الشاعر ابن الشاعر ،مدح الإمامين : المستنجد، والمستضيء. وكان أرقّ شعراً من أبيه .. وأشعاره كثيرة. ومولده في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمس مئة » ، وفيها أيضاً أربعة أبيات من أول قصيدة فائية مدح بهـا الشاعرُ المستنجد . والأخرى من « خريدة القصر » ، وهي هذه الأليفاظ الّتي وصف بها العمادُ الشاعرَ ، منسوبة إلى كاتبها ، على ان ابن الفوطي قد أسقط منها لفظتي « ذكاء » ولباقة ، ثم ستة أبيات اختارها من المقطوعة الحائية المذكورة في صدر الترجمة، ولا شيء ـــ بعدُ ـــ غير ذلك .

شابٌ فيه أدبٌ ، وظَرْف ، وذكاء ، وفِطنة ، وكياسة ، ولَباقة ، وتودُّدٌ إلى النّاس .

⁂

أنشدني لنفسه ، بِـ « بغدادَ » ، سنةَ إحدى وخمسين [وخمس مئة][3] :

وجـــهُ الصَّبُوح صبيحُ	مـــن الهمـــوم مُــريحُ[4]
ومنـــزلُ اللهـــو رَحْبٌ ،	نَضْــــرُ الرِّياض ، فسيحُ
والطَّـلُّ جـارٍ نَثِــيرٌ	والظِّـلُّ ســـارٍ يسيحُ[5]
وللنَّســـــيم هُبُــوبٌ	على الرّياض طَليــــحُ[6]
وللسَّــحابة جَفْـــــنٌ	مـــن الـــدُّموع قَــريحُ
والبُلبـــلُ المتغنّـــي	ـ فـوقَ الغُصونِ ـ يصيحُ
والـــوردُ في قُضُبِ الـدَّوْ	حِ كالنُّجـــوم يلوحُ[7]
نســـيمُه بغـــرام الصَّـ	ـبِّ المَشُـوق يبـــوحُ
وظَنٌّ تَــرْكِ اصطبـــاحٍ	فيـــه جميـــلاً ، قبيحُ[8]

⁂

وله في مدح الإمام (المستضيء)[9] ، من قصيدة ، وتهنئته[*] بالخطبة في « مِصرَ » في سنة سبع وستّين وخمس مئة :

---

(3) زيادة مني ، وهي مثبتة في « تلخيص مجمع الآداب » أيضاً . وهذا التاريخ، يفيد أن هذه المقطوعة هي من بواكير شعر المترجم ، نظمها وعمره نحو واحد وعشرين عاماً .

(4) الصَّبُوح : ما يشرب في الصَّباح ، والصبيح : المضيء .

(5) الطلّ : المطر الضعيف .

(6) الطليح : الكالّ المعيي من السفر ، استعاره للنسيم .

(7) الدوح : الأشجار العظام المتسعة الممتدة الأغصان .

(8) الاصطباح : شرب الصبوح .

(9) المستضيء : (٩/١) . فتح مصر : (ص ٩ / ح ٢٧) ، و (ج ١ / ص ١٣) .

(*) الأصل « ويهنئه » .

سرَتْ لك خيلُ اللهِ وَهْيَ يَعـــابِيبُ
فعَطَّتْ دُجَى ليلِ المُنَى وَهْوَ غِرِبيبُ[10]

نوازعَ عن رعـــي الجَمِيم طوامئـــاً ،
وحمدُك حاديهـا ، فهُنَّ مَطـــاريبُ[11]

تجوسُ خِلالاً من ديـارٍ .. هفتْ بها ،
وقد مَعَجَتْ فيها ، الجبالُ الشَّناخيبُ[12]

عـــلى عارفـــات بالطّعـان ، خبيرةٍ
بِساربِ عَفْرِ الدَّوّ ، وهي أَساريبُ[13]

فأدَّتْ شِعارَ الله فاهتــزَّ مُورِقـــاً
لهـــا كلُّ كعب من قَناة ، وأُنبُوبُ

وقـــد نَحلَتْ فيها المنابِرُ ، صَبْوَةً
إليــك ، فأطَّتْ مثلَمــا أَطَّتِ النّيِّبُ[14]

---

(١٠) يعابيب : جمع يَعْبُوب ، وهو الجواد السهل في عَدْوه . غربيب : شـديد السواد . وكثيراً ما يجيء تأكيداً ، فيقال : أسود غربيب .

(١١) نوازع عن الرعي : كافّات عنـه . الجميم : الكثير المجتمـع من النَّبـات . مطاريب : خفيفات في السير ، حملها على الطرب شوق نازع ، الواحد مِطْراب ومِطْرابة .

(١٢) تجوس : تتردد ، ويقال : جاسوا خلال الديار ، إذا ترددوا بينها بالإفساد وطلبوا ما فيها ، وفي القرآن الكريم : (فجاسوا خِلالَ الديار) . هفت بها : حركتها وذهبت بها . مَعَجت : أسرعت في سيرها مرةً في الشق الأيمن ومرة في الشق الأيسر . الشناخيب : رؤوس الجبال العالية ، المفرد شُنْخُوبة وشنخوب وشِنخاب .

(١٣) السارب : الذاهب على وجهه ، في الأصل « ساده » ، ولعل صوابه ما أثبتّه . عُفر الدَّوّ : ظباء الفلاة الواسعة ، الّتي يعلو بياضها حمرة ، جمـع أعفر وعفراء . الأساريب : القطعان ، جمع أسراب جمع سِرْب ، ولم أجـده في دواوين اللغـة .

(١٤) أَطّت : صوّتت . النّيب : النّياق المسنة ، الواحدة نابٌ .

وكادت تَهادَى غَدْوَةً نَحْوَ « يَثْرِبٍ »
يَقُلْنَ : أبعدَ اليوم ، في الدّهر ، تثريب؟[١٥]

وأضحت مَغانِي أرضِ « مِصْرَ » نَضيرَةً
عليها رُواقُ العزّ باسمك مضروبُ (*)

وخفّاقةُ سُودِ البُنُود .. كأنّها
أَحَمُّ غَمام ، مَسَّ قُطْرَيْهِ تذهيبُ[١٦]

إذا نُشِرت ، لاحت بهنّ صحائفٌ
عليهنّ عُنوانٌ من النَّصر مكتوبُ

فشافهتِ الأرواحَ غزواً وأجلبتْ ،
فظَلَّتْ وقلبُ الأرض منهنّ مرعوبُ[١٧]

إلى أن غدا في كلِّ نزعةِ مَعْقِلِ
لها مِنْبَرُ المجدِ الإماميّ منصوبُ

وبات نَميرُ « النّيل » من دمِ شِيعة الـ
ـضَّلال وأعداءِ الهُدى وهو مقطوبُ[١٨]

---

(١٥) تهادى : حذف تاء المضارع تخفيفاً ، وهو قياسي ، أو تهاوَى ، أي تسير سيراً شديداً ، الأصل « تساوي » ، ولعل صوابه ما اثبته . الغُدوة : ما بين الفجر وطلوع الشمس ، الأصل « غدرة » . التثريب : اللوم ، و ــ تقبيح الفعل ، وفي القرآن الكريم : (لا تثريبَ عليكم اليومَ) . يثرب : مدينة رسول الله ، صلّى الله عليه وسلَّم ، وقيل : هي الناحية التي منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وللمؤرخين في تخطيط المدينة ومسجدها النبوي العظيم وآثارها وفضائلها كتب كثيرة ، وحسبها شرفاً أنها دار هجرة الرسول ومثوى جسده الطاهر وأجساد آل بيته وصحابته العظماء الأخيار .

(*) عليها : الأصل « عليك » .

(١٦) سود البنود : من اضافة الصفة إلى الموصوف ، أي البنود السود ، وهي الأعلام الكبار ، واحدها بَنْد . وكانت رايات العباسيين سُوداً ، وشعارهم السواد . أحم : أسود ، يريد : غمام أحمّ . القُطْرُ : الناحية .

(١٧) أجلبت : اجتمعت وتألبت ، و ــ توعّدت .

(١٨) النمير ، من الماء : الطيّب الناجع في الرّيّ . مقطوب : ممزوج .

وعن كَثَبٍ يُضحِي لخيلك في السُّرى
على ما وراء «السَّدّ» شَدٌّ وتقريبُ[19]

وتُصبح فيما خلفَ «قاف» غوائراً
لملكك ــ يا ابنَ الخالفين ــ مَقانيبُ[20]

بقيتَ مَدى الأيّام ما انهلَّ عارضٌ،
لبارِقِه في سُدْفَة الليل أُلْهُوبُ[21]

***

وقال يمدحه:

سلامٌ كأنفاس الصَّبا جاشِرِيَّةً
إذا عَبِقَتْ من نَشْرِ زَهْرِ الخَمائلِ[22]

وأزجتْ رَعِيلاً من غَمام، رُكامُه
كأحْقافِ رمل «الأَنْعُم» المُتَهايِلِ[23]

---

(19) الكَثَب: القُرب. السُّرى: سير الليل خاصة. الشدّ: العَدْو. التقريب: عَدْوٌ دون الإسراع. والسّدّ: يريد به سدّ الصِّين، وقد تقدم في (٢/٢٨٥).

(20) قاف: (ص ٢٧٤/ح٢٠). غوائر: جمع غائرة. الخالفون: الخلفاء، بعضهم يخلف بعضاً. مقانيب: أراد المقانب، جمع المِقْنَب، وهو جماعة الخيل والفرسان، زاد فيها الياء جرياً على قاعدة نحاة الكوفة في كل ما جاء على مفاعل وما شابه هذا الوزن.

(21) انهلّ: صبّ صبّاً كثيراً متتابعاً. العارض: السحاب يعترض في الأفق. سدفة الليل: ظلمته، والسدفة أيضاً اختلاط الضوء والظلمة معاً. الألهوب: أراد به الاضطرام، وهو في دواوين اللغة أن يجتهد الفرس في عدوه حتى يثير الغبار، ويوصف به فيقال: شَدٌّ أُلْهُوب، وألهب الفرس: اضطرم جريه، وقال بعض رواة اللغة: يكون ذلك للفرس وغيره ممّا يعدو.

(22) جاشِريّة: حال، وصف بها أنفاس الصبا، مريداً أنها مسكرة كالجاشِرية، وهي ــ كما في لسان العرب ــ «الشرب مع الصبح، ويوصف به فيقال: شربة جاشِرِيّة، واصطبحت الجاشريّة، ولا يتصرف له فعل .. وقال الفرزدق:

إذا ما شَرِبنا الجاشِريّةَ، لم نُبَلْ
أميراً، وإن كان الأميرَ من الأَزْدِ»

عبِقت: لزقت وانتشرت رائحتها. النشر: الرائحة الطيبة.

على أيْهَمِ الدُّنيا الخِضَمِّ ، وطَوْدِها الـ
أَشَمِّ ، ووالِيها الجوادِ الحُلاحِلِ (٢٤)

على القانت الأَوّاب في غَسَق الدُّجَى
ومُؤمِنِ أهوالِ الخطوبِ النَّوازلِ (٢٥)

إمامٌ ، منيرُ الهَدْي ، مؤتلقُ السَّنا ،
طَهُورُ اجتماعِ الشَّمْل ، عفُّ الشَّمائلِ

تَحِنُّ إلى بذل العطايا يمينُه
حنينَ عِطاشِ الخِمْسِ نحوَ المَناهلِ (٢٦)

---

(٢٣) أزجت : ساقت ودفعت . رعيل الغمام : أوّله . الركام : ما اجتمع بعضه فوق بعض . الأحقاف : جمع الحِقْف ، بكسر الحاء ، وهو ما استطال واعوجّ من الرمل . الأصل « كأحقاق » بقافين ، وهو تصحيف . الأنعُم ، بضم العين ، قال ياقوت : « موضع بالعالية » وأنشد قول جَرير :

حيٌّ الديار بعاقل فالأنعُم كالوحي في رقّ الزَّبُور المعجمِ

والعالية : اسم لكل ما كان من جهة « نجد » من « المدينة » من قُراها وعمائرها الى « تهامة » فهي العالية ، وما كان دون ذلك من جهة « تهامة » فهي السافلة . وعالية الحجاز ــ كما قال أبو منصور ــ أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً ، وهي بلاد واسعة . المتهايل : أراد المتهيّل ، يقال : هالَ الرملَ ، دفعه فانهال ، وكذلك هَيّله فتهيَّلَ ، ولا يعرف « تهايل » في كلامهم كما هو ظاهر روايات دواوين اللغة .

(٢٤) الأَيْهَم ، من الرجال : الجريء الذي لا يستطاع دفعه . الأصل « أبهم » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف . الخِضمّ : البحر الواسع ، و ــ السيف القاطع ، شبهه بأحدهما من حيث الجود أو من حيث المَضَاء . الحُلاحِل ، بالضم : السيد في عشيرته ، و ــ الشجاع الرّكين في مجلسه ، الجمع حَلاحِلُ بالفتح .

(٢٥) القانت : المطيع لله الخاضع له المقر بالعبودية ، الأصل : « القانب » وهو تصحيف . الأوّاب ، فيه سبعة أقوال ، منها : التائب ، و ــ الذي يرجع إلى التوبة والطاعة ، قال الله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَوّابٍ حَفِيظٍ ﴾ . غسق الدّجى : ظلام الليل .

(٢٦) عطاش الخِمْس : أراد بها الإبل . والخِمس ، بكسر الخاء : من الفلوات ما بَعُدَ ماؤها حتى يكون ورود الإبل في اليوم الخامس ، و ــ ان تردالإبلالماءَ في اليوم الخامس من ورودها السابق ، فيكون بين الوِرْدَين ثلاثة أيام ، جمعه أخماس . المناهل : جمع المنهل ، وهو المورد أي الموضع الذي فيه المَشْرَب ، و ــ المنزل في الفلاة على طريق السُّفّار ، لأن فيه ماءً .

إذا غَرَّدَ الحـــادي بحمدِ جلالِـهِ ،
تهلَّــلَ مَوْشِيٌّ بنَوْرِ الفضائلِ (٢٧)

ثَــراه الّذي يخطــو عليـه جـوادُه
خُلُوفٌ لأَفْواه الملـوك العَباهِلِ (٢٨)

تهُــزُّ القوافي عِطْفَــه لعُفــاتِـه
كما هَزَّ كفَّ القَيْلِ لَدْنَ العواملِ (٢٩)

تفرَّعَ من جُرْثومـةٍ نَبَوِيَّــةٍ
ســقتها سُقاةُ القُدْس ماءَ الفَواضلِ (٣٠)

فجـاء مُضيءَ الوجـه من نورِ رَبِّــهِ ،
رؤوفَ ضميرِ القلب ، رَحْبَ المنــازلِ

يَزيد على عـــزٍّ الإيالة رحمــــةً
بهـا تأمَنُ الدُّنيـا طُروقَ الزَّلازلِ (٣١)

---

(٢٧) النَّوْر : الزهر .

(٢٨) الخُلُوف : تغيّر طعم الفم لتأخّر الطعام ، وفي الحديث : « لَخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . العَباهِل : أراد « العباهلة » ، وفي كتاب سيّدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لوائل بن حُجْر ولقومه : « من محمد رسولِ الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حَضْرَمَوْتَ » ،قال أبو عبيد: العباهلة هم الذين أُقِرّوا على ملكهم لا يزالون عنه. وقال الجَوْهَري :عباهلة اليمن ملوكهم الذين أقروا على ملكهم . وواحد العباهلة عَبْهَل .

(٢٩) العِطف ، من الإنسان : جانبه من لدن رأسه إلى وركه . العُفاة : طلاب الفضل والمعروف . القيل : الملك من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم . الأصل « الفيل » بالفاء ، وهو تصحيف . الكف : مؤنثة ، وقد ذكرها لأنه أراد العضو . لَدْن : ليّن . العوامل : جمع العامل ، وهو من الرمح أعلاه مما يلي البنان بقليل .

(٣٠) الجرثومة : الأصل . القدس : الطُّهْر .

(٣١) الإيالة ، بالياء المثنّاة : قطعة من أرض الدولة يحكمها والٍ من قبل السلطان . (محدثة) . وستتكرر في الجزء الرابع (ص ٢٦٩) . الطروق : المجيء ليلاً .

مُلِثٌ سَحابِ الجود ، مُسْتَعِر السُّطا
لعافٍ نزيلٍ ، أو لعاتٍ مُنازِلِ [٣٢]

كريمُ مَرامي اللحظِ ، صَفْوٌ مَغيبُه ،
سليمُ دواعي الصَّدْر ، جَوْدُ المَخايِلِ [٣٣]

له سُنَّةٌ مِشراقةٌ أحمديَّةٌ
تبرقع وجهَ الشَّمس حُسنَ القَساطِلِ [٣٤]

ترى في سِباع الطَّير لُطفَ جَنانه ،
فرُبَّ بُغاثِ الكُدْرِ ضاري الأجادِلِ [٣٥]

تَصيحُ مَذاكيه : الطِّرادَ ! فإنّما
قلوبُ المَعالي في صُدور المَناصِلِ [٣٦]

فأُقسِمُ : ما مِن هارةٍ نَيْرَبيَّةٍ ،
عَدَتْها ظِلالُ المُعْصِراتِ الحَوافِلِ [٣٧]

---

(٣٢) الملث : الدائم ، يقال : لَثَّ المطر يَلِثّ لَثّاً ، والَثّ : دام أياماً لا يقلع . السُّطا : جمع السطوة . العافي : طالب الفضل والمعروف . العاتي : الجبّار .

(٣٣) جَوْد : مصدر جادَ المطر القوم ، إذا عمّ أرضهم وشملهم ، وفي الحديث : « تركتُ أهل مكة وقد جِيدُوا » . المَخايل : جمع المَخِيلة ، وهي السحابة التي تخالها ماطرةً لرعدها وبرقها .

(٣٤) السُّنَّة ، ها هنا : الوجه ، و ـ الصورة ، يقال : هو أشبه شيءٍ به سُنَّةً . المِشراقة : المسفرة والمضيئة والمتلألئة حسناً . القَساطل : كأنه جمع « القَسْطالة » ، وهي فيما قال ابن بَرّي ـ : اسم لقوس قُزَح .

(٣٥) جَنَانه : قلبه ، في الأصل « جنابه » . البُغاث : (ص ١٧٨/ح٢٦٢) . الكُدْر : القطا . الأجادل : الصقور ، الواحد أجدل .

(٣٦) المذاكي : (ص ١٧٨/ح٢٦٤) . المناصل : السيوف ، الواحد مُنْصُل .

(٣٧) هارة : لم أجدها في المعاجم ، ووجدت الهورة وهي الهلكة . فلعلها غارة . نَيْرَبِيّة : نسبة الى النَّيْرَب ، وهي الشرّ والنميمة . المُعْصِرات : السحائب تعتصرها الرياح بالمطر ، وفي القرآن الكريم : (وانزلنا من المُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً) . الحوافل : المتلئات ماءً .

اذا انجذبتْ أغصانهـا ، خِلْتَ أنّهـا
تـدانت لتقبيلِ الظّباء الجَوازِلِ(٣٨)

وإن أصبحتْ مُلْتَفّةً ، قلتَ : عُصبـةٌ
أُعِيضت وَشيكاً عن قِلىً بتواصُلِ(٣٩)

لبهجـةِ عصرِ (المستضيء) الّذي هَمَتْ
مكارمُـه في كلِّ جَدْبٍ بوابِلِ(٤٠)

غَضَنْفَرِ عِرِّيس الإمامـة ، وارثِ الـ
ـزَّعامةِ عن غُلْب الجـدود الأوائلِ(٤١)

خليفـة حقٍّ .. عـاد (باقِلُ) ذِكْـره
ـ إذا قال في عَلْياهـ (سَحْبانَ وائلِ)(٤٢)

إليك ، ابنَ سـامي المُحْرِمِينَ ! ، تفارطت
معـالمُ حمـدٍ في فَيافٍ مَجاهِلِ(٤٣)

---

(٣٨) انجذبت : في الأصل « انجذلت » ، ولم أر لها وجهاً . جَوازِل الظباء: صغارها، واحدها جَوْزَل .

(٣٩) وشيكاً : سريعاً . القلى : البغض والهجر .

(٤٠) همت السحابة : صبت ماءَها ، استعاره للمكارم . الوابل : المطر الغزير . الجدب : اليَبَس .

(٤١) العريس : الشجر الملتف يكون مأوى للأسد . الغُلْب : السادة ، جمع الأغلب، وهو الغليظ الرقبة ، وهم يَصِفُون أبداً السادة بغلظ الرقبة وطولها .

(٤٢) باقل : جاهليّ ، من بني إياد ، يضرب بعِيِّه المثل . قيل : اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً ، فمر بقوم ، فسألوه : بكم اشتريته ؟ فمدّ لسانه ، ومدّ يديه ، يريد : احد عشر ، فشرد الظبي ، فقالوا « أعيا من باقـل » وسـار مثلاً . وهو في مجمع الأمثال ٣٢٩/١ . في علياه : في عليائه ، قصره للوزن . سحبان وائل : (ص ٣٦٧/ح٩) .

(٤٣) تفارطت : تسابقت . الفيافي : جمع الفيفاء ، وهي الصحراء الواسعة المستوية. المجاهل : جمع المَجْهَل ، وهو المفازة لا أعلام فيها ، ويقال : أرض مجهل : لا يهتدى فيها .

أضـــاءت بك الدُّنيـا ـ وكانت بهيمةً ـ

فصـــارت رَزاياها تَهاني المَحافِلِ (٤٤)

وطـابت بك الأيّـامُ ، حتّى كأنّهــــا

رجوعُ شـــبابٍ ، أو إيابُ مُزايِلِ (٤٥)

فلا زِلتَ ذا الآلاءِ •• تُكثِرُ عَدَّهـا

ـاذا تُليَتْ ـعَدَّ الحصى والجَنادِلِ (٤٦)

---

(٤٤) بهيمة : سوداء لا ضوء فيها .

(٤٥) المزايل : المفارق ، وإيابه : رجوعه .

(٤٦) الآلاء : النِّعَم ، واحدها إلىً وأَلىً . الجنادل : الصخور العظام ، واحدهـا جَنْدَل .

مراجع الشرح والتحقيق

(أ)

الآثار النبوية	احمد تيمور باشا	مصر « ط٢ » ١٣٧٥ هـ /١٩٥٥م
ابو احمد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده	المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية	مصر ١٣٨٢هـ/١٩٦٢
أحسن التقاسيم	البشاري المقدسي	ليدن ١٩٠٩م
اخبار العلماء باخبار الحكماء	علي بن يوسف القفطي	مصر ١٣٢٦هـ
أساس البلاغة	محمود بنعمر الزمخشري	مصر ١٣٢٧هـ
الاستيعاب في اسماء الاصحاب	ابن عبد البر	مصر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م
أسد الغابةفي معرفةالصحابة	عزالدين بن الاثير	مصر ١٢٨٠هـ
اشارة التعيين الى تراجم النحاة واللغويين	عبدالباقي بن علي	(مخطوط)
الاصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	مصر/١٣٢٣هـ
الاصمعيات	اختيار (الاصمعي)	مصر ١٣٧٥هـ /١٩٥٥م
الاعتبار	أسامة بن منقذ	اميركا ١٩٣٠م
الاعلام	خيرالدين الزركلي	مصر « ط ٢ » ١٣٧٣-١٣٧٨هـ
اعلام النبلاء	محمد راغب الطباخ	حلب ١٣٤١هـ
الاعلام بتاريخ الاسلام	ابن قاضي شهبة	(مخطوط)
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ	السخاوي	دمشق ١٣٤٩هـ
الاغاني	أبو الفرج الاصبهاني	مصر ١٣٢٣هـ و « ط . دار الكتب »
الامتاع والمؤانسة	أبو حيان التوحيدي	مصر ١٩٣٩م
الأنساب	أبو سعد السمعاني	ليدن ١٩١٢م
انباه الرواة على انباهالنحاة	علي بن يوسف القفطي	مصر ١٣٦٩ - ١٣٩٣هـ
ايضاح المكنون	اسماعيل باشا اليباني	استنبول ١٣٦٤-١٣٦٦هـ

(ب)

بدائع الفوائد	ابن قيم الجوزية	مصر (غير مؤرخة)
البداية والنهاية في التاريخ	ابن كثير	مصر ١٣٥١ ـ ١٣٥٨هـ
البرق الشامي	العماد الكاتب	(مخطوط)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة	جلال الدين السيوطي	مصر ١٣٢٦هـ
بلدان الخلافة الشرقية	غي. ل. سترنج، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد	بغداد ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م
بلوغ الارب في احوال العرب	محمود شكري الالوسي	« ط ٢ » مصر ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م

(ت)

تاج العروس من جواهر القاموس	محمد مرتضى الزبيدي	مصر ١٣٠٧هـ
تاج اللغة وصحاح العربية	الجوهري	مصر ١٣٧٧هـ
التاج المكلل	صديق حسن خان	بهوبال ١٢٩٨هـ
تاريخ آداب اللغة العربية	جرجي زيدان	مصر ١٩١٣ ـ ١٩١٤م
تاريخ ابن الاثير (الكامل)	ابن الاثير	مصر ١٢٩٠هـ
تاريخ ابن الوردي	عمر بن المظفر الوردي	مصر ١٢٨٥هـ
تاريخ ابن العديم (زبدة الحلب)	ابن العديم	بيروت ١٣٧٠هـ ١٩٥١م
تاريخ ابي الفداء (المختصر في أخبار البشر)	الملك المؤيد ابو الفداء	مصر ١٣٢٥هـ
تاريخ الاسلام	الحافظ الذهبي	مصر ١٣٦٧هـ
التاريخ الباهر	عزالدين بن الاثير	مصر ١٩٦٣م
تاريخ بخاري	ابو بكر محمد النرشخي	مصر ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م
تاريخ بغداد (المقدمة)	الخطيب البغدادي	مصر ١٣٤٩هـ
تاريخ الخميس	حسين بن محمد الديار بكري	مصر ١٢٨٣هـ
التبيان «شرح ديوان المتنبي»	العكبري	مصر ١٣٠٨هـ
تبيين كذب المفتري على ابي الحسن الاشعري	دمشق ١٣٤٧هـ	ابن عساكر
تذكرة الحفاظ	الحافظ الذهبي	حيدراباد ١٣٣٣ـ١٣٣٤هـ

الكتاب	المؤلف	الطبعة
تفسير ارجوزة ابي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع	ابن جني	دمشق ١٣٨٦-١٩٦٦م
تفسير فتح البيان	صديق حسن خان	مصر ١٣٠٠هـ
تقويم البلدان	ابو الفداء	باريس ١٨٤٠م
تكملة اكمال الاكمال	ابن الصابوني	بغداد ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م
التكملة لوفيات النقلة	زكي‌الدين المنذري	(مخطوط)
تلخيص ابن مكتوم	احمد بن عبدالقادر	(مخطوط)
تلخيص مجمع الآداب	ابن الفوطي	دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٥م
تهذيب تاريخ ابن عساكر	عبدالقادر بدران	دمشق ١٣٢٩هـ

(ث)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	عبدالملك بن محمدالثعالبي	مصر ١٣٢٦هـ

(ج)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
الجاسوس على القاموس	احمد فارس الشدياق	استنبول ١٢٩٩هـ
الجامع المختصر	ابن الساعي	بغداد ١٣٤٠-١٩٢٢م
جلاء العينين في محاكمة الاحمدين	نعمان خيرالدين الالوسي	مصر « ط ٢ » ١٣٨١هـ
جمهرة انساب العرب	ابن حزم الاندلسي	مصر ١٩٤٨م
الجمع بين رجال الصحيحين	ابن القيسراني	حيدراباد ١٣٢٣هـ
الجواهر المضية في طبقات الحنفية	عبدالقادر بن محمد القريشي	حيدراباد ١٣٣٢هـ

(ح)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
الحلل السندسية في الاخبار التونسية	محمد بن محمد الوزير	تونس ١٢٨٧هـ
حلية الاولياء وطبقات الاصفياء	ابو نعيم الاصبهاني	مصر ١٣٥١هـ
حياة الحيوان	كمال‌الدين الدميري	مصر ١٣٠١هـ
الحيوان	ابو عثمان الجاحظ	مصر ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م

(خ)

الكتاب	المؤلف	الطبعة
خريدة القصر وجريدة‌العصر (قسم شعراء الشام)	العماد الكاتب	دمشق ١٩٥٥م ومابعدها

خريدة القصر وجريدةالعصر (قسم شعراء العراق)	العماد الكاتب	بغداد ١٩٥٥–١٩٧٣م
خزانة الادب	عبدالقادر بن عمر البغدادي	مصر ١٢٨٤هـ
الخصائص لابن جنّي	مقدمة محمد علي النجار	مصر

(د)

دائرة المعارف الاسلامية	(الترجمة العربية)	مصر ١٩٣٣–١٩٥٧م
دائرة المعارف	البستاني	بيروت ١٨٧٦–١٩٠٠م
الدارس في تاريخ المدارس	عبد القادر النعيمي	دمشق ١٣٦٧–١٣٧٠هـ
دراسات كويتية	فاضل خلف	
دمية القصر	علي بن محمد الباخرزي	حلب ١٣٤٨هـ – مصر
ديوان الحماسة	اختيار أبي تمام	مصر ١٣٢٤هـ – ١٩٤٦م
ديوان ذي الرمة	غيلان بن عقبة العدوي	دمشق ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م
ديوان عنترة	عنترة العبسي	مصر
ديوان فتيان الشاغوري	فتيان بن علي الاسدي	دمشق١٣٨٧هـ –١٩٦٧م
ديوان لبيد	لبيد بن ربيعة العامري	الكويت ١٩٦٢م
ديوان امرىء القيس	حندج بن حجر	مصر

(ذ)

ذيل الروضتين	أبو شامة المقدسي	مصر ١٣٦٦هـ
الذيل على تاريخ بغداد	أبو سعد السمعاني	(مخطوط)
الذيل على خريدة القصر	العماد الكاتب	دمشق
الذيل على طبقات الحنابلة	ابن رجب الحنبلي	مصر ١٣٧٢هـ

(ر)

رحلة ابن جبير	محمد بن احمد بن جبير الكناني	مصر ١٣٢٦هـ – ١٩٠٨م
الروضتين في أخبارالدولتين	ابو شامة المقدسي	مصر ١٢٨٧هـ
روضات الجنات	الخوانساري	ايران ١٣٠٧هـ
ري سامراء	د. أحمد سوسة	بغداد ١٩٤٩م

(ز)

زبدة الحلب من تاريخ حلب	ابن العديم	بيروت ١٣٧٠هـ–١٩٥١م

(س)

سمط اللآلي	ابو عبيد البكري	مصر ١٣٥٤هـ ـ١٩٣٦م
سير أعلام النبلاء ١ـ٢	الذهبي	مصر

(ش)

شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلي	مصر ١٩٥٠م
الشذرات الذهبية في تراجم الائمة الاثني عشرية	محمد بن طولون	بيروت (غير مؤرخة)
شرح شواهد مغني اللبيب	جلال الدين السيوطي	مصر ١٣٢٢هـ
شرح عمود النسب	محمود شكري الالوسي	(مخطوط)
شرح مقامات الحريري	أحمد بن عبدالمؤمن الشريشي	مصر ١٢٨٤هـ
الشعر والشعراء	ابن قتيبة	مصر ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م
شفاء الغليل	شهابالدين الخفاجي	مصر ١٣٢٥هـ

(ص)

صبح الاعشى	القلقشندي	مصر ١٣٣١ـ١٣٣٨هـ
صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثار	محمد بن بليهد النجدي	مصر ١٣٧٠هـ ـ ١٣٧٢هـ
صفوة الصفوة	ابن الجوزي	حيداباد ١٣٥٥هـ
صورة الارض	ابن حوقل	بيروت (غير مؤرخة)

(ط)

طبقات الحنابلة	ابن ابي ليلى	مصر ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٤م
طبقات ابن سعد	محمد بن سعد	ليدن ١٣٢٤هـ
طبقات الشافعية	ابن قاضي شهبة	(مخطوط)
طبقات الشافعية الكبرى	عبدالوهاب السبكي	مصر ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م
طبقات الشافعية	عبدالرحيم الاسنوي	بغداد ١٣٩١هـ
طبقات الشافعية	ابو بكر بن هداية الله	بغداد ١٣٥٦هـ
طبقات فحول الشعراء	محمد بن سلام الجمحي	مصر ١٩٥٢م
طبقات الفقهاء (مع طبقات ابن هدايةالله)	ابو اسحاق الشيرازي	بغداد ١٣٥٩هـ
طبقات المفسرين	محمد بن علي الداوودي	(مخطوط)

طبقات المفسرين	جلال الدين السيوطي	ليدن ١٨٣٩م
طبقات النحاة واللغويين	ابن قاضي شهبة	(مخطوط)
طبقات النحويين واللغويين	الزبيدي	مصر ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م

(ع)

العبر في خبر من عبر	الذهبي	الكويت ١٩٦١–١٩٦٦م
عجائب الاقاليم السبعة	سهراب	ڤينا ١٣٤٧هـ – ١٩٢٩م
عجائب المخلوقات (حاشية على حياة الحيوان)	زكريا القزويني	مصر ١٣٠٩هـ
العقد الفريد	ابن عبد ربه	مصر ١٣٥٩ – ١٣٧٢هـ
العمدة	ابن رشيق القيرواني	مصر ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م
علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى	كرلو نلينو	روما ١٩١١م
عيون الانباء في طبقات الاطباء	ابن ابي أصيبعة	بيروت ١٩٦٥م

(غ)

غاية النهاية في طبقات القراء	شمس الدين الجزري	مصر ١٣٥١هـ

(ف)

فرائد اللآل	أبراهيم الاحدب	بيروت ١٣١٢هـ
الفلاكة والمفلوكون	أحمد بن علي الدلجي	مصر ١٣٢٢هـ
الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة	ادارة الثقافة في جامعة الدول العربية	ط « علي الاستنسل » ١٩٤٨م
فهرس دار الكتب المصرية		مصر ١٣٤٢–١٣٦١هـ
الفوائد البهية في تراجم الحنفية	محمد عبدالحيّ اللكنوي	مصر ١٣٢٤هـ
فوات الوفيات	ابن شاكر الكتبي	مصر ١٩٥١ هـ

(ق)

القرآن الكريم		
القاموس المحيط	مجدالدين البكري القيروزابادي	مصر ١٣١٩هـ
قصص الانبياء	عبدالوهاب النجار	مصر ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م

(ك)

كاظمة في الادب والتاريخ	يعقوب يوسف غنيم	الكويت

كشف الظنون	حاجي خليفة	استنبول ١٣٦٠هـ – ١٩٤١م
الكليات	أبو البقاء الحسيني	المطبعة القاهرة ١٢٨٧
الكنى والاسماء	الدولابي	حيدراباد ١٣٢٢هـ

(ل)

لباب الاداب	اسامة بن منقذ	مصر ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م
اللباب في تهذيب الأنساب	ابن الاثير	مصر ١٣٥٦هـ – ١٣٦٩م
لسان العرب	ابن منظور	بيروت ١٣٧٤ – ١٣٧٦هـ
لسان الميزان	ابن حجر العسقلاني	حيدراباد ١٣٢٩–١٣٣١هـ

(م)

ما رأيت وما سمعت	خيرالدين الزركلي	مصر ١٣٤٢هـ
مجلة ثقافة الهند		الهند
مجلة الزهراء	محب‌الدين الخطيب	مصر
مجلة المجمع العلمي العربي		دمشق
المجمل في تاريخ الأدب‌العربي	محمد بهجة الاثري	بغداد ١٣٤٥هـ –١٩٢٩م
المحبر	محمد بن حبيب	حيدراباد ١٣٦١هـ – ١٩٤٢م
المحمدون من الشعراء واشعارهم	القفطي	بيروت ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م دمشق ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م
مختصر كتاب البلدان	ابن الفقيه	ليدن ١٣٠٢هـ
المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي	الذهبي	بغداد ١٣٧١هـ –١٩٥١م
مرآة الجنان	عبدالله بن سعد اليافعي	حيدراباد ١٣٣٧–١٣٣٩هـ
مرآة الزمان	سبط بن الجوزي	حيدر اباد ١٣٧٠هـ – ١٩٥٠م
مسالك الابصار	ابن فضل‌الله العمري	مصر ١٣٤٢هـ – ١٩٢٤م
المسالك والممالك	الاصطخري	مصر ١٣٨١هـ – ١٩٦١م
المستفاد من ذيل‌تاريخ بغداد	ابن الدمياطي	(مخطوط)
مشتبه النسبة	عبدالغني بن سعيدالازدي	الهند ١٣٢٧هـ
المشترك وضعا والمفترق صقعا	ياقوت الحموي	گوتنگن ١٨٤٦ م

معاهد التنصيص	عبدالرحيم العباسي	مصر ١٢٧٤
معجم الادباء	ياقوت الحموي	مصر ١٣٥٧هـ ــ ١٩٣٨م
معجم الاقاليم	محمد بهجة الاثري	(مخطوط)
معجم البلدان	ياقوت الحموي	مصر ١٣٢٤هـ ــ ١٩٠٦م
معجم ما استعجم	أبو عبيد البكري	مصر ١٣٦٤ ــ ١٣٧١هـ
المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربيـــــة	مصر ١٣٨١هـ ــ ١٩٦٢م
المعـرب	ابن الجواليقي	مصر ١٣٦٠هـ
مفتاح السعادة	طاش كبري زاده	حيدراباد ١٣٢٩هـ
المقصد الارشد في ذكــــر أصحاب الامام أحمد	ابن مفلح الحنبلي	(مخطوط)
مناقب الامام احمد	ابن الجوزي	مصر ١٣٤٩
مناقب بغداد	ابن الجوزي	بغداد ١٣٤٢هـ
المنتظم في تاريخ الملوك والامم	ابن الجوزي	حيدر اباد ١٣٥٧هـ
المنهج الاحمد في طبقات الامام أحمـــد	عبدالرحمن العليمي	(مخطوط)
مؤلفات الغزالي	عبدالرحمن بدوي	مصر ١٩٦١م
مهذب تاريخ مساجد بغداد واثارها	محمد بهجة الاثري	بغداد ١٣٤٦هـ
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	الذهبي	مصر ١٣٢٥هـ

(ن)

النجوم الزاهرة	ابن تغري بردي	مصر ١٣٤٨ ــ ١٣٧٥هـ
نزهة الالباء في طبقات الادباء	الانباري	بغداد ١٩٥٩م
نكت الهميان في نكت العميان	صلاح الدين الصفدي	مصر ١٣٢٩هـ ــ ١٩١١م
نهاية الارب	القلقشندي	مصر ١٩٥٩م
النهاية في غريب الحديـــث	ابو السعادات بن الاثير	مصر ١٣١١هـ
الوافي بالوفيات	صلاح الدين الصفدي	استنبول ودمشق ١٩٣١
وفيات الاعيان	ابن خلكان	مصر ١٣١٠هـ

(هـ)

هدية العارفين	اسماعيل باشا البایاني	استنبول ١٩٥١ــ١٩٥٥م

(ي)

يتيمة الدهر	عبدالملك بن محمد الثعالبي	مصر ١٣٥٢هـ ــ ١٩٣٤م

الفهارس

(١)

التراجم

من شعراء أصحاب الحديث ببغداد والفقهاء

(٢)

الاعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ص)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(٣)

الشعوب والقبائل والاسر والنحل

(٤)

البلدان والاماكن

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(٥)

الآيات

(٦)

الأحاديث

(٧)

الأمثال

(٨)
اللغــة[١]

(١) خاص بالألفاظ الحضارية ، والآلات ، والأدوات ، والمعربات .

ملحق

زيادة الياء في « مفاعل » عند نحـــاةالكوفة ٣٨٩/ح٢٠

تصفعن ١٣٦/ح٢٥٦
ظلت ١٦٧/ح١٨١
القسطالة (قوس قزح) ٣٩٢/ح٣٤
الفذلكة (المفذلك) ٢٤٣/ح٩٩
الـ (غير) ١٢٨/ح٢٢٦
شيق استعماله بمعنىشائق ٢٢٤/ح٤١

(٩)

الكتب

(١٠)
الاشعار

صدر البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	الصفحة
	(أ)			
قالوا : تعزَّ ، فقلت : دهري خازق	عناءُ	ابن الدهان النحوي	٢	٢١
تهمي انامله الشريفة بالحيا	وطفاءُ	ابن الخراساني	٢	٢٢٧
ارفق بعبدك ان فيه فهاهةً	ماؤها	الكيـا الهرّاسي	١	٢٧ح
لأرحلنّ مطيتي عن بلدة	هواؤها	الحسن بن صافي	٧	١٢٢
من كان مسكنه القلوب	تناءاى	أبو الفتح بن الاديب	٧	٣٦٢
من آلـة الدست لم يعط الوزير سوى	إيماءِ	الغزي	٢	٣٥٧ح
لا تشكون لعاذل أو عاذر	والضرّاءِ	أبو الوفاء بن عقيل	٢	٢٩
أين التورّع من قلب يهيم	النائي	ابن المعتز	١	٨٠ح
انا زين الخلق طرّاً	نساءِ	ابن الخراساني	٢	٢٥١
وكان آدم حين حان مماته	بالحوباءِ	أحمد بن العلاء	٢	٢٥٦
اني كتبت الى الحبيب رسالة	غير ذمائها	تاج‌الدين الكندي	٢	٢٢٥
	(ب)			
بنفسيَ من أعلقت كفي بحبله	غاربُ	تاج‌الدين الكندي	١٣	٢٢٤
يود حسودي لو يرى لي زلةً	أكاذيبُ	ابن الجوزي	٣	٢٥٩
سرت لك خيلُ الله وهي يعابيب	غربيب	فخرالزمان بن الخل	١٦	٣٨٧
علام أجازَى بالوصال قطيعة	لعجيبُ	أبو الخطاب الكلواذي	٥	٤٥
مَنِ النافض البيداء والليل دامس	قطوبُ	الحسن بن صافي	٣	١٠٥
لنعم ذخر الفتى صنائعه	الذهبُ	البارع بن الدباس	٣	٨٦
مابال عينك منها الماء ينسكب	سربُ	ذو الرمة	١	١٣٠
أحاضرٌ واهيل المنحنى غيَبُ	الشَنَبُ	الحسن بن صافي	١٥	١٣٠
من ذا عذِيريَ من قوم اذا خدموا	غضبوا	عبدالرحيم بن الاخوة	٤	١٨٥
عذيريَ من فتية بالعراق	قُلّبُ	ابن الجوزي	٤	٢٦٢ح
للمجدِ بشر وللعلى طربُ	مقتربُ	المبارك بن سعيد	٧	٣٥٦
خليلك من صفا لك منه قلبُ	عتبُ	أبو الفتح بن الاديب	٧	٣٦٢
ان كنتَ نلت من الحياة وطيبها	شبابا	علي الربَعي	٢	٣٠٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	الصفحة
من اين كان لكنّ يا حدق المها	النهى	بهاءالدين الشريف	٢	١٠٩ح
هذا وَلَهي وكم كتمت الوَلَها	لهـا	احمد بن المبارك بن الخل ٢		٣٨٣
بلغت من المنى اقصى التشهي	وجهِ	ابن الخراساني	٢	٢٥٢
	(ي)			
فللّه دري يوم أترك طائعاً	ماليا	مالك بن الريب المازني	١	٢٥٧ح
صفراء من غير سقام بها	الشافيه	ابن الخشاب	٢	٨
	(الالف المقصورة)			
سلام على (احمد المصطفى)	المرتضَى	عبدالرحيم بن الاخوة	٢١	١٩٨
سبحان من جعل الكواكب زينة	يهتدى	عبدالرحيم بن الاخوة	١٦	٢٠٧
انا محسودة على	والعلى	ابن الخراساني	٢	٢٥١
حبذا طيف (سليمى) اذْ طوى	ذي طوى	جعفر بن أحمد السراج	٥	٢٨٤
ملك الارض الذي انعمه	السما	نصرالله بن نجم	٦	٣٢٩



رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد
١١٤٧ لسنة ١٩٧٦

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م



استدراك

حدث تفاوت بين ترقيم مفردات الفهارس وترقيم صفحات الكتاب بمعدل رقمين فقط . أي ان المادة التي يشير اليها الفهرس في الصفحة ١٦ نجدها في الصفحة ١٨ . لذا اقتضت الاشارة مع الاعتذار .